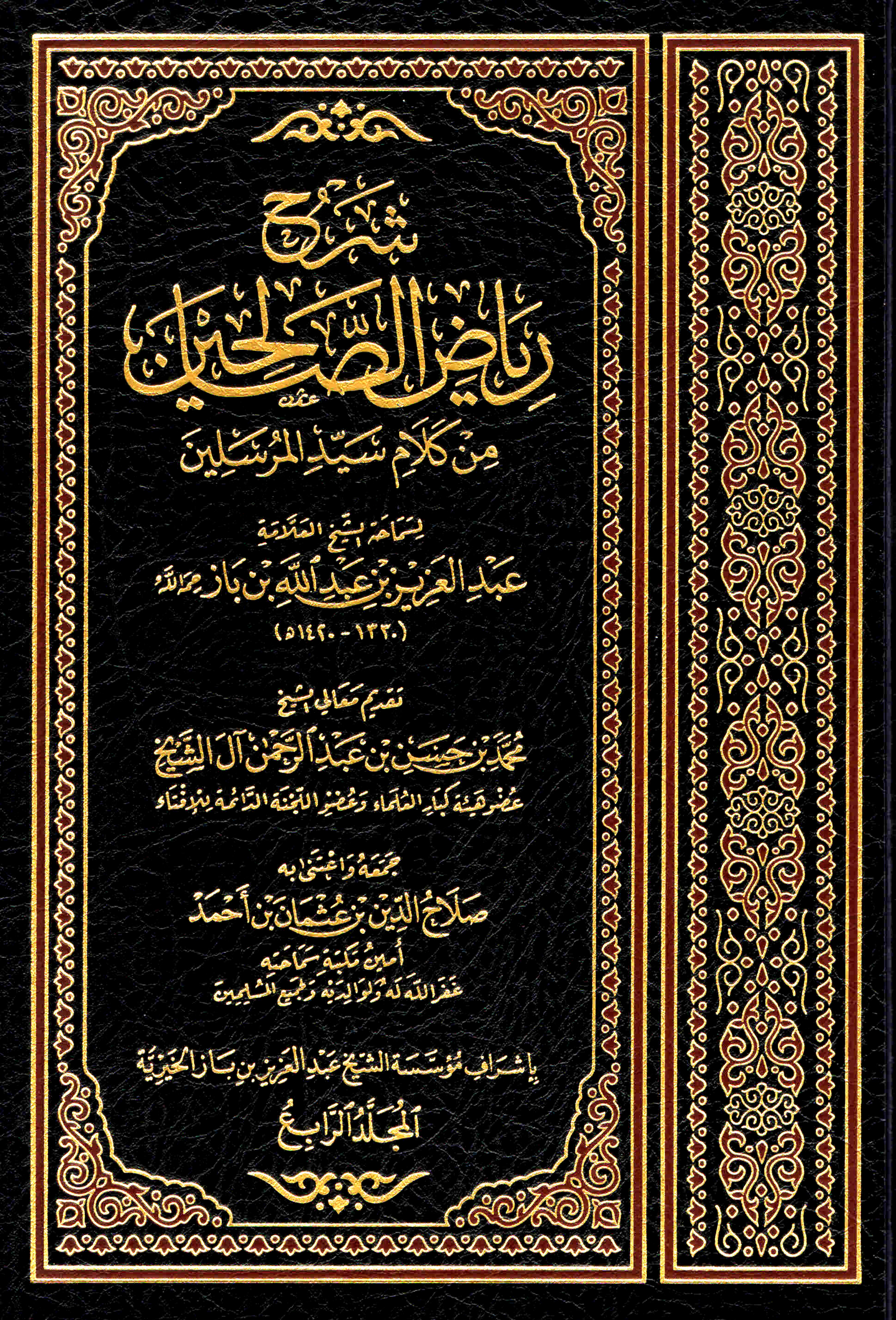
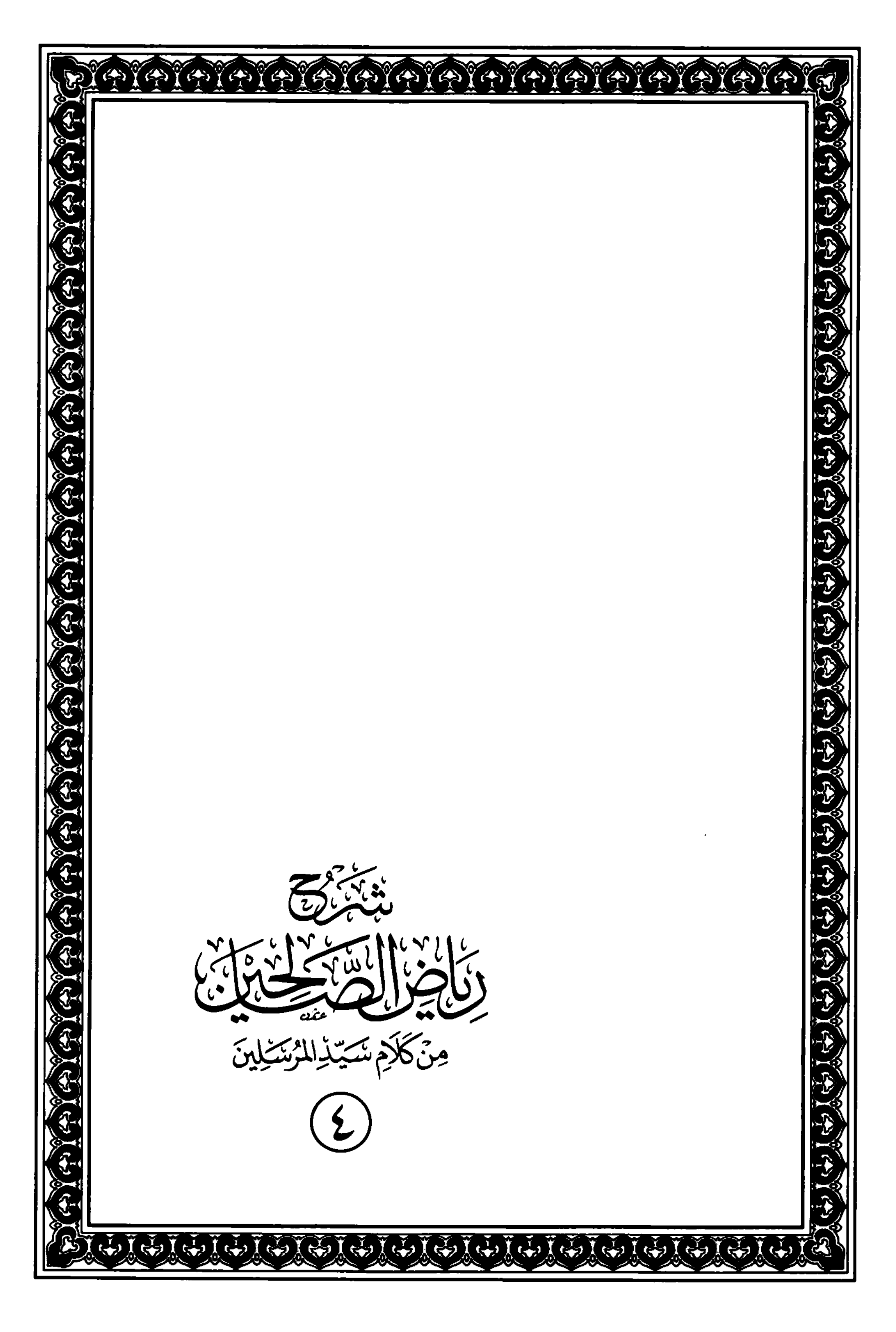

شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين
لسماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
(١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ)
تقديم معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
جمعه واعتنى به
صلاح الدين بن عثمان بن أحمد
أمين مكتبة سماحته
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية
المجلد الرابع


شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين
٤

ح صلاح الدين عثمان أحمد، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله

شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - الرياض، ١٤٣٩هـ

٤ مج ٦٩٦ص، ١٧×٢٤سم

ردمك ٣-١٦-٧٠١٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٢٠-٧٠٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح

أ- أحمد، صلاح الدين عثمان (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٣٧٫٣ ١٤٣٩/٦٤٧٨

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٦٤٧٨

ردمك: ٣-١٦-٧٠١٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٠-٢٠-٧٠٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨(ج٤)

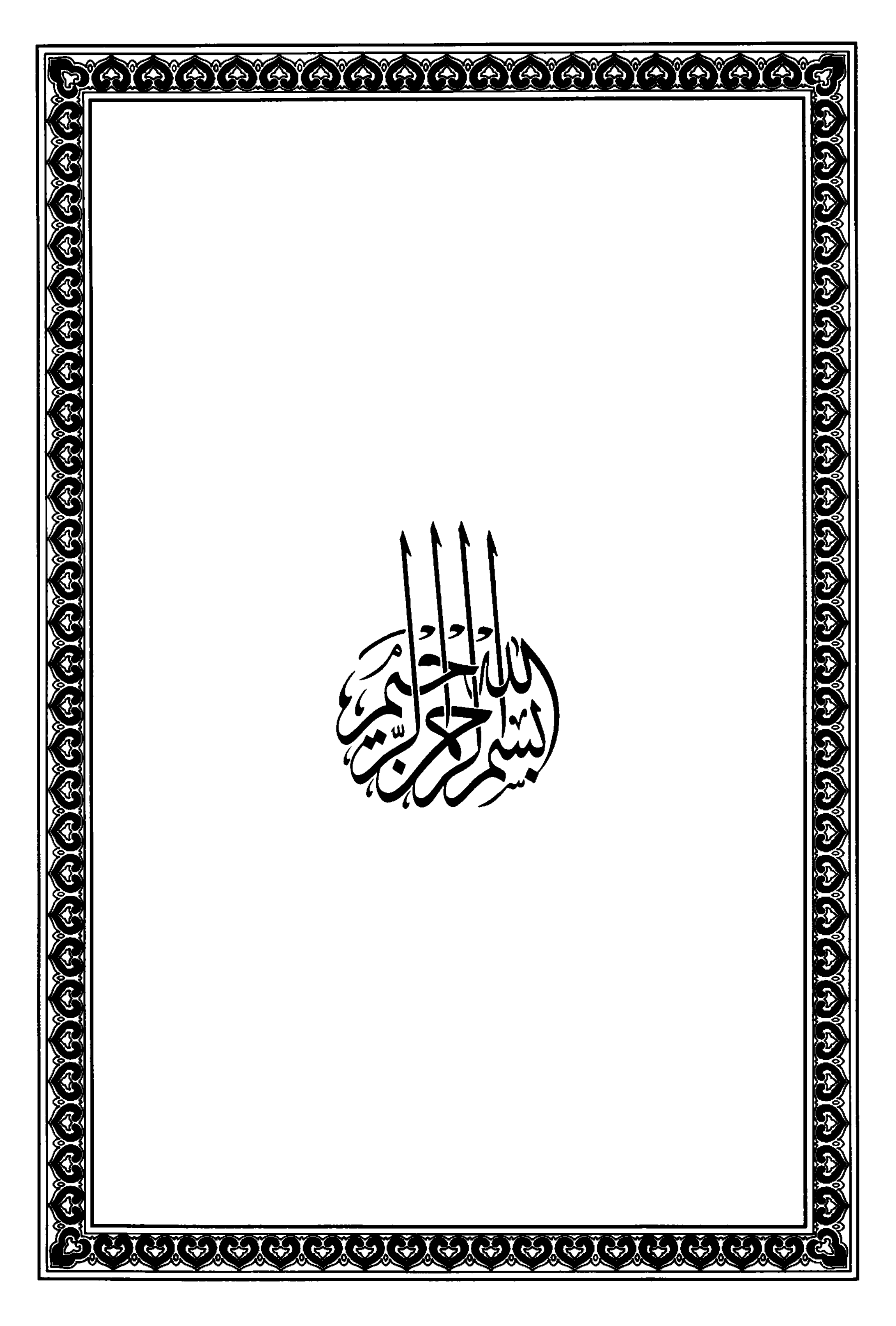
الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

قامت بطباعته وإخراجه دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان جوال: ٠٠٩٦١٣٨٣١٠٤٣

dar_kortoba@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم



كتاب الحجّ

٢٣٣ ـ بَابُ وجوب الحج وفضله

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

١٣٧١ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «بُنِي الإسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لَا إلـهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلَاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» متفقٌ عَلَيهِ[1].

١٣٧٢ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم الحَجَّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أكُلَّ عَام يَا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاثاً. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ» ثُمَّ قَالَ: «ذَرُوني مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أنْبِيَائِهِمْ، فَإذَا أمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ» رواه مسلم[2].

١٣٧٣ ـ **وعنه**، قَالَ: سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «إيمَانٌ بِاللهِ وَرسولِهِ» قيل: ثُمَّ ماذا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٢٠٦) ج٣.

(٢) أخرجه في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر برقم (١٣٣٧).

مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبرُورٌ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

□ (المبرور): هُوَ: الَّذِي لا يرتكِبُ صاحِبُهُ فِيهِ معصيةً.

الشَّرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالحج، الحج أحد أركان الإسلام الخمسة وهو الركن الخامس، وهو فرض على كل المكلفين المستطيعين من الرجال والنساء من المسلمين مرة في العمر؛ لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فهو نعمة من الله وفضل منه جلَّ وعلا على عباده أن شرع لهم هذه العبادة العظيمة، التي فيها إقامة ذكر الله وإحياء مشاعر الحج والتأسي بالأنبياء في ذلك، مع ما في ذلك من العبادات العظيمة المتنوعة، مع ما في ذلك من جمع المسلمين كل عام يرى بعضهم بعضاً ويعرف بعضهم بعضاً ويتعاون بعضهم مع بعض ففيه مصالح كثيرة؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، قال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والعمرة هي الزيارة للبيت يقال لها: عمرة، وإذا جمعها مع الحج فلا بأس وإن أفردها وحدها فهو أفضل، والواجب مرة في العمر؛ لقوله ﷺ لما سُئل عن ذلك قال: **«الحَجُّ مَرَّةً فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»** هذا من فضل الله ﷻ؛ لأن الحج له مشقة قد يكون بعض المسلمين في بلاد بعيدة فمن رحمة الله أن جعله مرة في العمر وما زاد فهو فضل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ»**، في اللفظ الآخر: **«تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من قال: إن الإيمان هو العمل برقم (٢٦)، وفي كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور برقم (١٥١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (٨٣).

يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ»، قال ﷺ: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَينَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**»، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»؛ يعني: رجع من ذنوبه؛ يعني: كفَّر الله خطاياه.

فهو أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يقوم بناؤه إلا عليها في حق المستطيعين، وهو مرة في العمر ولهذا قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا**» فسأله أعرابي: (**أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ؟**) قال: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ**» «**الحَجُّ مَرَّةً فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»، قال ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**».

فالواجب على المكلفين امتثال أوامر الله حسب الطاقة، وترك ما نهى الله عنه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فالأوامر يجب أن تنجز حسب الطاقة، والنواهي يجب تركها واجتنابها كلها، ولما سُئِلَ النبي ﷺ: (**أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟**) قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسولِهِ**»؛ يعني: توحيد الله والإخلاص والإيمان به وبرسله، (**قيل: ثُمَّ ماذا؟**) قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» (**قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟**) قَالَ: «**حَجٌّ مَبرُورٌ**»، هذا يدل على فضل الجهاد، وأنه أفضل الأعمال بعد الواجبات بعد الفرائض، وأنه مقدم على حج النافلة، وبعد الجهاد الحج المبرور؛ يعني: النافلة، المبرور هو الذي برَّ فيه صاحبه بأداء الفرائض وترك المحارم، هذا المبرور الذي برَّ فيه صاحبه بأداء ما فرض الله في الحج، وترك ما حرَّم الله من سائر الأعمال والأقوال، ومن ذلك الكسب الطيب والنفقة الطيبة.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

١٢٧٤ ـ **وعنه**؛ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

١٢٧٥ ـ **وعنه**: أنَّ رسول اللهِ ﷺ، قال: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ» متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

١٢٧٦ ـ **وعن** عائشة ﵂، قَالَت: قُلْتُ: يَا رسول الله، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ فَقَالَ: «لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ» رواه البخاري[(٣)].

١٢٧٧ ـ **وعنها**؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أن يَعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ» رواه مسلم[(٤)].

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة كلها يتعلق بفضل الحج، والحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة كما تقدم، وهو الركن الخامس، وهو فرض على المكلفين المستطيعين من المسلمين مرة في العمر كما تقدم يقول ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المحصر، باب قول اللهِ تعالى ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة: ١٩٧] برقم (١٨١٩)، وفي باب قول الله ﷻ: ﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] برقم (١٨٢٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها. وقال ابن عمر ﵄: ليس أحدٌ إلّا وعليه حجّةٌ وعمرةٌ. وقال ابن عبّاسٍ ﵄: إنّها لقرينتها في كتاب الله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] برقم (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب في فضل الحجّ والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٤٩).

(٣) أخرجه في كتاب الحج، باب فضل الحجّ المبرور برقم (١٥٢٠).

(٤) أخرجه في كتاب الحج، باب في فضل الحجّ والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٤٨).

«مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» «فَلَمْ يَرْفُثْ»؛ يعني: يجامع ولم يأتِ بالرفث: الكلام السيئ، «وَلَمْ يَفْسُقْ»؛ يعني: لم يصرّ على المعاصي بل حج تائباً نادماً لا معصية له، «رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» وهذا في فضل الحج، وأنه يكفِّر السيئات ويحط الخطايا لمن لم يصر على المعاصي؛ بل ابتعد عن الرفث والفسوق؛ ولهذا في اللفظ الآخر قال ﷺ: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَينَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ»؛ المبرور: السليم من المعاصي مع طيب النفقة وحل النفقة.

والحديث الثالث: تقول عائشة ﵂: (يَا رسول الله، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟) فَقَالَ: «لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»، وفي اللفظ الآخر: «عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ: الحَجُّ وَالعُمْرَةُ»؛ يعني: عندكم جهاد ليس فيه قتال وهو: الحج والعمرة؛ هذا نصيبهن من الجهاد الحج فالجهاد للرجال الجهاد بالسيف لأعداء الله من شأن الرجال، أما النساء فجهادهن الحج والعمرة.

الحديث الرابع: يقول ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أن يَعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ» ما من يوم؛ يعني: يكثر الله فيه عتقاً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ويباهي بهم الملائكة ويقول سبحانه: ما أراد هؤلاء؟ هذا الحديث يدل على فضل يوم عرفة، وأن الله سبحانه يعتق فيه من النار أكثر مما يعتق من غيره؛ فالمؤمن يتحرى هذا الخير ويجتهد في أسباب العتق من النار بالأعمال الصالحات والحذر من السيئات، لعل الله يعتقه من النار.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٢٧٨ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، قالَ: «عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

١٢٧٩ - وعنه؛ أنَّ امرأة قالت: يَا رسول الله، إنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ في الحَجِّ، أدْرَكَتْ أبي شَيْخاً كَبِيراً، لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» متفقٌ عَلَيْهِ[2].

١٢٨٠ - وعن لقيط بن عامر رضي الله عنه؛ أنَّه أتى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: إنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلَا العُمْرَةَ، وَلَا الظَّعَنَ؟ قَالَ: «حُجَّ عَنْ أبِيكَ وَاعْتَمِرْ» رواه أبُو داود والترمذي[3]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٢٨١ - وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه، قَالَ: حُجَّ بي مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، في حَجةِ الوَدَاعِ، وَأنَا ابنُ سَبعِ سِنِينَ. رواه البخاري[4].

الشَّرْح

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالحج والعمرة.

الحديث الأول: يقول ﷺ: **«عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً»** العمرة مشروعة دائماً في كل وقت؛ لما تقدم من قوله ﷺ: **«العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَينَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ»** فالعمرة في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب عمرة في رمضان برقم (١٧٨٢)، ومسلم في كتاب الحج، باب في فضل العمرة في رمضان برقم (١٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب الحج برقم (١٥١٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب الحجّ عن العاجز لزمانةٍ وهرمٍ ونحوهما أو للموت برقم (١٣٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره برقم (١٨١٠)، والترمذي في كتاب الحج، باب (٨٧) برقم (٩٣٠).

(٤) أخرجه في كتاب جزاء الصيد، باب حجّ الصّبيان برقم (١٨٥٨).

جميع السنة، قد اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة أربعة عُمر؛ فالمشروع أن يعتمر الإنسان كلما تيسر له العمرة في جميع السنة، وهي زيارة البيت الطواف والسعي والتقصير أو الحلق هذه العمرة، زيارة البيت الشريف البيت العتيق، مكة ليطوف ويسعى، يطوف بالكعبة ويسعى بين الصفا والمروة، ثم يقصر أو يحلق، هذه العمرة، وهي «فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً» وفي رواية «حَجَّةً مَعِي» عليه الصلاة والسلام، دلَّ على فضلها في رمضان وأن لها مزية وخصوصية.

والحديث الثاني والثالث: فيه الدلالة على أن الشيخ الكبير والعاجز الكبير يُحج عنهما، إذا كان الرجل كبيراً لا يستطيع الحج، أو عجوزة كبيرة يحج عنهما ابنهما أو بنتهما؛ ولهذا قالت امرأة: (يا رسول الله، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الحَجِّ أَفَيُجْزِئُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ) قَالَ: «حُجِّي عَنْ أَبِيكِ»، وهكذا حديث أبي رزين العقيلي «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ» (لَا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلَا العُمْرَةَ، وَلَا الظَّعَنَ والرجل لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ)، هذا يدل على شرعية الحج عن العاجز وأنه يحج عنه ولده أو غيره.

الحديث الرابع: حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: (حُجَّ بِي مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَأَنَا ابنُ سَبعِ سِنِينَ)، دلَّ على جواز حج الصبي وأن حجه صحيح، لكنها نافلة حتى يبلغ، فإذا كان ابن سبع فأكثر نوى بنفسه وطاف بنفسه وسعى بنفسه، وإذا كان دون ذلك حُجَّ به طاف به وليّه وسعى به وليّه يكون الحج نافلة، فإذا بلغ وجب عليه أن يحج حجة الإسلام بعد البلوغ إن استطاع، وهكذا العبد حجه نافلة، إذا عتق حج حجة الإسلام.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

١٢٨٢ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْباً بالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟» قالوا: المسلِمُونَ. قالوا: مَنْ أنْتَ؟ قَالَ: «رسولُ اللهِ». فَرَفَعَتِ امْرَأةٌ صَبيّاً، فَقَالَتْ: ألِهَذا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أجْرٌ» رواه مسلم(١).

١٢٨٣ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكانت زَامِلَتَهُ. رواه البخاري(٢).

١٢٨٤ ـ وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَتْ عُكَاظُ، وَمَجِنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أسْوَاقاً في الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأثَّمُوا أن يَتَّجِرُوا في المَوَاسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] في مَوَاسِمِ الحَجِّ. رواه البخاري(٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالحج.

الحديث الأول: أنه ﷺ في بعض أسفاره لَقِيَ رَكْباً بالرَّوْحَاءِ، الرَّوْحَاء: موضع معروف في طريق المدينة إلى الحج فَرَفَعَتِ امْرَأةٌ صَبياً، فَقَالَتْ: (ألِهَذَا حَجٌّ؟) قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أجْرٌ»، هذا يدل على أن لا بأس في تحجيج الصبيان الصغار، وأن يكون الحج نافلة، فإذا حجَّ به أبوه أو أمه سواء كان صبياً أو صبية أُنثى فلا بأس، ويكون الحج نافلة إن كان يعقل يطوف ويسعى لنفسه، وإن كان لا يعقل طاف به وليُّه وسعى به وليّه

(١) أخرجه في كتاب الحج، باب صحّة حجّ الصّبيّ وأجر من حجّ به برقم (١٣٣٦).
(٢) أخرجه في كتاب الحج، باب الحجّ على الرّحل، برقم (١٥١٧).
(٣) أخرجه في كتاب الحج، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] برقم (٢٠٥٠).

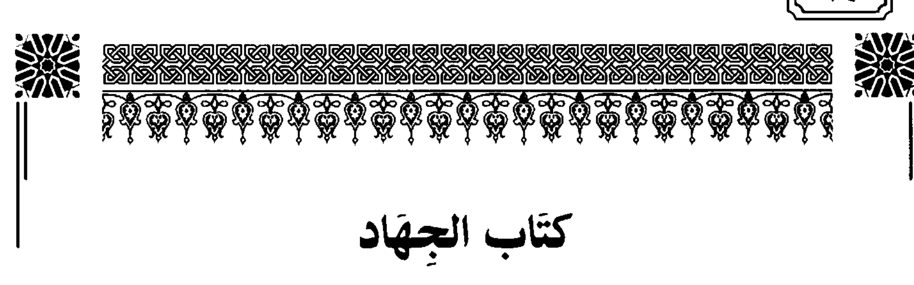
وقصَّر عنه وليَّه ويكون الحج نافلة، فإذا بلغ واستطاع وجب عليه حج الفرض بعد البلوغ، إذا بلغ واستطاع وجب عليه حج الفرض، ويكون حجه الذي قبل البلوغ نافلة.

والحديث الثاني: يدل على تواضعه ﷺ، وأنه حج على راحلة فيها متاعه، فيها زهاية حاجته، دلَّ على أن لا بأس بهذا وأن هذا من التواضع؛ كون الإنسان يجعل له مطية أو في سيارة فيها متاعه معه، فيها لا بأس، وهذا من التواضع، فهو ﷺ حج على ناقته ومعه حاجته فيها عليها، عليه الصلاة والسلام.

والحديث الثالث: كذلك يدلُّ على جواز البيع والشراء في أيام الحج، وأنه لا حرج في ذلك للحاج، لا بأس أن يبيع ويشتري وإن كان حاجاً، كما قال ﷻ: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٨]، كان بعض الحجاج يتحرَّج أن يبيع ويشتري فأنزل الله الآية، فلا حرج على الحاج والمعتمر أن يبيع ويشتري في مكة وفي الطريق لا حرج في ذلك، **وكَانَتْ عُكَاظُ، وَمَجِنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أسْوَاقاً في الجَاهِلِيَّةِ**، فلما هداهم الله للإسلام تحرجوا، فأنزل الله الآية ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ فلا حرج على الإنسان يبيع ويشتري في مكة وفي المدينة وفي الطريق، وإن كان أتى للحج أو العمرة.

وفَّق الله الجميع.





كتاب الجِهاد

٢٣٤ ـ بَابُ وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ

جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

والآيات في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أنْ تحصر، فمن ذلك:

١٢٨٥ ـ **عن** أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيُّ العَمل أفْضَلُ؟ قَالَ: «إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ» قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجهادُ في سَبيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» متفقٌ عَلَيْهِ(١).

١٢٨٦ ـ **وعن** ابن مسعود ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ» متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

١٢٨٧ ـ **وعن** أَبي ذرّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ العَمَلِ أفْضلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ في سَبِيلِه» متفقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من قال: إن الإيمان هو العمل برقم (٢٦)، وفي كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور برقم (١٥١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (٨٣) وقد سبق برقم (١٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها برقم (٥٢٧)، وفي كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير برقم (٢٧٨٢)، وفي كتاب الأدب، باب البر والصلة برقم (٥٩٧٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل برقم (٢٥١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (٨٤).

﴿ الشرح ﴾

هذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها والأحاديث الثلاثة، كلها تدل على فضل الجهاد، والجهاد هو سنام الإسلام وبه قوامه وانتشاره؛ ولهذا شرعه الله للمسلمين بعدما أعطاهم القوة شرع لهم الجهاد، ولما كانوا مستضعفين لم يؤمروا بالجهاد وكانوا في مكة جهادهم الدعوة للضعف وعدم وجود القوة، فكان جهادهم بالدعوة إلى الله والتبليغ عن الله، وهكذا في أول الهجرة كان الجهاد بالدعوة إلى الله والبلاغ والبيان، فلما قوَّاهم الله وأعانهم وكثر جمعهم، أوجب عليهم سبحانه الجهاد فقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] قاتلوهم؛ يعني: الكفرة ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، وقال: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال جلَّ وعلا في سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١]، هذه التجارة العظيمة: الإيمان والجهاد فهي تجارة توصل أهلها إلى دار الكرامة والنعيم المقيم، إيمان وجهاد في سبيل الله لإظهار دينه ونصر دينه وإعلاء كلمته ودعوة الناس إلى الدخول في دين الله، ومن أبى قُوتل بالسيف حتى يخضع للحق أو يؤدي الجزية إن كان من أهل الجزية؛ كاليهود والنصارى والمجوس؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، والآيات

في الجهاد كثيرة جداً، وهي تدل على فضله العظيم، وأنه من أفضل الأعمال بعد الإيمان.

ولهذا لما (سُئل عليه الصلاة والسلام: **أيُّ العَمل أفْضَلُ؟ قَالَ: «إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ» قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجهادُ في سَبيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»**)، فأول شيء توحيد الله والإخلاص له والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله وأداء الفرائض من: صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، ونحو ذلك، ثم الجهاد فرض كفاية مع القدرة في سبيل الله لأنواع الكفرة: من اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم من أنواع الكفرة، لكن من كان من أهل الجزية؛ كاليهود والنصارى فإنه يجاهد حتى يسلم أو يؤدي الجزية وهكذا المجوس، أما الكفار الآخرون الوثنيون والشيوعيون فهؤلاء يجاهدون حتى يسلموا ولا تقبل منهم الجزية، وهكذا لما سُئل: (**أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»**)؛ يعني: في حق المؤمن؛ يعني: قد آمن يصلي الصلاة على وقتها الفرض عمود الإسلام، (**قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ»**)؛ لأنه مقدم على جنس الجهاد، (قلتُ: **ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ»**) فبرّ الوالدين أمر لازم وفريضة.

ولهذا لما جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ فَقَالَ: **«أَحَيٌّ وَالِدَاكَ»؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»**، وفي لفظ قال: **«ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا»**[1]. فدَّل ذلك على تقدم البر على الجهاد وإن بر الوالدين والقيام بحقهما مقدم، فإذا أذنا فلا بأس، واللفظ الآخر قال لما سُئل: (**أيُّ العَمل أفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ**

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان برقم (٢٥٣٠)، والإمام أحمد ٣/٧٦ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

في سَبيلِ اللهِ») فالمؤمن يبدأ بما فرض الله عليه من صلاة وغيرها، وإذا جاء الجهاد قام بالواجب من الجهاد حسب الطاقة، وإذا كان والداه في الحاجة إليه ولم يأذنا له قدَّم برّهما والقيام عليهما، فإذا أذنا له جاهد مع المسلمين، والجهاد أقسام، جهاد النفس في طاعة الله ورسوله، وجهاد لها في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد في قتال الكفار أينما كانوا، فجهاد النفس بأداء فرائض الله أمر لازم، وهكذا الجهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر لازم حسب الطاقة وهو فرض كفاية أيضاً، والجهاد بالسيف لجهاد أعداء الله حتى يدخلوا في الإسلام، أو يؤدوا الجزية إن كان من أهلها، وشرط ذلك أن يقوى عليه وأن يستطيع ذلك، فإن لم يستطع لكونه أعمى أو مريضاً أو أعرج فهو مسامح، أو عاجز عن النفقة ليس عنده نفقة وليس في بيت المال ما ينفق عليه فهو ساقط أيضاً عنه؛ لأن الله يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فمن استطاع الجهاد بنفسه أو بإسعاف غيره أو بإسعاف ولاة الأمور جاهد، ومن عجز أو كان مريضاً أو أعرج أو أعمى فهو مسامح، أو حي والداه فلم يأذنا له أو أحدهما فهو معذور.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٢٨٨ ـ وعن أنس رضي الله عنه؛ **أنَّ رسول الله** ﷺ، **قَالَ: «لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» متفقٌ عَلَيهِ**[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الغدوة والرّوحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنّة، برقم (٢٧٩٢)، وفي باب الحور العين وصفتهنّ برقم (٢٧٩٦)، وفي كتاب الرقاق، باب صفة الجنّة والنّار برقم (٦٥٦٨)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله برقم (١٨٨٠).

١٢٨٩ ـ وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مُؤْمنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤمِنٌ في شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» متفقٌ عَلَيهِ[١].

١٢٩٠ ـ وعن سهل بن سعد ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» متفقٌ عَلَيهِ[٢].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالجهاد، والجهاد كما تقدم فضله عظيم ودرجة أهله عالية، وهو الجهاد في سبيل الله لإظهار دينه ودعوة الناس إلى سبيله وإلزامهم بالحق؛ فهو سبيل لإظهار الإسلام ونشره بين الناس وإلزام الناس بالحق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ فلهذا كان فضله عظيماً ودرجات أهله عالية، كما تقدم في الآيات الكريمات مثل قوله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب أفضل النّاس مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله برقم (٢٧٨٦)، وفي كتاب الرقاق، باب العزلة راحةٌ من خلّاط السّوء برقم (٦٤٩٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرّباط برقم (١٨٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الغدوة والرّوحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنّة برقم (٢٧٩٤)، وفي باب فضل رباط يوم في سبيل الله برقم (٢٨٩٢)، وفي كتاب الرقاق، باب مثل الدنيا والآخرة برقم (٦٤١٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والرّوحة في سبيل الله برقم (١٨٨١).

جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

فالجهاد فيه فضل عظيم، وخير كبير، وعزٌّ للإسلام، وإظهار لشعائره، ودعوة الناس إلى الحق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولهذا يقول ﷺ لما سُئل: (**أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مُؤْمنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ في شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»**)، تقدم في الحديث قوله ﷺ: **أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ»**)، في اللفظ الآخر: (**«إيمَانٌ باللهِ وَرَسُولِهِ» قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجهادُ في سَبيلِ اللهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»**)، وكون المؤمن في شعب من الشعاب يدع من شره ويعبد الله، هذا عند أهل العلم محمول على ما دلَّت عليه الأحاديث الأخرى؛ يعني: في حال الفتن وعدم ثبات الإسلام في المدن والقرى على الحق يخشى على دينه، فعند ذلك يكون اعتزاله أفضل في شعب من الشعاب، أما عند استقامة الأحوال وإمكان إظهار دينه في القرى والأمصار فذلك أفضل.

ولهذا في الحديث الآخر: **«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ أَوْ سَعَفَ الجِبَالِ فِي مَوَاقِعِ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»**[1]، فهذه عند الحاجة عند حاجة الفرار من الفتن يكون في شعب من الشعاب، أما عند وجود الاستقامة وعند إمكان نفع الناس فيما بينهم، وأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا أفضل وجوده بين الناس أفضل وعدم انتقاله إلى شعب من الشعاب، والحديث

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٠٠).

الآخر يقول ﷺ: «**المُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**».

في الحديث الآخر يقول عليه الصلاة والسلام: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَة يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»، فالجهاد له شأن عظيم وفضله كبير، ومن الجهاد: جهاد النفس في طاعة الله، وجهاد الأولاد، وجهاد الأهل، وجهاد الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا من الجهاد أيضاً؛ كون المؤمن يجاهد نفسه في طاعة الله، يجاهد أهل بيته، يجاهد جيرانه، يجاهد زملاءه، يجاهد إخوانه المسلمين بالدعوة إلى الله والترغيب في الخير هذا من الجهاد، كما في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»[1] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى الخير، وتعليمهم ما ينفعهم هو من الجهاد أيضاً.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النّهي عن المنكر من الإيمان وأنّ الإيمان يزيد وينقص وأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجبان برقم (٥٠).

١٢٩١ ـ **وعن** سَلْمَانَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ» رواه مسلم[١].

١٢٩٢ ـ **وعن** فَضَالَةَ بن عُبَيْد ﷺ؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا المُرَابِطَ فِي سَبيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ» رواه أبو داود والترمذي[٢]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٢٩٣ ـ **وعن** عثمان ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ في سَبيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ» رواه الترمذي[٣]، وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالرباط في سبيل الله جلَّ وعلا، والله يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، المرابطة في سبيل الله؛ يعني: الحراسة في الثغور، لزوم الثغور التي في أطراف البلاد، يقال لها: رباط، الإقامة في الثغور في أطراف البلاد لحمايتها من العدو وصد العدو لو أقدم، هذا هو الرباط، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله ﷻ؛

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل الرّباط في سبيل الله ﷻ برقم (١٩١٣).
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في فضل الرباط برقم (٢٥٠٠)، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً برقم (١٦٢١).
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط برقم (١٦٦٧).

ولهذا في حديث سلمان يقول ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ**»، وهذا فضل عظيم كون المرابط يجرى له عمله ثواب عمله، ويجرى له رزقه ويأمن فتان القبر، هذه من النعم العظيمة والجزاء العظيم.

في الحديث الآخر «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ**»، هذا أيضاً فضل كبير وعظيم، وفي هذا الترغيب والتحريض على المرابطة في سبيل الله، وعلى لزوم الثغور التي يحمى بها ظهر المسلمين وتحمى بها بلادهم فيه هذا الفضل العظيم؛ لأن العدو قد ينتهز الفرصة فيلج على المسلمين من بعض الأطراف الخالية، وربما أخذ بعض ما في أيديهم، وربما قتل منهم من يقتل؛ فالرباط في الثغور حماية لها من العدو، وإنذار للمسلمين، لو هجم العدو علم به المسلمون وقابلوه قاتلوه، فالمرابط يحمي ظهر المسلمين وينذر لو هجم العدو ويدافع حسب طاقته، فهو على خير عظيم وفضل كبير، ومن المرابطة الاستقامة على طاعة الله والمحافظة على صلاة الجماعة والعناية بها، وأن لا تفوته الصلاة في الجماعة.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ**». قَالُوا: (بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ). قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»؛ يعني: أن الاستقامة في العبادة والصبر عليها، والثبات عليها نوع من الرباط؛ لأنه رباط في سبيل الله في طاعة الله واتباع مرضاته، وصد العدو وهو الشيطان ومراقبته، فهو مرابط في لزومه للصلاة والعبادة وحذره مما يبطلها أو ينقصها، وهو نوع من الرباط في سبيل الله ضد العدو، الشيطان الذي يريد أن يُخذِّلك عن طاعة الله، أو

يريد أن يضعف عملك وينقص عملك، فأنت بالمجاهدة لصد عدوان الشيطان والحرص على إقامة العبادة من صلاة وغيرها كما شرع الله، تكون بهذا مرابطاً؛ يعني: مجاهداً.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٢٩٤ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ في سَبيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ في سَبيلِي، وَإيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أجْرٍ، أَوْ غَنيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سَبيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِم؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو في سَبيلِ اللهِ أبداً، وَلكِنْ لَا أجِدُ سَعَةً فأحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أنْ أغْزُوَ في سَبيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ» رواه مسلم[1]، وروى البخاري بعضه.

□ (الكَلْمُ): الجَرْحُ.

١٢٩٥ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَم في سَبيلِ الله إِلَّا جَاءَ يَومَ القِيَامةِ، وَكَلْمُهُ يدْمِي: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله برقم (١٨٧٦)، وروى البخاري بعضه في كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان برقم (٣٦).

مِسكٍ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

١٢٩٦ ـ **وعن** معاذٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ الله من رَجُلٍ مُسْلِم فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحاً في سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغزَرِ مَا كَانَتْ: لَونُها الزَّعْفَرَانُ، وَريحُها كَالمِسْكِ» رواه أبو داود والترمذي[٢]، وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في فضل الجهاد في سبيل الله، وما يحصل للمجاهد من الخير العظيم، وأن الله جلَّ وعلا وعدهم في جهادهم إذا أخلصوا لله الجنة والمغفرة والعتق من النار، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فهم على خير عظيم ولهم فضل كبير؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «تَضَمَّنَ الله لِمَنْ خَرَجَ في سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلَّا جِهَادٌ في سَبيلِي، وَإيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ». وأن «مَا مِنْ مَكْلُوم يُكْلَم في سَبِيلِ الله إلَّا جَاءَ يَومَ القِيَامةِ، وَكَلْمُهُ»؛ يعني: جرحه «يدْمِي»؛ يعني: يسيل دماً «اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب المسك. برقم (٥٥٣٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله برقم (١٨٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة برقم (٢٥٤١)، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يكلم في سبيل الله برقم (١٦٥٧).

وَالرِّيحُ رِيحُ مِسكٍ» شهادة له يوم القيامة بأنه قُتل في سبيل الله، فهو على خير، إن عاش فهو على خير، وإن مات فهو شهيد، له الجنة والكرامة إذا أخلص لله وصدق لله وجاهد في سبيله لا رياءً ولا سمعة؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ أن المجاهد ضامن؛ يعني: مضمون عند الله جلَّ وعلا أنه إن توفاه أدخله الجنة وإن ردَّه ردَّه سالماً مع ما نال من الأجر أو الغنيمة التي نالها في سبيل الله ﷻ، ويقول ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو في سَبيلِ اللهِ أبداً، وَلكِنْ لَا أجِدُ سَعَةً فأحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي»** ولهذا كان يكره أن يتخلف عن الغزو لولا هذه المشكلة ويقول: **«لَوَدِدْتُ أنْ أغْزُوَ في سَبيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ»** لما في فضل الشهادة من الخير العظيم.

وفي **الحديث الآخر** يقول ﷺ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»**[١]، لما يرى من فضل الشهادة، لِما يرى عند الله من فضل الشهادة ومنزلة أصحابها، فينبغي للمؤمن أن تكون عنده نية صالحة وعزم صادق على الجهاد إذا تيسر؛ ولهذا قال النبي ﷺ **«مَنْ مَاتَ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن برقم (٢٧٩٥) كما أخرجه بلفظ قريب من هذا اللفظ في باب تمنّي المجاهد أن يرجع إلى الدّنيا برقم (٢٨١٧) **«ما أحدٌ يدخل الجنّة يحبّ أن يرجع إلى الدّنيا وله ما على الأرض من شيءٍ، إلّا الشّهيد، يتمنّى أن يرجع إلى الدّنيا فيقتل عشر مرّاتٍ، لما يرى من الكرامة»**، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة، برقم (١٨٧٧).

وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ بغزوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ النِفَاقِ»[١]، فالمؤمن يُضمر النية الطيبة، والجهاد في سبيل الله إذا تيسر وله أجره عند الله ﷻ.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٢٩٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ بِشِعبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ في هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رسولَ اللهِ ﷺ، فذكَرَ ذَلِكَ لرسول الله ﷺ، فَقَالَ: «لَا تَفعلْ؛ فَإِنَّ مُقامَ أَحَدِكُمْ في سَبيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ في بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَاماً، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ اغْزُوا في سَبيلِ الله، من قَاتَلَ في سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

□ (وَالفُوَاقُ): مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ.

١٢٩٨ ـ وعنه، قَالَ: قيل: يَا رسولَ اللهِ، مَا يَعْدِلُ الجهادَ في سَبيلِ اللهِ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ» فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»! ثُمَّ قَالَ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانتِ بآياتِ الله لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ في سَبِيلِ اللهِ» متفقٌ عَلَيْهِ[٣] وهذا لفظ مسلم.

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٣٤١).

(٢) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله برقم (١٦٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير برقم (٢٧٨٥)، =

وفي رواية البخاري[١]: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رسول الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ» ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتقومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ»؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!.

١٢٩٩ ـ **وعنه**؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بعِنَانَ فَرَسِهِ في سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ وَالمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذَا الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِن الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا في خَيْرٍ» رواه مسلم[٢].

الشَّرح

هذه الأحاديث وما جاء في معناها كلها تدل على فضل الجهاد، والجهاد فضله عظيم؛ لما فيه من نصر دين الله وإعلاءِ كلمة الله وتوسيع رقعة الإسلام، ودعوة الناس إلى الإسلام وإخراجهم من الظلمات إلي النور، والجهاد أمره عظيم لا يعدله شيء من أعمال التطوعات، ولهذا قال النبي ﷺ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِم» فالمجاهد في سبيل الله قد وعده الله بالمغفرة والعتق من النار، فالجهاد له شأن عظيم وله فضل كبير، ومن ذلك قوله ﷺ:

= ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله برقم (١٨٧٨). واللفظ له.

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسّير برقم (٢٧٨٥).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرّباط برقم (١٨٨٩).

«طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»؛ يعني: عمله مخلص لله، ليس قصده التقرب إلى الناس، فالمجاهد المخلص في عمله الذي يطير على فرسه أو يطير على قدميه حيث جاءت الحاجة، حيث دعت الضرورة، حيث دعت المصلحة، فهو له الفضل العظيم بهذه الأعمال العظيمة، وهو موعود بالمغفرة والمنزلة العالية في الجنة إذا مات على إخلاص وصدق وعدم الرياء، وبيَّن ﷺ أن الجهاد لا يعدله شيء، قال في هذا الحديث: إنه بمثابة **«الصَّائِمِ القَائِمِ لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ»** في رواية: **«أما إنك لو طوقت ذلك لم تبلغ درجة المجاهد»**.

وأما ما يتعلق بقوله ﷺ: **«أَوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذَا الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِن الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا في خَيْرٍ»**، هذا مثل ما تقدم، محمول على حالة الفتن وعدم استقرار المسلمين في البلاد، يكون الإنسان بعيداً عن الفتن في شعب من الشعاب **«يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»** كما قال ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»**، واللفظ الآخر: أَتَى رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: (أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟) قَالَ: **«مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ»** قَالَ: (ثُمَّ مَنْ؟) قَالَ: **«مُؤْمِنٌ في شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»**.

فالحاصل: أن الناس عند الفتن، وعند خوف الإنسان على دينه يكون في شعب من الشعاب أفضل له يبتعد عن الفتن، أما في حال

الركود وعدم الفتن، فكونه مع إخوانه يصلي معهم ويصوم معهم يعلمهم ويتعلم ويستفيد ويُفيد أفضل من الاعتزال.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٠٠ ـ **وعنه**؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «إنَّ في الجنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ» رواه البخاري[(١)].

١٣٠١ ـ **وعن** أبي سعيد الخدري ﷺ؛ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإسْلَامِ ديناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رسولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَينِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ» قَالَ: وَمَا هيَ يَا رسول الله؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ، الجهَادُ في سَبيلِ اللهِ» رواه مسلم[(٢)].

١٣٠٢ ـ **وعن** أبي بكر بن أَبي موسى الأشعريِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبي ﷺ، وَهُوَ بحَضْرَةِ العَدُوِّ، يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ أبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أأنْتَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إلَى أصْحَابِهِ، فَقَالَ: أقْرَأُ عَلَيْكُم السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَألْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إلَى

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله برقم (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب بيان ما أعدّه الله تعالى للمجاهد في الجنّة من الدّرجات برقم (١٨٨٤).

الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[١].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في بيان فضل الجهاد، وأن درجته عالية وعظيمة، وأن المجاهد في سبيل الله الصادق المخلص قد وعده الله الجنة والكرامة، وأن الله أعد للمجاهدين في الجنة مائة درجة مَا بَيْنَ كل درَجَتَيْنِ مثل ما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ، وهذا فضل عظيم وتشريف كبير للمجاهدين خصَّهم الله بهذه الدرجات في الجنة مائة درجة تخصهم، مَا بَيْنَ كل درَجَتَيْنِ مثل ما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ من مسيرة خمسمائة عام، وهذا يدل على شرف الجهاد وعظم فضله، يقول ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِي بِاللهِ رَبّاً وَبِالإِسْلَام دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً».

ويقول: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلَام ديناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»، هذا يدل على فضل هذه الكلمات «رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ ديناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً»، ينبغي للمؤمن أن يكثر منها «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً وَبِالإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً» في اللفظ الآخر «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ ديناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»، في اللفظ الآخر «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، في اللفظ الآخر «وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»؛

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنّة للشّهيد برقم (١٩٠٢).

يعني: أن المجاهد بينه وبين دخول الجنة أن يستشهد في سبيل الله صادقاً مخلصاً مقبلاً غير مدبر يريد الله والدار الآخرة، فمن قُتل في سبيل الله مخلصاً لله صادقاً مقبلاً غير مدبر وجبت له الجنة، كما قال عليه الصلاة والسلام. والشهادة يمحو الله بها الذنوب، يمحو الله بها الخطايا إلا الديْن يبقى لأهله، الديْن إن أُعطي في الدنيا صاحبه وإلا أُعطي في الآخرة ما يقابل دينه.

فالمقصود: أن الجهاد شأنه عظيم وفضله كبير، وأن الله أعد لهم درجات خاصة للمجاهدين وفضلاً خاصاً ونعيماً خاصاً، فجدير بالمؤمن أن يحرص على المشاركة في الجهاد إذا تيسرت أسبابه.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٠٣ ـ وعن أَبي عبسٍ عبد الرحمٰن بن جَبْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ» رواه البخاري[١].

١٣٠٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ في سَبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب من اغبرّت قدماه في سبيل الله برقم (٢٨١١).

(٢) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله برقم (١٦٣٣)، والنسائي في كتاب الحج، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه برقم (٣١٠٦)، وسبق برقم (٤٤٨).

١٣٠٥ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: «عَيْنَانِ لَا تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ» رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في فضل الجهاد وأن أجره عظيم، وأن الشهداء المخلصين موعودون بالجنة والنجاة من النار، من ذلك حديث أَبي عبسٍ بن جَبْرٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»؛ يعني: أن جهاده في سبيل الله من أسباب سلامته من النار، وهكذا قوله ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ» كل هذا من باب الوعد للمجاهدين بالجنة والنجاة من النار، وهكذا البكاء من خشية الله له خير عظيم وأجر عظيم، من هذا حديث السبعة الذي يظلهم الله في ظله، أوله: إمام عادل والسابع: «رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رواه الشيخان في الصحيحين[2]، فالبكاء من خشية الله من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، والجهاد في سبيل الله، والحرس في سبيل الله، والرباط في سبيل الله، كله من أسباب الجنة والنجاة من النار؛ لكن مع الاستقامة؛ يعني: مع الاستقامة على طاعة الله ورسوله.

هذه الأحاديث وأشباهها من أحاديث الفضائل، المراد بها يعني مع

(١) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله برقم (١٦٣٩).

(٢) سبق شرحه وتخريجه برقم (٣٧٦) ج٢.

الاستقامة على أداء فرائض الله وترك محارم الله وعدم الانحراف، أما إذا تعاطى شيئاً من الكبائر فهذا تحت مشيئة الله؛ لقول الله جلَّ وعلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقوله ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**»، وقوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ يعني: ما دون الشرك من المعاصي، فالجهاد والبكاء من خشية الله، وصوم التطوع وصوم رمضان، والتهجد بالليل، والصدقات، وسائر أنواع الخير كلها من أسباب السلامة من النار، وكلها من أسباب دخول الجنة؛ لكن مع الحذر من الإصرار على كبائر الذنوب، ومع الاجتهاد في أداء فرائض الله، فالنصوص يضم بعضها إلى بعض، ويجمع بعضها إلى بعض، فنصوص الرجاء تضم إلي نصوص الوعيد، ونصوص الوعيد تُضم إلى نصوص الرجاء حتى يفسر بعضها ببعض، فلا يغلب الوعيد كما تقول الوعيدية من المعتزلة وغيرهم من الخوارج، ولا يُغلب جانب الرجاء كما تقوله المُرجئة؛ ولكن المؤمن يخاف ويرجو، يخاف الله ويرجو رحمته فلا يقنط وييأس ولا يأمن من مكر الله جلَّ وعلا؛ لكنه يرجو رحمته مما فعل من الخير ويخشى عذابه مما عنده من الشر، ويكون دائماً على حذر، على توبة وندم، وإقلاع عن الذنوب؛ لأن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦]، فأخبر أن هذا هو جزاءهم إن لم يصروا قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ والإصرار؛ معناه: الإقامة على المعاصي وعدم التوبة، فالإقامة على المعاصي وعدم التوبة من أسباب حرمان المغفرة،

فالواجب على المؤمن أن يكون أبداً على حذر، على خوف، وعلى رجاء؛ لا ييأس ويقنط ولا يأمن ويتساهل، قال جلَّ وعلا في حق الأنبياء والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] رجاءً وخوفاً ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال فيهم أيضاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، هكذا المؤمن دائماً بين الرجاء والخوف، يرجو رحمة الله فيعمل، ويخشى نقمة الله وعذابه فيحذر، حتى يلقى ربه وهو بين الخوف والرجاء.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٠٦ ـ وعن زيد بن خالد ﵁؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً في أهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

١٣٠٧ ـ وعن أَبي أُمَامَة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ في سَبِيلِ اللهِ وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ في سَبِيلِ اللهِ، أَوْ طَرُوقَةُ فَحلٍ في سَبِيلِ اللهِ» رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهّز غازياً أو خلفه بخيرٍ برقم (٢٨٤٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوبٍ وغيره وخلافته في أهله بخيرٍ برقم (١٨٩٥).

(٢) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، ما جاء في فضل الخدمة في سبيل الله برقم (١٦٢٧).

١٣٠٨ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه؛ أن فَتىً مِنْ أسْلَمَ، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجهَّزُ بِهِ، قَالَ: «ائْتِ فُلاناً فَإنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، ويقول: أعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلَانَةُ، أعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئاً، فَوَاللهِ لَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئاً فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم[(١)].

الشَـرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في فضل الجهاد في سبيل الله، والأحاديث في فضل الجهاد كثيرة مع الآيات الكثيرة الكريمات القرآنية في فضل الجهاد، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾؛ يعني: شيباً وشباباً ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١] نفوسهم لله وأموالهم لله قد اشتراها سبحانه بالجنة، بإدخالهم الجنة ونجاتهم من النار، فالجهاد له شأن عظيم لما فيه من إظهار الإسلام، وإعزاز أهله، وتوسيع رقعته والدعوة إليه، وإدخال الناس فيه بالجهاد وإنجائهم من أسباب غضب الله وعقابه، ففيه خير عظيم ومصالح جمة للمسلمين ولغيرهم؛ ولهذا قال ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» مَنْ جَهَّزَ غَازِياً بإعطاء حاجاته من الدابة السلاح وغير ذلك من المؤونة، وهكذا إن يسر له الجهاد من طريق السيارات من طريق الطائرات مع بقية المؤونة له

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوبٍ وغيره وخلافته في أهله بخيرٍ برقم (١٨٩٤).

أجر الغازي، يكون له أجر الغازي، وهكذا من خلفه في أهله بخير قام مقامه في الإنفاق على أهله والعناية بأهله يكون غازياً أيضاً؛ لأن الغُزاة يشترك المتخلف مع المُتقدم، فإذا كانوا اثنين مثلاً وغزا واحد والآخر تخلف في الأهل، اشترك في الأجر، فالذي يتخلف لمصلحة الغُزاة والقيام على أهلهم شريك لهم في الأجر يعطى مثل أجورهم، فينبغي فيه الجود والإحسان بالنفس والمال، يرجى ما عند الله من المثوبة، وما يحصل من الخير للمسلمين ولغير المسلمين، وهكذا من الجهاد في سبيل الله؛ كونه يعين أو يُعطي الفسطاط والخيمة للغُزاة يستظلون بها؛ كذلك «**طَرُوقَةُ الفَحلِ**» والمنيحة «**وَمَنِيحَةُ الخَادِمِ**» كل هذا كونه يعطيه خادماً أو يستعد له خادماً يخدمه أو يساعده بطرقة فحل لفرسه أو لناقته، كله وإن قلَّ كله جهاد مساعدة للمجاهدين، وهكذا كونه يعطي جهازاً ليتجهز به غيره إذا عرض له عارض من مرض أو غيره، فيعطي جهازه لشخص آخر يجاهد يكون له مثل أجره، يكون مجاهداً؛ ولهذا لما قال رجل عند النبي ﷺ: إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجهَّزُ بِهِ، قَالَ: «**ائْتِ فُلاناً فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ**» فذهب إليه فأعطاه جهازه.

والمقصود من هذا: أن الجهاد يكون بالمال، ويكون بالنفس، ويكون بهما جميعاً، المعول على صلاح النية وإخلاصها لله، فمن خلص نيته لله في جهاده بنفسه أو بماله أو بهما فهو مع المجاهدين.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٠٩ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ **أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ إِلَى بَنِي لَحْيَانَ، فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا»** رواه

مسلم[(١)].

📖 وفي روايةٍ لَهُ: «لِيَخْرُجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ» ثُمَّ قَالَ للقاعد: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ في أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أجْرِ الخَارِجِ».

١٣١٠ ـ **وعن** البَراءِ ﷺ، قَالَ: أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أُقَاتِلُ أوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «أسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ». فَأسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيراً» متفقٌ عَلَيْهِ. وهذا لفظ البخاري[(٢)].

١٣١١ ـ **وعن** أنس ﷺ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ».

📖 وفي رواية: «لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ» متفقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في فضل الجهاد والشهادة في

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازى في سبيل الله بمركوبٍ وغيره وخلافته في أهله بخيرٍ برقم (١٨٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب عملٌ صالحٌ قبل القتال برقم (٢٨٠٨)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنّة للشّهيد برقم (١٩٠٠)، وهذا لفظ البخاري.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهنّ برقم (٢٧٩٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الشّهادة في سبيل الله تعالى برقم (١٨٧٧).

سبيل الله، وأن الشهداء قد وعدهم الله خيراً كثيراً وأجراً عظيماً، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١]، فلهم عند الله أجرٌ عظيم، وأخبر فيما تقدم أن الله جل وعلا أعدَّ مائة درجة في الجنة للمجاهدين، ما بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض، في هذا غزوة (بني لِحْيَانَ) أمر ﷺ أن يخرج من كل اثنين «**أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا**» «**مَنَ جَهَّزَ غَازِياً فَقَدْ غَزَا**» فإذا كانوا اثنين وخرج أحدهما في الجهاد والباقي خلفه في الأهل وحاجات الأهل فَالأجرُ بَيْنَهُمَا، تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**». فالغازي له أجر والذي يخلفه في أهله ويقوم بحاجاتهم له أجره، الأَجْرُ بَيْنَهُمَا، وهذا من فضل الله جلَّ وعلا، وجاءه **رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَدِيدِ، فَقَالَ: (يَا رسولَ اللهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ» فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فقُتِلَ. فَقَالَ رسولُ اللهِ** ﷺ: «**عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيراً**»)؛ يعني: أسلم مدة يسيرة ثم قتل شهيداً فصار الأجر عظيماً، والعمل إنما هو الشهادة في سبيل الله؛ لأنّ بعد إسلامه قاتل فقُتل، هذا من فضل الله جلَّ وعلا، إن الإسلام يجب ما قبله ويهدم ما قبله من الذنوب، ثم جاءت الشهادة خيراً على خير وفضلاً على فضل.

ويقول ﷺ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ**»، لما يرى من فضل الشهادة، تقدم قوله ﷺ: «**لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ في سَبيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ**

فَأُقْتَلَ» من أجل فضل الشهادة في سبيل الله، والجهاد؛ يعني: جهاد المشركين لإعلاءِ كلمة الله، ونصر دينه؛ لا للرياء والسمعة؛ ولكن يجاهد لله كما في الحديث الصحيح الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهْوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(١)]، المؤمن يقاتل مخلصاً لله يُريد وجهه الكريم يُريد إعزاز دينه، وهكذا الداعي إلى الله، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في جهاد مع الإخلاص لله، والصدق صاحبه في جهاد عظيم، فالمؤمن يحتسب عند الله الأجر، في دعوته إلى الله، في تعليمه الجاهل، في نصيحته، في أمره بالمعروف، في نهيه عن المنكر، في جهاده أعداء الله، يحتسب الأجر عند الله، ويخلص، وله عند الله الأجر العظيم والخير الكثير.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣١٢ ـ وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص ﵄؛ **أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «يَغْفِرُ اللهُ لِلْشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ»**. رواه مسلم[(٢)].

📖وفي روايةٍ له: «القَتْلُ في سبيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شيءٍ إلَّا الدَّيْن».

١٣١٣ ـ وعن أبي قتادة ﵁؛ **أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهِم فَذَكَرَ أنَّ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى ﵁. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا برقم (٢٨١٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله العليا برقم (١٩٠٤).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفّرت خطاياه إلّا الدّين برقم (١٨٨٦).

الجِهَادَ في سَبيلِ اللهِ، وَالإيمَانَ بِاللهِ، أَفْضَلُ الأعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أرأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، أتُكفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ الله وَأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: «كيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، وَأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، إلَّا الدَّيْنَ فَإنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِي ذَلِكَ» رواه مسلم[(١)].

١٣١٤ ـ **وعن** جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أيْنَ أنَا يَا رسول الله إنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: «في الجَنَّةِ» فَألْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[(٢)].

الشَــرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في فضل الجهاد والشهادة في (سبيل الله)، تقدم أن الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال، وهو أفضل ما يتطوع به المطوعون كما في الحديث الصحيح، تقول عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: **«لَا، لَكِنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»**، فأفضل الجهاد بالنسبة إلى الرجال هو الجهاد في سبيل الله؛ ولهذا لما سُئل: أيُّ العَمل أفْضَلُ؟ قَالَ: **«إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ»** قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **«الجهادُ في سَبيلِ اللهِ»**.

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفّرت خطاياه إلّا الدّين برقم (١٨٨٥).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنّة للشّهيد برقم (١٨٩٩).

هنا قال أفضل الأعمال: «**الإِيمَانُ بِاللهِ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**»، وأخبر أن الشهيد تُغفر له ذنوبه إذا قُتل صابراً محتسباً؛ يعني: مخلصاً لله يطلب الأجر منه جلَّ وعلا، مُقبلاً غير مُدبر غفر الله له خطاياه «**إِلَّا الدَّيْنَ**» هذا يدل على أن الدين يبقى لصاحبه يعطى يوم القيامة حقه، إلا إذا رحم الله العبد وقبل عذره أرضى عنه صاحب الدين إذا كان معذوراً، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فالمعذور الله جلَّ وعلا يوفي عنه ويقضي عنه دينه، أما غير المعذور فيعطى صاحب الحق حقه، يقول ﷺ لما سُئل، يقول عليه الصلاة والسلام: «**أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ**». قَالُوا: (المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ)(١).

المفلس؛ يعني: الشخص الذي ليس عنده نقود ولا أموال أُخرى، هذا المفلس قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»، هذا وعيد شديد يجب الحذر من حقوق الناس، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، ضرب الناس بغير حق، أخذ أموالهم بغير حق، سبهم، وشتمهم، والكذب عليهم، كل هذا جرائم يجب الحذر منها.

وفي الحديث: **قَالَ رَجُلٌ**: (**أَيْنَ أَنَا يَا رسول الله إِنْ قُتِلْتُ في سبيل الله؟**) يعني: صابراً محتسباً قَالَ: «**لك الجنة**» وكان في يده تمرات فألقاها ثم قاتل حتى قُتل، في الرواية الأخرى اسمه عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢١٨) ج١.

الأَنْصَارِيُّ قال: بخ بخ ما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، فتقدم ليقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

المقصود: أن الجهاد في سبيل الله له شأن عظيم في إعزاز الإسلام ونشر الدين، وتقوية المسلمين، والدعوة إلى الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فيه مصالح جمة، فمن قُتل فيه صابراً محتسباً مخلصاً لله، فهو موعود بالجنة والكرامة وغفران الذنوب.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣١٥ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَقْدمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ». فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه: يَا رسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إنّهَا لَحَياةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[1].

□ (القَرَن): بفتح القاف والراء: **هُوَ: جُعْبَةُ النشَّابِ.**

١٣١٦ ـ وعنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ؛ أن ابْعَثْ مَعَنَا

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (١٩٠١)، والإمام أحمد ٣/ ١٣٦.

رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ، فِيهِم خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ في المَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا المَكَانَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رَجُلٌ حَراماً خَالَ أَنسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَه، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا» متفقٌ عَلَيهِ، وهذا لفظ مسلم[1].

١٢١٧ ـ **وعنه**، قَالَ: غَابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي اعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاء؛ يعني: أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ؛ يَعنِي: المُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعَدَ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ! فَقَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رسولَ اللهِ مَا صَنَعَ! قَالَ أنسٌ: فَوَجدْنَا بِهِ بِضعاً وَثَمَانِينَ ضَربَةً بِالسَّيفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمح أَوْ رَمْيةً بِسَهْم، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ. قَالَ أنسٌ: كُنَّا نَرَى ـ أَوْ نَظُنُّ ـ أَنَّ هذِهِ الآية نَزَلتْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله برقم (٢٨٠١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (١٩٠٢) رقم حديث الباب (١٤٧).

فِيهِ وَفي أشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] إِلَى آخرها. متفقٌ عَلَيْهِ[١]، وَقَدْ سبق في باب المجاهدة.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة في فضل الجهاد كالتي قبلها، والأحاديث في الجهاد كثيرة كلها تدل على فضله، وأن الجهاد في سبيل الله عن إخلاص وصدق، من أسباب الجنة والنجاة من النار، وأن المجاهدين موعودون بالدرجات العليا في الجنة؛ لجهادهم وصبرهم وإيثارهم طاعة الله على حياتهم ونفوسهم.

ولهذا قال في هذا الحديث لأهل بدر: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأرْضُ» لما تقدموا للقتال يوم بدر، هذا يدل على أن الجهاد له شأن عظيم، وأن أهله موعودون بالجنة، وأن الصادقين المخلصين على خير عظيم، وهكذا حديث عُمَيْرُ بن الحُمَام، لما سمع فضل الجهاد وفضل المجاهدين وكان بيده تمرات، فقال يا رسول الله: (بَخٍ بَخٍ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟») قَالَ ما بي إلا أني أرى أن حياتي طويلة إذا بقيت حتى آكل هذه التمرات، وأن الجهاد فضله عظيم وأني أُريد الجنة، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، هذا يدل على أن الله جلَّ وعلا أخبره بأنه من أهل الجنة أنه يقتل شهيداً فألقى التمرات التي بيده وجعل يقاتل حتى قُتل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] برقم (٢٨٠٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد برقم (١٩٠٣).

وهكذا قصة أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما، كان قد غاب عن غزوة بدر، فقال: (**لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ**)، فلما جاءت غزوة أُحد حضرها وحصل للمسلمين ما حصل من الانكشاف والهزيمة، فقال أنس بن النضر رضي الله عنه لما رأى إخوانه قد انهزموا: (**اللَّهُمَّ إنِّي اعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاء** ـ يعني: أصْحَابَهُ ـ **وأَبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ** ـ يَعنِي: المُشْرِكِينَ ـ)، ثم جعل يقاتل حتى قُتل، قال: إني أجد ريح الجنة من وراء أُحد، قال سعد بن معاذ: لما صادفه قال للنبي ﷺ: ما استطعت أن أفعل ما فعل من التقدم إلى نحور المشركين، ووجدوه قتيلاً به بضعة وثمانون ضربة، بضع وثمانون في بقية جسده ما بين (**ضَربَةٍ بِالسَّيْفِ**) ما بين (**ضَربَةٍ برُمح**) ما بين (**رَمْيةٍ بِسَهْمٍ**) رضي الله عنه، ورأوه (**قَد**) مثلوا به لم تعرفه إلا أُخته الرُبيع ببنانه بإصبعه.

وفي **حديث السبعين** الذين أرسلهم دعاةً إلى بعض القبائل يدعونهم ويعلمونهم، فاعترضتهم بعض القبائل وقتلوهم في الطريق، فقالوا: طلبوا من ربهم أن يبلغ عنهم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم ورضوا عنه، فأنزل الله فيهم قرآناً؛ أنهم قد لقوا الله فرضي عنهم وأرضاهم حتى تطيب النفوس ويطمئن القلوب بأنهم فازوا بالجنة والكرامة، ولقوا ربهم ورضي عنهم رضي الله عنهم، هذه تدل على أن أهل الإيمان يمتحنون، ولهم أعداء، وأن صبرهم وجهادهم من أعظم الأسباب في نجاتهم وسعادتهم، وفوزهم بالدرجات العالية، في دار الإقامة ودار النعيم، وهذه الدار دار الامتحان، دار البلايا والمحن، فلا بد من الصبر، في الجهاد، وفي أداءِ فرائض الله، وترك محارم الله، وفي الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير هذا مما يجب على المؤمن، فهذه الدار، دار العمل، دار الصبر، دار الامتحان، دار المجاهدة، ومن أخلص لله أفلح.

وفَّق الله الجميع.

١٢١٨ ـ **وعن** سَمُرَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجرةَ فَأدْخَلَانِي دَاراً هِيَ أَحْسَنُ وَأَفضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أحْسَنَ مِنْهَا، قالا: أمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ». رواه البخاري(١)، وَهُوَ بعض من حديث طويل فِيهِ أنواع من العلم سيأتي في باب تحريم الكذب إنْ شاء الله تَعالَى.

١٢١٩ ـ **وعن** أنس ﷺ؛ أنَّ أمَّ الرُّبيعِ بنتَ البَرَاءِ، وهي أُمُّ حَارِثة بن سُرَاقَةَ، أتَتِ النبي ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رسولَ اللهِ، ألَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ـ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ـ فَإنْ كَانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ في البُكَاءِ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إنَّهَا جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى» رواه البخاري(٢).

١٣٢٠ ـ **وعن** جابر بن عبد الله ﷺ، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي إلَى النَّبيِّ ﷺ، قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَذَهَبْتُ أكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فَنَهَانِي قَوْمِي، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَا زَالتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا» متفقٌ عَلَيهِ(٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالأحاديث السابقة في فضل الجهاد وفضل

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله برقم (٢٧٩١).

(٢) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب من أتاه سهمٌ غربٌ فقتله برقم (٢٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه برقم (١٢٤٤)، وفي كتاب الجهاد والسير، باب ظلّ الملائكة على الشهيد برقم (٢٨١٦)، وفي كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد برقم (٤٠٨٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرامٍ والد جابرٍ رضي الله تعالى عنهما برقم (٢٤٧١).

الشهداء في سبيل الله، وما أعد الله لهم من الكرامة والخير في الجنة بسبب بيعهم نفوسهم على الله، وطلبهم ما عنده من الفضل، فعوَّضهم الله الخير الكثير، والنعيم المقيم، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة: ١١١] الله جلَّ وعدهم الخير الكثير والنعيم المقيم على يد رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك ما جاء في حديث الرؤية، **حديث سمُرة**؛ أنه رأى صُعد به إلى دار عظيمة حسنة؛ يعني: في الجنة فسأل عنها فقيل له: هذه دار الشهداء، فهذه من المناقب والفضائل التي للشهداء، قد تقدم أن الله أعد لهم مائة درجة في الجنة للمجاهدين، ما بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض.

وهكذا **حديث أم الحارثة** بنت سُراقة، أتت إلى النبي ﷺ تسأله عن ولدها حارثة قد قُتل يوم بدر، فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة، إن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء **فَقَالَ**: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ**»، ليست جنة واحدة جنان «**وَإِنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**»، هذا من الشهادة له في الجنة، وأنه من أصحاب الفردوس الأعلى قتل في سبيل الله يوم بدر.

وهكذا **حديث جابر** في قصة أبيه عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، قتل يوم أُحد ومُثل به، فجيء به إلى النبي ﷺ، وجعل جابر يكشف عنه، والناس ينهونه، والنبي ساكت فدل ذلك على أنه لا بأس أن ينظر إلى الميت ويكشف عنه؛ لا حرج في ذلك، تقدم حديث عائشة؛ أن الصديق رضي الله عنه قبَّل النبي ﷺ بين عينيه بعد وفاته

عليه الصلاة والسلام، فلا حرج في الكشف عنه ورؤية وجهه أو تقبيله من زوجة أو أُم أو أب أو غير ذلك من الرجال أو من المحارم، وفي هذا يقول ﷺ: «مَا زَالتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا»؛ يعني: حتى رُفع، هذه منقبة لعبد الله وهو من الشهداء يوم أُحد رضي الله عنه وأرضاه.

فالمقصود من هذا: التشجيع والترغيب في الجهاد في سبيل الله، وأن أهله على خير عظيم وموعودون بفضل عظيم، وجزاءٍ عظيم، ودرجات عالية، ونعيم مقيم لمن جاهد في سبيله إخلاصاً لله، ومحبة لله، وطلباً لمرضاته، وإيثاراً لحقه، وحرصاً على إعلاءِ كلمة الله.

وفَّق الله الجميع.

١٣٢١ ـ وعن سهل بن حنيف ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» رواه مسلم[(١)].

١٣٢٢ ـ وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً أُعْطِيَهَا ولو لَمْ تُصِبْهُ» رواه مسلم[(٢)].

١٣٢٣ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ» رواه الترمذي[(٣)]، وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشّهادة في سبيل الله تعالى برقم (١٩٠٩).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشّهادة في سبيل الله تعالى برقم (١٩٠٨).

(٣) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل المرابط برقم (١٦٦٨).

١٣٢٤ ـ **وعن** عبد الله بن أبي أوْفى رضي الله عنهما؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ في بَعْضِ أيَّامِهِ الَّتي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ في النَّاسِ فَقَالَ: «أيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْألُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإذَا لَقِيتُموهُمْ فَاصْبِروا؛ وَاعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» متفقٌ عَلَيهِ[1].

الشَّرح

فهذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالشهادة في سبيل الله، وما ينبغي عند لقاء العدو من الصبر والاحتساب والإخلاص لله، يقول ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ»؛ يعني: في سبيل الله «بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» متى طلب الشهادة في سبيل الله، وهو صادق ولَمْ تُيسَّر له «بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ» فضلاً منه بسبب نيته الصادقة التي علمها الله منه.

وفي **الحديث الثالث**: الدلالة على أن الشهيد يسهل الله عليه ألم ضربة السيف والرمح ونحو ذلك، وأنه لا يحس من ذلك إلا بالشيء اليسير؛ كألم القرصة من الذباب أو العقرب أو نحو ذلك أول ما تقرص؛ يعني: أن الله يسهل عليه فلا يتألم كثيراً من ذلك، بل يسهل الله عليه ذلك ويُريحه من ألم ذلك، بِقُربِهِ إليه سبحانه وتعالى، وبكل حال فالله جلَّ وعلا ادخر للشهداء ووعدهم الشيء الكثير من فضله وجوده وكرمه سبحانه وتعالى لِما بذلوا في سبيله من مهج نفوسهم، ولِما صبروا بإظهار

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدّعاء على المشركين بالهزيمة والزّلزلة برقم (٢٩٣٣)، ومسلم في الإمارة، باب استحباب الدّعاء بالنّصر عند لقاء العدوّ برقم (١٧٤٢).

دينه وإعلانه، والقتل في سبيله، فبصبرهم على جهاد الأعداء وبذلهم نفوسهم في سبيل الله عوضهم الله الأجر العظيم؛ لأن أغلى شيء عند الإنسان نفسه، هي أغلى شيء فإذا بذلها لله، الله جلَّ وعلا يُقدر له هذا البذل، ويضاعف له المثوبة؛ لأنه يعلم الصادقين، ويعلم ما تنطوي عليه القلوب.

وفي **حديث عبد الله بن أوفى**: أنه ﷺ كان **فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ قال للناس: «لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ»** وكان ينظر إذا لم يُقاتل أول النهار أجَّل حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر، كان قتاله إما في أول النهار وإما في آخر النهار بعد الزوال، وكان يقول ﷺ: **«لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ»**؛ يعني: خيلاء أو إرخاءً وعدم مبالاة، وإلا فقد تقدم من سأل الشهادة، وطلب الشهادة في سبيل الله، وطلب الجهاد في سبيل الله والرغبة في ذلك أمر مطلوب، لكن لا يتمناها الإنسان إرخاءً من نفسه وأنه سوف يفعل وسوف يفعل، بل يسأل الله العافية ويطلب ربه أن يرزقه الجهاد والشهادة في سبيله؛ لكن إذا لقي العدو يكون عنده الصدق وعنده الضراعة إلى الله وطلب النصر منه، لا يلهو بشجاعته وقوته أو كثرة جيشه، بل يكون عنده الانكسار إلى الله والذل إلى الله، وعدم العُجب بالجيش أو العجب بالقوة، بل يقابل العدو بالضراعة والانكسار لله والذُل له وطلبه النصر والافتقار إليه ﷻ ويصبر.

ولهذا قال ﷺ: **«فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»**؛ يعني: اصبروا على جلادهم وقراعهم بالسلاح ومصابرتهم والكر والفر؛ لنصر دين الله ﷻ ثم قال ترغيباً في الجهاد: **«وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»**؛ يعني: أن حصولها والفوز بها مربوط ومرتهن بالجهاد في سبيل الله. بالنسبة إلى هذا الجانب وإن كان لها طرق أُخرى، الجنة لها طرق

أُخرى، فالإسلام كله طريق للجنة، وهكذا الأعمال الصالحات كلها من أسباب الجنة، ومن أعظم الأسباب الجهاد في سبيل الله، هكذا المحافظة على الصلاة، الصدقات، الإكثار من ذكر الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدعوة إلى الله، إلى غير هذا من وجوه البر، كلها من سبل نيل الكرامة والسعادة والفوز بالجنة، والجهاد في سبيل الله طريق من هذه الطُرق التي جعلها الله سبيلاً للجنة وطريقاً للجنة لمن صبر واحتسب.

ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**»؛ يعني: المؤمن مع نشاطه وجده ومع قوته، يسأل ربه التوفيق، ويسأل ربه النصر؛ لا يعجب ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩]، قد يكون الجيش كثيراً ويهزم لعجبه أو تخاذله أو أسباب أُخرى؛ لكن الجيش يصدق يخلص لله ولا يُعجب ويصبر على قراع الأعداء، ويحسن ظنه بربه الذي وعده النصر.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٢٥ ـ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رسول الله** ﷺ: «**ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البَأسِ حِيْنَ يلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضاً**» رواه أبو داود[١] بإسناد صحيح.

١٣٢٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه، **قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ** ﷺ **إِذَا غَزَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»**

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء برقم (٢٥٤٠).

رواه أَبو داود والترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

١٣٢٧ ـ **وعن** أَبي موسى ﷺ؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوماً، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» رواه أَبو داود[٢] بإسناد صحيح.

١٣٢٨ ـ **وعن** ابن عمر ﷺ؛ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ» متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

١٣٢٩ ـ **وعن** عروة البارِقِيِّ ﷺ؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ» متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

الشَّرح

هذه الأحاديث الخمسة كلها تتعلق أيضاً بالجهاد، تقدم أحاديث كثيرة في الجهاد، والجهاد فضله عظيم والأحاديث فيه كثيرة جداً، نسأل الله أن يقيم علم الجهاد وأن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين وأن يولي عليه خيارهم، ويقول ﷺ: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ أَوْ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء برقم (٢٦٣٢)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا غزا برقم (٣٥٨٤).

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا خاف قوماً برقم (١٥٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة برقم (٢٨٤٩)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة برقم (١٨٧١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماضٍ مع البرّ والفاجر برقم (٢٨٥٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة برقم (١٨٧٣).

قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً»، النبي ﷺ كان إذا فرغ من الأذان يدعو، وشرع لأُمته الدعاء إجابة المؤذن ثم الدعاء، والدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد، محل إجابة، فينبغي للمؤمن أن يتحرى الدعاء بعد الأذان، بين الأذان والإقامة، وهكذا عند لقاء الصفين والتحام القتال، هذا وقت عظيم، وقت ينصر دين الله ويُذل أعداء الله يستجاب فيه الدعاء.

وكان يقول إذا لقي: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»، والمقصود من هذا: أن المسلمين يلجؤون إلى الله ويضرعون إليه وينزلون حاجاتهم به سبحانه؛ لأنهم بالله لا بأنفسهم بالله ﷻ، إن لم ينصرهم الله فهم مخذولون؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، فينبغي لأهل الإيمان رئيساً وعامة أُمراء وجنوداً، ينبغي أن يطرحوا جميع ما يتعلق بشؤونهم لربهم جلَّ وعلا، ويطمئنوا إليه ويسألوه ويستعينوا به ويسألوا ويعتمدوا عليه في كل شيء ﷻ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»، «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»، تقدم قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» فالإنسان لا يتكل على مجرد القوة أو السلاح؛ بل للسلاح أسباب، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومن الأسباب الدعاء والضراعة إلى الله والانكسار بين يديه والإيمان بأنه هو الناصر، ليس النصر بالقوة ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠] فالقوة أسباب قد تنفع، وقد يُخذل أهلها لكن متى طرحوا حاجاتهم لله واستنصروا به، وضرعوا إليه

والتجؤوا إليه وجدُّوا في طاعته واستقاموا على أمره، نفعهم الله بقوتهم ونصرهم على عدوهِم.

وفيه أيضاً **الحديث الرابع والخامس**: ما يتعلق بالخيل، الخيل مثل ما قال ﷺ: **«الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ»** فالخيل من أعظم العدة حين القتال بها، فهي تُعد وتربط للحاجة إليها، وسوف يكون لها شأن في آخر الزمان كما كان لها شأن في أول الزمان، كما جاءت به النصوص؛ ولهذا قال ﷺ: **«الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ»**، قد جاء في النصوص ما يدل على أن هذه القوات الموجودة الآن أنها تزول في آخر الزمان ويعود الناس إلي حالهم الأولى من الإبل والخيل والسلاح المعروف، وربك على كل شيء قدير ﷻ.

الحاصل: أن هذه الخيل التي يعرفها الناس، جرى لها شأن عظيم في قتال المسلمين وفي جهادهم، وسيكون لها شأن في آخر الزمان، ولهذا قال ﷺ: **«الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ»**.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

١٣٣٠ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **«مَنِ احْتَبَسَ فَرَساً فِي سَبِيلِ اللهِ، إيمَاناً بِاللهِ، وَتَصْدِيقاً بِوَعْدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»** رواه البخاري[1].

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً في سبيل الله برقم (٢٨٥٣).

١٣٣١ ـ **وعن** أبي مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ بِنَاقةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ: هذِهِ في سَبيلِ اللهِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمئَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» رواه مسلم(١).

١٣٣٢ ـ **وعن** أبي حمادٍ ويقال: أَبُو سعاد، ويقال: أَبُو أسدٍ، ويقال: أَبُو عامِر، ويقال: أَبُو عمرو، ويقال: أَبُو الأسود، ويقال: أَبُو عبسٍ عُقبة بن عامِرٍ الجُهَنيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، «أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ» رواه مسلم(٢).

١٣٣٣ ـ **وعنه**، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلَا يَعْجِز أَحَدُكُمْ أنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ» رواه مسلم(٣).

الشَرح

فهذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالجهاد والإعداد له، والجهاد تقدم في الآيات الكريمات والأحاديث الكثيرة بيان فضله، وأنه أفضل الأعمال بعد الفرائض؛ لما فيه من نشر الإسلام والدعوة إليه وجهاد الكفر، ودعوة أهله إلى الدخول في الإسلام، ولِما فيه أيضاً من تقوية المسلمين وتثبيتهم وإعانتهم على أداء ما أوجب الله عليهم، ففيه مصالح

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها برقم (١٨٩٢).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل الرّمي والحثّ عليه وذمّ من علمه ثمّ نسيه برقم (١٩١٧).

(٣) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل الرّمي والحثّ عليه وذمّ من علمه ثمّ نسيه برقم (١٩١٨).

للمسلمين؛ ولغيرهم فهو يُنصر به الإسلام وتقام به حدود الله وأحكامه، ويحارب به الكفر الذي هو أعظم الذنوب؛ ولهذا جاء فيه من الآيات والأحاديث ما ليس في غيره.

ومن ذلك حديث احتباس الفرس في سبيل الله، وأن احتباس الفرس في سبيل الله لصاحبه أجر أكله، وشربه، وآثار خطاه وروثه، وغير ذلك كله في ميزان حسناته، كلها يدل على فضل عظيم، وأن ارتباط الخيل في سبيل الله، هذا الأجر العظيم؛ ولهذا يقول ﷺ: **«الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ»** ومن ذلك رباطها في سبيل الله، فهذا فيه الخير العظيم لمن أراد وجه الله والدار الآخرة، والنفقة فيه مضاعفة **لِسَبْعُمئَةِ** ضعف إلى أضعاف كثيرة كما قال ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٦١] **(وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ بِنَاقةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ: هذِهِ في سَبيلِ اللهِ، فَقَالَ** رسول الله ﷺ: **«لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمئَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»)**؛ يعني: أجر **سَبْعمئَةِ مَخْطُومَة** لأن الحسنة تضاعف **بِسَبْعمئَةِ** ضعف في الجهاد في سبيل الله جلَّ وعلا، وقد يضاعف أكثر من ذلك ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾، فينبغي للمؤمن احتساب النفقة في سبيل الله، طلب العلم في سبيل الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سبيل الله، فينبغي للمؤمن أن يشارك في هذه الأعمال التي يسرها الله له من الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى الخير، تعليم الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل هذا جهاد في سبيل الله، وأعظمه الجهاد بالسيف لأعداء الله حتى يدخلوا في الإسلام.

والحديث الثالث: حديث عُقبة **«أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ**

الـرَّمْـيُ، **أَلَا إِنَّ الـقُـوَّةَ الـرَّمْـيُ**»، يـقـول جـلَّ وعـلا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، يقول النبي ﷺ: «**أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**» يبين ﷺ أن القوة التي ذكرها الله في كتابه أنها الرمي؛ يعني: أن الرمي من القوة التي يجب إعدادها هو أهم شيء، الرمي بالبندقيه، بالمدفع، بغيرها من الآلات التي يرمى بها؛ يعني: ينبغي لأهل الإسلام أن يعدوا أنواع القوة التي تكون في زمانهم بالنبل، بالمدفع، بغير ذلك من أنواع الرمي، كل زمان له قوته وله آلته، فالواجب أن يُعد لكل زمان ما يناسبه من القوة؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ونكَّرها لتعم أنواع القوة ومنها الرمي، وفي هذا أن الناس إذا فتح الله عليهم ووسع الله عليهم، فلا ينبغي أن يُشغلوا عن الإعداد للجهاد؛ ولهذا قال: «**سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلَا يَعْجِز أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ**»؛ يعني: ليتدرب ويتعلم حتى لا ينسى الرمي، وذلك بالمسابقة بالرمي، المسابقة بالخيل حتى تبقى هذه القوة حية في نفوس الناس، فالرمي يرمي الشبح عن الغرض، كان الصحابة يفعلونه فيما بينهم لإحياء هذه القوة، وإحياء هذا العلم؛ كذلك المسابقة بالخيل والإبل، كل هذا ينبغي أن يبقى؛ حتى لا يُنسى، لعل الله يفتح فتحاً ويحصل الجهاد بذلك، وهكذا بالآلات الجديدة والقوة الجديدة، ينبغي تعلمها، والإعداد للأعداء بالقوة التي جدت بين الناس، صواريخ، مدافع، وغير ذلك من أنواع القوة طائرات، كل ما يُعدَّ الآن ينبغي لأهل الإسلام إعداده حسب الطاقة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ لكل زمان قوته وسلاحه.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٣٤ ـ **وعنه**؛ أنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ فَقَدْ عَصَى» رواه مسلم[(١)].

١٣٣٥ ـ **وعنه** ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقول: «إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، ومُنْبِلَهُ. وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ تَرْكَبُوا. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا» أَوْ قَالَ: «كَفَرَهَا» رواه أبُو داود[(٢)].

١٣٣٦ ـ **وعن** سَلَمة بن الأكوعِ ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ: «ارْمُوا بَنِي إسماعِيلَ فَإنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً» رواه البخاري[(٣)].

١٣٣٧ ـ **وعن** عمرو بن عبسة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: «مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ الله فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ» رواه أبُو داود والترمذي[(٤)]، وقال: حديث حسن صحيح.

الشَّرح

هذه الأحاديث في الحث على تعلم الرمي؛ لأنه عُدة في سبيل الله، وقوة في سبيل الله؛ ولهذا شرع الله تعلم الرمي، وأخبر

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل الرّمي والحثّ عليه وذمّ من علمه ثمّ نسيه برقم (١٩١٩).

(٢) أخرجه في كتاب الجهاد، باب في الرمي برقم (٢٥١٣)، والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله برقم (١٦٣٧) وحسنه، والنسائي في كتاب الجهاد، باب ثواب من رمى بسهم برقم (٣١٤٦)، وأحمد (٤/ ١٤٨).

(٣) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب التّحريض على الرّمي. وقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] برقم (٢٨٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل برقم (٣٩٦٥)، والترمذي في كتاب الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله برقم (١٦٣٨).

النبي ﷺ أن القوة هي الرمي؛ لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، تقدم حديث عقبة يقول ﷺ: «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**»؛ يعني: معظم القوة؛ يعني: معظمها وأهمها الرمي بالنبل بالبندقية، بالمدفع، بالرشاش، وغير هذا من أنواع الرمي التي تستعمل، في كل زمان بحسبه، هي معظم العُدة، ويجب أن يستعمل أيضاً ويُعد ما دعت الحاجة إليه، مما يستعمله الناس من سائر ما يعين على الجهاد في سبيل الله؛ كالطائرة، والسيارة، والصواريخ، وغير هذا مما يحتاجه المجاهدون إذا كان عدوهم يستعمله.

في الحديث الثاني: الدلالة على فضل التعلم، بل ينبغي للمؤمن أن يحافظ عليه، وألا يتركها حتى ينساه، يقول: «**مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا**»؛ يعني: من رزقه الله علم الرَّمْيَ وتعلمه وحصل له فيه البصيرة ثم أعرض عنه حتى ينساه **فَلَيْسَ مِنَّا**، في اللفظ الآخر «**وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا**» أَوْ قَالَ: «**كَفَرَهَا**». «**وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا**»؛ يعني: الحرص على معرفة الرمي أكثر؛ لشدة الحاجة إليه، والمؤمن يتعلم هذا، وهذا، يتعلم الركوب، ويتعلم الرمي، ويتعلم جميع ما يحتاج إليه في الحرب؛ لأن قوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ يعم، يعم جميع أنواع العُدة، والمسلم يعُد العدة بالرمي بالركوب، وغير هذا مما يحتاجه، المؤمن في جهاد أعدائه، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ فِي سبيل الله، وَمُنْبِلَهُ**» الذين يعين ويساعد يناول السهم كلما فرغ ناوله، يتعاونان، مع الإخلاص لله وقصد الجهاد في سبيله ففيه الأجر العظيم، فينبغي

للمؤمن أن يجتهد على هذه الأمور؛ يعني: في تعلم هذه الأمور ولا ييأس، قد يسهل الله فرصة لإقامة الجهاد.

ومرَّ على قوم (يَنْتَضِلُونَ)؛ يعني: يرمون يترامون؛ يعني: يرمون الشبح الغرض فقال: «ارْمُوا بَنِي إسماعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً»؛ يعني: يحثهم على الرمي، والتعلم في آخر الحديث «وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ» فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ: «مَا لَهُمْ» قَالُوا: (وَكَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَ بَنِي فُلَانٍ) «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ» المقصود أن النضال من العُدة فينبغي تعلمه؛ ولهذا قال ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إسماعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً».

في الحديث الآخر «مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ الله فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ»؛ يعني: بمنزلة عتق رقبة مُحَرَّرَة، الحاصل: أن هذا كله يدل على أنه ينبغي للمؤمن العناية بوسائل الجهاد من جميع الوجوه، وأن يُعدَّ نفسه لذلك؛ ولهذا في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» رواه مسلم، فينبغي للمؤمن أن يُعدَّ نفسه وأن يتحدث يرجو لعل الله يقيم علم الجهاد، ويكون مع المجاهدين فيكون عنده الاستعداد لهذا الأمر العظيم الذي قال فيه ﷻ: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾؛ يعني: شيباً وشباباً ﴿وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، ويقول جلَّ وعـلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١].

المقصود: أن الجهاد له شأن عظيم، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، فالإعداد ينفع ولا يضر، فيه الحزم فيه الأخذ بالحيطة، فالعدو قد يهجم والحاجة قد تأتي مباغتة، فإذا كان مستعداً حمد العاقبة عند

الحاجة، ثم هو عمل صالح، الاستعداد عمل صالح، يؤجر عليه.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

١٣٣٨ ـ **وعن** أَبي يحيى خُرَيْم بن فاتِك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً في سَبيلِ اللهِ كُتِبَ لَهُ سَبْعُمِئَةِ ضِعْفٍ» رواه الترمذي(١)، وقال: حديث حسن.

١٣٣٩ ـ **وعن** أبي سعيد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبيلِ اللهِ إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذلِكَ اليَوْمِ وَجهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً» متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

١٣٤٠ ـ **وعن** أبي أُمَامَة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْماً في سَبيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقاً كما بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ» رواه الترمذي(٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

١٣٤١ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ» رواه مسلم(٤).

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل النّفقة في سبيل الله برقم (١٦٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصّوم في سبيل الله برقم (٢٨٤٠)، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصّيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضررٍ ولا تفويت حقٍّ برقم (١١٥٣).

(٣) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الصّوم في سبيل الله برقم (١٦٢٤).

(٤) أخرجه في كتاب الإمارة باب ذمّ من مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بالغزو برقم (١٩١٠).

الشرح

هذه الأحاديث الأربعة فيها بيان فضل الجهاد في سبيل الله والنفقة في سبيل الله، تقدم في ذلك آيات وأحاديث عدة كلها دالة على فضل الجهاد في سبيل الله والإعداد له، فينبغي لأهل الإيمان أن يعدوا له، وأن يحرصوا على إقامته حسب الطاقة؛ لأن به ينصر دين الله، وبه ينتشر الإسلام، وبه يُقمع أهل الشرك والكفر، فهو طريق الجنة، وطريق السعادة، وطريق عز الإسلام وظهوره، واندحار الشرك وذُل أهله، ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، قال جلَّ وعلا: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فالمؤمن ينتهز الفرصة متى أمكن ذلك الجهاد بكل نشاط وقوة، بماله، ونفسه، وببدنه ولسانه وبماله، يرجو ما عند الله من المثوبة، والنفقة (بِسَبْعمِئَةِ ضِعْفٍ)، كما في حديث خُرَيْم بن فاتِكٍ، وأصل هذا قوله جلَّ وعلا: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٦١] فالنفقة في سبيل الله مضاعفة بِسَبْعمِئَةِ ضِعْفٍ مع الإخلاص والصدق وكسب الحلال، وهكذا الصوم، عبادة عظيمة تُكفر بها السيئات؛ ولهذا في حديث أبي سعيد **«مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً»**.

يعني: في طاعة الله؛ يعني: إخلاصاً لله ومحبة له وليس المراد في الجهاد؛ لأن الجهاد مطلوب فيه الفطر والقوة على العدو، وإذا صام في سبيل الله على وجه لا يضر الجهاد فلا بأس، كأن يكون في

حال المهادنة في حال لا حاجة إلى الفطر فيها فلا بأس، المقصود أن هذا الحديث، المراد في طاعة الله وابتغاء مرضاته؛ يعني: إخلاصاً لله.

وهكذا حديث أَبي أُمَامَة ﷺ، في فضل الصوم، «**مَنْ صَامَ يَوْماً في سَبيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقاً كما بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ**» هذه كلها من الترغيب والتوجيه إلى العناية بالجهاد، وأن النفقة فيه مضاعفة بسَبْعمِئَةِ ضِعْفٍ إلى أضعاف كثيرة، في حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ**»، فيه: أنه يجب على المؤمن أن يعد نفسه للجهاد، وأن يكون على باله الجهاد فالمعنى أن يكون على باله على قصده حتى يُعدَّ له عُدته.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٤٢ ـ وعن جابر ﷺ، قَالَ: كنا مَعَ النبيِّ ﷺ، في غَزاةٍ فقالَ: «إنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُم مَسِيراً، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ».

📖 **وفي رواية: «حَبَسَهُمُ العُذْرُ».**

📖 **وفي رواية: «إلَّا شَرَكُوكُمْ في الأجْرِ» رواه البخاري من رواية أنس، ورواه مسلم[1] من رواية جابر واللفظ لَهُ.**

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ في كتاب المغازي، باب برقم (٤٤٢٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرضٌ أو عذرٌ آخر برقم (١٩١١) واللفظ له.

١٣٤٣ ـ **وعن** أبي موسى ﷺ أنَّ أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَم، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ وفي رواية: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً.

📖 وفي رواية: يُقَاتِلُ غَضَباً، فَمَنْ في سبيل الله؟ فقالَ رسولُ اللهِ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

١٣٤٤ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إلَّا تَمَّ لَهُمْ أُجُورهُمْ» رواه مسلم[2].

الشَّرح

فهذه الأحاديث أيضاً تتعلق بالجهاد؛ كالأحاديث السابقة وهي تدل على فضل الجهاد وأن من حُبس عنه لعُذر شرعي حكمه حكم المجاهدين، يكون له أجر المجاهدين، إذا تأخر عن الجهاد لعُذر شرعي كالمرض والعمى ونحو ذلك، ونيته الجهاد لولا العذر يكون شريكاً في الجهاد، وفي هذا يقول: «إنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ». المَرَضُ.

---

(١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] برقم (٧٤٥٨)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا برقم (١٩٠٤).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم برقم (١٩٠٦).

يعني: المرض وفي اللفظ الآخر. «**إِلَّا شَرَكُوكُمْ في الأَجْرِ**» قالوا: وهم في المدينة؟ قال: «**وهم في المدينة**» وهذا قاله في غزوة تبوك، المقصود: أن الإنسان يتأخر عن الغزو لا عن تساهل ولكن عن عُذر شرعي يكون له حكم المجاهدين، اذا علم الله منه أنه لولا العُذر؛ لجاهد، هو مع المجاهدين وله أجر المجاهدين، هذا مثل الحديث الآخر الذي رواه البخاري في الصحيح «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ؛ كتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً**»[1]، إذا مرض الإنسان وله أعمال تعطلت بسبب المرض يُكتب له أجرها، وهكذا إذا سافر يُكتب له أجرها، وهذا من فضل الله ورحمته وجوده وكرمه ﷻ.

الحديث الثالث: أنه «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ**» وهو أن الغزو إذا تعجلوا غنموا وسلموا تعجلوا بعض الأجر، «**وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إِلَّا تَمَّ لَهُمْ أُجُورهُمْ**» هذا فيه الحث على الإخلاص والصدق، وعدم التعلق بالغنيمة؛ ولهذا قال في الحديث الآخر، يقول ﷺ لما سُئل: (**الرجل يُقَاتِلُ رِيَاءً، ويُقَاتِل حَمِيَّةً، ويُقَاتِل ليُرَى مَكَانُهُ، ويُقَاتِل لأسباب أُخرى أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ**)، قال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**» الناس على حسب نياتهم، من كان نيته نصر دين الله وإقامة أمر الله فهو في سبيل الله، ومن كان نيته الطمع وأخذ الأموال أو ليُرَى مَكَانُهُ، أو يعرف الناس شجاعته، أو لأسباب أُخرى فليس له إلا ما نوى، فوجب على المجاهدين الإخلاص لله، وأن تكون نيَّتهم صالحة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة برقم (٢٩٩٦).

لإعزاز دين الله وإظهار دين الله، وقمع أعداء الله؛ لا لقصد السُّمعة والرِّيَاء، والله يعلم ما في القلوب، ولا تخفى عليه خافية ﷻ، فالواجب على جميع المكلفين الإخلاص في العمل في صلاته وفي صومه في جهاده في حجه وفي غير ذلك، يجب أن يكون مخلصاً لله يُريد وجهه يُريد الدار الآخرة يُريد الأجر، لا رِياءً ولا سُمعةً.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٤٥ ـ وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه؛ أَنَّ رجلاً، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتي الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ عز وجل» رواه أَبو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ.

١٣٤٦ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ» رواه أَبو داود[2] بإسنادٍ جيدٍ.

▫ (القَفْلَةُ): الرُّجُوعُ، وَالمراد: الرُّجُوعُ مِنَ الغَزْوِ بَعدَ فَرَاغِهِ؛ ومعناه: أنه يُثَابُ في رُجُوعِهِ بعد فَرَاغِهِ مِنَ الغَزْوِ.

١٣٤٧ ـ وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوك تَلَقَّاهُ النَّاسُ، فَتَلَقَيتُهُ مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى ثَنيَّةِ الوَدَاعِ. رواه أَبو داود بإسنادٍ صحيح بهذا اللفظ.

🕮 ورواه البخاري قَالَ: ذَهَبنا نَتَلَقَّى رسولَ اللهِ ﷺ، مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ[3].

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب النهي عن السياحة برقم (٢٤٨٦).

(٢) أخرجه في كتاب الجهاد، باب في فضل القفل في الغزو برقم (٢٤٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب استقبال الغزاة برقم (٣٠٨٣)، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في التلقي برقم (٢٧٧٩).

١٣٤٨ ـ **وعن أَبي أُمَامَة** ﷺ، **عن النبيِّ** ﷺ، **قَالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِياً، أَوْ يَخْلُفْ غَازِياً في أَهْلِهِ بِخَيرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَة قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ»** رواه أَبو داود[1] بإسناد صحيح.

الشَّرْح

فهذه الأحاديث كلها تتعلق بالجهاد، تقدم فضل الجهاد، وفيه من الخير العظيم وأن الواجب على أهل الإيمان أن يعدوا له عُدته، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال النبي ﷺ: **«أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ»**، قال جلَّ وعلا: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ الآية [التوبة: ١١١]، فالجهاد فيه نصر الدين، وحمايته ونشره بين الناس، ودعوة الناس إلى الخير، وتحذيرهم من الشر ففيه خير عظيم؛ ولهذا في حديث معاذ ﷺ يقول ﷺ: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»** في هذه الأحاديث ما يشهد؛ لهذا المعنى.

الحديث الأول: أنه سُئل قَالَ: (يَا رسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ)، **فَقَالَ النبيُّ** ﷺ: **«إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ** ﷻ**»** قال: **«قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ»**؛ يعني: الله يأجرهم على قُفولهم كما يأجرهم على غزوهم، والقفول من الجهاد، وما يحصل من التعب هكذا في السفر والبدء، فالمؤمن مأجور في توجهه للعدو وفي قفوله من العدو.

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو برقم (٢٥٠٣).

وهذا حديث أُسامة يدل على شرعية استقبال القادمين من الغزو وغيره، وأن استقبال القادمين أمر معروف استبشاراً بقدومهم، ولا سيما القادمون من الجهاد في سبيل الله، استقبالهم فرحاً بقدومهم وسلامتهم.

وفي هذا الحديث الأخير الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن أن يحدث نفسه بالغزو وأن يخلف المجاهدين في أهليهم، تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ**»، فهكذا الذي لا يغزو ولا يُجهز غُزاة ولا يخلفهم في أهلهم بخير وليس عنده نية الجهاد، هو على خطر، والمقصود من هذا كله، أن يكون المؤمن على استعداد ورغبة في الجهاد وحرص عليه ونيةٍ له إذا تيسر ذلك، المقصود أن المؤمن يكون عنده عناية بوقته حفظاً للوقت، إما في الصيام وإلا في الجهاد وإلا في إعانة على الخير من غزو، وتجهيز غازٍ وخلف في أهله بخير، مساعدة المحاويج، عيادة المرضى، اتباع الجنائز، تكون أوقاته معمورة بالخير.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٤٩ ـ وعن أنس ﵁؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «جَاهِدُوا الـمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ» رواه أَبو داود[١] بإسنادٍ صحيح.

١٣٥٠ ـ وعن أَبي عمرو ـ ويقالُ: أَبُو حكيم ـ النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن ﵁ قَالَ: شَهِدْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ من أَوَّلِ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى

(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو برقم (٢٥٠٤).

تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ. رواه أبو داود[١] والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

١٣٥١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

١٣٥٢ ـ وعنه وعن جابرٍ رضي الله عنهما؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ» متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

الشَّرح

فهذه الأحاديث كلها تتعلق بالجهاد، وتقدمت آيات كثيرات وأحاديث كثيرة كلها تتعلق بالجهاد، والجهاد معناه: مجاهدة الأعداء بالسيف بعد دعوتهم إلى الله وإرشادهم إلى ما خُلقوا له، فإذا أبوا وجب جهادهم بالسيف مع القدرة، إلا أن يكون من أهل الجزية فلا مانع من قبول الجزية؛ كاليهود والنصارى والمجوس؛ لأن الله جلَّ وعلا قال: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قال سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء برقم (٢٦٥٥)، والترمذي في السير عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في السّاعة الّتي يستحبّ فيها القتال برقم (١٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس برقم (٢٩٦٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمنّي لقاء العدوّ والأمر بالصّبر عند اللّقاء برقم (١٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة برقم (٣٠٣٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب برقم (١٧٣٩).

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، والنبي ﷺ جاهد في مواضع كثيرة في بدر في أُحد وفي يوم الأحزاب وفي خيبر عليه الصلاة والسلام في الطائف، وتوجه إلى تبوك في سنة تسع من الهجرة لقتال الروم فلم يتيسر ذلك، وأرسل السرية في سنة ثمانية للروم فحصل ما حصل من غزوة مؤتة المعروفة التي قُتل فيها جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة، فالرسول ﷺ جاهد بنفسه وبسراياه، وحث على الجهاد والقتال، عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك قوله في حديث أنس: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**» فالجهاد يكون بالمال تُساعد الغُزاة تعطي سلاحاً تعطي مالاً، ويكون بالنفس تُباشر مع الغزو، ويكون باللسان بالهِجاء بالتحريض والتشجيع، كله جهاد باللسان.

وفي حديث النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن يقول: (**كان النبي ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ من أَوَّلِ النَّهَارِ أَخَّرَ الْقِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ**)، هذا السُّنَّة إذا لم يتيسر القتال في أَوَّلِ النَّهَارِ؛ يعني: يكون بعد الزوال حتى تَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ، هكذا كان يفعل عليه الصلاة والسلام.

وفي **الحديث الثالث**: يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ**»، تقدم أيضاً معناه: لا تَمنَّوا لقاء العدو فخراً وخُيلاء أو عجباً بأنفسكم، أما تمني الجهاد، طلب الجهاد مطلوب، تمني الجهاد في سبيل الله، طلب الجهاد، تمني الشهادة هذا مطلوب جاءت به الأحاديث الصحيحة، لكن لا يتمناها الإنسان فخراً وخُيلاء، ولكن في طلب الشهادة، وطلب إعزاز الدين لا بأس ويقول: «**وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ**»؛ يعني: اسألوا الله العافية من شر أعداء الله «**فَإِذَا**

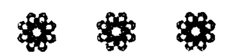
لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» إذا تيسر اللقاء الواجب الصبر، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا۟ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، قال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، قال: ﴿وَاصْبِرُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فالواجب هكذا، يقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا۟ وَاذْكُرُوا۟ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦] الواجب الاجتماع، صدق الكلمة، وعدم التنازع مع الصبر في لقاء العدو.

وتمام الحديث «**وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**» فالمؤمن يصبر ويحتسب ويدعو الله أن يمده بالنصر، يدعو الله أن يمده بالنصر والإعانة وأن يهزم عدوه، وكان يقول ﷺ إذا لقي العدو: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**».

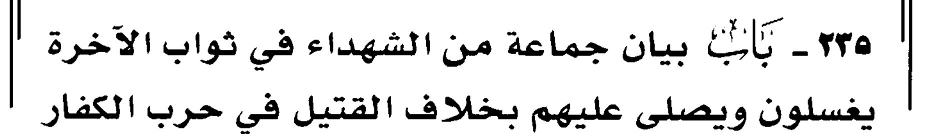
والصدق من أهم أسباب النجاح، الصدق في اللقاء الصبر، وعدم الانهزام، وبذل الجهود في الشفاء من العدو، تعلم أنك مشري من الله، مبيع، قد اشترى الله نفسك بالجنة سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فأنت لله ومالك، فاصدق، فاصدق في لقاء العدو، واسأل ربك العافية، هكذا يكون المؤمن صادقاً في لقاء العدو، و«**الحَرْبُ خَدْعَةٌ**» كما قال النبي ﷺ: لا بأس أن ينظر في أسباب هزيمة العدو؛ أي: حيلة ليس فيها غدر يفعلها المؤمن، الممنوع الغدر، أما كونه يتحيل حتى يخدع عدوه، حتى يتمكن من هزيمته لا بأس من دون غدر، كأن يتظاهر بأنه منحرف أو منهزم حتى يبرز العدو حتى يظهر إن كان العدو متحصناً في حصون يظهر المسلمون الهزيمة، حتى يبرز لهم العدو ويكرون عليه، هذا من الخدعة،

إظهار الهزيمة ثم الكر على العدو، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك، أو عدم القيام للقائهم حتى يبرزوا كأنه عجزَ فإذا برزوا كر عليهم المسلمون، قد يتحصنون بحصون تضر المسلمين، فإذا رأى ولي الأمر أن يخدعهم لإظهار الهزيمة أو بإظهار العجز حتى يبرزوا من الحصون، ثم يكون اللقاء، فالحَرْبُ خَدْعَةٌ.

وفَّق الله الجميع.







٢٣٥ - بَابُ بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

١٣٥٣ - **وعن** أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ في سَبِيلِ اللهِ» متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

١٣٥٤ - **وعنه** قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟» قالوا: يَا رسولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: «إنَّ شهَدَاءَ أُمَّتِي إذاً لَقَليلٌ»! قالوا: فَمَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهِيدٌ» رواه مسلم[(٢)].

١٣٥٥ - **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» متفقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الشّهادة سبعٌ سوى القتل برقم (٢٨٢٩)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الشّهداء برقم (١٩١٤).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب بيان الشّهداء برقم (١٩١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله برقم (٢٤٨٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدّليل على أنّ من قصد أخذ مال غيره بغير حقٍّ كان القاصد مهدر الدّم في حقّه وإن قتل كان في النّار وأنّ من قتل دون ماله فهو شهيدٌ برقم (١٤١).

الشَّرح

هذه الأحاديث في بيان الشهداء، يقول النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة: «**مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»، وهكذا الغَرِيقُ شَهِيدٌ وهكذا، وَصَاحِبُ الهَدْمِ شَهِيدٌ، وهكذا **وَمَنْ مَاتَ في سَبيلِ الله**، وهكذا من قُتل مظلوماً دون ماله أو دون دينه أو دون أهله **فَهُوَ شَهِيدٌ**، كما جاء في الحديث الصحيح، والمعنى: أنه له أجر الشهداء لكنه يغسل ويصلى عليه، وإنما الذي لا يُغسل ولا يصلى عليه شهيد المعركة، في قتال الكفار الذي يموت في المعركة لا يغسل، ولا يصلى عليه، بل يُدفن في ثيابه من غير تغسيل ولا صلاة، كما فعل النبي ﷺ بشهداء أُحد، أما ما سواهم كالغريق الذي يموت بالغرق أو بالهدم أو بمرض الطاعون، والعياذ بالله من شر الطاعون أو بالهدم أو وجع البطن: المبطون، أو مات في سبيل الله غير القتيل، هؤلاء يغسلون ويصلى عليهم؛ ولهذا لما طُعن عمر وتوفي بعد أيام غُسل وصُلّي عليه، هكذا عثمان، هكذا علي، فالمقتولون يغسلون ويصلى عليهم، وهكذا إذا مات بسبب الهدم هدم عليه جدار أو سقف أو دهس السيارة، انقلبت السيارة أو صدم، هذا مثل صاحب الهدم يغسل ويصلى عليه، هكذا من مات بوجع البطن يغسل ويصلى عليه، شهيد، وهكذا من مات بسبب مرض الطاعون، وهو مرض شديد يأخذ في مراق الإنسان يصيب الناس في مراقهم، والغالب أن من يصيب بذلك الغالب عليه الموت فهو شهيد، وهذا من كرم الله ومن فضله ﷻ أن هؤلاء يعطون أجر الشهداء وإن ماتوا على فُرشهم.

وفَّق الله الجميع.



١٣٥٦ ـ وعن أَبي الأعْوَر سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل، أحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالجَنَّةِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» رواه أبو داود والترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٣٥٧ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أرَأيتَ إنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» قَالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ» رواه مسلم[2].

الشَّرح

فهذان الحديثان حديث سعيد بن زيد والذي بعده كلاهما يدلان على فضل الشهادة وأن المظلوم شهيد، من قُتل مظلوماً فهو شهيد؛ ولكنه يغسل ويصلى عليه، بخلاف شهيد المعركة الذي يقاتل الكفار ويقتل في المعركة، هذا لا يغسل ولا يصلى عليه، السُّنَّة أن لا يغسل ولا يصلى عليه؛ بل يدفن في ثيابه ودمائه، كما فعل النبي ﷺ بشهداء أُحد، أما الشهداء الآخرون فإنهم يغسلون ويصلى عليهم، ومن هذا قوله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينِهِ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السّنّة، باب في قتال اللصوص برقم (٤٧٧٢)، والترمذي في كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيدٌ برقم (١٤٢٠).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الدّليل على أنّ من قصد أخذ مال غيره بغير حقٍّ كان القاصد مهدر الدّم في حقّه وإن قتل كان في النّار وأنّ من قتل دون ماله فهو شهيدٌ برقم (١٤٠).

فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» الإنسان إذا تُعدي عليه وقُتل مظلوماً فهو شهيد، وهكذا المبطون من يموت بالبطن أو بذات الجنب أو بالطاعون، أو بالغرق كما تقدم في الأحاديث، وأفضلهم الشهيد في سبيل الله الذي يقتل في الجهاد في سبيل الله.

والحديث الثاني: يقول ﷺ لما جاءه رجل: يا رسول الله، (أرأيتَ **إنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ»**)؛ يعني: سيغصب مالي **«فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ»** (**قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ»**) إذا صار يريد يأخذ مالي بالقوة (**قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»**)؛ لأنه ظالم متعدٍّ والمعتدى عليه مظلوم، فهو شهيد، وفي هذا الحذر من ظلم الناس والتعدي عليهم، وأن المظلوم له سلطان على الظالم بأن يدافع عن نفسه، فإذا دافع عن نفسه ولم يندفع الظالم إلا بالقتل قُتل، فإذا أراد أخذ ماله ولم يندفع إلا بالقتل قُتلِ، أو أراد قتله سفك دمه ودافع عن نفسه، فإن قُتل فهو شهيد، وإن قتل من ظلمه فلا شيء عليه، وهكذا من أراد زوجته أهله، بالفاحشة، وأبى أن يندفع، يستحق القتل؛ ولهذا قال: **«من قُتل دون أهله فهو شهيد»**، وهكذا من قُتل دون دينه، لا بد يدافع عن دينه؛ كالمجاهد في سبيل الله.

وفق الله الجميع.






٢٣٦ ـ بَابُ فضل العتق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

١٣٥٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْواً مِنْهُ في النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

١٣٥٩ ـ **وعن** أبي ذرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ الأعمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ» قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أهْلِهَا، وَأكْثَرُهَا ثَمَناً» متفقٌ عَلَيْهِ[2].

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والحديثان يتعلقان بالعتق، العتق من أفضل القُربات قال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٤]، فالعتق فك رقبة واقتحام العقبة؛ يعني: من أسباب العتق من النار عتق الرقاب؛ ولهذا يقول ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْواً مِنْهُ في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب كفارات الأيمان، باب قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]، وأي الرّقاب أزكى برقم (٦٧١٥)، ومسلم في كتاب العتق، باب فضل العتق برقم (١٥٠٩).

(٢) أخرجه البخاري كتاب العتق، باب أي الرّقاب أفضل برقم (٢٥١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (٨٤).

النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»؛ يعني: من أسباب العتق من النار أن تعتق الرقاب المملوكة لك المِلك الشرعي بالسبي أو نحوه كالشراء، وأصل الرق هم السبي، يُسبى من المشركين، فيسترق المسلمون أولادهم ونساءهم وأسراهم ثم يبيعه المسلمون، (**قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ الأعمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ» قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأكْثَرُهَا ثَمَناً»**) فأفضل الرقاب أغلاها ثمناً، وأنفسها عند أهلها؛ يعني: شجاعته ودينه وعلمه وفضله كلما كان أغلى بالصفات الحميدة صار أفضل، وهكذا في الإبل والبقر والغنم، ما كان أغلى وأنفس هو أفضل في الضحية، والصدقة.

وفَّق الله الجميع.





٢٣٧ ـ بَابُ فضل الإحسان إلى المملوك

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

١٣٦٠ ـ **وعن** المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍ رضي الله عنه، وَعَلَيهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أيديكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

١٣٦١ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَى أحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ؛ فَإنَّهُ وَلِيَ عِلَاجَهُ» رواه البخاري[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهليّة ولا يكفّر صاحبها بارتكابها إلّا بالشرك؛ لقول النّبيّ ﷺ: «إنك امرؤٌ فيك جاهليّة». وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] برقم (٣٠)، وبرقم (٦٠٥٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك ممّا يأكل وإلباسه ممّا يلبس ولا يكلّفه ما يغلبه برقم (١٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب إذا أتاه خادمه بطعامه برقم (٢٥٥٧)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك ممّا يأكل وإلباسه ممّا يلبس ولا يكلّفه ما يغلبه برقم (١٦٦٣).

▫ (الأُكْلَةُ): بضم الهمزة: وَهِيَ: اللُّقْمَةُ.

الشَّرح

هذه الآية الكريمة مع الحديثين فيها الحث على الإحسان إلى المملوك وعدم تكليف ما يشق عليه، ومثل ذلك الخدم الذين يكونون تحت يد الإنسان في حاجته وقضاء لوازمه يُشرع له؛ بل يجب عليه أن يعدل فيهم وألا يظلمهم ويُشرع له الإحسان إليهم، والتواضع، والرفق، وعدم تكليفهم ما يشقُّ عليهم، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [النساء: ٣٦].

هذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة، ذكر الله فيها حقوقاً عشرة أمر بها عباده، أعظمها وأهمها توحيده جلَّ وعلا وعبادته، وترك الإشراك به هذا أولها وأعظمها توحيد الله والإخلاص له ﷻ وطاعة أوامره وترك نواهيه قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ يعني: وحدوا الله خصوه بالعبادة ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾.

ثم قال بعده: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ هذه الثانية: الإحسان إلى الوالدين وبرهما وإكرامهما والرفق بهما، حقهما عظيم، قرين حق الله، كما قال في الآية الأُخرى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، قال سبحانه: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] فحقهما عظيم.

والثالث: ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

الرابع: ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾.

الخامس: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾؛ يعني: أمرهم بالإحسان إلى أقاربهم، صلة الرحم والإحسان إلى اليتامى، وهم الأيتام الذين ليس لهم آباء، كل إنسان ليس له أب، أبوه غير موجود وهو دون الحُلم يُسمى: يتيماً، إذا كان مفقود الأب وهو صغير، ما بعد بلغ الحُلم يقال له: يتيم ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ المساكين الفقراء ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **الجار القريب**؛ كعمك وابن عمك وأخيك ونحو ذلك ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ **الجار البعيد** الذي ليس بقريب لك، كلهم، الله أمر بالإحسان إليهم وعدم إيذائهم وظلمهم.

والثامن: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ فسَّره بعض العلماء بأنه المسافر الذي يرافقه في السفر، وفسَّره الآخرون بأنه الزوجة، الصاحب بالجنب الزوجة، وقيل: الرفيق في السفر، كلهم يحسن إليهم، الرفيق في السفر والزوجة كلاهما يُشرع الإحسان إليهما والرفق بهما وعدم ظلمهما وعدم إيذائهما.

التاسع: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ والعاشر: المملوك، عبدك وعبد أمتك، ابن السبيل المسافر الذي يمر بالبلد وهو مارٌّ بها ليس من أبنائها يمر بالبلد يسمى ابن السبيل؛ يعني: ابن الطريق ويحتاج تعطيه ما يساعده قد يفقد نفقته، قد تُقصر النفقة، قد تُسرق، فابن السبيل يُساعد إذا كان محتاجّاً إذا طلب المساعدة يساعد؛ لأن قد تكون نفقته قصرت أو ضاعت لم يوصله إلى أهله.

والعاشر: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾؛ كالجواري والغلمان الذين يكونون تحت يد الإنسان يحسن إليهم، ويرفق بهم ويتواضع.

في **حديث أبي ذر** يقول ﷺ في الخدام: «**هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ**»

«**إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ**»؛ يعني: خدامكم، هم إخوان وهم خدم جميع «**فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**» فيُشرع لك أن يكون طعام الخدام من طعامك من أكلك، واللباس من جنس لباسك هذا هو الأفضل، وإن خصصتهم بطعام طيب ولباس طيب لا بأس...؟ لكن إذا أكلوا معك؛ يعني: أكلوا من طعامك فهو أكمل.

في الحديث الآخر يقول ﷺ: «**لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ**»[(١)].

الخادم والمملوك لا يكلف ما لا يطيق، وإذا كان الطعام واحداً كان أفضل، وإذا خُص بطعام خاص دون طعام سيده فلا بأس؛ لكن الأفضل مثل ما قال ﷺ: «**فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ**»، في اللفظ الآخر: «**إِذَا جَاءَ خَادِمُ أَحَدِكُمْ بِطَعَامِهِ فَلْيُجْلِسْهُ مَعَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ فَإِنَّهُ وَلِيَ دُخَانَهُ وَحَرَّهُ**»[(٢)] تعب عليه، فإذا كان لا يأكل معك تعطيه بعض الشيء منه، هذا من التواضع، ومن الإحسان، ومن الرفق، ومما يُسبب جمع القلوب، وعدم النُفرة.

وفّق الله الجميع.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك ممّا يأكل وإلباسه ممّا يلبس ولا يكلّفه ما يغلبه برقم (١٦٦٢).

(٢) أخرجه البيهقي ٢/ ٤٦١.




٢٣٨ ـ بَابُ فضل المملوك الَّذِي يؤدي حق الله وحق مواليه

١٣٦٢ ـ **عن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ العَبْدَ إذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» متفقٌ عَلَيْهِ(١).

١٣٦٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أجْرَانِ»، وَالَّذِي نَفْسُ أبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَوْلَا الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ وَالحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لأَحْبَبْتُ أنْ أمُوتَ وَأنَا مَمْلُوكٌ. متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

١٣٦٤ ـ **عن** أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالطَّاعَةِ، لهُ أجْرَانِ» رواه البخاري(٣).

١٣٦٥ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَهُمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إذَا أدَّى حَقَّ اللهِ، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربّه ونصح سيّده برقم (٢٥٤٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيّده وأحسن عبادة الله برقم (١٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربّه ونصح سيّده برقم (٢٥٤٨)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيّده وأحسن عبادة الله برقم (١٦٦٥).

(٣) أخرجه في كتاب العتق، باب كراهية التّطاول على الرقيق برقم (٢٥٥١).

فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشَّرح

هذه الأحاديث تتعلق بفضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق سيده، الملك يقع لبني آدم بالسبي وبالتوارث والبيع والشراء، فإذا أدى العبد حق ربه ونصح لسيده أعطاه الله الأجر مرتين، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وهذا هو الواجب على العبد أن يتقي الله وأن ينصح لسيده ويؤدي حقه مع القيام بحق الله الذي فرض الله عليه، فإذا فعل ذلك صار له أجره مضاعفاً، أجره مرتين لنصحه لله ونصحه لسيده.

ومن ذلك الحديث الأخير، ثلاثة يعطون أجورهم مرتين يقول ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ» مثل اليهودي والنصراني؛ لما بعث الله محمداً ﷺ آمنوا به مع إيمانهم بما سبق من رسالة موسى ورسالة عيسى عليه الصلاة والسلام يعطون أجرهم مرتين؛ وهكذا العبد الذي يؤدي حق الله ويؤدي حق مواليه يعطى أجره مرتين؛ وهكذا الرجل يشتري الجارية فيعلمها يؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها ويتزوجها له أجره مرتين، أجره على تعليمها وتوجيهها والإحسان إليها، وأجر على عتقه لها وتزوجه بها.

والعتق من أفضل القربات يقول ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِماً كَانَ فَكَاكَهُ» في اللفظ الآخر: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب تعليم الرّجل أمته وأهله برقم (٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمّدٍ ﷺ إلى جميع النّاس ونسخ الملل بملّته برقم (١٥٤).

بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْواً مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[(١)].

وأصل الرق في الجهاد حين يسبي المسلمون نساء الكفار وذرياتهم يكون أرقاء غنيمة، وهكذا الأسرى إذا استرقهم ولي الأمر بالاسترقاق توزيعهم تبع المغانم صاروا أرقاء، وقد يباعون يشتريهم الناس فيحصل المِلك بالشراء وبالتوارث، أما ما قد يفعله بعض الناس من السرقة، سرقة أولاد الناس ويبيعونه هذا مُنكر عظيم، بيع الحُر من أكبر الكبائر، يقول النبي ﷺ يقول الله جلَّ وعلا يوم القيامة **«قَالَ اللهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»**[(٢)] هؤلاء قد أتوا جريمة **«ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»** الغادر الذي يغدر يعطي العهود ويغدر، والذي يبيع الأحرار نعوذ بالله، والذي يستأجر ولا يعطي الأجير حقه الذي أوجبه الله له؛ لظلمه وعُدوانه يكون الله خصمه ومن كان الله خصمه فهو مفلوج، فالواجب الحذر، ويلحق بهذا الخدم الذي يستخدمه الناس للأُجرة إذا ظلمهم يخشى عليه من هذا الأمر العظيم، يكون خصمه الله يوم القيامة، كونه يستأجرهم ويستخدمهم ولا يعطيهم حقوقهم، نسأل الله العافية.

وفَّق الله الجميع.



---

(١) سبق تخريجه في شرح الحديث رقم (١٣٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إثم من باع حرّاً برقم (٢٢٢٧).




٢٣٩ ـ بَابُ فضل العبادة في الهرج وَهُوَ: الاختلاط والفتن ونحوها

١٣٦٦ ـ **عن** مَعْقِلِ بن يسار ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «العِبَادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إليَّ» رواه مسلم(١).



(١) أخرجه في كتاب الفتن، باب فضل العبادة في الهرج برقم (٢٩٤٨).



٢٤٠ ـ بَابُ فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المُعْسِرَ والوضع عَنْهُ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

١٣٦٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً» ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنّاً مِثْلَ سِنِّهِ» قالوا: يَا رسولَ اللهِ، لا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «أَعْطُوهُ، فإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

١٣٦٨ ـ وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحاً إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» رواه البخاري[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الدّيون برقم (٢٣٠٦)، ومسلم في كتاب المساقاة باب من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه و «خيركم أحسنكم قضاءً» برقم (١٦٠١).

(٢) أخرجه في كتاب البيوع، باب السّهولة والسّماحة في الشّراء والبيع ومن طلب حقّاً فليطلبه في عفافٍ برقم (٢٠٧٦).

١٣٦٩ ـ وعن أبي قتادة ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ» رواه مسلم(١).

﴿ الشَّرح ﴾

الحديث الأول [١٣٦٦]: يدل على فضل العبادة لله والاجتهاد في الخير عند وجود الهرج، عند وجود الفتن والاختلاف وشُغل الناس بأموالهم وأهوائهم، ينبغي للمؤمن أن يكون عند اختلاف الناس وعند تهاونهم بأمر الله أو وجود الفتن بين الناس في القتال، أن يكون مشغولاً بطاعة الله وألا يشغله عن ذلك هذه الفتن التي تقع بين الناس والاختلاف والأهواء؛ بل ينبغي له أن يهتم بأمر دينه وأن يتحرر من الدخول في الفتنة التي لا يعرف لدخوله وجهاً فاعتصامه بطاعة الله، واستقامته على دين الله عند وجود الفتن؛ كالهجرة إليه عليه الصلاة والسلام كالهجرة إلى النبي ﷺ في حياته عليه الصلاة والسلام، المقصود من هذا أنه ما ينبغي للمؤمن أن يتدخل في أشياءَ تصده عن الحق من قيل وقال، أو اختلاف بين أهل البلد أو القبيلة أو قتال بينهم، ينبغي له إن استطاع أن يحل المشكلة فليفعل، وإلا فليستقم على دين الله وليعتزل الفتنة ولا يدخل فيها إذا لم يكن لدخوله فيها وجه شرعي.

والأحاديث الأخيرة [١٣٦٧ ـ ١٣٦٨ ـ ١٣٦٩] والآيات تدُل على وجوب وفاء الكيل والميزان، وأن الواجب على أهل الإيمان الوفاء بالكيل والميزان وعدم ظلم الناس، الله أمر بوفاء الكيل والميزان وذم المطففين الذين يبخسون الناس حقوقهم، الواجب على من يتعاطى

---

(١) أخرجه في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦٣).

البيع والشراء أن يتقي الله وأن يوفي في بيعه إن كان بالكيل بالكيل، إن كان بالوزن بالوزن، إن كان بالعدِّ بالعد، إن بالذراع بالذراع؛ لا بد يتقي الله في ذلك لا يخون أخاه المسلم في بيعه وشرائه؛ لا في المبيع ولا في الثمن، يتحرى العدل ويتحرى القسط في بيعه وشرائه بكيل، أو وزنٍ، أو ذرع أو عدٍ، أو غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥]، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣]، وأخبر عن أُمة شعيب أنهم عُذبوا بسبب بخسهم المكيال والميزان. فالواجب الحذر من ذلك؛ لأنه ظلم وعدوان ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحاً إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى**» ولما جاءه رجل يطلبه ديناً عليه الصلاة والسلام (**فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ**)؛ يعني: أن يضربوه فَقَالَ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً**» صاحب الحق صاحب الدين له مقال، فينبغي الرفق به وإعانة الذي عليه الحق على الوفاء ثم قال: «**أَعْطُوهُ سِناً مِثْلَ سِنِّهِ**» كان يطلب النبي ﷺ قعوداً من الإبل بكرة، فقالوا: ما وجدنا إلا سناً أعلى وجدنا رباعياً، قال: أعطوه رباعياً أعلى من سِنِّهِ «**أَعْطُوهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**» فهذا فيه الرفق بصاحب الحق، قد يتكلم الإنسان إذا له دين على زيد قد يتكلم قد ماطلتني أو قد أخرت حقي أو ظلمتني، قد يتكلم بأشياء؛ لكن يرفق بصاحب الدين الذي عليه الدين يرفق يقول: إن شاء الله، أبشر بالخير، إن شاء الله أوفيك، يتيسر الأمر، وإذا كان معسراً يقول: أنا الآن معسر، سامحني يا أخي ارفق بي، المقصود: يرفق في الكلام سواء معسر أو موسر لا يقابل بالكلام السيئ؛ ولهذا قال ﷺ «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً**» وكان قد أغلظ للنبي ﷺ، ومع هذا

قابله بالكلام الطيب عليه الصلاة والسلام وقال: «**أَعْطُوهُ سِنّاً خَيْراً مِنْ سِنِّهِ**» ففي هذا الجود والكرم، وأن من عليه الدين إذا قضى أكثر قد أحسن أو أطيب يكون قد أحسن «**رَحِمَ اللهُ عَبْداً سَمْحاً إِذَا بَاعَ سَمْحاً إِذَا اشْتَرَى سَمْحاً إِذَا اقْتَضَى**» يصير من شؤونه يرفق ويقول ﷺ: «**فَإِنَّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قَضَاءً**» فإذا كان يطلبك عشرة وأعطيته إحدى عشرة أو خمسة عشر فضلاً منك من دون مشارطة بينك وبينه، بل أنت عند القضاء قلت: أحسنت جزاك الله خيراً، أنت أقرضتني وأمهلتني هذه زيادة في مقابل معروفك وإحسانك، فهذا من الأوفياء والأخيار، الإحسان والزيادة والفضل عند وجود الإحسان من أخيه.

ويقول ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**» في الحديث الصحيح «**مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(١).

فالتنفيس على المعسرين بإمهالهم وإنظارهم أو الوضع عنهم أو مسامحتهم وإبرائهم هذا من أفضل الأعمال، والله يقول سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠] إنظاره واجب وإن عفا عنا وتصدق عليه وسامحه هذا أفضل.

المقصود ينبغي أن يكون للمسلم أخلاق كريمة في معاملته للناس في بيعه وشرائه وقضائه واستقراضه.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر برقم (٢٤١٧).

١٣٧٠ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

١٣٧١ ـ **وعن** أبي مسعود البدريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِراً، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ. قَالَ اللهُ عز وجل: نَحْنُ أَحَقُّ بِذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ» رواه مسلم[2].

١٣٧٢ ـ **وعن** حذيفة رضي الله عنه قَالَ: «أُتِيَ اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ ـ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً قَالَ ـ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ. فَقَالَ الله تَعَالَى: أَنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»، فَقَالَ عُقْبَةُ بن عامِر، وأبو مسعودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهما: هكَذا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِيِّ رسولِ الله ﷺ. رواه مسلم[3].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بشرعية التيسير على الموسرين وإنظار المعسرين أو السماح عنهم والعفو عنهم، تقدم قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من أنظر معسراً برقم (٢٠٧٨)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦٢).

(٢) أخرجه في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦١).

(٣) أخرجه في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦٠).

وَالآخِرَةِ»[(١)]، والله يقول: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، فإنظار المُعسر أمر واجب والصدقة عليه بالمال كله أو بعضه أمر مستحب مشروع، تقدم قوله ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»**.

في هذا أن هؤلاء الصحابة الثلاثة كلهم رووا عن النبي ﷺ؛ أنه كان فيمن قبلنا من كان يتجاوز عن المُعسر ويعفو عنه، فلما سُئل بين يدي الله يوم القيامة، ذكر أنه لا يذكر شيئاً من الأعمال إلا أنه كان يتجاوز عن المُعسرين، في اللفظ الآخر **«فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»** ففيها الحث على التيسير على المسلمين، وعدم العُسر في المداينة والمعاملة، والحث على إنظار المُعسرين، أو إعفائهم ومسامحتهم، وأن ذلك من أسباب العفو عنه يوم القيامة، وتيسير الله عليه يوم القيامة.

والمقصود: أنه ما كان عنده عمل غير التوحيد وأداء الواجبات، فإن الرسول ﷺ أخبر؛ بل الله أخبر أن من مات على الشرك أحبط الله عمله ولا يغفر له؛ فهؤلاء الذين تجاوزوا عن المعسرين كانوا من أهل الإيمان وأهل التوحيد؛ ولكن كان لهم هذا العمل العظيم الذي جعله الله راجحاً ومُرجحاً لحسناتهم وسبباً لعتقهم من النار والتيسير عليهم؛ يعني: مع إيمانهم وتوحيدهم، فضُمَّ هذا التيسير وهذا الإنظار وهذا الخُلق الكريم إلى أعمالهم الطيبة فصاروا إلى الجنة بدل النار، وهذا لا بد يكون معه أصل التوحيد وأصل الإيمان وعدم الشرك؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآيات يفسر بعضها بعضاً، فالنصوص يُصدق بعضها بعضاً

---

(١) سبق تخريجه في باب فضل السماحة في البيع والشراء.

ويفسر بعضها بعضاً؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، دلَّ على أن هؤلاء مسلمون؛ لكن عندهم سيئات لقوا الله بها، فتجاوز عنهم بسبب تيسيرهم على الموسرين وإنظارهم للمعسرين، والمشروع لكل مؤمن أن يتخلق بهذا الخلق ويحرص على أن يكون من أهل التيسير والتسهيل والعفو والإنظار وعدم المضايقة.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٧٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أظَلَّهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٣٧٤ ـ وعن جابر رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، اشْتَرَى مِنْهُ بَعِيراً، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ. متفقٌ عَلَيهِ[2].

١٣٧٥ ـ وعن أَبي صَفْوَان سُوَيْدِ بنِ قيسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَلَبْتُ أنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزّاً مِنْ هَجَرَ، فَجَاءنا النبيُّ ﷺ، فَسَاوَمَنَا بسَرَاوِيلَ، وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بِالأجْرِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: «زِنْ وَأَرْجِحْ» رواه أَبُو داود، والترمذي[3] وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه في كتاب البيوع، باب ما جاء في إنظار المعسر والرّفق به برقم (١٣٠٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب شراء الدّوابّ والحمير. وإذا اشترى دابّةً أو جملاً وهو عليه، هل يكون ذلك قبضاً قبل أن ينزل وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النّبيّ ﷺ لعمر: «بعنيه». يعني: جملاً صعباً برقم (٢٠٩٧)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه برقم (٧١٥) رقم حديث الباب (١٠٩) ساقه بعد الحديث رقم (١٥٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب البيوع، باب في الرّجحان في الوزن، والوزن بالأجر برقم =

الشرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على التيسير والتسهيل وحسن القضاء في المعاملات، تقدم قوله ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ عَبْداً سَمْحاً إِذَا بَاعَ سَمْحاً إِذَا اشْتَرَى سَمْحاً إِذَا اقْتَضَى**»، قوله ﷺ: «**مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، قصة الذي كان يعامل الناس ويقول لعماله وكُتَّابه وموظفيه: تجاوزوا عن المُعسر ويسروا على الموسر، فقال الله جلَّ وعلا: نحن أولى بهذا منك فتجاوز الله عنه، تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**».

وفي هذه الأحاديث يقول ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» فإنظار المعسرين والتيسير عليهم مما يحبه الله ﷻ، ويجب الإنظار إذا أعسر لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فالإنظار متعين والصدقة مستحبة إذا وضع عنه بعض الشيء أو سامح الدين كله، هذا صدقة مأجور صاحبها.

ولما اشترى من جابر بن عبد الله بعيره في بعض الأسفار عليه الصلاة والسلام شرط عليه جابر أن يبقى على ظهره حتى يصل المدينة، فوافق النبي ﷺ فلما وصل المدينة جاء بالبعير إلى النبي ﷺ فأناخ عند المسجد، فوزن له النبي ﷺ الثمن وأرجح له، هذا فيه الدلالة على حسن القضاء، (**فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ**)، هذا من حسن القضاء، ثم أعطاه البعير أيضاً قال: «**خُذْ جَمَلَكَ وَدَرَاهِمَكَ**» فأعطاه الجمل الذي اشتراه منه وأعطاه

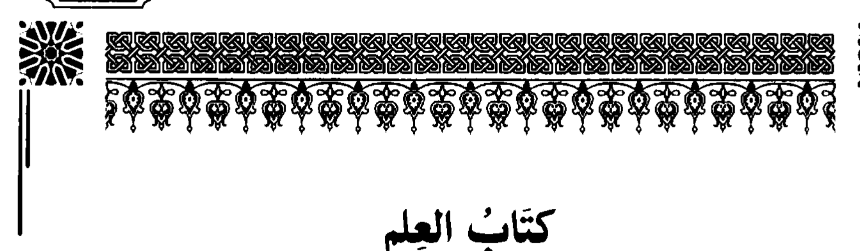
= (٣٣٣٦)، والترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في الرّجحان في الوزن برقم (١٣٠٥).

الثمن جميعاً عليه الصلاة والسلام، فرجع جابر بالجمل والثمن جميعاً، هذا فيه حُسن القضاء؛ كون الإنسان يعامل عماله بالتيسير وحُسن القضاء ومساعدتهم إذا كانوا فقراء معسرين، هذا من مكارم الأخلاق ومن محاسن الأعمال.

كذلك قصة **أبي صفوان سويد** لما جلب البَزَّ اشترى منه النبي ﷺ قال لوزانه: «**زِنْ وَأَرْجِحْ**» حث على الإرجاح وأن يكون سخياً لا متعنتاً، يزن ويرجح فيما يبيع من الموزونات فحث الوزانين والكيالين على الوفاء؛ لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣] فيوصى الكيال والوزان بالإرجاح والتحفظ والحذر من البخس.

وفَّق الله الجميع.





كتَابُ العِلم

٢٤١ ـ بَابُ فضل العلم تعلماً وتعليماً لله

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

١٣٧٦ ـ **وعن** معاوية رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ». متفقٌ عَلَيهِ[1].

١٣٧٧ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفقٌ عَلَيهِ[2].

□ والمراد (بالحسدِ): الغِبْطَةُ، وَهُوَ أنْ يَتَمَنَّى مِثله.

١٣٧٨ ـ **وعن** أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أصَابَ أرْضاً؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أجَادِبُ

---

(١) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً... برقم (٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة برقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة برقم (٧٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمه برقم (٨١٦).

أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة في فضل العلم، تدل على أنه ينبغي لكل مؤمن وكل مؤمنة أن يهتم بالعلم وأن يطلبه؛ لأن به يُعرف الله وبه يُعبد، وبه تُعلم الأحكام التي شرعها لعباده، وبه يعلم ما نهى الله عنه، فالعلم هو الطريق إلى أن تعرف ما أنت مخلوق له من عبادة الله وطاعته، والعلم هو العلم بما قاله الله ورسوله في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين، هذا هو العلم النافع، العلم بما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة، والواجب على جميع المسلمين العناية بهذا العلم والتفقه فيه ونشره بين الناس، وعلى أهل العلم أن يعنوا بذلك وأن يفقهوا الناس، وعلى كل من لديه العلم يبذل وسعه بتفقيه الناس من الرجال والنساء والعرب والعجم؛ حتى يبلغ العلم، الرسول قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» وقال في كتابه الكريم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

فالواجب على أهل العلم أن يبلغوا، والواجب على جميع المكلفين أن يتعلموا، ويتبصروا، ويتفقهوا، حتى يعرفوا ما يجب عليهم وما يحرم عليهم وحتى يعرفوا العبادة التي خُلقوا لها بالتفصيل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] يأمر

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم برقم (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث الله به النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم (٢٢٨٢).

نبيَّه وهو أعلمُ الناس عليه الصلاة والسلام يقول له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ كل إنسان في حاجة إلى المزيد من العلم، ويقول جلَّ وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]؛ المعنى: لا يستويان، فرق بين الجاهل والعالم، فعلى الجاهل أن يتعلم ويتبصر حتى يكون له علم يهتدي به إلى الحق، قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ قبلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، فيه أن امتثال الأوامر والاستقامة على طاعة الله ورسوله من أسباب رفع العبد درجات في العلم، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ يعني: الخشية الكاملة إنما يقوم بها العُلماء بالله وبدينه وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هم رأس العُلماء هم أئمتهم، ثم يليهم من كان بالله أعرف من العلماء، كلما كان العالم أعرف بالله كان أخشع لله وأقوم بحقه وأبعد عن مواضع غضبه، وكلما زاد العلم بالله وبدينه زاد الخوف من الله وزادت الخشية والحذر.

ولما جاء بعض الصحابة يسأل عن أعمال النبي ﷺ في السر يسأل أزواجه عن عمله في السر كأنهم تقالُّوا ذلك، فقال بعضهم: أما أنا فأُصلي ولا أنام؛ يعني: يسهر، قال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر؛ يعني: دائماً، قال الآخر: أما أنا فلا أنام على فراش، ينام على الأرض، قال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم. وذكروا أشياء، فلما بلغ النبي ذلك لما أُخبر بخبرهم قال عليه الصلاة والسلام: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»؛ يعني: ليس العلم بالتكلف والتشديد وترك ما يسَّر الله من الرُخص، لا العلم بالامتثال، قال الله، قال رسوله،

امتثال بما شرع الله، طاعة الله ورسوله؛ وليس العلم بالتكلف وتعاطي الحرج والشدة؛ ولكن يعمل بما أوجب الله، وينتهي عما حرم الله، ويقبل رُخص الله التي يسَّر فيها سبحانه على عباده **«يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»**.

ويقول النبي ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»** من علامات السعادة، وأن الله أراد بعبده خيراً، أن يفقه في الدين ويتعلم ويتبصر، هذا من علامات الخير، ومن علامات الشر الإعراض والغفلة والجهل، نسأل الله السلامة.

ويقول ﷺ: **«لا حَسَدَ»**؛ يعني: الغِبْطَة **«إِلَّا في اثْنَتَيْنِ»** هذا حسد: غِبْطَة؛ يعني: لا أحد يُغبط ويتمنى الإنسان مثله **«إِلَّا في اثْنَتَيْنِ»** إحداهما: **«رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ»**، تصريف في الحق والإحسان فيه إلى الناس، هذا يُغبط بهذا الخير العظيم، والثاني: **«رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ»**؛ يعني: الفقه في الدين **«فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا الناس»** هذا يُغبط أيضاً، في اللفظ الآخر **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»**[(١)].

«وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» فمن رزقه الله المال الطيب وأنفق في وجوه الخير فهو مغبوط، ومن رزقه الله العلم النافع والبصيرة وهو يعمل بذلك فهو مغبوط.

وفي الحديث الثاني: يقول ﷺ: **«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ»** مطر **«أَصَابَ أَرْضاً؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ»**؛ يعني: أراضي منخفضة **«أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا»**

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن برقم (٥٠٢٥) وفي كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن...» برقم (٧٥٢٩).

هـذه أحـوال الـنـاس مـع الـديـن هـذه أحـوالـهـم، الـعـلـم الـذي جـاء بـه الرسول ﷺ، قسم منهم تفقهوا في الدين وتعلموا وتبصروا ونفعوا الناس فعلموهم، وأفتوهم، درسوهم، وقسم حفظة نقلوا العلم وحفظوه، نقلوا القرآن وحفظوه، حفظوا العلم وبلغوه الناس، ما كان عندهم الفقه الكامل؛ لكن عندهم التبليغ والبيان والحفظ؛ فالأولون مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، والثاني مثل الأرض التي أمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، الذين حفظوا القرآن حفظوا الحديث ونقلوا للناس وعلموه الناس؛ لكن ما عندهم سعة الفقه فيه وتفجير ينابيع ما فيه من العلم تبصير الناس، وغالب الناس مثل القِيعَان، غالب الخلق لهم، المثل الثالث «**قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كلأً**»؛ يعني: معرضون غافلون ما عندهم لا علم ولا عمل، أكثر الخلق لا عندهم علم؛ لا يعلمون الناس؛ ولا يعملون به، معرضون غافلون؛ فلا علم؛ ولا عمل كالقيعان التي «**لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كلأً**» نسأل الله السلامة، هذا مثل عظيم ضربه النبي ﷺ للمسلمين المتفقهين بالدين العاملين به، والمعرضين عنه.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٧٩ ـ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه؛ **أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لِعَلِيٍّ:** «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرُ النَّعَم». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

١٣٨٠ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، **أَنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ:**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ، برقم (٢٩٤٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب، برقم (٢٤٠٦).

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري(١).

١٣٨١ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ به طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ». رواه مسلم(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها الحث على طلب العلم والتفقه في الدين، الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] الجن والإنس مخلوقون جميعاً ليعبدوا الله مأمورون بهذا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، قال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، قال ﷻ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣] فأنت مأمور بالعبادة، ما هي العبادة؟ لا بد أن تتفقه؛ لا بد أن تتعلم تعرف هذه العبادة، والتعلم يكون من طريق القرآن والسُّنَّة وأهل العلم البصيرين بهذا الشيء تدرس القرآن، تدبر القرآن، حتى تعرف مراد الله مما أنزل، هكذا السُّنَّة تدرسها وتعتني بها، وتسأل أهل العلم الفقهاء فيها حتى يرشدوك إلى ما أشكل عليك حتى يعلموك، ربك يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا

---

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل برقم (٣٤٦١).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ، من كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ومن التقوى التفقه في الدين، طلب العلم، هذا من التقوى.

وفي **الحديث** الصحيح المتفق عليه يقول ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، متفق على صحته، ولما بعث علياً إلى أهل خيبر، حصر النبي ﷺ اليهود في خيبر مدة في أول السنة السابعة من الهجرة حصرهم؛ لما رجع من مكة من غزوة الفتح وغزوة المهادنة الصلح الحُديبية؛ لما رجع قصد اليهود وحاصرهم، هم أعدى الأعداء، حاصرهم أياماً لينالوا منه وينال منهم؟ ثم في اليوم الذي فتح الله عليه فيها صبيحةً، قال لعلي: اذهب إليهم ادعُهم إلى الإسلام، وكان عليٌّ قد اشتكى عينيه، فقال النبي ﷺ تلك الليلة: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً**» الرَّايَة البيرق «**رَجُلاً يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**».

شهادة عظيمة، فلما أصبحوا غدوا على النبي ﷺ يسألونه فقال: «**أَيْنَ عَلِيٌّ**». فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِل إِلَيْهِ فجيء، فجيء به يقاد، فتفل في عينيه ﷺ، تفل في عينه ودعا له، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ حالاً، هذه من آيات النبوة فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَة وقال: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ**»؛ يعني: سر على رِسْلِكَ على مهلك لا تعجل لا تكن طائشاً، سر على مهل بتؤدةٍ وتأمل «**حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ**»؛ يعني: بقربهم، الجيش الإسلامي يقرب من العدو؛ لا يتباعد؛ لأن قربهم من العدو يشجعهم على القتال، ويوهن العدو، ويُسقط في يد العدو، ويكون من أسباب خضوعه للإسلام وإجابته إلى دعوة الإسلام «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ**» بعد ما تنزل بساحتهم وتقرب منهم، ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، قل لهم: يا ناس ادخلوا في الإسلام، اشهدوا أن لا إلـه إلا الله، اشهدوا

أن محمداً رسول الله، يُرغبهم فيه، فإذا أجابوا ودخلوا، الحمد لله، هذا المطلوب، وإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، فيه شهادة لعلي أنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كل مؤمن يحب الله ورسوله، كل مؤمن يحبه الله ورسوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ لكن كون النبي يشهد لواحد مُعين أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، منقبة عظيمة، منقبة، **ثم قال: «فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»** عظيمة يحلف وهو الصادق وإن لم يحلف، كونه يهتدي واحد على يد عليٍّ خير من جميع ما على الدنيا من ناقة حمراء يعني خيرٌ من الدنيا وما عليها، هذا يدل على فضل الدعوة إلى الله، وأنها من أهم القُرب، ومن أفضل الطاعات، والله يقول: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويقول النبي ﷺ: **«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**؛ يعني: يتخذ مكاناً من النار، هذا يدل على وجوب التبليغ عن الله ورسوله، وتبليغ الناس العلم القرآن والسُّنَّة؛ حتى يفهموا، حتى يتعلموا، حتى يستفيدوا بالقول والعمل، والسيرة **«وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»** في جواز الحديث عن بني إسرائيل أخبارهم؛ لأن فيها عجائب عندهم غرائب حدث عنهم، من بني إسرائيل، عن عبد الله بن عمرو، وعن كعب الأحبار، عن ابن عباس، عن غيرهم، من أخبارهم وما جرى عليهم من العقوبات والنقمات، وما أكرم الله ممن هداه الله منهم فيها عظة، فيها عبر، والحذر من الكذب عليه ﷺ، يجب الحذر، الكذب على النبي ﷺ من أكبر الكبائر، يجب الحذر من الكذب على النبي ﷺ.

ويقول ﷺ في الحديث الصحيح **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ**

مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً». ويقول ﷺ: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**» فاحرص على الخير؛ كُن داعية إلى الله؛ كُن طالباً للعلم كُن فقيهاً؛ كُن مجتهداً في الخير، ولو بالسفر إذا دعت الحاجة إلى السفر إلى عالم تسأله عن فائدة عن علم، سافر بعض الصحابة إلى بعضهم مسافات طويلة، إلى مصر وإلى الشام للسُؤال عن بعض الأحاديث، فالرحلة في طلب العلم أمر معروف عند الصحابة ومن بعدهم؛ ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**» «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»، «**لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» وبهذا تعلم الأدلة على طلب العلم، والتفقه في الدين، والتبصر، والصبر على التعب، تُعرف من هذه الأحاديث ومن غيرها من الأحاديث، ومن سيرة النبي ﷺ وما جرى عليه من التعب، والأذى في مكة، وفي الطائف، وفي غيرهما، فأنت واحد من الأمة لك شرف طلب العلم، والتفقه في الدين والدعوة إلى الله، فاصبر كما صبروا، وجاهد نفسك في ذلك، وتذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] وقوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢] هذه النصوص وما جاء في معناها تُعينك، وتُشجعك، وتُرغبك في الصبر على طلب العلم، والتفقه في الدين، والدعوة إلى الله، وإرشاد الناس إلى الخير بالعلم قولاً وعملاً لا بالجهل، بالعلم قولاً وعملاً.

وفّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

١٣٨٢ ـ **وعنه** أيضاً ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً». رواه مسلم[١].

١٣٨٣ ـ **وعنه** قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم[٢].

١٣٨٤ ـ **وعنه**، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً». رواه الترمذي[٣]، وقال: حديث حسن غريب.

□ قَوْله: (وَمَا وَالَاهُ): أيْ: طَاعة الله.

الشَّرْح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها الحث على العلم وتبليغه للناس وتخليفه وراءه لمن يستفيد منه، يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»[٤]، وهذا فيه فضل عظيم، يكون لك مثل أُجور من عمل بعلمه، إذا دللته على الخير؛ فالرسل عليهم الصلاة والسلام لهم مثل أتباعهم مثل أُجور أتباعهم؛ لأنهم دلوهم على الخير، هكذا نبينا ﷺ له مثل أُجور أُمته؛ لأنه دلَّها وأرشدها إلى الخير عليه الصلاة والسلام، فيكون له مثل أُجورها، وهكذا كل عالم وطالب علم أرشد إلى خير، كل

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى برقم (٢٦٧٤).
(٢) أخرجه في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته برقم (١٦٣١).
(٣) أخرجه في كتاب الزهد، باب في هوان الدنيا على الله ﷻ برقم (٢٣٢٢).
(٤) سبق تخريجه برقم (١٧٣) ج١.

مؤمن أرشد إلى خير يكون مثل أجره، يكون مثل أجر من هداه، واحد عاق لوالديه تنصحه حتى بر بوالديه يكون له مثلُ أجره، رجل يشرب الخمر فنصحه حتى هداه الله فله مثل أجره، رجل يتهاون بالصلاة فنصحه فحافظ عليها يكون له مثلُ أجره، وهكذا بقية الأعمال.

تقدم في حديث علي ﷺ يقول ﷺ: «**فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» فالمؤمن يجتهد في إيصال الخير إلى غيره، والدلالة على الخير بالآيات والأحاديث والكلام الطيب والأسلوب الحسن، والله يأجره، ويعطيه مثل أُجور من قبل منه.

ويقول ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، مثل الأوقاف مسجدٌ بناه، أو نخل غرسه، تصرف غلته في وجوه البر، مدرسة بناها، رباط بناه للمسلمين، الصدقة الجارية كثيرة؛ يعني: يحبس الأصل وتبقى الثمرة، فهكذا العلم الذي ينتفع به مثل الكُتب المفيدة، التي ألفها، مثل طلبة العلم الذين تخرجوا عليه، وانتفعوا بعلمه، يكون له مثل أُجورهم؛ لأنهم تخرجوا عليه، وهو دلَّهم، وأرشدهم، وهكذا الأولاد الصالحون ينفعون لوالديهم بالدعاء، سواءٌ رجل، أو أُنثى ولداً يشمل الذكر والأُنثى؛ يعني: بنت، أو ابن يدعو لوالده يترحم عليه، هذا ينفعه بعد الموت؛ وهكذا دعاء المؤمنين جميعاً حتى غير الولد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] فالدعاء للمؤمنين والترحم عليهم فيه أجر عظيم، وإن كنت لا تعرف أعيانهم، وإذا دعوت لوالديك ولقراباتك ولجيرانك كذلك أنت مأجور.

والحديث الثالث: يقول ﷺ «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا

ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً» مَلْعُونَةٌ؛ يعني: مذمومة بمعنى الذم، كما قال تعالى في شجرة الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٤] سمَّاها ملعونة؛ لأنها مذمومة فالمذموم يسمى ملعوناً، مسبوب، السب اللعن سواءٌ قال: فلان كذا أو فلان كذا يسمى سباً ولو ما قال: لعنهم لو قال: فلان بخيل، فلان جبان، فلان سيئ الخُلق، هذا نوع من اللعن، نوع من السب (إِلَّا ذِكْرَ الله) فليس مذموماً، (وَمَا وَالاهُ) من طاعة الله ورسوله فالمؤمنون ليسوا مذمومين ولا ملعونين، وهكذا العلماء العاملون والمتعلمون الصالحون كلهم يمدحون ولا يذمون.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٨٥ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ». رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن.

١٣٨٦ ـ وعن أَبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ». رواه الترمذي[2]، وقال: حديث حسن.

١٣٨٧ ـ وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «فَضْلُ العَالِم عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أدْنَاكُمْ» ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ

---

(١) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه، في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم برقم (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٦).

لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

❁ الشَّرح ❁

هذه الأحاديث وما جاء في معناها كلها تدل على فضل طلب العلم، والتفقه في الدين، وأنه ينبغي لكل مؤمن أن يحرص على طلب العلم، والتفقه في الدين، ولو لم يرد في هذا إلا قوله جلَّ وعلا: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فأهل العلم هم الشهداء مع الملائكة على وحدانية الله ﷻ، ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١] بين جلَّ وعلا أن الله يرفع الذين آمنوا والذين أُتوا العلم درجات، ويقول جلَّ وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»، «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ**» هذه الأحاديث العظيمة تدُل على فضل العلم، طلب العلم والتفقه في الدين.

وهكذا حديث «**مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ**» «**لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ**» فطلب العلم من الخير؛ لا يشبع العالم من طلب العلم؛ بل لم يزل في طلب العلم حتى يموت، هكذا طالب العلم، لا يشبع؛ بل لم يزل يطلب العلم ويتفقه في الدين، حتى يلحق بالله؛ لأن العلم ليس له نهاية مهما علمت سيفوتك أشياء غير ذلك.

---

(١) أخرجه في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٥).

وهكذا حديث «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ» هذه أشياء توجب للمؤمن الحرص، والرغبة في طلب العلم، والاجتهاد في تحصيله، ونفع الناس به، بعد أن ينتفع، ينتفع وينفع، يبدأ بالعمل ويجتهد في العمل، ينفع الناس بتوجيههم، وإرشادهم، وتعليمهم، يُريد ما عند الله جلَّ وعلا: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النِّعَمِ»، كما قال النبي ﷺ لعلي؛ كونه يهتدي على يديه واحد أو جماعة، خير عظيم «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» فالمؤمن يبذل وسعه ويحرص على التفقه في الدين والتعلم، وعلى بذل العلم والنصيحة للناس، توجيه الناس إلى الخير، أينما كان يُريد ثواب الله، يُريد أجراً، يُريد رضاه، أينما كان.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٣٨٨ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». رواه أبو داود والترمذي[١].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب فضل العلم برقم (٣٦٤١)، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٢).

١٣٨٩ ـ **وعن** ابن مسعودٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٣٩٠ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ». رواه أَبو داود والترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

١٣٩١ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبو داود[٣] بإسناد صحيح.

١٣٩٢ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأفْتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

---

(١) أخرجه في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحثّ على تبليغ السّماع برقم (٢٦٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كتمان العلم برقم (٢٦٤٩).

(٣) أخرجه في كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى برقم (٣٦٦٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، برقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزّمان برقم (٢٦٧٣).

﴿ الشَـرح ﴾

هذه الأحاديث الخمسة فيما يتعلق بفضل العلم، والترغيب فيه، وشدة حاجة الناس إليه، وما يقع من الخطر عند فقد العلماء، ووجوب الإخلاص في طلب العلم، والتوجه إلى الله في ذلك، وعدم إرادة الشهرة في الدنيا، تقدم حديث أبي هريرة فيما رواه مسلم في الصحيح **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ»**، وهكذا حديث أبي الدرداء المذكور **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ»** هذا فيه يبين أن طلب العلم من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار، في اللفظ الآخر: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ»** متفق على صحته.

وفي الحديث، **«وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ»**، تقدم **«كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»**، المقصود: أن هذه الأحاديث تدل على فضل العلم والعمل به وما للعلماء العاملين من الخير الكثير، والعلماء هم ورثة الأنبياء، كما قال ﷺ: **«وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يَوَرِّثُوا دِيناراً وَلَا دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ»** فالواجب على أهل العلم أن يبثوه في الناس، وأن ينشروه للناس، وأن يعلموا الناس، وأن يجتهدوا في ذلك، وأن يكونوا في ذلك مخلصين لله وحده، ويحذروا من الرياء والسُمعة.

حديث **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**؛ يَعْنِي: رِيحَهَا، هذا وعيد عظيم؛ كذلك إذا كتم العلم، يقول ﷺ: **«مَنْ سُئِلَ عن**

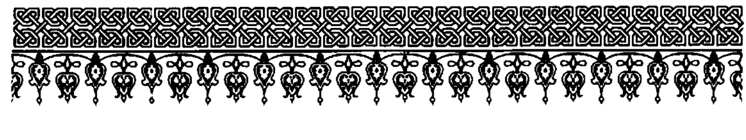
عِلْم فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَام مِنْ نَارٍ» ففي هذا الحث على بذل العلم، والدعوة إلى الله، وإرشاد الناس إلى الخير، وتعليمهم، وتوجيههم، وألا يبخل بالعلم، وأن يكون بذلك مخلصاً لله، يُريد وجه الله والدار الآخرة، فالمؤمن من شأنه الحرص على بذل العلم، وتوجيه الناس إلى الخير، والحرص على بيان ما يحتاجون إليه، والعلم إنما يُقبض بموت العلماء، إذا مات العلماء قُبض العلم، المصحف وكتب الحديث ما تعلم الناس إلا بواسطة العلم، بواسطة العلماء، فإذا فُقد من يأخذ العلم من القرآن والسُّنَّة، ويبلغه الناس، ذهب العلم.

ولهذا قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاسِ، ولكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتوا بِغَيْرِ عِلْم، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» وهذا يوجب على طالب العلم، وكل مؤمن الحرص على طلب العلم ما دام أهله موجودين، ولو بالسفر من بلاد إلى بلاد، من إقليم إلى إقليم لطلب العلم؛ كما سافر العلماء، والأخيار من عهد الصحابة إلى يومنا، طالب العلم لا يتقيد بقرية، أو بلد؛ بل يطلب العلم ولو في بلاد أُخرى، الحديث المشهور (اطلبوا العلم ولو في الصين)، هو حديث لا يصح بل هو موضوع؛ لكن المقصود أن الإنسان يطلب العلم، أين وجده، وأين ذُكر له، لا يكون كسولاً؛ يطلب العلم ويجتهد في تحصيله في أي جهة يجد فيها، العلم النافع، العلم الشرعي، أما علم الدنيا فذلك شيء آخر؛ لأهله الخيار فيها علم الطب، علم الرياضة، علم الحدادة، علم الزراعة، هذه أمور على حسب رغبة أهلها، من شاء تعلمها، ومن شاء تركها؛ لأنها فرض كفاية على المسلمين؛ لكنها بالنسبة إلى كل فرد إن شاء فعل، وإن شاء تركه؛ لكن علم الشريعة، علم أحكام الله، كيف تصلي، كيف تصوم، كيف تعبد ربك، تعرف الفرائض التي عليك

المحارم التي حرم الله عليك، هذه؛ لا بد منه، هذا علم واجب؛ لا بد أن يتعلمه المؤمن، العامي يسأل عن أهل العلم، طالب العلم يبذله في الناس، ويرشدهم، ويعلمهم بالمكاتبة، والخطابة، بالهاتف، بكل طريق يستطيع إيصال العلم، حتى ينتشر العلم، وحتى تُقام الحُجة، وتنقطع المعذرة

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.




كتَاب حَمد الله تَعَالَى وَشكره

٢٤٢ ـ بَابُ وجوب الشكر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

١٣٩٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ، أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ. فَقَالَ جِبريل: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ. رواه مسلم[1].

١٣٩٤ ـ **وعنه**، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدِ أَقْطَعُ». حديث حسن، رواه أبو داود[2] وغيره.

١٣٩٥ ـ **وعن** أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيقولون:

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] برقم (٣٣٩٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات برقم (١٦٨).

(٢) رواه في كتاب الأدب، باب في الهدي في الكلام برقم (٤٨٤٠) بلفظ أجذم، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح برقم (١٨٩٤)، وأحمد ٢/٣٥٩.

نَعَمْ، فيقول: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: ماذا قَالَ عَبْدِي؟ فَيقولون: حَمدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فيقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيتاً في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

١٣٩٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لَيرْضَى عنِ العَبْدِ يَأكُلُ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَة، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» رواه مسلم[٢].

الشَرح

فهذه الأحاديث والآيات كلها في الحث على الحمد والشكر لله عز وجل، على إنعامه وإحسانه، الله جلَّ وعلا هو المنعم على عباده بأنواع النعم في دينهم ودنياهم، فالمشروع لهم والواجب عليهم أن يشكروه سبحانه، وأن يحمدوه ويثنوا عليه بما أسداه إليهم وأحسن به إليهم من نعمه العظيمة من نعمة الدين والإسلام، من نعمة المال، ونعمة الأولاد وصحة وعافية، إلى غير ذلك، الله جلَّ وعلا قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، يقول تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وفي الحديث «كُلُّ أمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدأُ فِيهِ بِالحَمْدُ للهِ فَهُوَ أَقْطَعُ»؛ يعني: ناقص البركة، كذلك ما يروى في موت الجنين، يقول الله جلَّ وعلا: «ماذا قَالَ عَبْدِي؟ فَيقولون: حَمدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فيقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيتاً في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ».

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب فضل المصيبة إذا احتسب برقم (١٠٢١).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب برقم (٢٧٣٤).

ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**»، والأحاديث في الحمد والثناء لله كثيرة، فيستحب للمؤمن والمؤمنة الإكثار من ذلك، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**». أخرجه مسلم في الصحيح، ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، ويقول ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**». فالمشروع لك أيها المؤمن الإكثار من حمد الله والثناء عليه بتسبيحه وتقديسه، وهكذا قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، في الحديث الصحيح يقول ﷺ لأبي موسى: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**». قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[(١)]، وهذا اللسان سريع الحركة إن لم تشغله بالخير شغلك بالشر، فالحازم يحفظ هذا اللسان ويصونه أو يشغله بما يرضي الله، هو سريع الحركة بالغيبة والنميمة بالسب بالكذب بغير ذلك؛ لكن الحازم المؤمن يشغله بالخير، يشغله بالتسبيح بالتحميد بالتهليل بالتكبير بالاستغفار، قول: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، قراءة القرآن، الدعوة إلى الله إلى غير هذا يشغله بما ينفعه، نسأل الله للجميع التوفيق.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لا حول ولا قوة إلا بالله برقم (٦٤٠٩)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٢٧٠٤).



كتاب الصَّلاة عَلَى رَسُول الله ﷺ

٢٤٣ ـ بَابُ الأمر بالصلاة عَلَيْهِ وفضلها وبعض صيغها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

١٣٩٧ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ **أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً».** رواه مسلم(١).

١٣٩٨ ـ **وعن** ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ **أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً».** رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(٢).

١٣٩٩ ـ **وعن** أوس بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيَامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أرَمْتَ؟! قَالَ: يقولُ بَلِيتَ. قَالَ: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأرْضِ أجْسَادَ**

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذّن لمن سمعه ثمّ يصلّي على النّبيّ ﷺ ثمّ يسأل الله له الوسيلة برقم (٣٨٤)، وفي باب الصّلاة على النّبيّ ﷺ بعد التّشهّد برقم (٤٠٨).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصّلاة على النّبيّ ﷺ برقم (٤٨٤).

الأَنْبِيَاءِ». رواه أبو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

الشَّرح

هذه الآية الكريمة مع الأحاديث كلها تدل على فضل الصلاة على النبي ﷺ، وأنه ينبغي الإكثار منها، وأن مَنْ صَلَّى عَلَيْه واحدة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والصلاة من الله على عبده في الملأ الأعلى ورحمته إياه، ومنا الدعاء نقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، هكذا فسَّرها النبي ﷺ، فيشرع لنا الإكثار من ذلك في الليل والنهار في كل وقت، ولا سيما بعد الأذان، إذا أذن المؤذن قلت: لا إلـه إلا الله، أجبت المؤذن تقول: بعد لا إلـه إلا الله تصلي على النبي، تقول: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد إلخ، ثم تقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ**»، يقول النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»، فينبغي الإكثار من الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة برقم (١٠٤٧).

ويقول ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً»، أَوْلَى النَّاسِ بالنبي ﷺ أَكْثَرُهُمْ عليه صلاة، عن إيمان به وعن محبة له عليه الصلاة والسلام، واتباع لشريعته.

ويقول ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ» في اللفظ الآخر «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا» «فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». (قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ)؛ يعني: أرممت؛ يعني: بليت قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ» روحه في أعلى العليين، ومن صلى عليه وسلم عليه ترد عليه روحه حتى يرد عليه السلام كما قال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ» ممكناً أن تحمل الملائكة الصلاة عليه إليه عليه الصلاة والسلام، فإنه ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[1].

فالإكثار من الصلاة عليه والسلام عليه يبلغ إياه عليه الصلاة والسلام، ويرد على من سلَّم عليه، فينبغي الإكثار من ذلك على ما جاء في الأحاديث الصحيحة في صفة الصلاة عليه بيَّنها ﷺ بقوله: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» هذه صفة

---

(١) أخرجه النسائي من حديث عبد الله رضي الله عنه في كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ برقم (١٢٨٢)، وأحمد ١/ ٣٨٧.

الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام، أما السلام فقد بيَّنه **السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**؛ ولهذا لما علَّمهم الصلاة، فقال: «**أما السلام فقد علمتم**» وهو أن يقول الإنسان: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أو السَّلَامُ عَلى النبي محمد وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، المقصود: أنه علَّمنا كيف نصلي وكيف نسلم عليه الصلاة والسلام، صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وأصحابه.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٠٠ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»**. رواه الترمذي[1] وقال: حديث حسن.

١٤٠١ ـ وعنه رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**. رواه أَبو داود[2] بإسنادٍ صحيح.

١٤٠٢ ـ وعنه؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ». رواه أَبو داود[3] بإسنادٍ صحيح.

❁ الشَّرح ❁

قد سبق بعض الأدلة على شرعية الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، فالصلاة والسلام عليه عبادة متأكدة دائماً، يشرع الصلاة عليه والسلام عليه كثيراً في جميع الأوقات عليه الصلاة والسلام؛ ولكن تتأكد في

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «**رغم أنف رجلٍ**» برقم (٣٥٤٥).

(٢) أخرجه في كتاب المناسك، باب زيارة القبور برقم (٢٠٤٢).

(٣) أخرجه في كتاب المناسك، باب زيارة القبور برقم (٢٠٤١).

مواقع تجب في الفريضة والنافلة والتشهد الأخير عند جمع من أهل العلم، وتشرع بتأكد بعد الأذان إذا فرغ المؤذن، وأجاب دعوة المؤذن يصلي على النبي ﷺ، ثم يقول: **«اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ»**.

وهكذا عند ذكره ﷺ تجب عند جمع من أهل العلم؛ لقوله ﷺ: **«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»**، **«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»**، في رواية يقول جبريل: **«قَالَ: يا محمد رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ قُلْ آمِينَ فَقُلْتُ: آمِينَ»**، هذا يدل على الوجوب، وهكذا قوله ﷺ: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**، فهذا فيه الحث والتحريض على الصلاة والسلام عليه حياً وميتاً عليه الصلاة والسلام، والصلاة عليه من الله ثناؤه عليه عند الملأ الأعلى، ثناؤه عليه ورحمته إياه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ويقول ﷺ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»**، وهذا يحتمل إذا رُدَّ عليه مشافهة أو بواسطة الملائكة، كما في الحديث الصحيح **«إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»** اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلم، فالمشروع للمؤمن الإكثار من الصلاة والسلام عليه في جميع الأوقات، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله ﷻ، وفي هذا أيضاً شكرٌ لله على هذه النعمة العظيمة وهي بعثة محمد ﷺ وتبليغه لنا الرسالة والقيام بما يحبه الله ويرضاه، فمن حقه علينا أن نصلي عليه ونسلم عليه، عليه الصلاة والسلام، وأن نحبه المحبة الصادقة بكل قلوبنا محبة تليق بمقامه عليه الصلاة والسلام تقتضي اتباعه والاستقامة

على دينه، محبة تابعة لمحبة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١]، ويقول ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[٢].

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٠٣ ـ وعن عليّ ؓ، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه الترمذي[٣] وقال: حديث حسن صحيح.

١٤٠٤ ـ وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ؓ، قَالَ: سَمِعَ رسُولُ الله ﷺ، رَجُلاً يَدْعُو في صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «عَجِلَ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ ـ أَوْ لِغَيْرِهِ ـ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ ﷺ،

---

(١) متفق عليه. من حديث أنس ؓ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان برقم (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين برقم (٤٤).

(٢) متفق عليه. من حديث أنس ؓ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان برقم (١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم (٤٣).

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل» برقم (٣٥٤٦).

ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ». رواه أبو داود والترمذي[١]، وقال: حديث حسن صحيح

١٤٠٥ ـ وعن أَبي محمدٍ كعبِ بن عُجْرَة ﷺ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْك، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّك حَمِيدٌ مَجْيدٌ». متفقٌ عَلَيهِ[٢].

الشَــرح

هذه الأحاديث الثلاثة في شرعية الصلاة على النبي ﷺ والإكثار منها، ولا سيما أمام الدعاء قُدّام الدعاء وفي آخر الصلاة، يقول ﷺ: «البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» الصلاة على النبي ﷺ من أفضل القربات ومن أفضل الطاعات في جميع الأوقات.

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام لما (سَمِعَ رسُولُ الله ﷺ، رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «عَجِلَ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ ـ أَوْ لِغَيْرِهِ ـ: «إذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»)، فالسُّنَّة أمام الدعاء أن يثني على الله، كما جاء في التحيات، فإن التحية ثناء، ثم بعدها الصلاة على النبي ﷺ ثم الدعاء، هكذا إذا أراد أن يدعو في سجوده وفي أي وقت من الأوقات:

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٨١)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٦٥) برقم (٣٤٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ... برقم (٣٣٧٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد برقم (٤٠٦).

يحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو ربه بما شاء، هذه المقدمة من أسباب الإجابة.

وفي حديث كعب بن عجرة وغيره من حديث أبي حميد الساعدي وأبي مسعود الأنصاري وغيرهم؛ أنهم سألوا الرسول ﷺ قالوا: (يا رسول أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ) قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عُلِّمْتُمْ»**. هذا أكمل الروايات محمد وآل محمد وإبراهيم وآل إبراهيم في التبريك والصلاة، هذا هو أكملها، وفي بعض الروايات حذف إبراهيم وبقاء آل إبراهيم وفي بعضها حذف آل إبراهيم وبقاء إبراهيم، كلها ثابته عن النبي ﷺ: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**، وفي بعضها **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**، هكذا في الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي، وفي رواية مسلم **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»** كلها سُنَّة كلها طيب، أي لفظ أتى به المؤمن حصل به المطلوب أمام الدعاء بعد الثناء على الله يأتي بنوع

من هذه الأنواع التي جاءت عن النبي ﷺ، وهذه المقدمة تكون من أسباب الإجابة سواءٌ كان الداعي في الصلاة أو في خارج الصلاة.

وفَّق الله الجميع.

❀ ❀ ❀

١٤٠٦ - وعن أَبي مسعودٍ البدري رضي الله عنه، قَالَ: أَتَانَا رسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَحنُ في مَجْلِسِ سَعدِ بن عُبَادَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ بَشيرُ بْنُ سَعدٍ: أَمَرَنَا الله تَعَالَى أنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْت عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ». رواه مسلم[1].

١٤٠٧ - وعن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قالوا: يَا رسولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ». متفقٌ عَلَيهِ[2].

❀ الشَّـرح ❀

قد أمر الله جلَّ وعلا عباده أن يصلوا على نبيِّه عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد برقم (٤٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب هل يصلّى على غير النبي ﷺ برقم (٦٣٦٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد برقم (٤٠٧).

عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فسأله الصحابة ﭬ قالوا: (**يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟**) فَسَكَتَ والله أعلم لأجل الوحي حتى يأتيه الوحي؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] ثُمَّ قَالَ لهم: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ**»؛ يعني: علمهم كما أمر قُولُوا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**»، في الرواية الأخرى «**آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْت عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، وفي حديث أبي حميد «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**» في اللفظ الآخر: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ**»، هذا السُّنَّة في الصلاة وخارجها، يقول هكذا: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ**» كلها أنواع من الصلاة عليه إذا أتى بنوع حصل المطلوب: محمد وآل محمد وإبراهيم وآل إبراهيم، هذا أكملها: محمد وآل محمد وإِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ في التبريك والصلاة جميعاً، هذا أكملها أن يقول: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**». هذا أكمل الروايات، وإذا أتى بنوع آخر «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ**»

لا بأس، أو قال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ. وبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ**» فلا بأس هذا نوع، أو قال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ**» كله طيب كله أنواع.

والمراد بالآل: آل النبي أزواجه وذريته وأتباعه على دينه، وهكذا إبْرَاهِيمَ وآلِ إبْرَاهِيمَ: آلِ إبْرَاهِيمَ أتباع إبراهيم على دينه، يدعو لهم، أن الله يثني عليهم ويكرمهم ويرحمهم، الصلاة من الله على العبد تشمل الثناء عليه والإحسان إليه ورحمته وإدخاله الجنة، كلها دعوة بالصلاة عليه الصلاة من الله على عباده ثناؤه عليهم ورحمته إياهم وإحسانه إليهم، فأنت تسأل ربك أن الله يصلي على نبيك؛ يعني: يثني عليه ويكرم منزلته ويرفع درجاته عليه الصلاة والسلام.

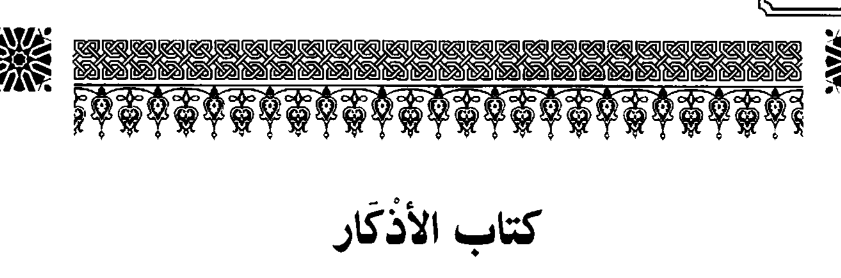
وهذا يقال في التشهد الأخير، وإن قال في التشهد الأول فلا بأس حسن أفضل في التشهد الأول؛ ولكن في التشهد الأخير، يجب أن يأتي به في التشهد الأخير ثم يدعو «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَالِ**».

قال: «**وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**» السلام؛ يعني: في أولها التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، هذا السلام الذي عُلمنا سابقاً، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، هذا نزل قبل ثم جاءت الصلاة بعده، فالمؤمن يجمع بينهما بين السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثم بعد الشهادتين يقول:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ» جمعاً بين الأمرين؛ ولهذا قال ﷺ: «وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»؛ يعني: في أول التحيات.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁



كتاب الأذْكَار

٢٤٤ - بَابُ فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] الآية. والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

١٤٠٨ - **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

١٤٠٩ - **وعنه** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح برقم (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩٤).

طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». رواه مسلم[١].

١٤١٠ ـ وعنه؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إلـهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، في يَوْم مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ».

وقال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، في يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ كلها تدل على فضل الذكر، وأنه ينبغي للمؤمن أن يعمر أوقاته بذكر الله، في بيته، وفي الطريق، وفي سوقه، وفي مسجده وفي غير ذلك يكون معمور الوقت بالذكر طليق اللسان بالذكر؛ لأن الله جلَّ وعلا شرع ذلك وأمر به. ورسوله ﷺ كذلك أوصى بذلك وحرَّض عليه ولأنه ضد الغفلة، الغافلون هم أهل النار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] المؤمن لا يكون مثلهم بل

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب، بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٩٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩١).

يشغل وقته بذكر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة في الحث على الذكر والترغيب فيه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم**» ينبغي الإكثار منهما «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**». هذه **أَحَبُّ الكَلَام** «**سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**»، وقال أيضاً «**البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

ويقول ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» هذا فضل عظيم وخير كبير.

ويقول ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، في يَوْم مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ**»؛ يعني: يعتقها «**وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِك حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**» ينبغي الإتيان بهذا وأن يحافظ على هذا مائة مرة كل يوم «**لا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» إذا قال في الصباح يكون أحسن حتى

يستوفي اليوم كله، يقولها في الصباح حتى يحصل السلام في هذا اليوم كله.

في اللفظ الآخر «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**» هذا في فضل التسبيح أيضاً، «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**» مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العظيم وبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ فيها الوعد بتكفير الخطايا، وهذا عند أهل العلم مُقيد باجتناب الكبائر، النصوص المُطلقة تحمل على المقيدة، قال تَعالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**».

فينبغي للمؤمن الحذر من الكبائر؛ بل يجب عليه الحذر من كبائر الذنوب؛ لأنها تمنع المغفرة إلا لمن تاب منها، ويجتهد في أنواع الخير وأعمال الخير، لما فيها من الحسنات العظيمة، وإطلاق اللسان بالذكر والبعد عن مشابهة الغافلين.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤١١ ـ وعن أبي أيوب الأنصاريِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ. كَانَ كَمَنْ أعْتَقَ أرْبَعَةَ أنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التهليل برقم (٦٤٠٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩٣).

١٤١٢ ـ **وعن** أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». رواه مسلم[1].

١٤١٣ ـ **وعن** أَبي مالك الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ». رواه مسلم[2].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة من جملة الأحاديث الواردة في الذكر، والذكر من أفضل القربات، وأفضل الذكر القرآن الكريم، أفضل الذكر قراءة القرآن بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] فهو أفضل الذكر، وقال عليه الصلاة والسلام: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ».

حديث أبي ذر «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ».

ويقول ﷺ في حديث أبي أيوب: «مَنْ قَالَ: لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ. كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» هذا فضل عظيم، يدل على أن كثرة الذكر يعادل العتق، في حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «مَنْ قَالَ: لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل سبحان الله وبحمده برقم (٢٧٣١).
(٢) أخرجه في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣).

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، في يَوْم مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ»؛ يعني: يعتقها «**وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**».

كما تقدم ففي هذا الحث والتحريض على الإكثار من الذكر ويقول ﷺ: «**البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، سبق قوله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم**»، يكثر منه: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم**»، «**سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، هكذا «**لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ**». وكل يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كل هذا فضل عظيم.

في حديث أبي مالك الأشعري: يقول رسولُ الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ**»، الطُّهُورُ؛ يعني: الغسل والوضوء الطهارة من الأحداث والأخباس شَطْرُ الإيمانِ؛ يعني: نصف الإيمانِ، فإن الإيمان نصفان: نصف ظاهر ونصف يعتمد القلب بالطهارة الإيمانية، فالطهور الظاهر الوضوء والغُسل، والطهور المتعلق بالعقيدة هو الإيمان، إخلاص العبادة لله، هو الإيمان بالله وحده، وأنه المستحق العبادة، هذا نصف وهذا نصف، والطُّهُورُ: طهارة ظاهرة في الغُسل والوضوء، والتوحيد طهارة معنوية تطهر أعماله. «**وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ وسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ**»؛ يعني: تملآن الميزان، ففي هذا الحث على التحميد والتسبيح، «**سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ**

وَالأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»؛ يعني: حجة لك إن عملت به، وحجة عليك إن لم تعمل به «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

الناس في بيع؛ لكن من قدم الأعمال الصالحة واستقام على دين الله، فقد اشترى نفسه وأعتقها، ومن تساهل بركوب السيئات والتساهل بالحسنات فهو أوبقها وأهلكها، لا حول ولا قوة إلا بالله.

وفّق الله الجميع.

* * *

١٤١٤ ـ وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أعْرَابيٌّ إلَى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَاماً أَقُولُهُ. قَالَ: «قُلْ: لَا إلـهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أكْبَرُ كَبِيراً، وَالحَمْدُ للهِ كَثيراً، وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالِمينَ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ» قَالَ: فهؤُلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي». رواه مسلم[1].

١٤١٥ ـ وعن ثَوبانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثَاً، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإكْرَامِ» قِيلَ لِلأوْزَاعِيِّ ـ وَهُوَ أحَدُ رواة الحديث ـ: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: يقول: أسْتَغْفِرُ اللهَ، أسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم[2].

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التّهليل والتّسبيح والدّعاء برقم (٢٦٩٦).

(٢) أخرجه في كتاب المساجد، باب استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته برقم (٥٩١).

١٤١٦ ـ وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ». متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الشَّرح

فهذه الأحاديث في فضل الذكر، والذكر مشروع دائماً في جميع الأوقات، وهناك ذكر مخصوص بعد الصلوات الخمس، يبدؤه بقوله: أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» هذا أول شيء بعد ما يسلم الإمام والمأموم والمنفرد، يقول كل واحد: أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» ثم ينصرف الإمام إلى الناس، إذا كان إمام ينصرف إلى الناس بعد هذا، ويقول الجميع: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، كما جاء في حديث ابن الزبير «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ» ويزيد «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ».

كما في حديث المغيرة كل هذا بعد السلام، أول شيء أَسْتَغْفِرُ اللهَ ثلاثاً يقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ، «اللَّهُمَّ أَنْتَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة برقم (٨٤٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته برقم (٥٩٣).

السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام»، ثم يقول بعدها: «لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» دلَّ على هذا حديث ثوبان وحديث المغيرة وحديث ابن الزبير.

ويستحب مع هذا أن يقول «سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ مَرَّةً»، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، ويزيد «لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» تمام المئة، «سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» الجميع تسع وتسعون مرة، ويختم المئة بقوله: «لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، ويأتي أيضاً بعد هذا بآية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ثم يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين مرة واحدة بعد الظهر والعصر والعشاء، وثلاث مرات بعد المغرب والفجر، هكذا السُّنَّة فيها عقب الصلوات الخمس، وفي سؤال الأعرابي له لما سأله، يقول له: ماذا يعلمه فيما يرضي الله، قال: تقول: «لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

في الحديث الآخر يقول ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ». ويقول عليه الصلاة والسلام: «البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله العَلِي العَظِيم» هذه كلها في جميع

الأوقات، هذه التسبيحات في جميع الأوقات، في كل وقت: «**سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ**» كل ذلك خير كثير، ويقول لنفسه: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**» أو يزيد «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**» كل هذا دعوات طيبة، وإذا دعا بها بين السجدتين كذلك جاءت أيضاً في أحاديث أخرى.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤١٧ ـ **وعن** عبدِ الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله تَعَالَى عنهما؛ **أَنَّه كَانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، حِيْنَ يُسَلِّمُ: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ» قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ.** رواه مسلم[1].

١٤١٨ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ **أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ. فَقَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُون أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا من صَنَعَ مِثْلَ مَا**

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته برقم (٥٩٤).

صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلاثاً وَثلاثِينَ» قَالَ أَبُو صالح الراوي عن أبي هريرة، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ قَالَ: يقول: سُبْحَان اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ واللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ. متفقٌ عَلَيهِ[1].

📖 وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَراءُ المُهَاجِرِينَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

(الدُّثُورُ): جمع دَثْر ـ بفتح الدال وإسكان الثاء المثلثة ـ وَهُوَ: المال الكثير.

١٤١٩ ـ وعنه، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاثاً وَثَلَاثِينَ، وقال تَمَامَ المِئَةِ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». رواه مسلم[2].

﴿ الشَّرح ﴾

فهذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق في الذكر عقب الصلوات الخمس، قد بيَّن النبي ﷺ في الأحاديث الكثيرة صفة الأذكار التي تقال بعد السلام من الفريضة، تقدم في حديث ثوبان؛ أنه يقول أول ما يسلم: **«أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»** هذا أول ما يسلم من الفرائض الخمس قبل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة برقم (٨٤٣)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته برقم (٥٩٥).

(٢) أخرجه في كتاب المساجد، باب استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته برقم (٥٩٧).

أن ينصرف إلى الناس، يقوله الإمام قبل أن ينصرف إلى الناس، ويقولها المأموم، ويقولها المنفرد، ثم يقول: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**» لحديث ابن الزبير؛ أنه سمع النبي يقول ذلك بعد الصلاة، وهكذا يقول: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**» لما تقدم من حديث المُغيرة بن شعبة، هذه الأذكار بعد الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر يستغفر ثلاثاً أولاً، ثم يقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**» ثم يقول: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**» ثم يأتي أيضاً بالتسبيح والتهليل والتكبير ثلاثاً وثلاثين.

كما علَّم النبي ﷺ فقراء المهاجرين يقول: «**سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ وَاللهُ أَكْبَرُ**»، ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مرة بعد كل فريضة، ويقول تمام المئة: **لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» من ثواب ذلك أن تغفر خطاياه «**وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**» إذا كان لم يصرَّ على كبيرة، إذا كان لم يصرَّ على كبيرة، كما في الأحاديث الأُخرى غفر الله له ذنوبه وإن كثرت الصغائر، كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ يعني: الصغائر ﴿وَنُدْخِلْكُم

مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، أما الكبائر؛ كالزنى وشرب الخمر والعقوق، هذه تحتاج إلى توبة، لا بد من توبة نسأل الله السلامة والعافية.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٢٠ ـ وعن كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: «مُعَقِّباتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ ـ أَوْ فَاعِلُهُنَّ ـ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلَاثٌ وثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً». رواه مسلم(١).

١٤٢١ ـ وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه؛ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ الصَّلَواتِ بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ أنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ». رواه البخاري(٢).

١٤٢٢ ـ وعن معاذ رضي الله عنه؛ أن رسُولَ اللهِ ﷺ، أخذ بيده، وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ» فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاة تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». رواه أبو داود(٣) بإسناد صحيح.

١٤٢٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا تَشَهَّدَ

---

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته برقم (٥٩٦).

(٢) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوّذ من الجبن برقم (٢٨٢٢)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء النّبيّ ﷺ وتعوّذه دبر كلّ صلاةٍ برقم (٣٥٦٧).

(٣) أخرجه في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار برقم (١٥٢٢)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب (٦٠) نوع آخر من الدعاء برقم (١٣٠٣).

أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ». رواه مسلم(١).

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة في الأذكار والأدعية التي تقال في آخر الصلاة، بعضها قبل السلام وبعضها بعد السلام، مما يقال قبل السلام وأوصى به النبي معاذاً في التشهد الأخير **«اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»** وإذا دعا بذلك في سجوده أو في غير ذلك كله طيب، قال النَّبيُّ لمُعاذ: **«يا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاة تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**.

ومن ذلك حديث **سعد بن أبي وقاص**، كان النَّبيُّ يقول في دبر الصلاة قبل أن يسلم يتعوذ من هذه المسائل الخمس: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ»** رواه البخاري.

ومما يقال بعد السلام هذه التسبيحات، قال ﷺ: **«مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلَاثٌ وثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً»** يستحب بعد أن يسلم **«سُبْحَانَ اللهِ ثَلَاثاً وثَلَاثِينَ، وَالحَمْدُ للهِ ثَلَاثاً وثَلَاثِينَ، واللهُ أَكْبَرُ أَرْبَعاً**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر برقم (١٣٧٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة برقم (٥٨٨)، واللفظ له.

وَثَلاثِينَ» هذه مئة، وفي الرواية الأُخرى: يجعل التكبير مثل التسبيح والتحميد ثلاثاً وثلاثين، ويختم المئة بـ «**لا إِلـٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» هذا نوع وهذا نوع، نوع يكون تمام المئة: لا إِلـٰهَ إِلَّا اللهُ، ونوع يكون تمام المئة أربعاً وثلاثين تكبيرة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وثلاثاً وثلاثين تحميدة، المشروع للمؤمن أن يتحرى هذه يتحرى يحرص عليها، كما علَّمها النَّبي أصحابه، فأنت أيضاً تحرص عليها حتى تفعل ما شرعه نبيك عليه الصلاة والسلام، وأرشد إليه عليه الصلاة والسلام.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٢٤ ـ وعن عليٍّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، **إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلـٰهَ إِلَّا أَنْتَ»**. رواه مسلم(١).

١٤٢٥ ـ وعن عائشة ﷺ، قالت: **كَانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»** متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

١٤٢٦ ـ وعنها؛ أَنَّ رسول الله ﷺ **كَانَ يقولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ:**

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع برقم (٧٩٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

«سبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». رواه مسلم(١).

١٤٢٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عز وجل، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». رواه مسلم(٢).

الشَّرح

فهذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالدعاء والذكر، في الصلاة وفي السجود، وفي آخر الصلاة، الصلاة عبادة عظيمة وهي عمود الإسلام، وهي مشتملة على أذكار قولية وفعلية وعلى دعوات كثيرة، فهي أفضل الأعمال وأعظم الواجبات بعد الشهادتين؛ لما اشتملت عليه من الفضائل العظيمة، والعبادات المتنوعة، ولما فيها من الخضوع لله والذل بين يديه والانكسار، من ذلك أنه ﷺ كان يقول في آخر الصلاة قبل أن يسلم: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»**. هذه من أفضل الدعاء في آخر الصلاة قبل أن يسلم. وعلّم معاذاً رضي الله عنه أن يقول: **«أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»** في آخر الصلاة، وأمر المسلمين إذا تشهدوا في التشهد الأخير أن يستعيذوا بالله من أربع: من عذاب جهنم، من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا، ومن فتنة الممات، ومن فتنة المسيح الدجال، كل هذا مشروع ويدعو بغير

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٧).

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود برقم (٤٧٩).

هذا، ومن دعائه ﷺ في الصلاة الذي علمه الصديق قال: يا رسول الله عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»[١].

وكان يقول في السجود عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»[٢]، ويقول: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» في الركوع والسجود، ويقول: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» في السجود والركوع جميعاً، هذا مما يستحب ويشرع في الركوع والسجود.

ويقول ﷺ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» فقمن؛ يعني: حري أن يستجاب لكم. رواه مسلم في الصحيح، وروى مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة ؓ يقول ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» يستحب الإكثار من الدعاء في السجود، الدعوات الجامعة مثل: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[٣]، مثل: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ»، مثل: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ».

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٤٧٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ، في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٣).

(٣) يأتي تخريجه برقم (١٤٨٩).

وكان من دعائه أيضاً في آخر الصلاة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا** ـ يَعْنِي: فِتْنَةَ الدَّجَّالِ ـ **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» أخرجه البخاري في الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص(١)؛ فالمؤمن يتحرى الأدعية في سجوده وفي آخر الصلاة، ويقول ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**» هذا نص عظيم رواه مسلم في الصحيح يدل على أن الدعاء في السجود من أفضل الدعاء وهو حري بالإجابة؛ لأنه وقت خضوع ووقت انكسار، فصاحبه حري بأن تجاب دعوته؛ وليس هناك مانع من دعوات أخرى يدعو بها الإنسان إذا احتاج إليها ولو كانت غير منقولة مثل أن يقول: اللَّهُمَّ أصلح لي ذريتي، اللَّهُمَّ أصلح زوجتي، اللَّهُمَّ اغفر لي وللمسلمين وما أشبه ذلك دعوات طيبة ولو ما كانت منقولة، اللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل، اللَّهُمَّ ارزقني الرزق الحلال، وما أشبه من الدعوات التي يحتاجها، اللَّهُمَّ يسر لي وظيفة مناسبة، اللَّهُمَّ يسر لي زوجة صالحة. المقصود لا حرج يدعو بدعوات طيبة في سجوده، وآخر الصلاة وإن لم تكن منقولة؛ لكن العناية بالمنقول أوجه، الإنسان يعتني بالمنقول بالدعوات المنقولة المروية عن النبي ﷺ الثابتة، تكون العناية بها أيضاً لها مزية يعتني بها يحرص عليها؛ لكن مع الدعوات الأخرى التي يحتاجها.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٢٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «أَقْرَبُ مَا

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب التعوذ من البخل برقم (٦٣٧٠).

يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رواه مسلم[١].

١٤٢٩ ـ **وعنه**؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ في سجودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ». رواه مسلم[٢].

١٤٣٠ ـ **وعن** عائشة ﵂، قالت: افْتَقَدْتُ النَّبيَّ ﷺ، ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَتَحَسَّسْتُ، فإذا هُوَ راكِعٌ ـ أَوْ سَاجِدٌ ـ يقولُ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إلٰهَ إِلَّا أنت».

📖 وفي روايةٍ: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ في المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». رواه مسلم[٣].

١٤٣١ ـ **وعن** سعد بن أَبي وقاصٍ ﵁ قَالَ: كنا عِنْدَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: «أيعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يوم أَلْفَ حَسَنَةٍ!» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ ألفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ». رواه مسلم[٤].

📖 قَالَ الحُمَيْدِيُّ: كذا هُوَ في كتاب مسلم: أَوْ يُحَطُّ: قَالَ البَرْقاني: ورواه شُعْبَةُ وأبو عَوَانَة، وَيَحْيَى القَطَّانُ، عن موسى الَّذِي رواه مسلم من جهتِهِ فقالوا: «ويحط» بغير أَلِفٍ.

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٢).
(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٣).
(٣) أخرجه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٦).
(٤) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التّهليل والتّسبيح والدّعاء برقم (٢٦٩٨).

الشَّرح

فهذه الأحاديث في فضل الذكر والدعاء، تقدم جملة من الأحاديث في فضل الذكر والدعاء، وينبغي للمؤمن أن تكون أوقاته معمورة بالذكر والدعاء، وأعظم الذكر وأفضله قراءة القرآن، فهو أفضل الذكر، وأعظم الذكر، له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، وهكذا بقية الذكر مثل: سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير، ينبغي للمؤمن أن يكثر من الذكر وأن يعمر أوقاته بالذكر.

تقول عائشة رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ.

يعني: في جميع أحيانه، ومن الذكر ومن الدعاء الوارد في الأحاديث الصحيحة قوله ﷺ: **«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»**[1] هذا يدل على الإلحاح في الدعاء والإكثار في السجود؛ لأنه وقت خضوع وذل وانكسار لله، هو أقرب ما يكون العبد من ربه في هذه الحالة، حالة الذل والخضوع والانكسار، وكان يقول في سجوده عليه الصلاة والسلام: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»** هذا من دعائه في سجوده.

وتقول عائشة رضي الله عنها أنها فقدته ذات ليلة فوجدته يصلي ليلاً ويقول في سجوده: **«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»** هذا من التعوذات الشرعية العظيمة؛ فالإنسان يتعوذ بهذه التعوذات الشرعية: **«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٤٩٨).

لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقول ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ»، ويقول ﷺ: «البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»، ويقول ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: (كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟) قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ» والحسنة بعشر أمثالها.

«أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»، فإذا قال: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حصل له آلاف إذا كررها مائة أو أكثر وليس لها حد محدود يكرر ما شاء كلما كرر زاد الأجر، ويستحب له أن يقول مائة مرة صباح ومساء: سبحان الله وبحمده مائة مرة، أو سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا ذكر لا إلـه إلا الله يكرر مائة مرة، يقول ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[1]؛ فهذا يدل على فضل هذه الكلمات مع قلتها وخفتها وتيسرها فضلها عظيم.

وفق الله الجميع.

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٤١٠).

١٤٣٢ ـ وعن أبي ذر ﷺ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قالَ: «يُصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقةٌ: فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقةٌ، وَكُلُّ تَحْميدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيجْزئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى». رواه مسلم[1].

١٤٣٣ ـ وعن أم المؤمنين جُويْرِيَةَ بنت الحارث ﷺ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ في مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أنْ أضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ الَّتي فَارقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». رواه مسلم[2].

📖 وفي روايةٍ لَهُ: «سُبْحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

📖 وفي رواية الترمذي: «ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا؟ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ؛ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة الضحى وأنّ أقلّها ركعتان وأكملها ثمان ركعاتٍ وأوسطها أربع ركعاتٍ أو ستٌّ والحثّ على المحافظة عليها برقم (٧٢٠).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم برقم (٢٧٢٦).

كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[١].

١٤٣٤ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ». رواه البخاري[٢].

ورواه مسلم فَقَالَ: «مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ».

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالذكر، وتقدم في ذلك آيات وأحاديث كلها تدل على فضل الذكر وأنه يشرع للمؤمن أن يلازم الذكر وأن يكثر منه في بيته وفي سوقه وفي طريقه، وفي مسجده، وفي أي مكان، قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ، ويقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، قال جلَّ وعلا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التسبيح بالحصى برقم (١٥٠٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ برقم (٣٥٥٥)، والنسائي في كتاب التطبيق، باب نوع آخر من عدد التسبيح برقم (١٣٥٢)، قال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل برقم (٦٤٠٧)، واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد برقم (٧٧٩).

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، فالمشروع للمؤمن أينما كان الإكثار من ذكر الله بالتسبيح، بالتهليل والتحميد والتكبير والاستغفار والدعاء وسائر أنواع الذكر.

وفي هذا الحديث، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، يقول النبي ﷺ: **«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى»** سلامى؛ يعني: مفصل على كل مفصل، والإنسان فيه ثلاثمائة وستون مفصلاً. جاء في الحديث الصحيح: **«إِنَّه خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ آدَمَ عَلَى سِتِّين وَثَلَاثِمائَةِ مَفْصِل»** كما جاء في حديث عائشة عند مسلم[1].

فإذا سبَّح الله وحمد الله وكبَّر الله وقال: لا إلـٰه إلا الله، وأمر بالمعروف، ونهى عن منكر بعدد هذه السلاميات أمسى وقد زحزح نفسه من النار فإن إتيانه بهذه الأذكار بهذا العدد من أسباب خلاصه من النار وتكفير السيئات.

قال ﷺ: **«وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»**. هذه فضل هاتين الركعتين وأن هاتين الركعتين تقوم مقام هذه الخصال كونه يسبِّح ويحمد، ويكبِّر ويهلِّل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إذا صلى ركعتين أدت هاتان الركعتان هذه الأجور التي تتعلق بالسلاميات، فإذا ضم إلى ذلك التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وغيرها من وجوه الخير ضم خيراً إلى خير، وضم أسباب هدى إلى أسباب هدى، والتوفيق بيد الله جلَّ وعلا؛ لكن المؤمن يشرع له أن يعتني بهذا ويكثر من هذا يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله ﷻ، ولو لم يكن في هذا من الفائدة إلا أن الله جلَّ وعلا يحفظه من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]؛ فالغافل تسلط عليه الشياطين والذاكر يحرز نفسه.

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٧).

وفي الحديث الثاني: أنه ﷺ خرج من عند جويرية بنت الحارث أم المؤمنين بعد الفجر وهي في مسجدها في مصلاها ثم رجع إليها ضحًى وهي كذلك فقال: «**مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا**». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**». يستحب الإكثار من هذا: سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، هذا خير عظيم وفضل عظيم. ينبغي الإكثار من ذلك؛ لأن الكلمات قليلة والفضل عظيم، فينبغي للمؤمن أن يكثر من هذا الخير، وأن يعود نفسه على الخير رجاء ما عند الله من المثوبة.

كذلك حديث أبي موسى الأشعري ؓ يقول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُه مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»؛ يعني: الغافل مثل الميت والذاكر مثل الحي فرق بينهما، في لفظ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»؛ فالغافلون مشبهون بالأموات والذاكرون هم الأحياء في الحقيقة نفعوا أنفسهم، فالأحياء في الحقيقة هم أهل الذكر، والأموات في الحقيقة هم أهل الغفلة، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]؛ يعني: أكثر الناس أكثر الخلق كالأنعام؛ لكن الذاكر يخرج عن صفة الغافلين والبهائم، فيكون في ضمن الذاكرين وفي نظام أهل اليقظة والانتباه فيكون له هذا الخير العظيم.

نسأل الله للجميع التوفيق وصلاح النية والعمل.

❁ ❁ ❁

١٤٣٥ ـ وعن أبي هريرة ؓ؛ **أَنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «يقول الله تَعَالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فإِنْ**

ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرنِي في ملأٍ ذَكرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ». متفق عَلَيْهِ[1].

١٤٣٦ ـ وعنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ» قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ؟ يَا رسولَ الله قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيراً والذَّاكِرَاتِ». رواه مسلم[2].

📖 وَرُوِي: «المُفَرِّدُونَ» بتشديد الراءِ وتخفيفها، والمشهُورُ الَّذِي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشْديدُ.

١٤٣٧ ـ وعن جابر ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ، يقولُ: «أفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ». رواه الترمذي[3]، وقال: حديث حسن.

١٤٣٨ ـ وعن عبد الله بن بسر ﷺ؛ أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَليَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبثُ بِهِ، قَالَ: «لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله». رواه الترمذي[4]، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالذكر وفضل الذكر، تقدمت آيات وأحاديث في فضل الذكر وأن المشروع للمؤمن أن يكون ملازماً لذكر الله دائماً لما فيها من الخير العظيم وصلاح القلوب ونفي الذنوب وإرضاء الرب ﷻ؛ فالمؤمن يلزم الذكر ويجتهد. قالت عائشة ﷺ: (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ)، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ويقول سبحانه في سورة

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب الحثّ على ذكر الله تعالى برقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب الحثّ على ذكر الله تعالى برقم (٢٦٧٦).

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة برقم (٣٣٨٣).

(٤) أخرجه في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر برقم (٣٣٧٥).

الأحـــــزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. قال جلَّ وعلا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. ويقول النبي ﷺ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»**(١).

ويقول جلَّ وعلا: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»، هذا فيه الحث على الإكثار من ذكر الله في نفسك وبلسانك جميعاً، في نفسه يخاف الله ويتذكر عظمته وحقه ويرجوه، ويحسن به الظن ويخلص له العمل ويكون ذاكراً بقلبه، عظمة الله في قلبه وعلى باله الإخلاص له ومحبته وتعظيمه وخوفه ورجاؤه وينطق باللسان: سبحان الله والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول النبي ﷺ: **«أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ»**(٢).

ويقول ﷺ: **«البَاقِيَات الصَّالِحَات وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»**. ويقول ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ». قَالُوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ» رواه مسلم في الصحيح: استبقوا إلى الخيرات «**سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**»؛ يعني: سبقوا إلى الخير وإلى أسباب النجاة وهو المكثر من ذكر الله ﷻ، قد صح عنه ﷺ أن لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ هي أفضل الذكر في الصحيحين واللفظ لمسلم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] برقم (٧٥٢٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في كتاب الآداب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه (٢١٣٧).

يقول ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١).

فأفضل الذكر: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». يروى عنه ﷺ أنه قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٢). ويقول: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ» أخرجه مسلم في صحيحه، وجاء رجل إلى النبي ﷺ (فقال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ؛ يعني: التطوعات عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ)، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ»؛ يعني: أَكْثِر من ذكر الله، وهذا معنى سبق المفردون؛ يعني: المكثرون من ذكر الله، في الحديث الصحيح: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا لِدَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ» قَالُوا: بَلَى قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ ﷻ»(٣). هذا فيه الإكثار من ذكر الله جلَّ وعلا، ومن أكثر من ذكر الله ساعده ذلك في أداء فرائض الله وترك محارم الله والجهاد في سبيل الله إلى غير ذلك، فإن الإكثار من ذكر الله يحرك القلوب إلى طاعته وإلى ترك معصيته.

وفّق الله الجميع.

---

(١) سبق تخريجه في شرح الحديث رقم (١٢٥) ص٢٧٥ ج١.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة برقم (٣٥٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب منه برقم (٣٣٧٧)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الذكر برقم (٣٧٩٠) راجع حديث رقم (١٤٤١)، والإمام أحمد من حديث أبي الدرداء ﷺ ٥/ ١٩٥ و٢٣٩ و٦/٤٤٧.

١٤٣٩ ـ **وعن** جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «من قَالَ: سُبْحان الله وبِحمدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

١٤٤٠ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه؛ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَقِيْتُ إبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أقْرِىءْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأنَّهَا قِيعَانٌ وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلَا إلـهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ». رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

١٤٤١ ـ **وعن** أبي الدرداءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُم بِخَيْرِ أعْمالِكُمْ، وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُم مِنْ أن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟» قَالَوا: بَلَى، قَالَ: «ذِكر الله تَعَالَى». رواه الترمذي[٣]، قَالَ الحاكم أبُو عبد الله: إسناده صحيح.

١٤٤٢ ـ **وعن** سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ أنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ، عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نوىً ـ أوْ حَصَىً ـ تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا ـ أوْ أفْضَلُ ـ» فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ في السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ في الأرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وسُبحَانَ الله عَدَدَ مَا هو خَالِقٌ، واللهُ أكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، والحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ وَلَا إلـهَ إلَّا اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ،

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٦٠) برقم (٣٤٦٤).
(٢) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٥٩) برقم (٣٤٦٢).
(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٦٠) برقم (٣٣٧٧).

وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ مِثْلَ ذَلِكَ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

١٤٤٣ ـ وعن أبي موسى ﷺ، قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟» فقلت: بلى يَا رسولَ الله، قَالَ: «لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ». متفق عَلَيْهِ[٢].

الشَّرح

فهذه الأحاديث الخمسة كلها تتعلق بفضل الذكر، تقدم أحاديث كثيرة وآيات كثيرة كلها دالة على هذا الأمر العظيم، فالمشروع للمؤمن أن يجتهد، المؤمن والمؤمنة الاجتهاد في ذكر الله دائماً حتى يعمر أوقاته بذلك كما قالت عائشة ﷺ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ)، وتقدم قوله ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»، قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ، مَا المُفَرِّدُونَ؟) قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ» سبق قوله جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وفي هذه الأحاديث دلالة على أن التسبيح والتهليل والتحميد إغراس للجنة، فينبغي للمؤمن أن يجتهد في كثرة التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، وهكذا قول: لا حول ولا قوة إلا بالله كما في الحديث الصحيح: إنها كنز من كنوز الجنة، فالمؤمن يجتهد في ذلك ويكثر من هذه الأذكار يرجو ما عند الله من الفضل، قول إبراهيم: إنها قيعانٌ؛ يعني: فيها مواضع للغرس والبناء؛ ولهذا وعد الله أولياءه بأنه يُعد لهم في الجنة من القصور والبساتين ما يعد

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التسبيح بالحصى برقم (١٥٠٠)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ وتعوذه في دبر كل صلاة برقم (٣٥٦٨).

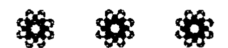
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة برقم (٦٣٨٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٢٧٠٤).

لهم بحسب أعمالهم الصالحة الكثيرة ومع هذا يبقى فيها فضل ينشئ الله له أقواماً يدخلهم الجنة ﷻ، فالمؤمن يجتهد والله جلَّ وعلا واسع الفضل وواسع الجود، وكل حسنة تنفعه، كل حسنة تنفع من ذكر الله، تقدم قوله ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» هكذا في الحديث الآخر: «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ مِثْلَ ذَلِكَ»؛ كذلك ما جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»؛ يعني: مائة مرة سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ في اللفظ الآخر: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ مائة مرة صباحاً مائة مرة مساءً من أسباب محو الذنوب وغفران السيئات؛ هكذا «منْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْم مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» متفق على صحته[١]. وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» فالخير كثير، ينبغي للمؤمن الحرص على هذا الخير، وهذه الدار دار الزرع، هذه الدار هي المزرعة والآخرة هي دار الجزاء والحصاد، فليزرع الخير حتى يحصد خيراً

(١) سبق تخريجه برقم (١٤١٠).

ولا يمل ولا يتعب، كل ذلك في ميزان حسناته إذا أخلص لله كل حسنة تنفعه، كل عمل صالح ينفعه يزيد في حسناته يرجح ميزانه تكفر به السيئات ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

نسأل الله للجميع التوفيق والمسارعة إلى كل خير.





٢٤٥ ـ بَابُ ذكر الله تَعَالَى قائماً أَوْ قاعداً ومضطجعاً ومحدثاً وجنباً وحائضاً إلَّا القرآن فَلَا يحل لجنب وَلَا حائض

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

١٤٤٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواهُ مسلم(١).

١٤٤٥ ـ وعن ابن عباسٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أتى أهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ». متفق عَلَيْهِ(٢).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه في كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها برقم (٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع برقم (١٤١)، ومسلم في كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع برقم (١٤٣٤).




٢٤٦ ـ بَابُ مَا يقوله عِنْدَ نومه واستيقاظه

١٤٤٦ ـ **عن** حُذَيفَةَ، وأبي ذرٍ رضي الله عنهما، قالا: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأموتُ» وَإِذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ». رواه البخاري(١).

الشَّرح

فهذه أحاديث وآية كريمة [١٤٤٤ ـ ١٤٤٥ ـ ١٤٤٦] فيما يتعلق بالذكر دائماً، وهكذا عند النوم وعند اليقظة يقول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] الله جلَّ وعلا يحثنا على الذكر في جميع الحالات قائماً وقاعداً وعلى جنبه؛ لأن الذكر خفيف وميسر لا يشق على الإنسان سواء قائماً أو قاعداً: سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله

---

(١) أخرجه في كتاب التوحيد، باب السّؤال بأسماء الله تعالى، والاستعاذة بها برقم (٧٣٩٤).

مداد كلماته، إلى غير هذا في أي وقت كان لجميع المسلمين، الرجل والمرأة والجنب والحائض وغير ذلك، كل ذلك مشروع في جميع الحالات؛ ولهذا قالت عائشة ﵂: (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**)، رواه مسلم وأصله في البخاري[(١)]. وهو أسبق الناس إلى كل خير عليه الصلاة والسلام، مع أنه أكملهم عبادة ومغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا يسابق إلى الخيرات عليه الصلاة والسلام، فالمؤمن يتأسى برسول الله عليه الصلاة والسلام في الإكثار من الذكر قائماً وقاعداً وعلى جنبه.

وهكذا في الحديث الصحيح حديث عمران بن حصين ﵁: «**صَلِّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»[(٢)]، وهكذا كان إذا استيقظ من نومه ذكر الله، وإذا وضع جنبه ذكر الله، وإِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[(٣)]، «**بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»[(٤)]، وله أذكار معروفة في محلها؛ وهكذا عند اليقظة يقول: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**» «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ههنا وههنا ساقه بعد الحديث رقم (٦٣٣)، ومسلم في كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة برقم (٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين ﵁ في كتاب التهجد، باب إذا لم يطق قاعداً، صلى على جنب رقم (١١١٧).

(٣) سبق تخريجه برقم (٨١٧).

(٤) يأتي تخريجه برقم (١٤٦٠).

ويقرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام، فالسُّنَّة للمؤمن أن يلازم الذكر؛ أما الجنب، تمسك عن القرآن لما جاء في الحديث أنه ﷺ كان لا يقرأ القرآن إذا كان جنباً ولا يحبسه شيء عن القرآن إلا الجنابة، هذا هو الراجح من أقوال العلماء أن الجنب لا يقرأ القرآن، أما الحائض ففيها خلاف، بعض أهل العلم منعها قياساً على الجنب، وبعض أهل العلم قال: لا حرج؛ لأن مدتها تطول، مدة الحيض تطول خمسة أيام سبعة أيام أكثر، والنفساء كذلك، فهذا يضرها وقد تنسى ما حفظت؛ فالصواب يجوز لها أن تقرأ عن ظهر قلب؛ ليست كالجنب ولا يصح القياس، أما مس المصحف فلا، الجنب لا يمس المصحف؛ لكن عند الحاجة تمسه من وراء حجاب تمسه من قفازين أو غيره عند الحاجة، أما حديث: «**لَا تَقْرَأ الحَائِضُ، وَلَا الجُنُبُ شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ**»(١) فهو حديث ضعيف، وإنما العمدة على حديث علي رضي الله عنه أن النبيَّ (لَا يَحْجُبُهُ، وَرُبَّمَا قَالَ: لَا يَحْجُزُهُ عَنِ القُرْآنِ شَيْءٌ، إِلَّا الجَنَابَةُ)(٢) وهو حديث لا بأس به سنده حسن وهو المعتمد عند أهل العلم حديث علي رضي الله عنه.

وفق الله الجميع.



(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الطهارة، باب ما جاء في الجنب والحائض برقم (١٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث علي رضي الله عنه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة (٥٩٤)، والإمام أحمد (١/ ١٢٤).

٢٤٧ ـ بَابُ فضل حِلَقِ الذكر والندب إلَى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

١٤٤٧ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ للهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ عز وجل، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْألُهُمْ رَبُّهُمْ ـ وَهُوَ أعْلَم ـ: مَا يقولُ عِبَادي؟ قَالَ: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هَلْ رَأَوْنِي؟ فيقولونَ: لا واللهِ مَا رَأَوْكَ. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْني؟! قَالَ: يقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً، وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً. فَيقُولُ: فماذا يَسْألونَ؟ قَالَ: يقُولُونَ: يَسْألُونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْها؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يقول: فَكيفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ أنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وأشدَّ لَهَا طَلَباً، وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فيقولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ مَا رَأَوْهَا. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يقولون: لَوْ رَأَوْهَا كانوا أشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً، وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُم أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم، قَالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهم فُلانٌ لَيسَ

مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». متفق عَلَيْهِ(١).

📖 وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إن للهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فإذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمْ اللهُ عز وجل وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ في الأَرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لا، أَيْ رَبِّ. قَالَ: فكيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتي؟! قالوا: ويستجيرونكَ. قَالَ: ومِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَاري؟ قالوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قالوا: وَيَسْتَغفِرُونكَ؟ فيقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فيقولون: ربِّ فيهمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فيقُولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

١٤٤٨ ـ **وعنه، وعن** أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما، قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللهَ عز وجل إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». رواه مسلم(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل برقم (٦٤٠٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر برقم (٢٦٨٩).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٧٠٠).

الشَرح

هذه الآية الكريمة مع الحديثين فيهما الحث على الذكر وعلى مجالس العلم وحلق الذكر في المساجد وغيرها، ينبغي للمؤمن أن يحرص على حلقات العلم حلقات الذكر في المساجد وغيرها حتى يستفيد هذا الخير العظيم، منها أن الله جلَّ وعلا يعلي شأن هؤلاء ويباهي بهم ملائكته، فإن هذين الحديثين الصحيحين يدلان على عظم شأن الذاكرين وحلقات العلم التي فيها: قال الله، قال رسوله؛ فيها ذكر الله تحضره الملائكة؛ فالملائكة سياحون في الأرض يلتمسون مجالس الذكر، فإذا وجدوها تنادوا: **هلموا إلى حاجتكم**، فيحفون بأهل المجلس يكونون حولهم يسمعون إلى عنان السماء يسمعون ما يقال وما يؤتى به من الأذكار، فإذا انتهى صعدوا إلى الله فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ يقولون: تركناهم كذا وكذا، فيسألهم سبحانه وهو أعلم يسألهم عن أحوالهم وهو أعلم بهم جلَّ وعلا: ماذا يسألون، ماذا يرجون، ماذا يخافون يسألهم يقولون: (**إنهم يحمدونك ويذكرونك ويمجدونك، يسألهم: وهل رأوني؟**) وهو يعلم أنهم لم يروه، (**يقولون: لا والله ما رأوك**) لو رأوك كانوا أشد رغبة فيما عندك وأشد شوقاً إليك، قال: ماذا يطلبون؟ (**يسألون الجنة! وهل رأوها؟ قالوا: يا رب ما رأوها، قال: كيف لو رأوها؟**) تقول الملائكة: لو رأوها لكانوا لها أشد طلباً وأعظم فيها رغبة، قال: (**فممَّ يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار، وهل رأوها؟ قالوا: يا رب ما رأوها**)، وهو يعلم أنهم ما رأوها؛ لكن لإظهار هذا الأمر بين الملائكة وبين أهل الأرض، قال: (**كيف لو رأوها؟**) قالوا: لو رأوها لكانوا أشد منها رهبة وأكثر فراراً منها، فيقول جلَّ وعلا: «**أُشهدكم أني قد غفرت لهم**»، في الرواية الأخرى: قد أعطيتهم ما طلبوا وأمنتهم مما حذروا، هذا فضل الله جلَّ وعلا.

وفي اللفظ الآخر: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ**

مَجَالِسَ الذِّكْرِ»، في اللفظ الآخر: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» وهذا من فضله جلَّ وعلا أيضاً؛ وهكذا جلسوا يدرسون القرآن ويتلون القرآن تحفهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة وتعمهم رحمة الله جلَّ وعلا ويذكرهم الله فيمن عنده، هذا فيه فضل عظيم حلق الذكر والجلوس لسماع القرآن والمذاكرة في القرآن والجلوس في المساجد وغيرها يذكر الله ويهلله يحمده ليسأل آثار النعمة عليهم وما أعطاهم من النعم وما أزال عليهم من النقم فيشكرون ويحمدون هذه فيها خير عظيم وفضل كبير.

نسأل الله للجميع التوفيق.

❊ ❊ ❊

١٤٤٩ ـ **وعن** أبي واقدٍ الحارث بن عوف ﷺ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذْ أقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ. فأمَّا أحَدُهُما فَرَأَى فُرْجةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأمَّا الآخرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِباً. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: «ألَا أُخبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأوَى إِلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إِلَيْهِ. وَأمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وأمَّا الآخَرُ، فَأعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ» متفقٌ عَلَيهِ[1].

١٤٥٠ ـ **وعن** أبي سعيد الخدري ﷺ، قَالَ: خرج معاوية ﷺ

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها برقم (٦٦)، وفي كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد برقم (٤٧٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجةً فجلس فيها وإلّا وراءهم برقم (٢١٧٦).

عَلَى حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ. قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذاك؟ قالوا: مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أما إِنِّي لَمْ اسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسولِ الله ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَديثاً مِنِّي: إنَّ رسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإِسْلَامِ؛ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: «آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قالوا: واللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولكِنَّهُ أَتَانِي جِبرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ». رواه مسلم[1].

الشَّرح

هذان الحديثان يتعلقان بحلق الذكر ومجالس العلم، والذكر سبق ما يدل على أن مجالس الذكر يباهي الله بهم الملائكة وأن الملائكة تحضرهم وتحفهم بأجنحتها ثم تصعد إلى السماء فيسألها ربها عن ذلك فتخبره أنها أتتهم وهم يسبحون ويحمدون ويكبرون إلى آخره كما تقدم، تقدم حديث أبي سعيد: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» فمجالس الذكر لها شأن عظيم، فيها التعليم والتوجيه والتذكير بالله.

الحديث الآخر: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا» قَالُوا: (وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟) قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[2]. وفي هذا الحديث يقول ﷺ لما كان جالساً في أصحابه ذات يوم دخل ثلاثة المسجد فجاء أحدهم إلى

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٧٠١).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك ؓ في كتاب الدعوات، برقم (٣٥١٠) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب والإمام أحمد (٣/ ١٥٠).

الحلقة فجلس وجد فرجةً فدخل، والنبي ﷺ يُذكِّر أصحابه والثاني استحيا ما وجد فرجة جلس خلفهم، ما حب يزاحم، والثالث أدبر وخرج، فلما فرغ النبي من حديثه ﷺ قال للصحابة: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ**»، هو الذي جلس في داخل الحلقة «**وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**» هذا فيه الحث على الدخول في الحلقة والحرص على أن يكون فيها ويلتمس فرجة؛ لأن هذا أكمل في الرغبة وأكمل في أن يحصل الفائدة، وإن لم يتيسر جلس خلفهم؛ وهكذا حلقة خلف حلقة يستمع الفائدة سواء في المساجد أو في الصحراء أو في إي مكان، الإنسان يحرص على الفائدة يجتهد في أن يكون في مقدم الحاضرين حتى يكون استماعه أكمل، والحرص على العلم له فضل عظيم؛ لأن الإنسان خلق غير متعلم لا يعلم شيئاً جاهلاً كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] فهو بحاجة إلى التعلم حتى يعلم ما أوجب الله عليه ما حرم الله عليه مخلوق للعبادة لا بد أن يتعلم هذه العبادة التي خلق له.

كل من كان أعظم اجتهاداً وأكثر حرصاً صار أجره مضاعفاً، وينبغي في هذا إخلاص النية وأن يكون القصد وجه الله والدار الآخرة وليتفقه في الدين يتعلم؛ ولهذا في الحديث الذي بعده معاوية عن أبي سعيد فيه: أن الرسول خرج إلى أصحابه وهم يتذاكرون فسألهم قالوا: نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا وما رزقنا فيه من العلم نتذكر أمور الجاهلية ويحمدون الله على ما هداهم للإسلام وما يسر لهم من العلم، قال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟**» قالوا: (**ما أجلسنا إلا ذاك**)، **فقال** ﷺ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ**»؛ يعني: لا شك فيكم «**وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ**»؛ يعني: بهذه الجلسة التي لأجله والمذاكرة في دينه والحرص على فهم الإسلام

والتناصح والتعاون على الخير، هذه مجالس علم ومجالس خير يباهي الله بأهلها ملائكته، لله ملائكة سياحون في الأرض يلتمسون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلس الذكر تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، وبعضهم يلتمس المصلي عن النبي ﷺ فيحملون صلاتهم ويبلغونها للنبي ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»[1] اللَّهُمَّ صلِّ وسلّم.

فالمشروع لكل مؤمن ولكل مؤمنة الحرص على مجالس الذكر وعلى حلق الذكر والسؤال عما أشكل عليه ليحظى بهذا الخير.



(١) أخرجه النسائي من حديث عبد الله رضي الله عنه في كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ برقم (١٢٨٢) والإمام أحمد (١/ ٣٨٧).




٢٤٨ ـ بَابُ الذكر عِنْدَ الصباح والمساء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: الآصَالُ: جَمْعُ أصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ وَالمَغْرِبِ. وقال تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، قَالَ أهلُ اللُّغَةِ العَشِيُّ: مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا، وقال تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٦، ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

١٤٥١ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ». رواه مسلم[١].

١٤٥٢ ـ **وعنه**، قَالَ: جَاءَ رجلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ! قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أَمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ». رواه مسلم[٢].

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح برقم (٢٦٩٢).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوّذ من سوء القضاء ودرك الشّقاء وغيره برقم (٢٧٠٩).

١٤٥٣ ـ وعنه، عن النبيّ ﷺ؛ **أنَّه كَانَ يقولُ إذَا أصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». وإذا أمسَى قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ. وَإِلَيْكَ النُّشُورُ».**

رواه أَبُو داود والترمذي(١)، وقال: حديث حسن.

﴿ الشَّرح ﴾

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة كلها تدل على شرعية التسبيح والتحميد والتكبير والذكر صباح ومساء البكرة والعشي، والعشي ما بعد الزوال إلى غروب الشمس يقال لها: عشي وأصيل، وقبل الزوال يقال لها: بكرة من طلوع الفجر إلى ما قبل الزوال كله بكرة، والعشي ما بعد الزوال إلى غروب الشمس.

والسُّنَّة للمؤمن الإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير صباح ومساء كما أرشد الله إلى البكرة والأصيل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]؛ فالإنسان مشروع له أن يعتني بالذكر والتسبيح والتحميد والتكبير في أوائل النهار وفي آخر النهار، وفي أول الليل تكون أوقات معمورة بالذكر صباحاً ومساء ليلاً ونهاراً، ومن ذلك يقول: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ أو سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ صباحاً ومساءً، في الصحيحين إذا قالها مائة مرة: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْم مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»، وفي رواية: «**لَمْ يَجِئْ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَهُنَّ أَوْ زَادَ**» هذه الفضائل في

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم (٥٠٦٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى برقم (٣٣٩١).

غفران الذنوب وحط الخطايا كلها مقيدة في الأحاديث الأخرى والآيات الدالة على اجتناب الكبائر والحذر من الكبائر.

فالله جلَّ وعلا يقول سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، ويقول النبي ﷺ: **«الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»**[(١)]. في لفظ: **«الصَّلَواتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ»**[(٢)] والصلوات الخمس فيها من الأذكار، الصيام فيه من الأذكار، الجمعة كلها فيها أذكار؛ لكن لا بد المؤمن يحذر الكبائر والإصرار عليها فإنها من أعظم العوائق لتكفير الذنوب وحط الخطايا، وإِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: **«اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النشور»**، يستحب هذا أيضاً كل يوم، ويستحب أيضاً أن يذكر الله مائة مرة كل يوم: لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ في كل يوم، وإذا أتى به في الصباح كان ذلك أكمل وأفضل، أخبر النبي ﷺ أنها تكون عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وهكذا التعوذ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، من أسباب السلامة من الشرور يقول النبي ﷺ: **«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»**[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٣٠) ص٢٨٣ ج١.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس... ، برقم (٢٣٣).

(٣) سبق تخريجه برقم (٩٨٢) ج٣.

وفي الحديث الثاني أن رجلاً قال: (يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ)؛ يعني: مِن أذاها قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ». وفي حديث عثمان ﷺ يقول النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ»[1] فالخير كثير؛ ولكن المؤمن ينبغي له أن يحرص ويجتهد في فعل الفضائل، فعل الخيرات، والتحرز من السوء بما أرشد إليه النبي ﷺ من الدعوات والأذكار ويرجو ما عند الله، يحسن الظن بالله ويرجو ما عند الله من الخير ويفعل الأسباب من التعوذات والأذكار والاستغفار والتوبة والندم، والإكثار من كل خير والبعد من كل شر مع حسن الظن بالله، ومع الرجاء وعدم الاتكال على العمل، بل يفعل الأسباب ويرجو ربه، يفعل ويرجو ويحذر السيئات ويخاف ربه جلَّ وعلا، يكون مع الخوف والرجاء لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾؛ يعني: الرسل زكريا وغيره ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] رغباً رجاءً رهباً خوفاً قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦٠] مع الخوف ﴿أُولَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] هكذا المؤمنون لا يدلون بأعمالهم ولا يأمنون؛ ولكن يحسنون ظنهم بالله رجاءً وخوفاً، رجاءً لفضله وإحسانه وخوفاً من نقمته وغضبه جلَّ وعلا.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٤٥٧).

١٤٥٤ ـ **وعنه**؛ أنَّ أَبَا بكرٍ الصديق رضي الله عنه، قَالَ: يَا رسول الله مُرْني بِكَلِمَاتٍ أقُولُهُنَّ إذَا أصْبَحْتُ وإذا أمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاواتِ والأرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ؛ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا أنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ» قَالَ: «قُلْهَا إذَا أصْبَحْتَ، وإذَا أمْسَيْتَ، وإذَا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ». رواه أبُو داود والترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٤٥٥ ـ **وعن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وأمْسَى المُلْكُ للهِ، والحَمْدُ للهِ، لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ»، قَالَ الراوي: أرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدير، رَبِّ أسْألُكَ خَيْرَ مَا في هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا في هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ في النَّارِ، وَعَذَابٍ في القَبْرِ»، وَإذَا أصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أيضاً: «أصْبَحْنَا وأصْبَحَ المُلْكُ للهِ». رواه مسلم[2].

١٤٥٦ ـ **وعن** عبد الله بن خُبَيْب ـ بضم الخاء المعجمة ـ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رَسولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمُعَوِّذَتَيْنِ حِيْنَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». رواه أبُو داود والترمذي[3]، وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم (٥٠٦٧)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٣٩٢).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوّذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل برقم (٢٧٢٣).

(٣) أخرجه في كتاب الأدب، باب ما يقول أذا أصبح برقم (٥٠٨٢)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥٧٥).

١٤٥٧ ـ **وعن** عثمان بن عفان ﵁، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ في صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرْضِ وَلَا في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ». رواه أبو داود والترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح.

الشَرح

فهذه الأحاديث الأربعة في أذكار الصباح والمساء قد جاء عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في أذكار الصباح والمساء وجاء في الآيات الكريمات الحث على ذكر الله وتسبيحه في الصباح والمساء، فينبغي للمؤمن أن يعمر وقته بذكر الله ﷻ وأن يتحرى في الصباح والمساء الأذكار الشرعية والدعوات الشرعية، عملاً بإرشاد النبي عليه الصلاة والسلام وتأسياً به، من ذلك أن يقول في الصباح والمساء: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» في أول الصباح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا اليَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا اليَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ» يقوله صباحاً وهكذا في الليل، يقول: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى المُلْكُ لِلَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب ما يقول أذا أصبح برقم (٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى برقم (٣٣٨٨).

أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ» تقدم أنه يقول أيضاً في الصباح والمساء، «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ المَصِير».

ويستحب أيضاً أن يقول ما علَّمه النبي ﷺ للصديق قُلْ: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلـٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ» قَالَ: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ» «وَأَنْ نَقْتَرِفَ سُوءاً عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِم» هكذا جاءت في الرواية الأخرى الزيادة، وهذا الحديث صحيح فيستحب المؤمن أن يقوله في الصباح والمساء وعند النوم كما علمه النبي ﷺ للصديق رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلـٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ أَعُوذُ بِكَ أَنْ نَقْتَرِفَ سُوءاً عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِم» صباحاً ومساءً وعند النوم، هذا مما علمه النبي ﷺ أمته عليه الصلاة والسلام؛ كذلك قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين صباحاً ومساء وعند النوم كما في حديث عبد الله بن خبيب أمره أن يقرأ ثلاثاً صباحاً ومساء، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، تكفيك من كل شيء صباح ومساء بعد الفجر وبعد المغرب ويقولها عند النوم أيضاً، كان النبي يستعملها عند النوم عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات عند النوم وربما نفث في يديه ومسح بهما على رأسه وصدره وما أقبل من جسده ثلاث مرات عند النوم عليه الصلاة والسلام.

والحديث الرابع يقول ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ» هذا حرز عظيم وفضل كبير: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثلاث مرات صباحاً وثلاث مرات مساءً، هذا من أسباب السلامة والعافية من كل سوء، كل هذه أسباب شرعية يتعاطاها المؤمن يرجو ما فيها من الخير وله من العمل أن يتأسى بالنبي ﷺ وامتثالاً لتوجيهه عليه الصلاة والسلام، وهكذا ما سواها من الأحاديث الواردة في الصباح والمساء، المؤمن يتحرى ما قاله النبي ﷺ ويجتهد في التطبيق يرجو ما وعد الله به أهلها على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام.

وفق الله الجميع.






٢٤٩ ـ بَابُ مَا يقوله عِنْدَ النوم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآيات [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

١٤٥٨ ـ **وعن** حُذَيْفَةَ، وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما؛ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِراشِهِ، قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وأَمُوتُ». رواه البخاري(١).

١٤٥٩ ـ **وعن** عليٍّ رضي الله عنه؛ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما: «إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا ـ أَوْ: إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا ـ فَكَبِّرا ثَلَاثاً وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، واحْمَدا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ».

📖 وفي روايةٍ: التَّسْبيحُ أَرْبعاً وثلاثينَ.

📖 وفي روايةٍ: التَّكْبِيرُ أَرْبعاً وَثَلَاثينَ. متفق عَلَيْهِ(٢).

١٤٦٠ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ».

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التّكبير والتّسبيح عند المنام برقم (٦٣١٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم برقم (٢٧٢٧).

متفق عَلَيْهِ[١].

١٤٦١ ـ وعن عائشة رضي الله عنها؛ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ، كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بالمُعَوِّذَاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ. متفق عَلَيْهِ[٢].

📖 وفي رواية لهما؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقرأَ فيهِما: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» ثُمَّ مَسَحَ بِهِما مَا استْطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهما عَلَى رَأسِهِ وَوجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفق عَلَيْهِ.

▫ قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: (النَّفْثُ): نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيقٍ.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بأذكار النوم ويستحب للمؤمن أن يأتي بالأذكار التي كان يأتي بها النبي ﷺ عند النوم، والذكر مشروع له دائماً، المؤمن مشروع له دائماً ذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه وأينما كان كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وأولي الألباب هم أهل العقول السليمة، اللب العقل السليم كان ﷺ إذا أوى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب (١٣) برقم (٦٣٢٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التعوّذ والقراءة عند المنام برقم (٦٣١٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض برقم (٢١٩٢)، واللفظ للبخاري.

إلى فراشه قال: «**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ**»، في اللفظ الآخر: «**بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**» يستحب أن يقول هذا عندما يضع جنبه، ويستحب أيضاً أن يقول: «**بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**» كما كان النبي يقول ذلك عليه الصلاة والسلام كل هذا من الذكر عند النوم، «**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ**» أو «**بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»، ويستحب أيضاً أن يسبح الله ثلاثاً وثلاثين، ويحمد الله ثلاثاً وثلاثين، ويكبر الله أربعاً وثلاثين، كما أوصى النبي ﷺ علياً وفاطمة بذلك عند النوم، سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة كمل المائة بالتكبيرة الرابعة والثلاثين تكبيرة، في رواية تسبيحة والأكثر التكبير فيكون التسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد ثلاثاً وثلاثين، والتكبير أربعاً وثلاثين عند النوم، وهكذا بعد الصلوات الخمس يسبح ثلاثاً وثلاثين يحمد الله ثلاثاً وثلاثين ويكبر الله أربعاً وثلاثين أو ثلاثاً وثلاثين ويختم المائة بلا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، بعد كل صلاة من الصلوات الخمس: الظهر، العصر، المغرب، والعشاء، والفجر، مستحب، وعند النوم أيضاً يستحب أن يأتي بهذا الذكر عند النوم، سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة، يكمل المائة بالله أكبر يصير التكبير أربع وثلاثين.

قد أوصى النبي ﷺ المسلمين بذلك أوصاهم بهذا الذكر عند النوم، والمؤمن من شأنه أن يحرص على ما يحبه الله منه وما شرع الله له أينما كان، وهذه أذكار عظيمة مفيدة خير من المشقة خير عظيم من المشقة، فينبغي للمؤمن أن يحافظ عليها وألا يدعها، وهكذا كان ﷺ إذا أوى إلى فراشة نفث في يديه، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين يمسح بهما على ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ووجهه وصدره ثلاث

مرات يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ينفث في يديه ثم يمسح ثم يعود مرة ثانية ثم ثالثة، يمسح على رأسه ووجهه وصدره وما أقبل من جسده، هذا سُنَّة عند النوم، عندما يضع جنبه عند النوم، ويستحب أن يكون آخر ما يقول: **«اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مَاتَ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ»**[١]، كان النبي يوصي بهذا عليه الصلاة والسلام وليكون هذا من آخر الكلام عند النوم، هذه أذكار مشروعة للمؤمن عند نومه، وسبقت أذكار التي يقولها بعد الفريضة، ويستحب له عند النوم أيضاً أن يقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ مع ما تقدم.

❋ ❋ ❋

١٤٦٢ ـ وعن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِذَا أَتَيتَ مَضْجعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفوضْتُ أَمْرِي إليكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً ورهْبَةً إليكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إليكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذي أنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذي أرْسَلْتَ، فإنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ». متفق عَلَيْهِ[٢].

١٤٦٣ ـ وعن أنس رضي الله عنه؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلَا

---

(١) سبق تخريجه برقم (٨٠) ج١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب اذا بات طاهراً برقم (٦٣١١)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٠).

مُؤْوِيَ. رواه مسلم[١].

١٤٦٤ ـ **وعن** حذيفة رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ إذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَك يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ». رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

ورواه أبو داود، من رواية حَفْصَةَ رضي الله عنها، وفيهِ أنه كَانَ يقوله ثلاث مراتٍ.

الشَّرح

فهذه الأحاديث في بيان ما يشرع للمؤمن عند النوم، في الحديث الأول الدلالة على أن السُّنَّة له أن ينام على طهارة يستحب للمؤمن أن ينام على طهارة، ويقول اذا اضطجع على شقه الأيمن يقول: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْك، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْك، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْك، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْك، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». والمستحب أن يكون هذا آخر شيء بعد الأذكار الأخرى، ويستحب له عند النوم أن يقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، ويقرأ أيضاً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين ثلاث مرات ثم يختم بهذا: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ»، وإن دعا بغير ذلك: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَك يَوْمَ تَبْعَثُ عِبادَكَ، ثَلَاثَ مِرَارٍ»، كما جاء في حديث حذيفة وحفصة يقول ثلاث مرات يستحب أيضاً، وإن دعا بدعوات أخرى فلا بأس؛ لأنه جاء دعوات أخرى ثم يكون آخر شيء: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْك، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْك، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْك، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيْك، لَا مَلْجَأَ

---

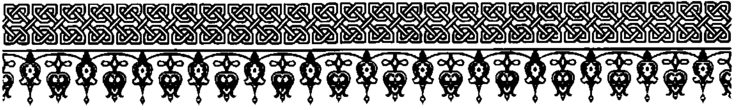
(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (١٨) برقم (٣٣٩٨).

وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» فليكن على طهارة ويبدأ يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن أول ما ينام، هذا هو الأفضل كما فعله النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا سُنَّة، كون الإنسان يستعمل ما فعله النبي ﷺ هذا سُنَّة، كذلك كونه يسبح الله ويحمد الله ويكبر الله ثلاثة وثلاثين مرة، ويختم المائة بالله أكبر عند النوم كل هذا مستحب؛ لأن الرسول ﷺ كان يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام ويرغب المسلمين في ذلك عليه الصلاة والسلام؛ كذلك سُنَّة عند النوم، «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**». هذا الثناء العظيم يقوله إذا أوى إلى فراشه. كم من الناس لا يستطيع يجد محلاً ينام فيه يأمن فيه، هذا رزقه الله مبيتاً وراحة وطمأنينة عند أهله، وفي محل آمن، نعمة عظيمة فيقول: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**» «**اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، ثَلَاثَ مِرَارٍ**» ويأتي ببقية ما يقال.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



كتَاب الدَعوات

٢٥٠ ـ بَابُ الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]، وقال تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

١٤٦٥ ـ وعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ». رواه أبو داود والترمذي[١]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٤٦٦ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أبو داود[٢] بإسناد جيدٍ.

١٤٦٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أكثرُ دعاءِ النبيّ ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». متفقٌ عَلَيهِ[٣].

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٧٩)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء برقم (٣٣٧٢).

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي =

📖 زاد مسلم في روايتهِ قَالَ: وَكَانَ أَنسٌ إِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، وَإِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

﷽ الشَّرح ﷽

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالدعاء، الدعاء من أفضل القربات؛ لأن فيه الافتقار إلى الله، والاعتراف بأنه سبحانه الغني وبأنه الرزاق وأنه مجيب الدعاء وأنه مالك الضر والنفع، ففي ضِمن الدعاء إيمان بالله وشهادة بأنه الغني الحميد بأنه الرحمٰن بأنه الرحيم، بأنه قادر على كل شيء، بأنه الرؤوف الرحيم، هكذا فضل الدعاء هو ﷻ يدعى وهو القادر على الإجابة هو الذي بيده كل شيء ﷻ، بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع، والخير والشر كله بيده ﷻ، هو المتصرف في عباده كيف يشاء له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] سمى الدعاء عبادة، والمستكبر عنها توعد بجهنم، فمن استكبر عن عبادة الله وطاعته فهو موعود بالنار لكبره عن دعاء ربه واستغنائه عنه ﷻ، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] هو الذي يجيب المضطر ويكشف السوء هو القادر على كل شيء جلَّ وعلا، ويقول سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]؛ فالمؤمن هكذا يضرع إلى الله يسأله، يبتهل إليه، يؤمن بأنه سبحانه الغني الحميد، القادر على

= ﴿ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] برقم (٤٥٢٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدّعاء باللّهمّ آتنا في الدّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النّار برقم (٢٦٩٠).

كشف ضره وعلى جلب النفع إليه وعلى كف عدوه عنه، بيده كل شيء ﷻ، بيده الأمور لكل شيء، ويقول النبي ﷺ: **«الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»** لما في ضمنه من الإيمان بالله، والإيمان بأنه الغني الحميد القادر على كل شيء، ولهذا سماه العبادة قال: **«هو العبادة»** على صفة الحصر ليبين أنه من أهم العبادات، ومن أعظم الدعوات.

والحديث صحيح كما قال المؤلف، وفي لفظ آخر فيه ضعف: **«الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»**[١]؛ فالمؤمن يجتهد في الدعاء ويحرص على الدعاء ولا يمل وليجتهد في الدعاء، وكان ﷺ يستحب جوامع الدعاء كما قالت عائشة ﵂: يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ؛ يعني: يستحب الدعوات الجامعة الذي تغني عن دعوات كثيرة مثل: **«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»**، هذا من جوامع الدعاء، وكان هذا أكثر دعاء النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال أنس، مثل قوله ﷺ لعائشة: **«قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»**، ومثل سؤاله الجنة والتعوذ من النار: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»**، ولما قال رجل: (يا رسول الله أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، ولكني أَسْأَلُ اللهَ الجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِه مِنَ النَّارِ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ»**[٢]؛ فالرسول ﷺ يعتني بجوامع الدعاء التي تجمع الخير كله، فالمؤمن يتحرى جوامع الدعاء فيدعو بها: اللَّهُمَّ إني أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار، اللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ أنجني من النار، اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني، اللَّهُمَّ اغفر

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك ﵁ في كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء برقم (٣٣٧١) قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه وضعفه سماحة الشيخ ﵀.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ في كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة برقم (٧٩٣)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب الجوامع من الدعاء برقم (٣٨٤٧) والإمام أحمد (٣/ ٤٧٤).

لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره، هذا من الدعوات الجامعة.

نسأل الله للجميع التوفيق وصلاح النية والعمل.

❊ ❊ ❊

١٤٦٨ ـ **وعن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعَفَافَ، والغِنَى». رواه مسلم(١).

١٤٦٩ ـ **وعن** طارق بن أَشْيَمَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أمَرَهُ أنْ يَدْعُوَ بِهؤلَاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي». رواه مسلم(٢).

📖 وفي روايةٍ له عن طارق؛ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ، وأتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسول اللهِ، كَيْفَ أقُولُ حِيْنَ أسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقْنِي، فإنَّ هؤلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ».

١٤٧٠ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم(٣).

❊ الشَـرح ❊

فهذه الأحاديث فيما يتعلق بالدعاء، تقدم أن النبي ﷺ كان يستحب جوامع الدعاء كما قالت عائشة، وتقدم الآيات الكثيرات في الأمر

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التّعوّذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل برقم (٢٧٢١).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدّعاء باللّهمّ ﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] برقم (٢٦٩٧).

(٣) أخرجه في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤).

بالدعاء، ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. قال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] قال جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فهو سبحانه يحب أن يدعى ويحب أن يسأل جلَّ وعلا تضرعاً وخفية خوفاً وطمعاً يرجو رحمة ربه ويخشى عقابه، وفي الدعاء اعتراف بأنه سبحانه سميع قريب مجيب للدعاء غني كريم يحب أن يدعى ويحب أن يسأل، ويحب أن يجود على عباده ﷺ؛ ولهذا كان الدعاء له شأن عظيم، وكان يستحب جوامع الدعاء عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى**» هذا من جوامع الدعاء: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»، وكان يكثر من الدعاء: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ**» ويحلف بذلك، فالدعاء بهذه الدعاء من جوامع الكلم الدعاء، «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، «**يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» من جوامع الدعاء: «**اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عني**»، ومن جوامع الدعاء ما كان يعلمه من أسلم بعد أن يعلمه الصلاة: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي**» هذه دعوات عظيمة يدعى بها بين السجدتين أيضاً مع: رب اغفر لي، «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَاجْبُرْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي**» من ذلك: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»، كانت هذه الدعوات هي أكثر دعائه عليه الصلاة والسلام، فالمؤمن يتحرى الدعوات الطيبة الجامعة يدعو بها في سجوده وفي التحيات وفي غير ذلك سواء في الصلاة أو في

خارجها؛ لكن عن خوف وطمع وعن رغبة ورهبة، عن انكسار عن ذل، عن إيمان بأن الله هو الغني الحميد وهو القادر على كل شيء ﷻ.

نسأل للجميع التوفيق.

❁ ❁ ❁

١٤٧١ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». متفق عَلَيْهِ[١].

📖 وفي روايةٍ قَالَ سفيان: أَشُكُّ أَنِّي زِدْتُ واحدةً مِنْهَا.

١٤٧٢ ـ **وعنه**، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِيني الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا مَعَاشِي، وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتي فِيهَا مَعَادي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». رواه مسلم[٢].

١٤٧٣ ـ **وعن** علي ﷺ، قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِني، وسَدِّدْنِي».

📖 وفي رواية: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والسَّدَادَ». رواه مسلم[٣].

١٤٧٤ ـ **وعن** أنس ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ، وأعُوذُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التّعوّذ من جهد البلاء برقم (٦٣٤٧)، وفي كتاب القدر، باب من تعوّذ بالله من درك الشّقاء وسوء القضاء. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١ ـ ٢] برقم (٦٦١٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في التّعوّذ من سوء القضاء ودرك الشّقاء وغيره برقم (٢٧٠٧).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التّعوّذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل برقم (٢٧٢٠).

(٣) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التّعوّذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل برقم (٢٧٢٥).

بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ».

📖 وفي رواية: «وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». رواه مسلم[(١)].

الشَّرْح

فهذه الأحاديث فيها بيان الدعوات النبوية التي دعا بها ﷺ أو رغَّب فيها وحث عليها، والدعوات المأثورة أفضل من غيرها وكل دعاء طيب يدعى به ولو كان غير مأثور؛ لأن الله قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] المشروع للمؤمن الضراعة إلى الله ودعاؤه في كل حاجاته، حاجة الدنيا والآخرة؛ لكن إذا كانت الدعوات مروية عن النبي ﷺ ثابتة تكون أفضل من غيرها وأجمع من غيرها، ومن هذا قوله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، يقول: «أعوذ بالله مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاء» هكذا الدعوات «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ» هذه دعوات عظيمة، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ» في بعض الروايات: «وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ» وهكذا «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ العَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»[(٢)]، كل هذه من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠] برقم (٤٧٠٧)، وفي كتاب الدعوات، باب التعوّذ من أرذل العمر برقم (٦٣٧١)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوّذ من العجز والكسل وغيره برقم (٢٧٠٦)، ورواية (وضلع الدين وغلبة الرجال) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة برقم (٢٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره برقم (٢٧٠٦).

دعواته ﷺ، ومن الدعوات الجامعة، «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**» أخرجه مسلم في الصحيح، هذا من أجمع الدعاء وأعظم الدعاء خيري الدنيا والآخرة. وهكذا الدعاء الذي علمه لعلي رضي الله عنه، «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ**»، في اللفظ الآخر: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي**» دعوات جامعة، الهدى؛ يعني: الخير، والسداد: الإصابة في القول والعمل، وهكذا، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»[1]، كل هذه من الدعوات الجامعة، وهكذا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً**»[2]، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ وَمِنَ الهَرَمِ وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» المؤمن يتحرى الدعوات الجامعة التي جاءت عن النبي ﷺ والتي يعلم أنها جامعة ومفيدة هو أعلم بحاجاته، اللَّهُمَّ ارزقني زوجة صالحة، اللَّهُمَّ ارزقني ذرية طيبة، اللَّهُمَّ ارزقني كسباً

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الأدب، باب الجوامع من الدعاء برقم (٣٨٤٦) والإمام أحمد (٤/ ٣٧١).

حلالاً، اللَّهُمَّ ارزقني عملاً طيباً، وما أشبه، يدعو الله بالدعوات الطيبة يتحرى، اللَّهُمَّ احفظني من كل سوء، اللَّهُمَّ أعني على كل خير، كل الدعوات الطيبة مطلوبة؛ لكن ما كان منها مأثوراً ثابتة عن النبي ﷺ من قوله أو فعله تكون أفضل من غيرها.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٧٥ ـ وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ أنَّه قَالَ لرسُولِ الله ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ في صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي، إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». متفق عَلَيْهِ[1].

📖 وفي روايةٍ: وفي بيتي وَرُوِيَ: «ظلماً كثيراً» ورُوِي: «كبيراً» بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة؛ فينبغي أنْ يجمع بينهما فيقال: كثيراً كبيراً.

١٤٧٦ ـ وعن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّه كَانَ يدْعُو بِهذا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وَمَا أنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أخَّرْتُ، وَمَا أسْرَرْتُ وَمَا أعْلَنْتُ، وَمَا أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أنْتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، وأنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». متفق عَلَيْهِ[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدّعاء قبل السّلام برقم (٨٣٤)، وفي كتاب الدعوات، باب الدّعاء في الصّلاة برقم (٦٣٢٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النّبيّ ﷺ: **«اللّهمّ اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت»** برقم (٦٣٩٩ و٦٣٩٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التّعوّذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل برقم (٢٧١٩).

١٤٧٧ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها؛ أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول في دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ومِنْ شَرِّ مَا لَمْ أعْمَلْ». رواه مسلم(١).

١٤٧٨ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ مِن دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِك، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِك، وفُجَاءةِ نِقْمَتِك، وَجَميعِ سَخَطِك». رواه مسلم(٢).

الشَّرح

فهذه الأحاديث الأربعة كلها يتعلق بالدعوات التي كان يدعو بها النبي ﷺ، وسبق أنه يشرع للمؤمن الدعاء دائماً وأن لا يمل الدعاء، وأن لا ييأس؛ بل يكثر من الدعاء؛ لأن الدعاء محبوب لله جلَّ وعلا يحب أن يُسأل هو سبحانه يحب أن يُسأل، ويحب أن يُرجى، فيستحب للمؤمن أن يكثر من السؤال فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٣)، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وكان من دعائه ﷺ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوّذ من شرّ ما عمل ومن شر ما لم يعمل برقم (٢٧١٦).

(٢) أخرجه في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنّساء برقم (٢٧٣٩).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل برقم (١١٤٥) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر... برقم (٧٥٨).

خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[١] دعوات عظيمة، قال له الصديق: يا رسول الله، عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**».

وهذا الحديث من أصح الأحاديث فيستحب للمؤمن أن يدعو بهذا الدعاء، في سجوده، آخر التحيات قبل أن يسلم «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**».

وعلَّم النبي معاذاً فقال: «**يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ**». فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» كلمات قليلة عظيمة «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ**»[٢] كلام مختصر؛ لكنه عظيم «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ**» يعم كل ما عمل من سائر السيئات ومن شر ما ترك منها، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» كلمات جامعة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» في أي وقت في الليل أو في النهار

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٤٧٦).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٤٧٧).

في الصباح وفي المساء، في السجود، في آخر الصلاة كله طيب.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٧٩ - وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، والبُخْلِ والهَرَمِ، وَعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّها أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ؛ وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا». رواه مسلم[١].

١٤٨٠ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أخَّرْتُ، وَمَا أسْرَرْتُ، وَمَا أعْلَنْتُ، أنتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلَّا أنْتَ».

📖 زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ». متفق عَلَيهِ[٢].

١٤٨١ - وعن عائشة رضي الله عنها؛ أَنَّ النبيّ ﷺ كَانَ يدعو بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ». رواه أَبُو داود والترمذي[٣]، وقال: حديث حسن صحيح، وهذا لفظ أَبي داود.

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوّذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل برقم (٢٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء اذا انتبه من الليل برقم (٦٣١٧)، وفي كتاب التهجد، باب التهجد بالليل برقم (١١٢٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٩).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة برقم (١٥٤٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ... برقم (٣٤٩٥).

الشَــرح

فهذه الدعوات التي دعا بها النبي ﷺ، وهكذا غيرها مما سبق كلها تدل على فضل الدعاء والاستكثار منه، والعبد في أشد الحاجة إلى الضراعة إلى ربه والانكسار بين يديه وإظهار فاقته له ﷻ، وهو الغني الحميد، وهو الجواد الكريم، يحب أن يُسأل ويحب أن يعطي ويجود ﷻ؛ ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. قال سبحانه: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]. قال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] المؤمن يدعو ربه يضرع إليه في جميع الأوقات، ولا سيما عند الشدة عند الحاجة، وفي الأوقات المناسبة، مثل آخر الليل، أو جوف الليل، مثل السجود، وآخر الصلاة قبل أن يسلم، وآخر نهار الجمعة، حين ينتظر صلاة المغرب كله هذه أوقات ترجى فيها الإجابة وينبغي للمؤمن الإكثار منها، ومن ذلك الدعوات النبوية: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»** دعوات عظيمة **«اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»**. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وأفلح من زكاه الله ووفقه **«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»** كل هذا من دعواته ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»** **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ**

لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» تقدم **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى»** **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والسداد»**؛ فالمؤمن يعمر أوقاته بالذكر والدعاء ويختار من ذلك الأوقات المناسبة أيضاً التي يرجى فيها الإجابة يفعل هذا وهذا، يكثر من الدعاء كل وقت ويتحرى أوقات الإجابة أيضاً، وقت السجود، وكذلك في آخر الصلاة، قبل أن يسلم؛ كذلك في جوف الليل، في آخر الليل، الثلث الأخير، يوم الجمعة، حينما يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة، وبعد العصر إلى أن تغيب الشمس يجلس ينتظر المغرب، هذه أوقات عظيمة، ثم يختار جوامع الدعاء، وإذا كان له حاجة خاصة دعا بها: اللَّهُمَّ يسر لي زوجة صالحة، اللَّهُمَّ أصلح زوجتي اذا كان بينه وبينها شقاق، اللَّهُمَّ أصلح زوجتي، اللَّهُمَّ اهدها لأحسن الأخلاق، اللَّهُمَّ أصلح ذريتي، اللَّهُمَّ ارزقني ذرية طيبة، اللَّهُمَّ اقض ديني إذا كان له دعوات خاصة حاجات خاصة يسأل ربه، يسأل ربه كل شيء حتى شسع النعل إذا انقطع، يسأل الله أن ييسر له النعل الصالحة والخف الصالح، الإنسان لا يستحي، يسأل ربه كل شيء يحتاجه، قليل أو كثير.

نسأل الله أن يوفق الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٨٢ ـ وعن زياد بن عِلَاقَةَ عن عمِّه، وَهُوَ قُطْبَةُ بنُ مالِكٍ رضي الله عنه، **قَالَ: كَانَ النبيّ** ﷺ **يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأخْلَاقِ، وَالأعْمَالِ، والأهْواءِ»**. رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن.

١٤٨٣ ـ وعن شَكَلِ بن حُمَيدٍ رضي الله عنه، **قَالَ: قلتُ: يَا رسولَ الله، علِّمْنِي دعاءً، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ**

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب دعاء أمّ سلمة برقم (٣٥٩١).

بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي». رواه أبو داود والترمذي[(١)]، وقال: حديث حسن.

١٤٨٤ ـ وعن أنس رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذَامِ، وَسَيِّئِ الأسْقَامِ». رواه أبو داود[(٢)] بإسناد صحيح.

١٤٨٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وأعوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ، فَإنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ». رواه أبو داود[(٣)] بإسناد صحيح.

الشَّرح

فيقول المولف رحمه الله: هذه الأحاديث في الدعوات مقصوده رحمه الله بيان جملة من الأحاديث التي دعا بها النبي ﷺ تقدم منها جملة، والمؤمن يتحرى الأدعية الواردة عن النبي ﷺ فيدعو بها؛ لأنها أفضل من غيرها، وإذا دعا بشيء آخر من الدعوات الطيبة التي لا محظور فيها فلا بأس؛ لأن الله جلَّ وعلا قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] المؤمن يدعو ويتحرى في دعواته ما يحتاج إليه فيدعو بخير الدنيا والآخرة، تستعيذ بالله من شر الدنيا والآخرة، وإذا تحرى الدعوات الواردة كان ذلك أفضل، من ذلك: «**اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلاقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ، وَالأَدْوَاءِ**» في اللفظ الآخر «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ**» «**قُلِ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي**

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة برقم (١٥٥١)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٧٥) برقم (٣٤٩٢).
(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة برقم (١٥٥٤).
(٣) أخرجه في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة برقم (١٥٤٧).

وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي». كل هذا فيه دعوات عامة، كذلك «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ» إلى آخره كما تقدم، فيستعيذ بالله من شر كل ما يخشى «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ وَالجُنُونِ وَالجُذَامِ وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ» «قُلِ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي» «رب قني شح نفسي» «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ» «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى» وما أشبه، من الدعوات الجامعة يتحرى الدعوات الجامعة التي دعا بها النبي ﷺ لما فيها من الخير العظيم، مثلما قالت عائشة ﵂: كان ﷺ يتحرى جوامع الدعاء، ومن أجمع الدعاء: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» وهكذا: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ». هذا دعاء عظيم: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ». «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» كان يعوِّذ بها الحسن والحسين عليه الصلاة والسلام عند النوم «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»[1]

والخلاصة أنه يتحرى الأدعية النبوية إذا تيسرت وعرفها، وإذا دعا بغيرها من الدعوت الطيبة فلا بأس، ليس الدعاء توقيفياً؛ بل ما تيسر من الدعوات الطيبة التي تناسبه وتنفعه دعا بها ما لم يكن فيها إثم أو قطيعة رحم، كما قال ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِم يَدْعُو بِدَعْوَةٍ، إِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالُوا: (إِذاً نُكْثِرُ). قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ».

نسأل الله للجميع التوفيق.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ﵄ في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٣٧١).

١٤٨٦ ـ **وعن** عليّ ﷺ؛ أنَّ مُكَاتباً جاءهُ فَقَالَ: إنِّي عَجزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي، قَالَ: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهنَّ رسُولُ الله ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْناً أدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِني بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

١٤٨٧ ـ **وعن** عِمْرَانَ بن الحُصَينِ ﷺ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَ أبَاهُ حُصَيْناً كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما: «اللَّهُمَّ ألْهِمْني رُشْدِي، وأعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسي». رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

١٤٨٨ ـ **وعن** أَبي الفضل العباس بن عبد المطلب ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله عَلِّمْني شَيْئاً أسْألُهُ الله تَعَالَى، قَالَ: «سَلوا الله العَافِيَةَ» فَمَكَثْتُ أيَّاماً، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلتُ: يَا رسولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئاً أسْألُهُ الله تَعَالَى، قَالَ لي: «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللهِ، سَلُوا الله العَافِيَةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ». رواه الترمذي[٣]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٤٨٩ ـ **وعن** شَهْرِ بن حَوشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمة ﷺ، يَا أمَّ المؤمِنينَ، مَا كَانَ أكْثَرُ دعاءِ رَسُولِ الله ﷺ، إذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قالت: كَانَ أكْثَرُ دُعائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». رواه الترمذي[٤]، وقال: حديث حسن.

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥٦٣).
(٢) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٧٠) (٣٤٨٣).
(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٨٥) برقم (٣٥١٤).
(٤) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٩٠) برقم (٣٥٢٢).

﴿ الشَرح ﴾

فهذه الأحاديث كالتي قبلها الحث على الدعاء والرغبة إلى الله ﷻ في حاجاتك كلها، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾، ومن أمثال ذلك: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**». «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**». وهذا من أجمع الدعاء والدعوات العظيمة.

وهكذا سؤال العافية كما جاء في حديث ابن عباس وجاء في حديث الصديق أن الرسول أمر بسؤال العافية «**سَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْراً مِنَ العَافِيَةِ**» سأل ربه العافية: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، في حديث ابن عمر أنه ﷺ كان يقول صباح ومساء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**». هكذا سؤال الله الثبات على الحق: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَيَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**» هذه من جوامع الدعاء، وهكذا «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٤٩٠ ـ **وعن** أَبي الدرداءِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «كَانَ مِنْ دُعاءِ دَاوُدَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وأهْلِي، وَمِنَ الماءِ البارِدِ». رواه الترمذي(١)، وقال: حديث حسن.

١٤٩١ ـ **وعن** أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «ألِظُّوا بـ(يَا ذا الجَلَالِ والإكْرامِ)». رواه الترمذي(٢)، ورواه النسائي من رواية ربيعة بن عامرٍ الصحابي، قَالَ الحاكم: حديث صحيح الإسناد.

□ (أَلِظُّوا): بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة، معناه: الزَمُوا هذِهِ الدَّعْوَةَ وأكْثِرُوا مِنْهَا.

١٤٩٢ ـ **وعن** أَبي أُمَامَةَ ﷺ، قَالَ: دعا رسُولُ الله ﷺ، بدُعاءٍ كَثيرٍ، لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً؛ قُلْنَا: يَا رسول الله، دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً، فَقَالَ: «ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تقول: اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ؛ وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وأنتَ المُسْتَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلَاغُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ». رواه الترمذي(٣)، وقال: حديث حسن.

١٤٩٣ ـ **وعن** ابن مسعود ﷺ، قَالَ: كَانَ من دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ». رواه الحاكم(٤) أَبُو عبد الله، وقال: «حديث صحيح عَلَى شرط مسلمٍ».

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٧٣) برقم (٣٤٩٠).

(٢) أخرجه في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥٢٥)، والنسائي في الكبرى ٤/ ٤٠٩ برقم (٧٧١٦).

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٨٩) برقم (٣٥٢١).

(٤) أخرجه الحاكم ١/ ٥٢٥.

﴿ الشـرح ﴾

ففي هذه الأحاديث الحث على الدعوات التي ترجى إجابتها ويتحرى الإنسان دعوات النبي ﷺ والدعوات الطيبة الجامعة التي دعا بها النبي ﷺ أو دعا بها الأخيار واتضح ما فيها من الخير؛ لأن الله جلَّ وعلا يحب من عباده أن يسألوه، يحب من عباده أن يضرعوا إليه، فينبغي لهم الإكثار من الدعاء وتحري الدعوات التي دعا بها النبي ﷺ، فإن الله جلَّ وعلا جواد كريم يحب أن يسأل ويحب أن يعطي، ومن ذلك ما يروى من دعاء داود في حديث أبي الدرداء: «**كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ**»، هذا المعنى جاء مرفوعاً عن النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ وَحُبَّ المَسَاكِينِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ**»؛ فالإنسان يدعو بهذا الدعاء الذي هو من جوامع الدعاء؛ وكذلك الدعاء، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ والفوز بالجنة والنجاة من النار**»، «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ وَعَلَيْكَ البَلَاغُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

هكذا مع ما تقدم من الدعوات الجامعة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ»، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى**»، «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**» يتحرى الدعوات الكثيرة التي جاءت في النصوص ولا سيما الجامعة: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ويَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»، «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا**

عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» أخرجه النسائي بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه[1].

وهكذا يتحرى الأدعية التي فيها جمع الخير كله ومن هذا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً»، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رضاك والجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ سخطك والنار» وما أشبه ذلك من الدعوات التي ذكرها المؤلف سابقاً والتي جاءت في غير كتاب المؤلف هنا.

وبكل حال الإنسان يسأل ما أهمه حتى لو ما كان وارداً يسأل ما أهمه ويتعوذ مما أهمه وإن كان لم يقف عليه من الوارد، فإن كل إنسان له حاجات تلم به وتدعو الحاجة إلى أن يسألها أو يتعوذ منها، فإذا كان ذا دين سأل الله أن يقضي دينه، إذا كان لعائلة قد حصل منهم مضرة سأل الله أن يكفيهم شرهم وأن يعطيهم خيرهم وأن يصلحهم، إذا كان لحاجة الزواج سأله ما يعينه على الزواج، إذا كان في حاجة للسكن سأل ما يعينه على إصلاح السكن، إذا كان في خوف في الطريق سأل ربه أن يمنحه العافية ويؤمن خوفه ويكفيه شر الأعداء، وهكذا يسأل ما يناسب المقام. ولو كان غير وارد.

وفق الله الجميع.



(١) أخرجه في كتاب السهو باب نوع آخر برقم (١٣٠٥)




٢٥١ ـ بَابُ فضل الدعاء بظهر الغيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

١٤٩٤ ـ **وعن** أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلمٍ يدعُو لأخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلم[(١)].

١٤٩٥ ـ **وعنه**؛ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلم[(٢)].

الشَرح

ففي هذه الآيات والحديثين دلالة على شرعية الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب، وأن المؤمن يدعو لأخيه في غيبته سواء حيّاً أو ميتًا؛ لأن المؤمن أخو المؤمن يحب له الخير ويكره له الشر، فيستحب للمؤمن أن يدعو لإخوانه المؤمنين بالمغفرة والرحمة والصلاح والاستقامة والتوفيق

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب برقم (٢٧٣٢).
(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب برقم (٢٧٣٣).

والهداية، المؤمن أخو المؤمن؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»[١].

والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ يعني: من بعد الصحابة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] فدعوا لأنفسهم ولمن سبقهم من إخوانهم، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، ونوح عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨] هذا من نصح الرسل عليهم الصلاة والسلام يدعون الله لمن آمن من أمتهم ويسألون الله الهداية لمن يؤمن.

والنبي ﷺ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فالمؤمن يستغفر لإخوانه لوالديه لأقاربه، لجيرانه، لأحبابه يدعو لهم بالمغفرة ربما صادفت دعوة مستجابة، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**» فدعوات المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة، فأنت يا أخي على خير في دعوتك لأخيك تنفعه وتنفع نفسك، الملك يؤمن ويدعو لك يقول: لك بمثله، إذا قلت: اللَّهُمَّ اغفر لفلان، اللَّهُمَّ أصلح قلبه وعمله، اللَّهُمَّ يسر أموره، اللَّهُمَّ ارزقه الذرية الصالحة، الزوجة الصالحة، العلم النافع، تدعو لأخيك ما تراه مناسباً، والملك الموكل

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٢٤) ج١.

يقول: آمين وَلَكَ بِمِثْلٍ، وهذا في الحقيقة إنما يقع من أصحاب القلوب السليمة الراغبة في الخير المحبة للخير، فإنها تعتني بهذه المسائل لما في قلوبها من الرقة والمحبة والرغبة فيما عند الله والنصح لعباد الله فيدعو لنفسه ويدعو لإخوانه المسلمين.

وفق الله الجميع.






٢٥٢ - باب في مسائل من الدعاء

١٤٩٦ - **وعن** أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيراً، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٤٩٧ - **وعن** جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ وَلَا تَدعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أموَالِكُمْ، لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ». رواه مسلم[٢].

١٤٩٨ - **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رواه مسلم[٣].

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالدعاء والمكافأة على المعروف، تقدم في الأحاديث والآيات الكريمات ما يدل على شرعية الدعاء وتأكيده وأنه ينبغي للمؤمن أن يرفع إلى الله حاجاته فإنه يحب أن يسأل ﷻ، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؛ فالمؤمن يرفع حاجاته إلى ربه ويسأله من فضله

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الثناء بالمعروف برقم (٢٠٣٥).
(٢) أخرجه في كتاب الزهد والرقاق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر برقم (٣٠٠٩).
(٣) أخرجه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٢).

التوفيق والهداية وصلاح النية والعمل والثبات على الحق، وسعة الرزق، كسب الحلال، الزوجة الصالحة، الذرية الطيبة إلى غير هذا، يسأل ربه كل ما أهمه، فهو يحب أن يسأل ﷻ، يقول جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ فأنت في حاجة إلى ربك؛ بل في ضرورة إلى ربك هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، فاسأل ربك كل ما تحتاج إليه مع فعل الأسباب، ومع الأخذ بالأسباب، اسأل ربك الزوجة الصالحة تحرَّ تسأل عن الزوجة الصالحة حتى تخطبها، تسأل ربك الذرية الصالحة ومع ذلك تجتهد في أسباب التربية الصالحة توجيه الأولاد، والعناية بهم، وتأديبهم إذا قصروا، إلى غير ذلك، تسأل ربك الرزق الحلال وتجتهد في كسب الحلال، البيع الشرعي والزراعة الشرعية وغيرها؛ يعني: وتأخذ بالأسباب التي شرعها ﷻ، وإذا صنع لك معروف من بعض إخوانك تكافئ إما بالمال وأو بالكلام الطيب، حديث أسامة: **«مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْراً فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»** حديث ابن عمر: **«مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»**(١) فإن صنع لك معروفاً أحسن إليك بمواساته عند الحاجة، قضى دينك، فرج كربتك، أرشدك إلى الطريق المطلوب، دافع عنك العدو، إلى غير هذا، تشكره على ذلك تكافئه على ذلك ما تستطيع من العلم الطيب والكلام الطيب والفعل الطيب وتدعو له: جزاك الله خيراً، فرج الله كربتك، يسر الله أمرك، أحسن الله إليك، كل هذا من الثناء الحسن، كل هذا من المكافأة؛ ولهذا في الحديث: **«مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ»** هذا يدل

---

(١) يأتي تخريجه في الحديث رقم (١٧٢٣) (ص٤٦٥) من هذا المجلد.

على الوجوب «**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» حتى تروا؛ يعني: حتى تعلموا، روي حتى تروا؛ يعني: حتى تظنوا «**أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» هكذا المؤمن يكافئ، ما يكون لئيماً متى صنع إليه معروف كافأ بالمال إن كان معروفَ مال، بالثناء الحسن والدعاء إن كان المعروف شيئاً آخر، ومن الدعاء جزاك الله خيراً، أحسن الله إليك، فرج الله كربتك، شكر الله سعيك، غفر الله لك، من الدعاء الطيب؛ هكذا المؤمن، ويقول النبي ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**» الدعاء في حال السجود من أسباب الإجابة، والحديث الآخر: «**أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»؛ يعني: حري أن يستجاب لكم فاجتهدوا في الدعاء فيستحب الإكثار من الدعاء في السجود ولا سيما مهمات الدعاء، يسأل ربه خيري الدنيا والآخرة.

كذلك حديث جابر يقول ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيب لَكُمْ**»؛ فالإنسان يحذر شر لسانه فلا يدعو على نفسه يقول: اللَّهُمَّ أهلكني، عند الغضب يقع من الإنسان أشياء كثيرة فليحذر، يتقي الله ولا يدعو على نفسه إلا بالخير، أو أولاده، أو زوجته، أو أمواله سياراته غنمه أو غير ذلك، لا يدعو إلا بخير، يجاهد يحفظ لسانه إذا دعا فيجعله خيراً، اللَّهُمَّ بارك لي في أهلي، اللَّهُمَّ أصلح ذريتي، اللَّهُمَّ بارك لي في مالي، اللَّهُمَّ اكفني شره فيدعو عليه، هكذا الآداب الشرعية.

وفق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

١٤٩٩ ـ **وعنه**؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ: يقُولُ: قَدْ دَعْوتُ رَبِّي، فَلَمْ يسْتَجب لِي». متفق عَلَيْهِ[1].

📖 وفي روايةٍ لمسلم: «لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أَوْ قَطيعَةِ رحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قيل: يَا رسولَ اللهِ مَا الاستعجال؟ قَالَ: «يقول: قَدْ دَعوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أرَ يسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».

١٥٠٠ ـ **وعن** أَبي أمامة رضي الله عنه، قَالَ: قيل لِرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ». رواه الترمذي[2]، وقال: حديث حسن.

١٥٠١ ـ **وعن** عُبَادَةَ بنِ الصامت رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلَّا آتَاهُ اللهُ إيَّاها، أَوْ صَرفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَومِ: إذاً نُكْثِرُ قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ». رواه الترمذي[3]، وقال: حديث حسن صحيح.

📖 ورواه الحاكم من روايةِ أَبي سعيدٍ وزاد فِيهِ: «أَوْ يَدخِرَ لَهُ مِن الأَجْرِ مثْلَها».

١٥٠٢ ـ **وعن** ابنِ عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل برقم (٦٣٤٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنّه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي برقم (٢٧٣٥).

(٢) أخرجه في كتاب الدعوات، باب (٧٩) برقم (٣٤٩٩).

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك برقم (٣٥٧٣).

«لا إلـهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلـهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إلـهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاواتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ». متفق عَلَيْهِ[١].

الشَّرح

هذه الأحاديث وما جاء في معناها مع الآيات الكريمات كلها تدل على شرعية الإكثار من الدعاء والاستمرار في الدعاء ولو لم ير الاستجابة فإن الله سبحانه له الحكمة البالغة، قد يؤجل الدعوة إلى أمد ليجتهد العبد في الدعاء، وليلح في الدعاء ويستقيم على الحق ويحاسب نفسه ويجاهدها لله، فتكون هذه الحاجة من أسباب صلاحه ومن أسباب توفيق الله له، فينبغي له أن يلح في الدعاء ويجتهد ويحاسب نفسه، قد تكون الدعوة أجلت لأنه مقيم على المعصية ما تاب منها أجلت لمصلحة له في الآخرة فربك أعلم وأحكم؛ ولهذا قال ﷺ: **«يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»، «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»**، في اللفظ الآخر: **«لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»**[٢]، قالوا: كيف يستحسر: **«قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»**، في اللفظ الآخر: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أن يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ السُّوءَ بِمِثْلِهَا»**، قَالُوا: إِذاً نُكْثِرُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«اللهُ أَكْثَرُ»**[٣]. فأنت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب برقم (٦٣٤٥ و٦٣٤٦)، وفي كتاب التوحيد برقم (٧٤٣١)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكروب برقم (٢٧٣٠).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٤٩٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد (٣/ ١٨).

يا عبد الله لا تيأس ولا تقنط ولا تمل من الدعاء اجتهد في الدعاء وانتظر الإجابة، واعلم أن ربك حكيم عليم قد يؤجلها سنة سنتين ثلاث أكثر لحكمة بالغة، هو أعلم بمصالحك، هو أعلم بأسباب هدايتك، وأعلم بما يصلحك وينفعك وينفع غيرك، قد تكون عندك ذنوب وسيئات لم تتب منها فأجلت الدعوة لأجل هذا، قد تكون الدعوة فيها إثم فيها قطيعة رحم فصارت سبباً لعدم إجابتها، قد يكون هناك مطعم حرام من الربا أو السرقة، أو انتهاب أو خيانة أو هناك قطيعة رحم، أو هناك عقوق والدين أو هناك أشياء أخرى فتش حاسب نفسك؛ لا تتهم ربك اتهم نفسك، ربك حكيم عليم يقول سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١] عليم بأحوال عباده حكيم فيما يعمل، كيف يصنع، كيف يعمل، كيف يجيب الدعوة، ماذا يترتب عليها، هو حكيم جلَّ وعلا في منعك وفي إجابتك وفي تأخير الإجابة لا تسئ الظن بربك؛ ولكن أسئ الظن بنفسك وحاسبها وجاهدها؛ فالمجاهد من جاهد نفسه تظن بربك الخير، وتظن بنفسك الشر، ثم استقم على جهادها حتى تنجح، حتى تربح، حتى تجاب دعوتك. يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] فاستجب لله وآمن به بالاستقامة بطاعة ربك والثبات على الحق بترك المعاصي.

ومن ساعات الاستجابة جوف الليل ولا سيما في الثلث الرابع والخامس هو محل صلاة داود عليه الصلاة والسلام، وهكذا الثلث الأخير كلها محل إجابة، الثلث الرابع والخامس تنزُّل الله: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ**

لَهُ»[1]، والثلث الرابع محل قيام داود عليه الصلاة والسلام، **«أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ** عليه السلام، **وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْماً، وَيُفْطِرُ يَوْماً»**[2]، ويقول ﷺ: **«إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»**[3].

فاغتنم التهجد بالليل والدعاء والضراعة إلى الله في ساعات الليل ولا سيما ساعات النصف الأخير لعلك تنجح، ثم على الأقل أنت على أجر، تؤجر تكتب لك حسنات حتى ولو لم يستجب لك فنفس الدعاء عمل صالح تؤجر عليه ولك فيه ثواب، ثم لك أيضاً أمر آخر وهو أن **«مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ، إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ»** مثل دعوتك لوالديك، أو لإخوانك المسلمين، أو لشخص معين بالتوفيق والهداية وصلاح الحال، قال الملك الموكل: آمين ولك مثل، فأنت على خير في دعائك لنفسك ولوالديك ولولاة الأمور بالتوفيق والهداية وللمسلمين جميعاً أنت على خير، فادع لوالديك المسلمين وادع لولاة الأمور بالتوفيق والهداية وصلاح البطانة في جوف الليل، اجتهد في الدعاء لولاة الأمور أن الله يوفقهم ويصلح لهم البطانة ويعينهم على كل خير، ويمنحهم التوفيق لصالح الإسلام والمسلمين، تدعو لوالديك المسلمين؛ لإخوانك المسلمين؛ لأولادك؛ لزوجتك؛ لجيرانك المسلمين لغيرهم أنت على خير، تؤجر وتثاب حتى ولو لم يستجب لك، أنت على خير قد تؤجل الاجابة؛ ولكن الأجر جارٍ لك الأجر، ولك الحسنات في هذا الدعاء والضراعة إلى الله، أنت مأجور حتى ولو لم يستجب لك أنت

---

(١) سبق تخريجه في ص١٩٦.
(٢) سبق تخريجه برقم (١١٧٧).
(٣) سبق تخريجه برقم (١١٧٨).

على خير، ويقول ﷺ في دعاء الكرب: «**لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**» آخر أول الحليم ثاني العظيم والثالث الكريم، تذكر الله تدعو مع الذكر تدعو ربك تسأله خيري الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ يسر لي ذرية صالحة، اللَّهُمَّ يسر لي زوجة صالحة، اللَّهُمَّ يسر لي رزقاً حلالاً، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمرنا، اللَّهُمَّ وفقهم لكل خير، اللَّهُمَّ أصلح لهم البطانة، اللَّهُمَّ انصر بهم الحق، اللَّهُمَّ أعذهم من بطانة السوء، اللَّهُمَّ اغفر لوالدي، اللَّهُمَّ اجزهم عني خيراً إذا كانا مسلمين، اللَّهُمَّ أصلح إخواني المسلمين، اللَّهُمَّ وفقهم إلى الخير، اللَّهُمَّ أصلح قلوبهم وأعمالهم. وهكذا تختار الدعوات الطيبة لنفسك، ولأقاربك، ولذريتك؛ ولولاة الأمر ولاة أمر المسلمين، ولعامة المسلمين مع الصدق مع الإخلاص مع الضراعة إلى الله ويكون القلب حاضراً والرغبة صادقة فيما عند الله ترجو ثوابه وتخشى عقابه، وترجو الإجابة وأنت صادق، هذه كلها من أسباب التوفيق ومن أسباب الإجابة، ومن أسباب الأجر العظيم حتى ولو تأخرت الإجابة، أنت على أجر عظيم وفي حسنات في هذا الدعاء حسنات تكتب لك.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.






٢٥٣ ـ بَابُ كرامة الأولياء وفضلهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾ [مريم: ٢٥، ٢٦]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٦، ١٧].

١٥٠٣ ـ وعن أبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما؛ أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاساً فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بثَالِثٍ، وَمنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ» أَوْ كما قَالَ، وأنَّ أَبَا بكرٍ رضي الله عنه، جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وانْطَلَقَ النبيّ ﷺ بعَشَرَةٍ، وأنَّ أَبَا بَكرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النبيّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ، فجاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ. قالت امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ قَالَ: أوَ ما عَشَّيْتِهِمْ؟ قالت: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَذَهَبتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، فَقالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وقالَ: كُلُوا لَا هَنِيئاً وَاللهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَداً، قَالَ: وايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إلا

ربا من أسفلِها أكثر منها حتى شبعوا، وصارتْ أكثرَ مما كانتْ قبلَ ذلكَ، فنظرَ إليها أبو بكر فقالَ لامرأتِهِ: يا أختَ بني فراسٍ ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّةِ عيني لهي الآنَ أكثرُ منها قبلَ ذلكَ بثلاثِ مراتٍ! فأكل منها أبو بكرٍ وقال: إنَّما كانَ ذلكَ من الشيطانِ؛ يعني: يمينَهُ. ثم أكلَ منها لقمةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ. وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَمَضَى الأجَلُ، فَتَفَرَّقْنَا اثْنَيْ عَشرَ رَجُلاً، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللهُ أعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

📖 وَفِي رِوَايةٍ: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ لا يَطْعَمُهُ، فَحَلَفَت المَرْأَةُ لا تَطْعَمُهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ. ـ أَو الأَضْيَافُ ـ أنْ لَا يَطْعَمُهُ أَوْ يَطْعَمُوهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ! فَدَعَا بالطَّعَامِ فَأَكَلَ وأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَتْ مِنْ أسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرةِ عَيْنِي إنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ أنْ نَأْكُلَ، فَأكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أكَلَ مِنْهَا.

📖 وَفِي رِوايَةٍ: إنَّ أَبَا بكْرٍ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمٰنِ: دُونَكَ أَضْيَافَكَ، فَإنِّي مُنْطلقٌ إلَى النَّبيِّ ﷺ، فَافْرُغْ مِنْ قِراهُم قَبْلَ أنْ أَجِيءَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ، فَأَتَاهُمْ بما عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا؛ فقالوا: أين رَبُّ مَنْزِلِنا؟ قَالَ: اطْعَمُوا، قالوا: مَا نحنُ بِآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا، قَالَ: اقْبَلُوا عَنا قِرَاكُمْ، فَإنَّهُ إنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا، لَنَلْقَيَنَّ مِنْهُ فأبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحمٰنِ، فَسَكَتُّ: ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ، فَسَكَتُّ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوتِي لَمَا جِئْتَ! فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سَلْ أَضْيَافَكَ، فقالُوا: صَدَقَ، أَتَانَا بِهِ، فَقَالَ: إنَّمَا انْتَظَرْتُمُونِي والله لا أَطْعَمُهُ

اللَّيْلَةَ. فَقَالَ الآخَرُونَ: واللهِ لا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ مَا لَكُمْ لا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، الأولَى مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا. متفق عَلَيْهِ(١).

□ **قَوْله: (غُنْثَرُ): بغينٍ معجمةٍ مَضمُومَةٍ ثُمَّ نُونٍ ساكِنَةٍ ثُمَّ ثاءٍ مثلثةٍ وَهُوَ: الغَبِيُّ الجَاهِلُ. وقولُهُ: (فَجَدَّعَ)؛ أيْ: شَتَمَهُ، والجَدْعُ القَطْعُ. قولُه: (يَجِدُ عَلَيَّ): هُوَ بكسرِ الجِيمِ؛ أيْ: يَغْضَبُ.**

❁ الشَّرح ❁

هذه الآيات الكريمات مع الحديث المذكور كل ذلك يتعلق بكرامات الأولياء، والكرامات هي الخوارق: خوارق العادة التي يخرقها الله لأوليائه، وهو أن يحدث شيء خلاف العادة شيء ينفعهم من خلاف العادة، بركة طعام من وجود شيء ينفعهم من كفايتهم من عدو خلاف المعتاد إلى غير ذلك، والله جلَّ وعلا يقول سبحانه في كتابه العظيم، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]؛ يعني: هم الذين آمنوا هؤلاء هم أولياء الله، أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى والصدق؛ ليسوا أهل التصوف والخرافات، أولياء الله هم أهل الصدق، أهل الإيمان، أهل طاعة الله ورسوله، هم أولياء الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]؛ فأولياء الله هم المؤمنون ولهم كرامات يكرمهم الله بها عند دعاء الحاجة إليها أو الحجة عند إقامة الحجة أو عند الحاجة يحصل لهم كرامات تخرق بها العادة، إما طعام في غير وقته، فاكهة في غير وقتها، أو طعام من غير سبب

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل برقم (٦٠٢) و(٣٥٨١) و(٦١٤١)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره برقم (٢٠٥٧).

واضح، أو غير ذلك، أو زوال كربة من غير سبب واضح، أو هلاك عدو من غير سبب واضح، أو أشباه ذلك.

من هذا ما ذكره المؤلف قصة مريم هزي إليك من النخلة، كذلك كلما جاء زكريا وجد عندها رزقاً، جاء في التفسير يأتيها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ما يدري من جاء بها رزق من الله ساقه الله إليها.

وهكذا قصة أهل الكهف وما فعل الله بهم حماهم مدة طويلة ولم يموتوا على هذه المدة الطويلة ثلاثمائة سنة وازدادو تسعاً وهم نيام لا مأكل ولا شرب، هذه من آيات الله ثم الشمس تزاور عنهم ذات اليمين وذات الشمال حتى لا تضرهم.

وهكذا ما يروى عن خبيب لما قدم خبيب أحد السرية الذي اشتراه أهل مكة ليقتلوه، كان مسجوناً عند أهل القتيل، قالت صاحبة البيت: إنها تأتي عنده قطف العنب وما في مكة العنب؛ ولكنه رزق ساقه الله إليه.

من ذلك قصة عباد بن بشر وأسيد بن حضير كان عند النبي ﷺ في الليل فلما خرجا في ليلة مظلمة أضاءت لهم أسواطهما، أسواطهما أضاءت لهما الطريق، قصة أسيد بن حضير لما كان يقرأ تنزلت السكينة لقراءته بين السماء والأرض فيها من السرج حتى خشي على ولده يحيى وكان الفرس قريباً وأجفلت الفرس من هذه السكينة خاف على ولده من ذلك، فأخبر النبي ﷺ فقال: «**تِلْكَ المَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ**»[1].

وهذه قصة الصديق رضي الله عنه، كان الصديق والصحابة مع النبي ﷺ فجاء ضيوف فقراء فأمر النبي ﷺ الصحابة أن يأخذ كل واحد اثنين ثلاثة

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أسيد بن حضير في كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن برقم (٥٠١٨).

يضيفونهم فقال: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ**» وأخذ الصديق ثلاثة أرسله مع عبد الرحمٰن قال: ضيفهم؛ يعني: عشهم، وذهب النبي إلى بيته بعشرة فعبد الرحمٰن ذهب بهم إلى بيته والصديق تأخر عند النبي ﷺ يسمر معه رضي الله عنه، فقدم إليهم عبد الرحمٰن العشاء الميسور فأبوا قالوا: ننتظر حتى يأتي الصديق حتى يأتي صاحبنا، والصديق تأخر تعشى مع النبي ﷺ وتأخر حتى صلى العشاء فلما جاء قال: فرغتم من الأضياف؟ قالوا: أبوا حتى تحضر، وكان عبد الرحمٰن خاف من أبيه لما تأخر، أبو بكر الصديق فيه حدة رضي الله عنه فلما جاء والأضياف لم يتعشوا تكدر: (يا عبد الرحمٰن، وعبد الرحمٰن اختفى خاف منه واختفى حتى ناداه في الثالثة: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوْتِي لَما جِئْتَ، فجاء قال: ما منعك أن تعطي أضيافك عشاهم؟ قال: اسألهم عرضت عليهم فأبوا فغضب قدموا لهم الضيافة فقال: والله لا آكل، فقالوا: اذا ما كنت تأكل والله ما نأكل، حضر الشيطان، فقال رضي الله عنه: بسم الله هذا من الشيطان ثم أكل وأكلوا قال: وَايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا كلَّما أخذوا لقمة من هذا الطعام سواء كان جريش أو قرصان أو غيره، كلما رفعوا لقمة ربا في القصعة أكثر منها فأكلوا وشبعوا) وذلفوا بالقصعة إلى النبي ﷺ يخبرون بما جرى؛ فأكل منها جم غفير من هذه البركة التي بارك الله فيها في هذه القصعة، هذه من الدلائل على أن الله جلَّ وعلا يبارك فيما يشاء، يعطي الكرامة من يشاء بشرط أن يكون صاحبها على الطريقة الشرعية، وإلا هي خرافة، الكرامات توزن بميزان الشرع فإن كان صاحبها من المستقيمين على الشرع فهي كرامة، وإن كان على خلاف ذلك فهي من خوارق الشياطين والسحرة والتلبيس.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥٠٤ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّهُ عُمَرُ». رواه البخاري(١). ورواه مسلم من رواية عائشة.

📖 وفي روايتهما قَالَ ابن وهب: «محدَّثونَ»؛ أيْ: مُلْهَمُونَ.

١٥٠٥ ـ **وعن** جابر بنِ سمرَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: شَكَا أهْلُ الكُوفَةِ سَعْداً؛ يعني: ابنَ أَبي وقاص رضي الله عنه، إِلَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَعَزَلَهُ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّاراً، فَشكَوا حَتَّى ذَكَرُوا أنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إسْحَاقَ، إنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعمُونَ أنَّك لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فَقَالَ: أَمَّا أنا واللهِ فَإنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رسولِ الله ﷺ، لا أَخْرِمُ عَنْها، أُصَلِّي صَلَاتَي العِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْنِ.

قَالَ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إسْحَاقَ، وأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً ـ أَوْ رِجَالاً ـ إِلَى الكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، فَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكَنَّى أَبَا سَعْدَةَ، فَقَالَ: أَمَا إذْ نَشَدْتَنَا فَإنَّ سَعْداً كَانَ لا يَسِيرُ بالسَّرِيَّةِ وَلَا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ في القَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُونَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً، وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبدُ الملِكِ بن عُمَيْرٍ الراوي عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ: فَأنا رَأَيْتُهُ بَعْدُ

---

(١) أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٤٦٩)، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب برقم (٣٦٨٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة من رواية عائشة رضي الله عنها، باب من فضائل عمر برقم (٢٣٩٨).

قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ. متفق عَلَيْهِ[(١)].

الشَّرح

فهذه الأحاديث تتعلق بكرامات الأولياء، تقدم الكرامات فيها خوارق، خوارق العادة، والعادة تخرق للرُّسل بالمعجزات كما جرى لنبينا ﷺ اقتربت الساعة وانشق القمر ونبع الماء من بين أصابعه، كثر الله الطعام بسبب دعائه، وجرى على يديه أشياء كثيرة من خوارق العادات عليه الصلاة والسلام لبيان صدقه وأنه رسول الله حقاً؛ وهكذا تخرق العادة لأولياء الله، وهم أهل الإيمان والتقوى عند الحاجة، عند حاجتهم إلى ذلك أو عند إقامة الحجة على من كفر بالله تخرق لهم العادة؛ لإيمانهم وتقواهم وتأييدهم في إظهار الحق وسد حاجتهم، فإن لم يكونوا مستقيمين فهي من خوارق السحرة والشياطين، من خرافات السحرة والشياطين تلبيسهم فإن شرط الكرامة أن يكون صاحبها مستقيماً على المنهج القويم فإن كان منحرفاً فليست كرامة؛ ولكنها من خوارق السحرة والشياطين ومن الخرافات التي يُضل بها الشيطان من شاء، نسأل الله العافية.

ومن جملة الكرامات ما وقع لكثير من الصحابة ﷺ وأرضاهم، ومن ذلك قوله ﷺ: «**إِنَّهُ كَانَ فِيمَا خَلا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَّةِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ**»؛ يعني: ملهمون للصواب «**فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمّتي أَحَدٌ، فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب** رضي الله عنه» وكان ملهماً موفقاً للصواب في أقضيته وأحكامه رضي الله عنه، ومن ذلك أنه وافق ربه في آيات عدة ولهذا قيل له: الفاروق؛ لما الله فرق به بين الحق والباطل وأيد به الحق لما أسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم برقم (٧٥٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر برقم (٤٥٣) مختصراً.

ومن ذلك ما جرى في قصة سعد بن أبي وقاص، فإن سعداً كان أميراً على العراق على الكوفة في عهد عمر فاشتكاه أهل الكوفة اشتكاه بعضهم، فأرسل عمر من يسأل، فسأل أهل الكوفة فأثنوا عليه خيراً، وسأله عمر عماذا يسأل في صلاته لما قالوا أنه لا يحسن يصلي قال: (**أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا أُصَلِّي صَلَاةَ العِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ**)؛ يعني: يمد في الأولى والثانية من الظهر والعصر والمغرب ويخرم في الثالثة والرابعة؛ يعني: يخفف فيها قليلاً تأسياً بالنبي عليه الصلاة والسلام في ذلك، فسأل أهل الكوفة فأثنوا خيراً إلا شخص يقال: أبو سعدة. (**أَما إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْداً كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ**) كذب وافتراء نسأل الله العافية، تعاطى السجع سجع الكهان لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، فقال سعد رضي الله عنه: (**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ يعني: وكذباً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، قال الراوي: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَت حَاجِبَاهُ مِنَ كِبَرِ السن**)، وهو يتعرض للنساء في الأسواق وصلته الدعوة. نسأل الله العافية.

فدعوة أولياء الله ولا سيما إذا ظلموا مستجابة وإن كان دعوة المظلوم مستجابة ودعوة كل مؤمن يرجى إجابتها؛ لكن هذا مظلوم فدعا دعوته المشهورة فأجاب الله دعوته وأظهرها للناس؛ لكذب هذا الرجل نسأل الله العافية، في هذا فضل أولياء الله، وأن لهم كرامات وأن دعوتهم تجاب؛ لأنهم أهل عدل، إنما يدعون على من ظلم، وإذا دعت الحاجة إلى شيء يسر الله لهم حاجتهم، وإن أرادوا إقامة العدل يسر الله لهم حاجة فهم تخرق لهم العادة عند الحاجة وعند الحجة، عند الحاجة كالفقر ونحوه والظمأ والجوع، وعند إقامة الحجة على الأعداء تخرق لهم العادة أيضاً، تقدم لكم قصة أهل الكهف وقصة عباد بن بشر

وأسيد بن حضير لما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة أضاءت لهم أسواطهما، قصة الصديق مع ضيفه لما قدم لهم عشاءهم كلما أخذوا لقمة ربا من تحتها أكثر منها كما تقدم، كل هذه من كرامات أولياء الله والدلائل على صدق ما هم عليه من الحق والهدى.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥٠٦ ـ وعن عروة بن الزبير؛ أنَّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ رضي الله عنه، خَاصَمَتْهُ أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، وادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ شَيئاً مِنْ أَرْضِهَا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رسول الله ﷺ!؟ قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ سعيد: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَها، وَاقْتُلْهَا في أَرْضِها، قَالَ: فَما ماتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَما هِيَ تَمْشِي في أَرْضِهَا إذ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فَماتَتْ. متفق عَلَيْهِ(١).

📖 وفي روايةٍ لِمُسْلِم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عُمَرَ بِمَعْنَاهُ، وأنه رآها عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ تقولُ: أصابَتْنِي دَعْوَةُ سَعيدٍ، وأَنَّها مَرَّتْ عَلَى بِئرٍ في الدَّارِ الَّتي خَاصَمَتْهُ فِيهَا، فَوَقَعَتْ فِيهَا، وكانتْ قَبْرَها.

١٥٠٧ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ دعاني أَبي من اللَّيلِ فَقَالَ: مَا أُرَاني إِلَّا مَقْتُولاً في أولِ مَنْ يُقْتَلُ من أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، وإنِّي لا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض برقم (٢٤٥٣)، وفي كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين برقم (٣١٩٥)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها برقم (١٦١٠).

وإنَّ عَلَيَّ دَيْناً فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْراً، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ في قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فإذا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذنِهِ، فَجَعَلْتُهُ في قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ. رواه البخاري[١].

١٥٠٨ ـ وعن أنس رضي الله عنه؛ أَنَّ رجلين مِنْ أصحاب النَّبيِّ ﷺ، خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبيِّ ﷺ، في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا. فَلَمَّا افْتَرَقَا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ.

رواهُ البُخاري[٢] مِنْ طُرُقٍ، وفي بَعْضِهَا، أنَّ الرَّجُلَيْنِ أُسَيْدُ بنُ حُضيرٍ، وَعَبَّادُ بنُ بِشْرٍ رضي الله عنهما.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة تتعلق بكرامات الأولياء تقدم في ذلك ما تقدم، وأهل السُّنَّة والجماعة رحمة الله عليهم يثبتون كرامات الأولياء بشرط أن يكون صاحبها من أهل السُّنَّة، من أهل الاستقامة، وقالوا: يوزن بالميزان الشرعي، فإذا عُلم أنه مستقيم فالخوارق له كرامة، وإلا فهو من أتباع شياطين الإنس والجن من السحرة، فالسحرة والشياطين وعباد القبور لهم خوارق وخرافات تجري على أيديهم من طريق الشياطين، من طريق السحرة كما جرى لسحرة فرعون حتى لبسوا عن الناس أن حبالهم وعصيهم حيات تمشي، المقصود أن الكرامات شرطها أن يكون صاحبها على الشريعة فلو طار في السماء أو غاص في البحر، أو فعل أي شيء لا تُعد كرامة حتى يوزن بالميزان الشرعي، فإن عُرف أنه مستقيم على الشرع فهي كرامة له تلك الخارقة، ومن ذلك قصة

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب هل يُخْرَجُ الميّتُ من القَبْرِ واللّحد لِعلّةٍ برقم (١٣٥١).
(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب برقم (٤٦٥).

سعيد بن زيد المذكورة هنا، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عمّ عمر رضي الله عنه، فإن عمر بن الخطاب هو عمر بن الخطاب بن نفيل، وهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جدهما نفيل جد عمر هو نفيل هو جد سعيد، الجد الثاني، هو من العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنهم وأرضاهم، ادعت عليه امرأة وهي أروى بنت أوس تدعي أنه أخذ من أرضها وأنه ظلمها في أرضها واشتكت إلى مروان أمير المدينة في عهد معاوية رضي الله عنه، فأحضره مروان وسأله فتبرأ إلى الله من ذلك وقال: أنا آخذ من أرضها، وقد سمعت يقول كذا وكذا قال: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ قال: سمعته يقول: «**مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً، فإنه يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**» في حديث عائشة في الصحيحين «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(١)؛ يعني: كيف أجترئ أن آخذ منها شيئاً وأنا أسمع هذا الحديث، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ (رحمه الله): (**لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا**). ثم قَالَ سعيد: (**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً** (في دعواها عليه وظلمها له) **فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا** (فأجاب الله دعوته فعمي بصرها وماتت في أرضها سقطت في حفرة) قَالَ: **فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ**). وهذا فيه الشهادة لسعيد بأنه من أولياء الله، وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة من قبل أن تأتي هذه الرواية؛ ولكن هذه شاهد؛ لأن أولياء الله إذا تعدى عليهم أحد ينتقم الله منهم، إما في العاجل وإما في الآجل.

نسأل الله العافية والسلامة.

وفي حديث عباد بن بشر وسعيد بن حضير لما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة أضاءت لهما أسواطهما فلما انصرف كل واحد صار معه سوطه ينير الطريق، وهذا أيضاً من كرامات الأولياء رحمة الله عليهم،

---

(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (٢٠٦) ص٤٣١ ج١.

وهكذا عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه قتل يوم أُحد رضي الله عنه، كأنه رأى رؤيا أنه يقتل قال لابنه: (**مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولاً فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْناً فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْراً**)، كان له بنات، وأوصاه بالدين قضاء الدين، وكان عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر دفن مع شخص آخر يوم أُحد؛ لأن كان النبي يدفن الاثنين والثلاثة في يوم أُحد في قبر واحد، قال جابر: (**ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ**)، فوجده كما كان على حاله لم يتغير في قبره غير شعيرات حول أذنه، فهذا من كرامة الله له كون الله حفظ جسمه وبقي على حاله لم يتغير شيء، كون الله حقق ما رأى من موته شهيداً والله قضى دينه ..... [1] النبي ﷺ لجابر وقال له قسم الثمار وأجمعها كل نوع على حدا ثم أحضر الغرماء، وكان الغرماء أبوا يقبلون ثمر الحائط؛ يعني: يرونه قليلاً ما يكفيهم عن دينهم فجاء النبي ﷺ ودعا فيه البركة فقضى دينهم من بعضه، وبقي لجابر خير كثير من هذا الثمر، مما جعل الله ذلك على يدي النبي ﷺ وأجاب الله دعوته حيث دعا فيه بالبركة عليه الصلاة والسلام، وكان هذا كثيراً يقع للنبي ﷺ كثيراً ما يبارك الله في الطعام على يده ﷺ.

وفي غزوة تبوك قلَّت معهم الأزواد وطلبوا أن ينحروا بعض ظهرهم، فأشار عمر وجماعة ألا ينحر الظهر، وأن تجمع الأزواد فجمعوا ما عندهم، هذا يأتي بقطعة خبزة وهذا يأتي بحفنة من حنطة، وهذا يأتي بكذا، فجمعوا شيئاً قليلاً فدعا النبي ﷺ بالبركة فصار شيئاً عظيماً حتى كلٌّ ملأ أوعيته من هذا الطعام.

وآيات الله كثيرة لنبيه ﷺ، وهكذا نبع الماء من بين أصابعه حتى روي الناس وأخذوا حاجتهم من الماء، كل هذا من المعجزات الدالة على صدقه، وأنه رسول الله، فالخوارق في حقِّ الأنبياء كالمعجزات

---

(١) كلمة غير واضحة ولعله (قال النبي).

ودلائل على صدقهم، وفي حق الأولياء كرامات تدل على استقامتهم، وعلى فضلهم، وعلى أنهم صادقون فيما ساروا عليه من الهدى.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥٠٩ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: بعث رسول الله ﷺ عَشْرَة رَهْطٍ عَيْناً سَرِيَّة، وأَمَّرَ عَلَيْهَا عاصِمَ بنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ ﷺ، فانْطلقوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بالهَدْأَةِ؛ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ؛ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْل يُقالُ لَهُمْ: بَنُو لحيانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِئَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وأَصْحَابُهُ، لَجَأُوا إِلَى مَوْضِعٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ أَنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَداً. فَقَالَ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمُ، أَمَّا أنا، فَلَا أَنْزِلُ عَلَى ذِمَّةِ كَافِرٍ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ، فَرَموهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتلُوا عَاصِماً، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهْدِ والمِيثاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبطُوهُمْ بِهَا. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ واللهِ لا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي بِهؤُلاءِ أُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرُّوهُ وعَالَجُوهُ، فأبى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وانْطَلَقُوا بِخُبَيبٍ، وزَيْدِ بنِ الدَّثِنَةِ، حَتَّى بَاعُوهُما بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ؛ فابْتَاعَ بَنُو الحارِثِ بن عامِرِ بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنَافٍ خُبيباً، وكان خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ. فَلِبثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أسيراً حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، فاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسًى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ، فَوَجَدتهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَالموسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعَتْ فَزْعَةً عَرفَهَا خُبَيْبٌ. فَقَالَ: أَتخْشَيْنَ أن أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ! قالت: واللهِ مَا رَأَيْتُ أسيراً خَيراً مِنْ خُبَيْبٍ، فواللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوماً يَأكُلُ قِطْفاً مِنْ عِنَبٍ في يَدِهِ وإنَّهُ لَمُوثَقٌ

بِالحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْباً. فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ في الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فقَالَ: واللهِ لَوْلَا أنْ تَحْسَبُوا أنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ: اللَّهُمَّ أحْصِهِمْ عَدَداً، وَاقْتُلْهُم بِدَداً، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَداً. وقال:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ للَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإلَهِ وإنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وكان خُبَيبٌ هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِم قُتِلَ صَبْراً الصَّلَاةَ. وأخْبَرَ ـ يعني: النبيّ ﷺ ـ أصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلَى عَاصِمِ بنِ ثَابتٍ حِيْنَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أن يُؤْتَوا بِشَيءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وكَانَ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ الله لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِروا أنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئاً. رواه البخاري[1].

□ قولُهُ: (الهَدْأَةُ): مَوْضِعٌ، (والظُّلَّةُ): السَّحَابُ. (والدَّبْرُ): النَّحْلُ. وَقَوْلُهُ: (اقْتُلْهُمْ بِدَداً): بِكَسْرِ الباءِ وفتحِهَا، فَمَنْ كَسَرَ قَالَ هُوَ جمع بِدَّةٍ بكسر الباء وهي النصيب ومعناه: اقْتُلْهُمْ حِصَصاً مُنْقَسِمَةً لِكُلِّ واحدٍ مِنْهُمْ نَصيبٌ، وَمَنْ فَتَحَ قَالَ معناهُ: مُتَفَرِّقِينَ في القَتْلِ واحداً بَعْدَ واحِدٍ مِنَ التَّبْدِيد.

وفي الباب أحاديث كثيرةٌ صَحيحةٌ سَبَقَتْ في مَوَاضِعِها مِنْ هَذَا الكِتَابِ، مِنْهَا حديثُ الغُلامِ الَّذِي كَانَ يأتِي الرَّاهِبَ والسَّاحِرَ، ومنْها حَدِيثُ جُرَيْج، وحديثُ أصْحابِ الغَارِ الذين أطْبِقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ، وَحديثُ الرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَ صَوْتاً في السَّحَابِ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَالدلائِل في البابِ كثيرةٌ مشهُورةٌ، وباللهِ التَّوفيقِ.

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرّجل ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل برقم (٣٠٤٥).

١٥١٠ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: مَا سَمِعْتُ عمر رضي الله عنه يقولُ لِشَيءٍ قَطُّ: إنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا، إلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ. رواه البخاري(١).

الشَّرح

فهذه بقية الأحاديث المتعلقة بكرامات الأولياء تقدم في ذلك عدة أحاديث مع بعض الآيات، تقدم أن الكرامة هي الخارق للعادة فإن كان على يدي أهل الخير فهي كرامة فإن كان ذلك على يد أهل الشر فهو من مخارق السحرة ومن خرافاتهم ومن أضاليلهم، وإن كان على يد الأنبياء فهو من المعجزات الدالة على صدقهم وأنهم رسل الله حقاً، كما جرى للنبي ﷺ أشياء كثيرة تدل على صدقه من خوارق العادات، من نبوع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام بدعوته وغير هذا مما وقع له عليه الصلاة والسلام من الدلائل على أنه رسول الله حقاً.

وفي هذا قصة خبيب بن عدي لما أسره بنو لحيان وباعوه على أهل مكة ومعه زيد بن الدثنة، وكانوا عشرة أرسلهم النبي عيناً فأحاط بهم جماعة من بني لحيان وهم من هذيل فقتلوا منهم سبعة، ثم قتلوا الثامن، واستأسر خبيب وزيد فباعوهم على أهل مكة لأنهم ممن قتل كبار أهل مكة يوم بدر، والشاهد من هذا أن خبيباً كان أسيراً عندهم قبل أن يقتل، وكان لبيت لبعض أهل مكة وكان في الحديد أسيراً فدرج إليه صبي من أهل البيت فوضعه على فخذه وقد استعار موسى من أهل البيت يستحد بها فلما رأته على فخذه والموسى بيده فزعت فزعاً كبيراً فطن لها خبيب فقال: (**أتخشين أن أقتله؟**) لا والله. قالت: وما رأيت أفضل من خبيب، لقد كان يأكل قطفاً من العنب وما في مكة يومئذ من عنب؛ يعني: إنما

(١) أخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه برقم (٣٨٦٦).

هو رزق ساقه الله إليه وهو أسير في بيتهم، فهذا من الكرامات، وهكذا ما جرى لمريم كما تقدم كلما دخل زكريا وجد عندها رزقاً، والقصة ثابتة في الصحيح قصة خبيب، وهكذا عاصم بقي في محلّه قتيلاً فأرادت قريش أن تأخذ منه شيئاً ليعلموا أنه عاصم فلما جاء رسولهم إلى محل المعركة أرسل الله عليه مثل الدبر طيوراً، طيوراً صغيرة لها قرصة شديدة حمته منهم فلم يستطيعوا أن يصلوا إليه، ثم ذهب بجسده فلم يقدروا على شيء منه، هذه أيضاً من الكرامات التي لعاصم رحمه الله ورضي عنه، حماه من شرهم وتلاعبهم، وكرامات الأولياء كثيرة كما أشار المؤلف.

منها قصة جريج لما اتهموه في بني إسرائيل أنه زنى بالمرأة، هاتوا الصبي، فلما أتوا به إليه وأتوه؛ مولود، وضع يديه على بطنه وقال: من أبوك يا غلام؟ قال: أبي فلان الراعي سماه فأظهر الله براءته وأنطق هذا المولود الصغير الذي هو في النفاس في أول حياته ليبرئ ساحة هذا الرجل العابد الصالح.

ومنها قصة الثلاثة الذين قبل الله دعاءهم وأخرجهم من الغار لما انطبقت عليهم الصخرة كانوا آواهم المبيت والمطر إلى غار كما جاء في الصحيحين؛ فانطبقت صخرة من أعلى الجبل لم يستطيعوا دفعها عظيمة ابتلاء وامتحان ابتلاهم الله لإظهار فضل البر، وفضل العفة عن الفواحش، وفضل أداء الأمانة له ولغيرهم؛ فلما انطبقت بهم الصخرة قالوا فيما بينهم، فَقَالُوا: (**إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**) (توسلوا إلى الله بصالح أعمالكم فقال أحدهم) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: (اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً) (الغبوق عند البادية شرب اللبن بعد العشاء شرب الحليب) وكان إذا أتى من الرعي في الليل أتى بالحليب إلى أبويه ليشربا فنأى به طلب الشجر ذات ليلة، تأخر فلما جاء إذا هما قد ناما فبقي

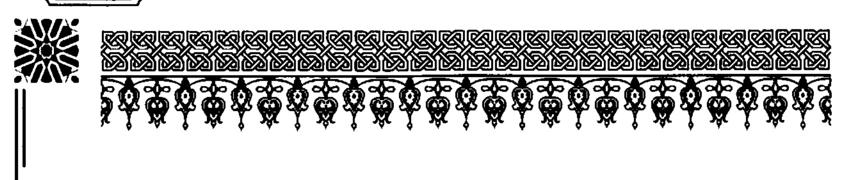
عندهما والقدح في يده ينتظر لعلهما يستيقظان لم يحب إيقاظهما فيكدر عليهم، قال: لعلّهما يستيقظان من أنفسهما، وأهله حوله، والصبية حوله، كره أن يقدم عليهما أهلاً ومالاً حتى طلع الفجر فاستيقظا وشربا قال: («اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ (يعني: برّاً بوالديه) فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ، ثم قال الثاني: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كنت أُحَبُّها كأشد ما يحب الرجال النساء، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، (يعني: الفاحشة) فَامْتَنَعَتْ فأَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ)؛ يعني: أصابتها سنة؛ يعني: حاجة شديدة فجاءته تقول: يا عبد الله أحسن إلي أصابني كذا وكذا فقال لها: لا حتى تمكني من نفسك؛ يعني: حتى تسمح لي بالزنا فوافقت؛ لشدة حاجتها، فلما جلس بين رجليها وأعطاها مائة دينار وعشرين ديناراً، مئتا جنيه وعشرين ديناراً عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فلما جلس بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام خوفاً من الله وترك لها الذهب وترك الفاحشة تعظيماً لله وخوفاً منه ﷻ ثم قال: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا) (حتى يكمل الله أمره ﷻ).

وَقَالَ الثَّالِثُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ أجره عندي وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ لَهُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ) (من الأجر الذي كان من ذرة وأرز)، فنميت له وثمرت له حتى كان منه إبل وبقر وغنم ورقيق؛ يعني: هذا الحاصل من الأرز والذرة ونحوها نماه وثمره واتجر فيه حتى اشترى منه إبلاً وبقراً وغنماً ورقيقاً عبيد فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: (يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَم وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ هذا مالك نميته لك خذه، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ

وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ) هذه من آيات الله جلَّ وعلا في قبول دعوات المخلصين الصادقين وفي بيان أن الفرج يأتي عند الشدة لأولياء الله وأهل طاعته، الصادقين في عبادته عند الشدة يجيء الفرج ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وفق الله الجميع.





كتَاب الأمُور المَنهي عَنْهَا

٢٥٤ ـ بَابُ تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

اعْلَمْ أنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ إلَّا كَلاماً ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلَامُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ، لأنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلَامُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ في العَادَةِ، والسَّلَامَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

١٥١١ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عَلَيهِ[(١)].

وهذا صَرِيحٌ في أنَّهُ يَنْبَغي أنْ لا يَتَكَلَّمَ إلَّا إذَا كَانَ الكلامُ خَيراً،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضّيف وخدمته إيّاه بنفسه برقم (٦١٣٨)، وفي كتاب الرقاق، باب حفظ اللّسان برقم (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحثّ على إكرام الجار والضّيف ولزوم الصّمت إلّا من الخير وكون ذلك كلّه من الإيمان برقم (٤٧).

وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، ومَتَى شَكَّ في ظُهُورِ المَصْلَحَةِ، فَلَا يَتَكَلَّم.

١٥١٢ ـ وعن أَبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ أَيُّ المُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». متفق عَلَيْهِ(١).

١٥١٣ ـ وعن سهل بن سعد، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ». متفق عَلَيْهِ(٢).

الشَّرح

فهذه الآيات والأحاديث فيما يتعلق بحفظ اللسان وصيانته؛ لأن هذا اللسان سريع الحركة والغالب أنه على العبد لا له فالواجب الحذر؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١]؛ فالمؤمن يحذر لسانه قد تكون غيبة قد تكون نميمة، قد تكون كلماته إفساداً لا إصلاحاً، قد تكون فيها إثم من جهة أنها تضر ولا تنفعه؛ فالواجب على المؤمن أن يصون لسانه ويحذره إلا في الخير إذا عرف أن الكلام خير ومصلحة تكلم؛ ولهذا يقول ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق على صحته، وهذا كلام عظيم، كلام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل برقم (١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل برقم (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللّسان برقم (٦٤٧٤)، ولم أجده في مسلم.

جامع من جوامع الكلم «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» إما يتكلم بخير وإلا فليمسك لسانه حتى يسلم.

وفي حديث أم سلمة: «كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرَهُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيَه عن مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرَ اللهِ»(١) فأنت يا عبد الله على خطر من هذا اللسان إلا إذا صنته وأمسكته إلا في خير تعلمه؛ ولذا في حديث أبي موسى: (أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟) قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» في اللفظ الآخر: (أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟) «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» هذا له شأن عظيم لا يظلم لا في نفس، ولا في مال، ولا في عرض، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ومن يده، فلا يغتب، ولا يسب، ولا ينم، ولا يكذب، إلى غير ذلك، ولا يتعدى بيده بأي ظلم.

في حديث عبد الله بن عمرو: أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

كذلك حديث سهل بن سعد يقول ﷺ؛ يعني: من يضمن سلامة لسانه وسلامة فرجه، بين لحييه هذا اللسان، رجليه الفرج، المعنى: أن من حفظ الله عليه فرجه ولسانه هو على خير وله الجنة؛ لأن كثيراً من الشرور بسبب الشهوة أو اللسان، بل كل الشرور في الحقيقة بابها اللسان، ثم العمل؛ فالواجب حفظ اللسان وحفظ الجوارح عن كل ما حرم الله ما دمت في قيد الحياة؛ لعلك تنجو؛ لعلك تسلم.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥١٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ **أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ**

(١) أخرجه الترمذي من حديث أم حبيبة رضي الله عنها في كتاب الزهد، باب (٦٢) برقم (٢٤١٢) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم (٣٩٧٤).

لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ». متفق عَلَيْهِ[١].

□ ومعنى: (يَتَبَيَّنُ): يُفَكِّرُ أنَّها خَيْرٌ أم لا.

١٥١٥ ـ **وعنه**، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلَمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا في جَهَنَّمَ». رواه البخاري[٢].

١٥١٦ ـ **وعن** أبي عبد الرحمٰن بِلالِ بن الحارِثِ المُزَنِيِّ ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوم يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ». رواه مالك في المُوَطَّأ، والترمذي[٣] وقال: حديث حسن صحيح.

١٥١٧ ـ **وعن** سفيان بن عبد الله ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله حدِّثني بأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: «قلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا». رواه الترمذي[٤] وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللّسان برقم (٦٤٧٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب التكلّم بالكلمة يهوي بها في النّار برقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه في كتاب الرقاق، باب حفظ اللّسان برقم (٦٤٧٨).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب في قلة الكلام برقم (٢٣١٩)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم (٣٩٦٩)، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٥، وأحمد ٣/ ٤٦٩، وابن حبان (١٥٧٦)، والحاكم ١/ ٤٥ و٤٦.

(٤) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللّسان برقم (٢٤١٠).

الشَّـرْح

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها كلها تدل على عظم خطر الكلام وأن الإنسان على خطر من هذا اللسان، وأن الواجب عليه أن يصونه ويحفظه ويجتهد في ذلك لعله يسلم من شره؛ لأن اللسان سريع الحركة فإما بخير وإما بشر؛ فالواجب التثبت في أمره والحذر؛ فأنت ما دمت ساكتاً فأنت على سلامة، فإذا تكلمت فإما لك وإما عليك، وقد سبق قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وفي هذا يقول ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»، في اللفظ الآخر: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ ﷻ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**».

فالواجب على المؤمن الحذر من شر هذا اللسان وأن يحرص على استعماله في الخيرات، وفيما يرضي الله جلَّ وعلا حتى يحصل له بذلك الخيرات العظيمة والدرجات العالية؛ فليحذر إطلاقه وعدم تقيده فإنه خطير جداً، فكم من كلمة أودت بصاحبها إلى الهلاك؛ فالواجب على كل مكلف أن يحذر شر لسانه وشر جوارحه فقد يلقيها على سبيل المزح، قد يلقيها على سبيل التساهل؛ ولكنها تتعبه وتهلكه، ويقول عليه

الصلاة والسلام لسفيان بن عبد الله الثقفي لما سأله عن كلمة جامعة قُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ)، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، في اللفظ الآخر: «قُلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا») في حديث معاذ قال له الرسول ﷺ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: (يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟) فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»، كل من تذكر هذه الأحاديث وصارت على باله وجبت له حفظ هذا اللسان وتقييده وألا يتكلم إلا عن بصيرة وعن نظر وعناية، وهذا هو الجهاد، الجهاد هو من جاهد نفسه لله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

نسأل الله للجميع العافية والتوفيق.

❁ ❁ ❁

١٥١٨ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلقَلْبِ! وإِنَّ أبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي**». رواه الترمذي[(١)].

١٥١٩ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**». رواه الترمذي[(٢)]، وقال: حديث حسن.

١٥٢٠ ـ وعن عقبة بن عامرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى**

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد، باب (٦١) برقم (٢٤١١).
(٢) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللّسان برقم (٢٤٠٩).

خَطِيئَتِكَ». رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

فهذه الأحاديث فيها الحث على حفظ اللسان والحذر من ورطات اللسان وشره من الغيبة والنميمة والكذب والسب، وغير هذا من ورطات اللسان؛ فالواجب حفظه والحذر من شره؛ ولهذا يقول ﷺ: «**لَا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي**». فكثرة الكلام من القيل والقال أو الغيبة أو النميمة، أو ما أشبه ذلك من الكلام الذي لا خير فيه من أسباب قسوة القلوب وبعدها من الخير؛ ولهذا قال ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**» ما بين لحييه؛ يعني: اللسان، وما بين رجليه؛ يعني: الفرج،؛ يعني: يحرص على العفة من شر لسانه ومن شر فرجه يكون من أهل الجنة.

وفي حديث عقبة: (مَا النَّجَاةُ؟) قَالَ: «**امْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**». تقدم قوله لأبي ذر ولمعاذ التحفظ من شر اللسان ولسفيان الثقفي، المقصود: أن اللسان خطره عظيم، قد جاءت الأحاديث بالحذر منه؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**» متفق على صحته، من موجبات الإيمان أن تقول خيراً أو تسكت؛ يعني: تحرص إما أن تتكلم بخير، وإما أن تحفظ لسانك حتى لا يعتطبك، وهكذا جوارحك يدك، ورجلك بصرك، فرجك، كل ذلك يجب الحرص على حفظه وصيانته، العين تزني وزناها النظر، والأُذن تزني وزناها الاستماع، واللسان يزني وزناها الكلام، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللّسان برقم (٢٤٠٦).

والفرج يصدق ذلك أو يكذبه[١].

فالواجب حفظ هذه الجوارح عن كل ما حرم الله، وأن تستعمل في طاعة الله، وأن يحذر الإنسان شرها ولا سيما اللسان، فإنه سريع الحركة.

فالواجب حفظه مما حرم الله وإشغاله بما شرع الله، هذا هو طريق السلامة، إشغال هذا اللسان والجوارح بطاعة الله وبما أباح الله حتى تسلم من شر ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥٢١ ـ وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تكفرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّما نَحنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا». رواه الترمذي[٢].

□ معنى: (تَكْفُرُ اللِّسَانَ)؛ أيْ: تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ.

١٥٢٢ ـ وعن مُعَاذٍ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «لَقَدْ سَألتَ عَنْ عَظِيمٍ، وإنَّهُ لَيَسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «ألا أدُلُّكَ عَلَى أبْوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كما يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]، **ثُمَّ قَالَ: «ألا أُخْبِرُكَ بِرَأسِ**

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب القدر، باب قُدِّرَ على ابن آدم حظُّهُ من الزِّنَا وغيره برقم (٢٦٥٧).

(٢) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللّسان برقم (٢٤٠٧).

الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: «رَأسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ الجِهادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ!» قُلْتُ: بلَى يَا رَسولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسانِهِ وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا رسولَ الله وإِنَّا لَمُؤاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟». رواه الترمذي[١] وقال: حديث حسن صحيح، وَقَدْ سبق شرحه في باب قبل هَذَا.

١٥٢٣ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أخاكَ بِما يَكْرَهُ» قِيلَ: أفَرَأَيْتَ إنْ كَانَ في أخِي مَا أقُولُ؟ قَالَ: «إنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ». رواه مسلم[٢].

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة تبين خطر اللسان ووجوب التحرز منه مع ما فيها من الفوائد الأخرى؛ فاللسان خطره عظيم وآفاته كثيرة، من الغيبة والنميمة والسب والشتم، وغير ذلك من الآفات الكثيرة التي تقع من اللسان؛ فالواجب التحرز منه وإمساكه إلا في الخير كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ». هكذا يكون المؤمن إما خير يتكلم به، إما يمسك حتى لا يقع في ورطات اللسان «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»، والله يقول سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (٢٦١٦).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة برقم (٢٥٨٩).

عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

في هذا الحديث يقول: إن الأعضاء تكفر اللسان تلومه وتعزله وتقول له: «**اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»؛ فاللسان يقودها في بعض الأحيان إلى هلاكها؛ فالواجب الحذر من شره وأن تحسب حسابه قبل أن تتكلم تنظر فإن كان الكلام لك تكلمت وإلا أمسكت، في حديث معاذ الطويل قُلْتُ: (**يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ؟**) (سؤال عظيم) قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**»، (أعمال الجنة يسيرة على من كتب الله السعادة ويسرها عليه، شديدة على أهل البطالة ومن كتب عليهم الشقاء نسأل الله العافية) ثم قال: «**تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً**» (هذا أصل الدين) ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] (هذا أصل الدين) تعبد الله ولا تشرك به شيئاً صلاتك وذبحك وصدقاتك وصومك وغير ذلك كله لله وحده تعبد الله وحده في كل العبادات، من صلاة، من صوم، من دعاء، استغاثة، من نذر، من ذبح، من غير ذلك، كله لله وحده لا تعبد معه غيره ﷻ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] ثم قال: «**وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ**» هذه أركان الإسلام، الأول التوحيد مع شهادة أن محمداً رسول الله، ثم الصلاة والزكاة والصيام والحج هذه أركانه الظاهرة، أركان الإسلام الظاهرة هي هذه، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟**» (يعني: ألا أرشدك إلى أبواب من أبواب الخير) «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»؛ يعني: جنة من النار من صان صيامه وتحفظ في صيامه أو من أسباب دخول الجنة والنجاة من

النار «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»، في الحديث الصحيح: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ القِتَالِ**»؛ يعني: اذا استقام عليه وصانه «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**»؛ يعني: من أسباب تكفير السيئات، الصدقات يمحو الله بها السيئات: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] «**وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**» كذلك يمحو الله بها السيئات، من أسباب تكفير السيئات، التهجد بالليل يرجو ما عند الله، يتقرب إليه بأنواع العبادة من ذكر ودعاء وصلاة وغير ذلك، ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] هذه من أوصاف عباد الله المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ في الليل يقومون للتهجد لأداء سُنَّة الليل من التهجد والوتر ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مع العبادة والصدق هم يخافون الله ويطمعون في ثوابه فيتعبدون رجاء وخوفاً لا رياءً وسمعة؛ ولا عجباً ولا مَنّاً؛ ولكن عن خوف، وعن رجاء عن إخلاص وعن صدق، وعن خشوع لله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ مع الصدقات والإحسان من زكاة المال وغيرها ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من أنواع النعيم كما أخفى عباداتهم بينهم وبين الله وتهجدوا بالليل سرّاً بينهم وبين ربهم، الله جلَّ وعلا أعد لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر كما في الحديث الصحيح.

يقول النبي ﷺ: يقول الله ﷻ: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[١] أعد لخواص عباده المؤمنين

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٨٨١).

من أنواع النعيم ما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر، من عظم النعيم، وما فيه من أنواع اللذة والخير ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**»؟ **قُلْتُ: (بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ)، قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ** (يعني: الشهادتين رأس الأمر الإسلام يعبر بالشهادتين وعن أركانه الخمسة وعن جميع الدين يقال لها الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقد سمى الشهادتين الإسلام لأنها أصل الإسلام وأساسه)، **وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ**»؛ يعني: أعظم العمد بعد الشهادتين الصلاة، والزكاة من عمده، وصيام رمضان من عمده، والحج من عمده؛ لكن أعظم العمد وأفرضها وأوجبها بعد الشهادتين الصلاة «**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ**» أعلاه الجهاد لأن به يرفع الإسلام، وبه يكثر أهله، وبه ينصر أهله ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**»؛ يعني: بما يملك عليك هذا الخير ويحفظه عليك، قُلْتُ: (**بَلَى يا رسول الله**)، قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقُلْتُ: (يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟) قَالَ** ﷺ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ**»، (كلمة يقولها العرب ثَكِلَتْكَ؛ يعني: فقدت عند الإنكار) «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**» فالذي يحفظ عليه هذا الخير ويملك عليه هذا الخير بتوفيق الله أن يحرص على حفظ لسانه فرُبَّ كلمة أهلكته وهلك بها جميع ما عمل وبطل بها جميع ما عمل كما في الحديث الصحيح: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**»(١)، في اللفظ الآخر: «**فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٥١٤).
(٢) سبق تخريجه برقم (١٥١٦).

فالواجب الحذر من زلَّات اللسان وأخطاره ويقول ﷺ: («**أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟**» (يسأل الصحابة) **قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»** (بخيل جبان قطوع عاق غير ذلك) **قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»**) ظلمته أشد من الغيبة ظلمته بشيء ليس فيه، فإذا قال: إنسان بخيل وهو ليس ببخيل فقد ظلمه وبهته، فإن كان بخيلاً فقد اغتابه، وما هو الداعي تذكره بهذه الصفة تذمه، أو قال: إنه قاطع الرحم، قال: عاق لوالديه، أو قال: يشرب الخمر، أو قال كذا أو كذا من المعاصي الخفية، هذه الغيبة، أما المعاصي المعلنة الذي أعلنها هو مثل: يشرب الخمر في المجالس وفي القهاوي ما يبالي هذا قد فضح نفسه ما له غيبة في هذا الشيء؛ كذلك سباب لعان في المجالس إذا اغتيب بهذا هذا ليست بغيبة؛ لأنه هو الذي أعلنه هو الذي فضح نفسه، يتكاسل عن الصلاة ما يحضر الصلاة في الجماعة إذا قيل يتخلف عن الصلاة هو الذي فضح نفسه ما له غيبة؛ ولهذا لما مرَّ على النبي ﷺ بجنازة أثنوا عليه شرّاً، قال: «**وجبت لها النار**» ثم مرَّ بأخرى فأثنوا عليها خيراً قال: «**وجبت لها الجنة**» فسئل عليه الصلاة والسلام قال: «**أنتم شهداء الله في الأرض هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[1]، فإذا أثنى الأخيار على الرجل فهي علامة سعادته، وإذا ذموه فهو علامة هلاكه لإظهاره المعاصي؛ لأنه إنما يذمونه بما أظهره من المعاصي، وإنما يمدحونه بما أظهر من الطاعات؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر، وإذا عصى ربه فليكن يستتر بستر الله لا يفضح نفسه يتقي الله ويتوب إلى الله ولا يفضح نفسه، يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ**»[2]

(١) سبق تخريجه برقم (٩٥٠) ج٣.

(٢) سبق تخريجه برقم (٢٤١) ج١.

المجاهرين بالمعاصي، قد فضحوا أنفسهم، أما من أخفاها فهو حري بأن يتوب، حري بأن يندم، عنده حياء، حري بأن يبادر بالتوبة؛ لكن من لا يبالي ويجاهر بالمعاصي هذا بعيد من التوبة، بعيد من الحياء قريب من الخطر والهلاك، نسأل الله العافية.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥٢٤ ـ وعن أبي بَكْرة ﷺ؛ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ في خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى في حَجَّةِ الوَدَاعِ: «إنَّ دِماءكُمْ، وَأمْوَالَكُمْ، وأعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ». متفق عَلَيهِ[١].

١٥٢٥ ـ وعن عائشة ﷺ، قالت: قُلْتُ للنبيّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكَذَا. قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْني: قَصيرَةً، فقالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!» قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إنْسَاناً فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنْساناً وأنَّ لِي كَذَا وَكَذَا». رواه أبو داود والترمذي[٢] وقال: حديث حسن صحيح.

□ ومعنى: (مَزَجَتْهُ): خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِها وَقُبْحِهَا. وهذا الحَديثُ مِنْ أبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيبَةِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

١٥٢٦ ـ وعن أنسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب في حجة الوداع برقم (٤٤٠٦)، ومسلم في كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض وأموال برقم (١٦٧٩)، وقد مر بطوله برقم (٢١٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة برقم (٤٨٧٥)، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٥١) برقم (٢٥٠٢ و٢٥٠٣).

مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟ قَالَ: هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ!». رواه أبو داود(١).

١٥٢٧ ـ وعن أبي هريرة ﷺ؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ**». رواه مسلم(٢).

الشَّـرح

فهذه الأحاديث الأربعة وما قبلها كلها تدل على تحريم الغيبة وعظم خطرها وما يترتب عليها من الفساد والشحناء والعداوة والبغضاء؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ فالمؤمن على خطر عظيم من هذا اللسان؛ فالواجب الحذر منه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**» ما بين لحييه؛ يعني: اللسان وما بين رجليه الفرج من وقاه الله شر فرجه وشر لسانه فهو على خير عظيم، قد خطب النبي ﷺ يوم النحر ويوم عرفة في حجة الوداع وقال للناس: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» فدل على شدة تحريم العرض والغيبة كما يحرم التعدي على المال والنفس، وهكذا الأعراض يجب الحذر من الغيبة التي تسبب الشحناء والعداوة والفساد، وقالت عائشة ﷺ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (**حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا...**) (في رواية: غير أَنَّهَا قَصِيرَةٌ) فَقَالَ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»؛ يعني: من

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب في الغيبة برقم (٤٨٧٨).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).

خبثها قَالَتْ: (وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَاناً)، فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَاناً وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا» أحكيه؛ يعني: أذكر صفاتها التي يكره أحكيه؛ يعني: أذكره بما يكره فالواجب على المسلم أن يحذر الغيبة بكل أنواعها وبكل صفاتها لما فيها من الشر والفساد وإشاعة ما لا ينبغي، والبغضاء بين الناس.

وهكذ قوله ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» العرض هو الغيبة فيجب الحذر من هتك أعراض الناس كما يحرم دمه وماله يحرم عرضه أيضاً؛ كذلك حديث أنس يذكر فيه النبي ﷺ أنه «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» أخبر جبرائيل بهذا، هذا يفيد أنهم يعذبون بهذا الأمر، نسأل الله العافية؛ يعني: يعذبون بما صنعوا يخمشون وجوههم وصدورهم بأظفارهم هذا . . . نوع من التعذيب.

الواجب على المؤمن الحذر، وإذا سمع من يغتاب يرد عن عرضه كما تقدم «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فإذا سمعت أخاك يتكلم في أعراض الناس قل: يا أخي اتق الله هذا لا يجوز، هذا من إنكار المنكر تقول له اتق الله دع لأعراض، دع الغيبة هكذا النميمة، هكذا إذا رأيت منكراً أو سمعت منكراً تقول له: اتق الله هذا لا يجوز؛ لأن الله يقول سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[١].

والناس بخير ما تآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر وتناصحوا فإذا أهملوا وأعرضوا فشت المنكرات وعمت العقوبات ولا حول ولا قوة

(١) سبق تخريجه برقم (١٨٤) ج١.

إلا بالله يقول النبي ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا المُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ»[1].

نسأل الله العافية والسلامة.



(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي بكر ﷺ من كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٥).

٢٥٥ ـ بَابُ تحريم سماع الغيبة
وأمر من سمع غيبةً مُحرَمةً بِرَدِّها والإنكارِ عَلَى قائلها فإنْ عجز أَوْ لَمْ يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

١٥٢٨ ـ وعن أَبي الدرداء ﵁، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يومَ القيامَةِ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

١٥٢٩ ـ وعن عِتبَانَ بنِ مَالِكٍ ﵁، في حديثه الطويل المشهور الَّذِي تقدَّمَ في بابِ الرَّجاء قَالَ: قام النبيّ ﷺ يُصَلِّي فقَالَ: «أيْنَ مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ولا رَسُولَهُ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ ألَا تَراهُ قَدْ قَالَ: لا إلـهَ إلَّا اللهُ يُريدُ بِذَلكَ وَجْهَ اللهِ! وإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلـهَ إلَّا اللهُ يَبْتَغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ». متفق عَلَيْهِ[٢].

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم برقم (١٩٣١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت برقم (٤٢٥)، =

▫ (وَعِتْبان): بكسر العين عَلَى المشهور وحُكِيَ ضَمُّها وبعدها تاءٌ مثناة مِن فوق ثُمَّ باءٌ موحدة. (والدُّخْشُم): بضم الدال وإسكان الخاء وضم الشين المعجمتين.

١٥٣٠ ـ وعن كعب بن مالك ﷺ في حديثه الطويل في قصةِ تَوْبَتِهِ، وَقَدْ سبق في باب التَّوبةِ. قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ وَهُوَ جالِسٌ في القَومِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعبُ بن مالِكٍ؟» فَقَالَ رَجلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رسولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جبلٍ ﷺ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، والله يَا رسولَ الله مَا علمنا عَلَيْهِ إلَّا خَيْراً، فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ. متفق عَلَيْهِ.

▫ (عِطْفَاهُ): جَانِبَاهُ، وهو إشارةٌ إلى إعجابِهِ بنفسِهِ.

الشَّرح

قد سبق من الآيات والأحاديث ما يدل على تحريم الغيبة، وأنها من المنكرات ومن الكبائر وهي من أسباب الشحناء والعداوة والبغضاء والاختلاف؛ ولهذا حرمها الله لما تجره من الشر بقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال في الحديث الصحيح: أنه مر على قوم حين عرج به لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقال: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم؛ فالغيبة من أخبث المعاصي ومن أكبر الكبائر؛ فالواجب الحذر منها والواجب الإنكار على من فعلها، فإذا حضرت مجلس فيها الغيبة فالواجب إنكار ذلك والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، هذا الغيبة، ذكر الإنسان بما يكره من الخصال التي يُسِرُّ بها، أما

= ومسلم في كتاب المساجد، باب الرّخصة في التّخلّف عن الجماعة بعذرٍ برقم (٢٦٣)، رقم حديث الباب ساقه بعد (٦٥٧).

من أظهر المعاصي وجاهر بها فلا غيبة له فيما أظهر من المعاصي، لكن المعاصي التي لا يظهرها بل يعلمها الإنسان؛ لكن لا يجوز له أن يغتابه فيها؛ بل يحرم عليه ذلك، والمشروع له المناصحة والتوجيه والدلالة على الخير، والوصية بالخير هكذا يقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، واللغو كل شيء باطل من الغيبة والنميمة وسائر المعاصي، قال في سورة المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]؛ فالإنسان إذا جلس مع قوم يظهرون المنكر وجب إنكاره عليهم، فإن أجابوا وكفوا فالحمد لله وإلا وجب فراقهم، وعدم حضور المنكر الذي يتظاهرون به، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» من ذب عن عرض أخيه من نصر المظلوم؛ يقول ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً**» قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُوماً، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِماً؟) قَالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[1].

فالإنكار عليه ونصيحته وتوجيهه حتى يدع هذه المعصية هذا نصره، وفي حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه لما قال رجل أن مالك بن دخشم أنه منافق لا يحب الله ورسوله أنكر عليه النبي ﷺ: «**لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**».

فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في عرض أخيه إلا عن بصيرة وعن علم، ولما مر بجنازة على النبي ﷺ وأثنى عليها الحاضرون شرّاً قال:

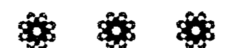
---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٣٧) ج١.

«**وجبت**» ومر بأخرى فأثنى عليها الحاضرون خيراً قال: «**وجبت**» قيل: (يا رسول الله ما وجبت؟) قال: «**هذه أثنيتم عليها شرّاً فوجبت لها النار، والثانية أثنيتم عليها خيراً فوجبت لها الجنة أنتم شهداء الله في الأرض**»، فلم ينكر على الذين شهدوا عليها بالشر؛ لأن صاحبها قد أظهر المعاصي، فمن أظهر المعاصي فلا غيبة له؛ ولهذا لم ينكر عليهم شهادتهم عليه بأنه أثنوا عليه شرّاً؛ لأنهم شهدوا بما أظهر من المعاصي والشرور.

وهكذا قصة كعب بن مالك يوم تبوك تخلف عن غزوة تبوك مع شخصين آخرين بغير عذر، فسأل النبي ﷺ عن كعب وهو في تبوك نازل «**أين كعب؟**» فقال بعض الحاضرين: (**حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ**)، كلمة قبيحة؛ يعني: ما همه إلا ثيابه والتزين فأنكر مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَقَالَ: (**بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً**)، فَسَكَتَ النبي عليه الصلاة والسلام. في هذا إنكار معاذ على صاحب الغيبة وأقره النبي عليه الصلاة والسلام، فالمؤمن مرآة أخيه وهو أيضاً عزٌّ لأخيه، المؤمن أخو المؤمن في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[1]. ويقول ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[2]؛ فالمؤمن أخو المؤمن، لا يغتابه، ولا ينم عليه، ولا يؤذيه، ولا يظلمه، ولا يحسده، بل يعينه على الخير ويساعده في الخير، ويعينه على ترك الشر.

وفق الله الجميع.



---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٢٢) ج١.
(٢) سبق تخريجه برقم (٢٢٤) ج١.



٢٥٦ - بَابُ مَا يباح من الغيبة

اعْلَمْ أنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أَسْبَابٍ:

الأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلمَظْلُومِ أنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ والقَاضِي وغَيرِهِما مِمَّنْ لَهُ وِلَايَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلَانٌ بكذا.

الثَّاني: الاسْتِعانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العَاصِي إِلَى الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتهُ عَلَى إزالَةِ المُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كَذا، فازْجُرْهُ عَنْهُ ونحو ذَلِكَ ويكونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلَ إِلَى إزالَةِ المُنْكَرِ، فَإنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَاماً.

الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ، فيقُولُ لِلمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبي أَوْ أخي، أَوْ زوجي، أَوْ فُلانٌ بكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَريقي في الخلاصِ مِنْهُ، وتَحْصيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذَلِكَ، فهذا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأَحْوطَ والأفضَلَ أنْ يقول: مَا تقولُ في رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أمْرِهِ كذا؟ فَإنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيرِ تَعْيينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فالتَّعْيينُ جَائِزٌ كَمَا سَنَذْكُرُهُ في حَدِيثِ هِنْدٍ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الرَّابعُ: تَحْذِيرُ المُسْلِمينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا: جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ وذلكَ جَائِزٌ بإجْمَاعِ المُسْلِمينَ، بَلْ وَاجِبٌ للْحَاجَةِ.

ومنها: المُشَاوَرَةُ في مُصاهَرَةِ إنْسانٍ أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أَوْ

مُعامَلَتِهِ، أَوْ غيرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجبُ عَلَى المُشَاوَرِ أَنْ لا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَسَاوِئَ الَّتي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصيحَةِ.

ومنها: إِذَا رأى مُتَفَقِّهاً يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذَلِك، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبيانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذا مِمَّا يُغلَطُ فِيهِ. وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِك الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطانُ عَلَيْهِ ذَلِك، ويُخَيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَليُتَفَطَّنْ لِذلِكَ.

وَمِنها: أَنْ يكونَ لَهُ وِلايَةٌ لا يقومُ بِهَا عَلَى وَجْهِها: إِمَّا بِأَنْ لا يكونَ صَالِحاً لَهَا، وإما بِأَنْ يكونَ فَاسِقاً، أَوْ مُغَفَّلاً، وَنحوَ ذَلِك فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ ولايةٌ عامَّةٌ لِيُزيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يصْلحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِك مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حالِهِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِهِ، وأَنْ يَسْعَى في أَنْ يَحُثَّهُ عَلَى الاسْتِقَامَةِ أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

الخامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِراً بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ كالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاسِ، وأَخْذِ المَكْسِ، وجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْماً، وَتَوَلِّي الأُمُورِ الباطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إِلَّا أَنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

السَّادِسُ: التعرِيفُ، فإذا كَانَ الإنْسانُ مَعْرُوفاً بِلَقَبٍ؛ كالأَعْمَشِ، والأعرَجِ، والأَصَمِّ، والأَعْمى، والأَحْوَلِ، وغَيْرِهِمْ جاز تَعْرِيفُهُمْ بذلِك، وَيَحْرُمُ إِطْلاقُهُ عَلَى جِهَةِ التَّنْقِيصِ، ولو أمكَنَ تَعْريفُهُ بِغيرِ ذَلِك كَانَ أَوْلَى، فهذه ستَّةُ أسبابٍ ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ وأكثَرُها مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَدَلائِلُهَا مِنَ الأَحادِيثِ الصَّحيحَةِ مشهورَةٌ. فمن ذَلِك:

١٥٣١ ـ عن عائشة ﵂؛ أَنَّ رجلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ:

«ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ؟». متفق عَلَيْهِ(١).

احتَجَّ بِهِ البخاري في جوازِ غيبَة أهلِ الفسادِ وأهلِ الرِّيبِ.

١٥٣٢ ـ وعنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا أَظُنُّ فُلاناً وفُلاناً يَعْرِفانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئاً». رواه البخاري(٢).

قَالَ: قَالَ اللَّيْثُ بن سعدٍ أحَدُ رُواة هَذَا الحديثِ: هذانِ الرجلانِ كانا من المنافِقِينَ.

الشَّرح

فهذه كلمات وضَّح بها المؤلف صفات الغيبة المباحة وتعريفها وأقسامها، الغيبة محرمة كما تقدم وهي ذكرك أخاك بما يكره هذا الغيبة، ذكرك أخاك بما يكره، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] لأنها تسبب الفساد والشحناء والبغضاء؛ فلهذا حرمه الله ﷻ؛ لكن تجوز في حالات ومواضع ستة بيَّنها المؤلف للحاجة إليها جمعها بعضهم في بيتين فقال:

(الذم ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقاً ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر)

هذه ستة شرحها المؤلف هنا

متظلم يقول: ظلمني فلان أخذ مالي، فعل بي كذا وكذا، يشكوه للحاكم أو إلى الأمير بما جرى منه؛ لأنه مضطر لهذا الشيء، أو معرف يقول: الأعمش، أو فلان الأعرج، أو فلان الأبرص، أو ما أشبه الأعمى، أو الأعور؛ ليس قصده الذم، مثل ما جاء في الرواة عن الأعمش عن الأعرج لأنهم عرفوا بهذا الشيء، أو محذر، محذر من شر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً برقم (٦٠٣٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب مداراة من يتقي فحشه برقم (٢٥٩١).
(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الظن برقم (٦٠٦٧).

إنسان يخاف لا خير فيه وقد يخفى على بعض الناس إزالة الوهم لبعض الناس ويحذر منه يقول: هذا ما يصلح، ينصح أخاه مثل ما قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس لما استشارته في الزواج من جماعة خطبوها من أبي جهم ومعاوية وأسامة بن زيد وجماعة نصحها قال: «**مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ صُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ وأَبِي جَهْمٍ أَنَّهُ لَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**».

وهكذا المستفتي جاءت هند قَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ)، فَقَالَ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالمَعْرُوفِ**» مستفتية تأتي للقاضي أو للمفتي تقول: زوجي مقصر في حقي، زوجي فعل كذا يفتيها بما يلزم، هكذا من أظهر الفسق، إنسان يظهر المعاصي الخمر، الربا، غير هذا من المعاصي الظاهرة، هذا لا غيبة له فيما أظهر، ومن هذا قول النبي ﷺ لما سأل عن رجل: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، أَوِ ابْنُ العَشِيرَةِ**».

هذه غيبة لكن هذا مظهر شر؛ ولهذا قال له: «**بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ**» يحذر الناس منه «**مَا أَظُنُّ فُلَاناً وَفُلَاناً يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئاً**» لأنه قد أظهر الشر كالمنافقين.

وكذلك كون الصحابة لما مرت عليهم الجنازة فأثنوا عليها شرّاً قال النبي: «وجبت» أثنوا شراً بسبب ما أظهر صاحبها الشر؛ فلهذا أثنوا عليه شرّاً.

وهكذا من طلب الإعانة لإزالة منكر إنسان عنده منكر فطلب الإعانة في إنسان مثلاً يعرف أنه سيقتل فلاناً، أو سيزني بفلانة .... قد أمسكها فيرفع الأمر إلى الهيئة إلى القاضي إلى الأمير حتى يخلص هذا المظلوم يستعين به في إزالة المنكر الذي عرفه.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥٣٣ ـ **وعن** فاطمة بنتِ قيسٍ ﵂، قالت: أتيت النبيَّ ﷺ، فقلتُ: إنَّ أَبَا الجَهْم وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وأمَّا أَبُو الجَهْمِ، فَلَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ». متفق عَلَيْهِ(١).

📖 وفي رواية لمسلم: «وَأمَّا أَبُو الجَهْمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّساءِ» وَهُوَ تفسير لرواية: «لا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ» وقيل: معناه: كثيرُ الأسفارِ.

١٥٣٤ ـ **وعن** زيد بن أرقم ﵁، قَالَ: خرجنا مَعَ رسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ أصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عبدُ اللهِ بن أُبَيّ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُّوا، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَأَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، فَأخْبَرْتُهُ بذلِك، فَأرْسَلَ إِلَى عبدِ الله بن أُبَيٍّ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: مَا فَعلَ، فقالوا: كَذَبَ زيدٌ رَسُولَ الله ﷺ، فَوَقَعَ في نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ حَتَّى أَنْزلَ اللهُ تَعالَى تَصْدِيقِي: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] ثُمَّ دعاهُمُ النبيّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ. متفق عَلَيْهِ(٢).

١٥٣٥ ـ **وعن** عائشة ﵂، قالت: قالت هِنْدُ امْرَأةُ أَبي سفْيَانَ للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفيني وولَدِي إلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ؟ قَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ». متفق عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها برقم (١٤٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] إِلَى ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] برقم (٤٩٠٠)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار برقم (٢٢١١)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب قضية هند برقم (١٧١٤).

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق ببيان ما يجوز من الغيبة، تقدم أن الغيبة محرمة من الكبائر؛ لكن تجوز في مواضع ستة كما تقدم بيانها، منها:

إجابة المستنصح والمستشير، وأنه ينصح ويوجه إلى الخير ولا يكون ذلك غيبة إذا استنصح واستفتى يوجه إلى الخير.

ومن هذا قصة فاطمة بنت قيس قَالَتْ: (**يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي**) (تستشيره)، فَقَالَ ﷺ: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ** (أنه كان ضراباً للنساء)، **وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ** (يعني: فقير) (ثم قال له أشار عليها)، **انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**» (وكان ممن خطبها فكَرِهتهُ)، ثُمَّ قَالَ: «**انْكِحِي أُسَامَةَ**»، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فهذا دليل على أن المستفتي والمستنصح والمستشير يخبر بالحقيقة وليس بغيبة، وهكذا من رأى منكر ظاهر ينكره أو رأى أمراً فيه خطر على المسلمين ينكره ويرفع أمره، من هذا قصة زيد بن أرقم لما سمع عبد الله بن أُبي يقول في حق النبي ﷺ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾؛ يعني: نفسه وأنه يخرج محمداً ﷺ وأن محمداً هو الأذل فبلَّغ ذلك زيد للنبي ﷺ فلما سئل عبد الله أنكر هذا، ما حدث هذا زيد كاذب فاهتم زيد لهذا واشتد عليه الأمر حتى أنزل الله سورة المنافقين، وفيها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ الآية [المنافقون: ٥ ـ ٧]

المقصود: أن الله بيَّن ما صدر من رأس المنافقين وبرأ ساحة زيد،

فدل ذلك أن إنكار المنكر والنصيحة للمسلمين غير داخل في الغيبة.

كذلك قصة هند بنت عتبة لما اشتكت إلى النبي ﷺ زوجها أبا سفيان بن حرب قالت: إنه شحيح لا يعطيني ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذتُ من ماله بغير علمه، هذا أيضاً من باب الاستفتاء، فأفتاها النبي ﷺ بأن تأخذ من ماله بالمعروف ما يكفيها ويكفي بنيها، قولها: شحيح دعتها الحاجة إلى هذا، هذا من باب ذكر ما يكره، من باب الغيبة، لكنها جازت لحاجتها إلى الاستفتاء، لحاجتها أن تبين سبب استفتائها وأنه يقصر عليها، فهل تأخذ من ماله ما يكفيها ويكفي بنيه من غير علمه فقال النبي: «**لا بأس خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك**»، فالزوجة التي عندها زوج يقصر عليها تأخذ من ماله بالمعروف ما يكفيها ويكفي بنيها من غير علمه من دون إسراف ولا تبذير، تأخذ قدر الحاجة فقط.

وفق الله الجميع.






٢٥٧ ـ بَابُ تحريم النميمة وهي نقل الكلام بَيْنَ الناس عَلَى جهة الإفساد

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١٥٣٦ ـ وعن حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ». متفق عَلَيْهِ(١).

١٥٣٧ ـ وعن ابن عباسٍ ﷺ؛ أَنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبيرٍ! بَلَى إنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ». متفق عَلَيْهِ(٢). وهذا لفظ إحدى روايات البخاري.

□ قَالَ العلماءُ معنى: (وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبيرٍ)؛ أيْ: كَبيرٍ في زَعْمِهِمَا. وقِيلَ: كَبيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

١٥٣٨ ـ وعن ابن مسعود ﷺ؛ أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رواه مسلم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة برقم (٦٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة برقم (١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله برقم (٢١٦ و٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدّليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه برقم (٢٩٢).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم النميمة برقم (٢٦٠٦).

▫ (العَضْهُ): بفتح العين المهملة، وإسكان الضاد المعجمة، وبالهاء عَلَى وزن الوجهِ، ورُوِي العِضَةُ: بكسر العين وفتح الضاد المعجمة عَلَى وزن العِدَة، وهي: الكذب والبُهتان، وعلى الرِّواية الأولى: العَضْهُ مصدرٌ يقال: عَضَهَهُ عَضهاً؛ أيْ: رماهُ بالعَضْهِ.

الشَّرح

فهذه الآيات مع الأحاديث ما يتعلق بالنميمة تقدم الكلام في الغيبة وما فيها من الأحاديث، وما فيها من الشر والفساد وأنها تسبب العداوة والشحناء والبغضاء ونشر الفاحشة، وهذه النميمة أيضاً تسبب الشر والشحناء والعداوة والبغضاء بين الناس، وهي نقل الكلام السيئ من شخص إلى شخص، أو من قبيلة إلى قبيلة، أو من جماعة إلى جماعة، أو من أهل البلد إلى أهل بلد، كأن يقول: فلان يقول فيك: إنك بخيل، يقول فيك: إنك جبان، يقول فيك: إنك كذا وكذا مما يكره، ينقل الكلام السيئ، فذاك يجد في نفسه عند النقل، قد يبطش بالرجل، وقد يؤذيه وقد ينم عليه بأكثر، إلى غير ذلك، فهي طريق شر وطريق فساد؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ ـ ١١] نهى الله نبيه أن يطيع هؤلاء الهمازين المشائين بالنميمة؛ لأنهم مفسدون؛ فالواجب الحذر منهم والإنكار عليهم إذا نقلوا يقول لا تنقل إليَ ثم قال ﷺ: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئاً، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ». فلا ينبغي للعاقل؛ بل لا ينبغي للمسلم أن ينقل الكلام السيئ فقد يتساهل بعض الناس يتكلم عندك بشيء فلا تنقله، تقول: قال فلان فيك، قال فلان فيك، أو في المرأة كذلك سواء رجل أو امرأة وقال جلَّ وعلا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] أقوالك مضبوطة محفوظة، مكتوب عليك فاحذر أن تتكلم بشيء يضرك، ويكتب في سيئات عملك، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢] فهم كرام

يكتبون قولك وعملك فاحفظ هذا اللسان حتى لا تقول إلا خيراً، يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**» هذا هو الجماع، جماع السلامة إما خير وإما الصمت، يقول ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**» في اللفظ الآخر: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» متفق على صحته(١)، وقتات ونمام هو الذي ينقل الكلام السيئ من شخص إلى شخص، أو من جماعة إلى جماعة.

وهكذا قوله ﷺ إنه مرَّ على قبرين يعذبان وما يعذبان في كبير؛ يعني: كبير في اعتقادهما أو معنى شاق عليهما؛ يعني: شيء ما يكلف والعياذ بالله قال: بلى إنه لكبير من كبائر الذنوب «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ**»، في لفظ: «**لا يتنزه مِنَ البَوْلِ**»، «**وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» بيَّن ﷺ أنهما يعذبان في قبورهما بأسباب هذين الذنبين، عدم التنزه من البول، والمشي بالنميمة، «**ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً**»، فَقَالُوا: (يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟) فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**» هذا خاص بهما لا يقاس عليه غيرهما؛ يعني: الرسول ﷺ أطلعه الله على عذابهما ففعل هذا، أما بقية القبور لا نعرف عذابهما ولا نجعل عليهما جرائد؛ لأنه ﷺ لم يجعل في قبور البقية ولا غيرها جرائد، إنما جعل لهذين القبرين اللذين أطلعه الله على عذابهما، والشاهد قوله: «**وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» فاحذر من النميمة وأنها من أسباب عذاب القبر مع عذاب النار نسأل الله العافية.

الحديث الثالث يقول ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ**»؛ يعني: ما هو الشر أو ما هو القطع؛ يعني: ما هو الشيء الضار الكثيرة «**هِيَ النَّمِيمَةُ**

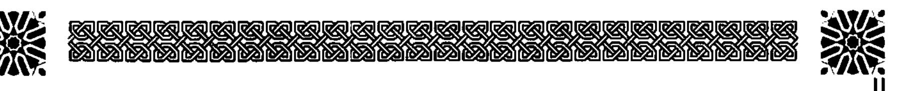
---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث حذيفة ﷺ في كتاب الأدب، ما يكره من النميمة برقم (٦٠٥٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة برقم (١٠٥).

القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» لأنها تعمل عمل الشر في التفريق بين الناس والشحناء والعداوة؛ فالعضه يطلق على السحر يطلق على النميمة يطلق على الشيء الذي لا خير فيه؛ فالمعنى ألا أنبئكم عن الشر الكبير وهذا المنكر العظيم «**هِيَ النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»؛ يعني: الفاشية بين الناس، كثير من الناس يتلذذ بنقل الكلام السيئ ويتلذذ بالغيبة يتلذذ بكل شيء شر، طبيعته الشر؛ فلا يرتاح حتى ينقل الكلام السيئ أو يغتاب الناس فاحذر أن تكون مثله؛ يعني: احذر إطلاق لسانك فيما يضرك، أو يسبب الشحناء والعداوة بين الناس كالنميمة والغيبة.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.





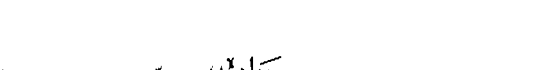
٢٥٨ ـ بَابُ النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلَى ولاة الأمور إذَا لَمْ تَدْعُ إلَيْهِ حاجة كخوف مفسدة ونحوه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

١٥٣٩ ـ وعن ابن مسعودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا يُبَلِّغُني أَحَدٌ مِنْ أصْحَابِي عَنْ أحَدٍ شَيْئاً، فإنِّي أُحِبُّ أنْ أخْرُجَ إلَيْكُمْ وأنَا سَليمُ الصَّدْرِ». رواه أَبُو داود والترمذي[1].

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس برقم (٤٨٦٠)، والترمذي في كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ برقم (٣٨٩٦ و٣٨٩٧).

٢٥٩ ـ بَابُ ذمّ ذِي الوَجْهَيْن

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

١٥٤٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ: خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ في هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لَهُ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ، الَّذِي يَأتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ». متفق عَلَيْهِ(١).

١٥٤١ ـ وعن محمد بن زيدٍ؛ أنَّ ناساً قالوا لِجَدِّهِ عبدِ اللهِ بن عمر رضي الله عنهما: إنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ. قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ. رواه البخاري(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث [١٥٣٩ ـ ١٥٤٠ ـ ١٥٤١] فيما يتعلق بذم النقل إلى ولاة الأمور من الأمراء والملوك ما يخشى منه الشر والفتنة، أما ما تدعوا إليه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقَوْلهُ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] برقم (٣٤٩٦، ٣٤٩٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس برقم (٢٥٢٦).

(٢) أخرجه في كتاب الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان، وإذا خرج قال غير ذلك برقم (٧١٧٨).

الحاجة لحفظ الأمن وسلامة المسلمين فلا بأس، وهكذا ذم صاحب الوجهين الذي يأتي الناس بوجه ويأتي الآخرين بوجه لينال حظه العاجل من الدنيا، وتقدم أحاديث النميمة، والواجب على المؤمن أن يحذرها، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»** تقدم حديث أصحاب القبرين.

«أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» وكان يعذب في قبره فالنمام هو الذي ينقل الكلام السيئ الذي ينقله للأمير أو للجيران أو لغيرهم حتى تفسد الحال بين المنقول عنه والمنقول إليه، وهذه هي النميمة قال ﷺ: **«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»** فالنميمة نقل الحديث الذي يسبب الشحناء والعداوة قال فيك كذا، سمعت يقول فيك كذا، يذمك في كذا إلى غير ذلك مما يسبب الشحناء، هذا لا يجوز، إلا إذا كان لمصلحة مثل ما قال المؤلف لحاجة شيء يضر المسلمين، ناس يبيتون مضرة على المسلمين أو مضرة على بعض المسلمين ينقل عنهم حتى يدفع شرهم، أما الشيء العادي الذي يسبب الشحناء ومرض القلوب من دون فائدة فالله جلَّ وعلا يحذر منه، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول ﷺ: **«لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»**؛ فالواجب الحذر إلا ما تدعو له الحاجة، الشيء الذي يضر المسلمين ينقل إلى أمير البلد إلى السلطان، إلى الهيئة، الشيء الذي يخشى منه الضرر ينقل، أما الشيء الذي وإنما لا يخشى منه الضرر يسبب الشحناء والعداوة فهذا من النميمة فلا يجوز.

وهكذا ذو الوجهين يجب أن يحذر وهو الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه يأتي هذا يمدحه ثم يذهب إلى الآخر ويذمه عنده وهكذا، له وجوه كل ناس يأتيهم بوجه حتى يعيش حتى يجد مطلوبه فيأتي زيداً ويذم عنده عمراً، ويأتي عمراً ويذم عنده زيداً حتى يظن كل واحد أنه

صديقه وأنه صاحبه، وهذا يسبب الشحناء والعداوة والبغضاء بين الناس، وهذه هي النميمة، قد تكون كذباً قد يكذب فيكون مع النميمة كذب نسأل الله العافية، الكذاب النمام نسأل الله العافية، فالواجب الحذر.

ولهذا يقول ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»**، ويقول ﷺ: **«كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»**[1]. الإنسان ينتقي لا يتكلم إلا بالشيء الطيب فإذا سمع أنواعاً من الكلام انتقى، أخذ الطيب ونقل الذي ينفع الناس والذي يضر الناس يتركه، وهكذا يقول ﷺ: **«تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ»** سماه شر الناس والناس معادن، مثل ما قال ﷺ: **«تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، إِذَا فَقِهُوا»** فهذا يجود بالكرم والصدق والعفاف ومحبة العون للمسلم فهم معادن فإذا أسلموا خيرهم في الجاهلية خيرهم في الإسلام إذا أسلموا وصاروا على طريقتهم السليمة الطيبة من الجود والكرم والإحسان والعون في الخير والكف عن الشر، وتجنب شر ذو الوجهين فيأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه **«وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً»**؛ يعني: من منصب الإمارة من كان يكرهه ثم بُلي به هو خير الناس قياماً بخلاف من يطلبه ويحرص عليه فقد يخذل ولا يوفق؛ لكن من ألزم به وجاء وهو له كاره صار أقرب إلى أن ينجح فيه ويتقي الله فيه ويعتني به ويحذر أن يحيد عنه أو يظلم أحداً.

كذلك حديث عبد الله بن عمر الذي يأتي السلاطين والأمراء بوجه ويأتي الآخرين بوجه، يمدحهم في وجوههم فإذا خرج منهم صار يذمهم، قال ابن عمر: كنا نعدُّ هذا نفاقاً. نسأل الله العافية، الواجب على المؤمن أن يحفظ لسانه سواء عند الملوك أو غير الملوك فلا يقول إلا

---

(١) سيأتي في الحديث رقم (١٥٤٧).

الشيء الطيب الذي يعتقد أنه يسعه وأنه جائز له؛ وليحذر الأشياء التي يريد بها حظ نفسه العاجل فيكذب ويظهر محبة وتصديقاً، هو كذاب ليحصل من ورائهم شيء من طمع الدنيا، الواجب أن يكون صادقاً نصوحاً، هكذا المؤمن أينما كان لا تجده إلا ناصحاً لله ولعباد الله؛ ليس همه الدنيا وحرصه على تحصيلها بكل وسيلة؛ بل همه على ما فيه سعادته ونجاته وصلاح أمر دينه.

والله الموفق.





٢٦٠ ـ بَابُ تحريم الكذب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١٥٤٢ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً. وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

١٥٤٣ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عَلَيْهِ(٢).

وَقَدْ سبق بيانه مَعَ حديث أَبي هريرة بنحوه في باب الوفاءِ بالعهدِ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وما ينهى عن الكذب برقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصّدق وفضله برقم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق برقم (٥٨)، ومن حديث أبي هريرة برقم (٥٩).

١٥٤٤ ـ وعن ابن عباس ﷺ، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بنافِخٍ». رواه البخاري(١).

□ (تَحَلم)؛ أيْ: قَالَ إنَّه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وَهُوَ كاذب. (والآنك): بالمدّ وضم النون وتخفيف الكاف: وَهُوَ الرَّصَاصُ المذاب.

﴿ الشَّرح ﴾

فهذه الأحاديث الثلاثة وما جاء في معناها مع الآيتين الكريمتين كلها تدل على وجوب حفظ اللسان وصيانتها عن الكذب، وأن يتحرى في كلامه حتى لا يتكلم إلا عن بصيرة، يقول جلَّ وعلا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فإذا كانت كلماتك وألفاظك مراقبة فالواجب عليك أن تعتني بها وأن تتحفظ، وأن تحرص ألا تقول إلا شيئاً ينفعك، لا يضرك فإن الملائكة تكتب؛ وأنت على خطر، فالواجب عليك أن تتحرى في كلماتك حتى لا يكون فيها ما يضرك، وهكذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ يعني: لا تتكلم ولا تفعل ما ليس لك علم، تقف تتبعه بقول أو فعل ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ فالواجب أن يحذر الإنسان أن يقول شيئاً يضره أو يفعل شيئاً يضره، وقال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أمر عباده أن يتقوه وأن يكونوا مع الصادقين في أقوالهم وأعمالهم قال جلَّ وعلا: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فالصدق يكون في القول ويكون في العمل، صدق في العمل،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه برقم (٧٠٤٢).

وصدق في القول، فالصدق في العمل أداء الفرائض عن بصيرة وعن عناية، ترك المحارم عن بصيرة وعن عناية وإخلاص، والوقوف عند الحدود عن عناية وبصيرة وإخلاص، والصدق في القول تحري الصواب في القول، يقول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: **«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً»** هذا فيه حذر من الكذب تحريه والتساهل به والإنسان يتحرى الصدق ويلتزم الصدق إلا فيما رخص الله فيه من الكذب، ما رخص الله فيه من الكذب، ما رخص الله فيه فلا بأس، الكذب في الإصلاح بين الناس والحرب وفي حديث الرجل مع المرأته والمرأة مع زوجها، لا بأس لما فيه من المصلحة.

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ: **«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»**. والشاهد قوله: **«إذا حدث كذب»** وأن الكذب من خصال المنافقين، من خصالهم الذميمة الكذب وعدم مبالاتهم، و**«إذا اؤتمن خان»**، سواء كانت الأمانة دينية أو مالية، **«وإذا خاصم فجر»**؛ يعني: كذب في خصومته وفجر، وإذا عاهد غدر.

وهكذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين أيضاً يقول ﷺ: **«آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ»**؛ يعني: علامته: **«إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»** فوجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يحذر خصال أهل النفاق النفاق وأن يبتعد عنها.

وهكذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**» (من يستطيع أن يعقدً بين شعيرتين، الشعيرة: حبة يابسة ما تنعقد مع أختها؛ يعني: كلف بشيء يضره ولا يستطيعه من باب التعذيب. من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين؛ يعني: تعذيباً في هذا الحلم الذي كذبه وافتراه)، «**وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**» ويعذب بها يوم القيامة؛ فالواجب الحذر أيضاً من التصوير وأن الصور محرمة، وأهلها يعذبون بها، وفي الحديث الآخر: يقول ﷺ «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»، والحديث الآخر أن الرسول ﷺ: «**لَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ وَالمُصَوِّرَ**».

والشاهد قول: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ**»، من كذب في الرؤيا بكذب كما اعترف بجريمة ليسً له أن يكذب يقول: رأيت وهو يكذب؛ بل يجب أن يحذر ذلك، ولا يقول رأيت إلا وهو صادق.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٥٤٥ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، **قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا»**. رواه البخاري[1].

□ ومعناه: يقول: رأيتُ، فيما لَمْ يَرَهُ.

١٥٤٦ ـ وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه **قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وإنَّهُ قَالَ لنا ذَات غَدَاةٍ: «إنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وإنَّهُمَا قَالا لِي: انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وإنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ،**

(١) أخرجه في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه برقم (٧٠٤٣).

فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأسُهُ كما كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأوْلَى!» قَالَ: «قُلْتُ لهما: سُبْحانَ اللهِ! مَا هَذان؟ قَالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَديدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأتِي أحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، ومِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجانبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بالجَانِبِ الأوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الجانبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجانبُ كما كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي المرَّةِ الأُوْلَى» قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هذانِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ» فَأَحْسِبُ أنَّهُ قَالَ: «فإذا فِيهِ لَغَطٌ، وأصْواتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فإذا فِيهِ رِجَالٌ وَنِساءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أتاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا. قُلْتُ: مَا هَؤلاءِ؟ قَالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهرٍ» حَسِبْتُ أنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «أحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا في النَّهْرِ رَجُلٌ سابحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كثيرةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابحُ يَسْبَحُ، مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَراً، فَينْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجعَ إِلَيْهِ، فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَألْقَمَهُ حَجَراً، قُلْتُ لهُما: مَا هذانِ؟ قالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنا عَلَى رَجُلٍ كَريهِ المرْآةِ، أَوْ كَأكْرَهِ مَا أنتَ رَاءٍ رجُلاً مَرْأىً، فإذا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا. قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قالاَ لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَويلٌ لا أكادُ أرَى رَأسَهُ طُولاً في السَّماءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أكْثَرِ وِلدانٍ رَأيْتُهُمْ قَطُّ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا هؤلاءِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ عَظيمةٍ لَمْ أرَ دَوْحَةً قَطُّ أعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا

أَحْسَنَ! قالا لي: ارْقَ فِيهَا، فارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبنِ ذَهَبٍ وَلَبنٍ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاها، فَتَلَقَّانَا رِجالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كأَحْسَنِ مَا أنت راءٍ! وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كأَقْبَحِ مَا أنتَ راءٍ! قالا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا في ذَلِك النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ نَهرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كأنَّ ماءَهُ المَحْضُ في البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِك السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا في أَحْسَنِ صُورَةٍ» قَالَ: «قالا لِي: هذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وهذاك مَنْزِلُكَ، فسَمَا بَصَري صُعُداً، فإذا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيضاءِ، قالا لي: هذاكَ مَنْزِلكَ؟ قلتُ لهما: بارَكَ اللهُ فيكُما، فذَراني فأدخُلَه. قالا لي: أَمَّا الآنَ فَلَا، وأنتَ دَاخِلُهُ، قُلْتُ لَهُمَا: فَإنِّي رَأيتُ مُنْذُ اللَّيْلَة عَجَباً؟ فما هَذَا الَّذِي رأيتُ؟ قالا لي: أمَا إنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الأوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأسُهُ بالحَجَرِ، فإنَّهُ الرَّجُلُ يَأخُذُ القُرآنَ فَيَرفُضُهُ، ويَنَامُ عَنِ الصَّلاةِ المَكتُوبَةِ. وأمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، ومِنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فإنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ. وأمَّا الرِّجَالُ والنِّسَاءُ العُراةُ الَّذِينَ هُمْ في مثْلِ بناءِ التَّنُّورِ، فَإنَّهُمُ الزُّنَاةُ والزَّواني، وأما الرجلُ الذي أتيتَ عَليهِ يَسْبَحُ في النهرِ، ويلقم الحجارةَ، فإنَّهُ آكلُ الربا، وأمَّا الرَّجُلُ الكَريهُ المرآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فإنَّهُ مالكٌ خازِنُ جهَنَّمَ، وأمَّا الرَّجُلُ الطَّويلُ الَّذِي في الرَّوْضَةِ، فإنَّهُ إبراهيم ﷺ، وأمَّا الولدان الَّذِينَ حَوْلَهُ، فكلُّ مَوْلُودٍ ماتَ عَلَى الفِطْرَةِ» وفي رواية البَرْقانِيِّ: «وُلِدَ عَلَى الفِطْرَةِ» فَقَالَ بعض المُسلمينَ: يَا رسولَ الله، وأولادُ المُشركينَ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وأولادُ المشركينَ، وأما القومُ الذينَ كانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبيحٌ، فإنَّهُمْ قَومٌ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً، تَجاوَزَ الله عنهم». رواه البخاري.

📖 وفي روايةٍ لَهُ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي فأخْرَجَانِي إِلَى أرْضٍ

مُقَدَّسَةٍ» ثُمَّ ذَكَرَهُ وقال: «فَانْطَلَقْنَا إِلَى نَقْبٍ مثلِ التَّنُورِ، أعْلاهُ ضَيِّقٌ وَأسْفَلُهُ واسِعٌ؛ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ ناراً، فإذا ارْتَفَعَتِ ارْتَفعُوا حَتَّى كَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، وَإِذَا خَمَدَتْ! رَجَعُوا فِيهَا، وفيها رِجالٌ ونِساءٌ عراةٌ». وفيها: «حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ» ولم يشكَّ «فِيهِ رَجُلٌ قائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ وعلى شطِّ النَّهرِ رجلٌ، وبينَ يديهِ حِجارةٌ، فأقبلَ الرجلُ الذي في النَّهرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ جَعَلَ يَرْمِي في فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِع كما كَانَ». وفيها: «فَصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَاراً لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ». وفيها: «الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يوم القِيَامَةِ»، وَفِيهَا: «الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بالنَّهارِ، فَيُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، والدَّارُ الأولَى الَّتي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤمِنِينَ، وأَمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَداءِ، وأنا جِبْرِيلُ، وهذا مِيكائيلُ، فَارْفَعْ رَأسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأسِي، فإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحابِ، قالا: ذاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلُ مَنْزِلِي، قالا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَهُ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ». رواه البخاري[(١)].

□ قَوْله: (يَثلَغ رَأسَهُ): هُوَ بالثاءِ المثلثةِ والغينِ المعجمة؛ أيْ: يَشدَخُهُ وَيَشُقُّهُ. قولهُ: (يَتَدَهْدَهُ)؛ أيْ: يَتَدحْرجُ. (والكَلُّوبُ): بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وَهُوَ معروف. قَوْله: (فَيُشَرْشِرُ)؛ أيْ: يُقَطِّعُ. قَوْله: (ضَوْضَوا): وَهُوَ بضادين معجمتين؛ أيْ: صاحوا. قَوْله: (فَيَفْغَرُ): هُوَ بالفاء والغين المعجمة؛ أيْ: يفتح. قَوْله: (المَرآة): هُوَ بفتح الميم؛ أيْ: المنظر. قَوْله: (يَحُشُها): هُوَ بفتح الياءِ وضم الحاء المهملة والشين المعجمة؛ أيْ: يوقِدُها. قَوْله: (رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ): هُوَ

(١) أخرجه في كتاب التعبير باب تعبير الرّؤيا بعد صلاة الصّبح برقم (٧٠٤٧).

بضم الميم وإسكان العين وفتح التاء وتشديد الميم؛ أيْ: وافية النَّباتِ طَويلَته. قَولُهُ: (دَوْحَةٌ): وهي بفتحِ الدال وإسكان الواو وبالحاءِ المهملة: وهي الشَّجَرَةُ الكَبيرةُ. قَوْلهُ: (المَحْضُ): هُوَ بفتح الميم وإسكان الحاء المهملة وبالضَّادِ المعجمة، وَهُوَ: اللَّبَنُ. قَوْلهُ: (فَسَمَا بَصَري)؛ أيْ: ارْتَفَعَ. (وصُعُداً): بضم الصاد والعين؛ أيْ: مُرْتَفعاً. (وَالربَابَةُ): بفتح الراءِ وبالباء الموحدة مكررةً، وهي: السَّحابَة.

الشَّرح

هذان الحديثان يتعلقان بالكذب، وفي هذا الحديث الطويل عظات وذكرى في مسائل عدة.

الحديث الأول: يقول ﷺ إن أفرى الفرى (يعني: أعظم الكذب): «**أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ**» تقدم فيما يتعلق بتحريم الكذب، وأن الواجب على المؤمن أن يحذر الكذب، وأن الله جلَّ وعلا يمقت على ذلك، قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وتقدم قوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً**»، تقدم قوله ﷺ: إن الكذاب يوم القيامة يكلف بأن يعقد بين شعيرتين ولن يستطيع ذلك، المقصود: أن الكذب شره عظيم فالواجب على المؤمن أن يحذره، وأن الإنسان متى أرى عينيه ما لم تر فقد افترى على الله الكذب وأن هذا من أعظم الفرية وأنه يكلف أن يعقد بين شعيرتين وهذا من عذابه، وفي هذا الحديث أنه ﷺ أتاه ملكان فذهبا به وأرياه أشياء عظيمة في هذه الدار، ورؤيا الأنبياء وحي، وكان الصحابة يقصون عليه مراياهم فيعبرها لهم عليه الصلاة والسلام، وكانت هذه الرؤيا العظيمة رآه هو عليه الصلاة والسلام، رأى أن رجلين وهما جبرائيل ومكائيل أتياه فذهبا به ومرَّا به على شخص مضطجع في الأرض وعلى رأسه رجل قائم عليه بحجر وهذا هو يهوي بالحجر لرأسه، فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر

فيأخذه فلا يرجع إليه وهكذا يفعل به، وأن هذا الرجل هو الذي أعطاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار؛ يعني: أعطي القرآن ولكن لم يعمل به نسأل الله العافية، فصار حجة عليه كما في الحديث الصحيح: **«وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»**(١).

فالذي أعطاه الله القرآن ثم ضيّع العمل فلم يقم أمر الله ولم يحافظ على الصلوات ولم يؤد حق الله صار كتاب الله حجة عليه يعذب به في القبر في البرزخ، وعذاب الآخرة أشد نسأل الله العافية، وهذا كله شاهد على عذاب القبر: البرزخ.

والثاني: مرَّ عليه ﷺ وهو مضطجع على قفاه وعلى رأسه رجل معه كلوب يشرشر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه وأنفه إلى قفاه وهكذا الشق الثاني كلما فرغ من شق إذا الشق الآخر قد اعتدل وهكذا يفعل به يعذب في البرزخ إلى يوم القيامة وهو الرجل الذي يكذب الكذبة فتنشر في الآفاق نعوذ بالله فهذا يفيد الحذر من الكذب، وأنه كلما عظم الكذب وكثر صار العذاب أشد. نسأل الله العافية.

ثم مرَّ على مثل التنور فيه نار وفيه رجال عراة ونساء عراة تأتيهم النار من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب صاحوا: ضوضوا، فسأل عنهم قيل له: هؤلاء هم الزناة والزواني، عذاب في البرزخ. نسأل الله العافية.

ثم مرَّ على رجل في نهر مثل الدم يسبح وعلى حافة النهر رجل معه حجارة كلما دنا منه هذا الذي يسبح ألقمه حجراً فيفغر له فاه فيلقمه حجراً فذهب يسبح ثم يرجع إليه، وأن هذا هو آكل الربا. نسأل الله العافية.

ثم مرَّ على رجل كريه المنظر على نار يحشها ويحوطها، فإذا سأل عنه فقيل: هو مالك خازن النار.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٥) ج١.

ثـم مرَّ به علـى رجـل طويـل فـي روضـة لـديه أولاد كثيـرون روضـة عظيمة معتمة؛ يعني: ذات عشب . . . .[١] وخير فسأل عنه، فقال: هذا أبـوك إبراهيـم، هـذا إبراهيـم عـليـه الصـلاة والسـلام وهـؤلاء هـم أولاد المسلمين والمشركين الذين ولدوا على الفطرة، هذا يدل على أن أولاد المسلمين في الجنة، وهكذا أولاد المشركين الصغار بالفطرة كلهم على الفطرة؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[٢]، وهـذا أصـح الأقـوال فـي أولاد المشركين فيهم أقوال:

أحدها: أنهـم فـي النـار، والثـانـي: أنـهـم يمتحنـون يـوم القيـامـة، والثالث: الله أعلم بما كانوا عاملين. أقوال عدة؛ لكن أرجحها وأحسنها أنهم في الجنة، وأنهم سالمون؛ لأنهم لم يهودوا ولم ينصروا، ولم يكلفوا فهم مع أولاد المسلمين في الجنة.

وفيه أنه رفع إلى مدينة عظيمة من طريق شجرة عظيمة: دوحة عظيمة، فلما فتح له رأى فيها ما رأى من الخير ورأى فيها قوماً شطر أجسامهم حسن وشطر ليس بحسن، ثم قيل لهم: اذهبوا إلى ذلك النهر فاغتسلوا، فاغتسلوا فيه فتعدل خلقهم وصار خلقهم خلقاً حسناً فسأل عنهم قال: هؤلاء قوم جمعوا حسنات وسيئات فغفر الله لهم إما بتوبتهم وإما بأعمال صالحة فعلوها، أو بعفو الله عنهم سبحانه أو لأسباب اقتضت ذلك.

قيـل فـي منـزلـه بـرق عـلـى رأسـه رأى منـزلاً عـاليـاً قـالـوا: هـذا منزلك، قال: دعاني أدخله، قالوا: إنه بقي عليك بعض الشيء؛

(١) انقطاع في الأصل.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب اذا أسلم الفتى فمات. . . برقم (١٣٥٩) ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود على الفطرة برقم (٢٦٥٨).

يعني: بقي من حياتك بعض الشيء وسوف تدخله عليه الصلاة والسلام.

والشاهد من هذا الحديث الطويل قصة الكذابين؛ لأن الباب في الكذب، الشاهد من الحديث الطويل هذا الرجل الذي عليه إنسان معه كلوب يشق شدقه وأنفه وعينيه يشق، فإذا فرغ من جانب إذا الجانب الآخر قد اعتدل، وهكذا في عذابه في البرزخ، هذا الكذاب الذي يكذب الكذبات الكثيرة التي تنتشر في الآفاق، نسأل الله العافية، ففي هذا الحذر من الكذب وأن عاقبته وخيمة. نسأل الله العافية والسلامة.






٢٦١ ـ بَابُ بيان ما يجوز من الكذب

اعلَمْ أنَّ الكَذِبَ، وإنْ كَانَ أَصْلُهُ مُحَرَّماً، فَيَجُوزُ في بَعْضِ الأَحْوَالِ بِشُروطٍ قَدْ أَوْضَحْتُهَا في كتاب: «الأَذْكَارِ»، ومُخْتَصَرُ ذَلِكَ: أنَّ الكلامَ وَسيلَةٌ إِلَى المَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فِيهِ، وإنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إِلَّا بالكَذِبِ، جازَ الكَذِبُ. ثُمَّ إنْ كَانَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ المَقْصُودِ مُبَاحاً كَانَ الكَذِبُ مُبَاحاً، وإنْ كَانَ وَاجِباً، كَانَ الكَذِبُ وَاجِباً. فإذا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُريدُ قَتْلَهُ، أَوْ أَخذَ مَالِهِ وأخفى مالَه وَسُئِلَ إنْسَانٌ عَنْهُ، وَجَبَ الكَذِبُ بإِخْفَائِه. وكذا لو كانَ عِندَهُ وديعَةٌ، وأراد ظالِمٌ أخذها، وجبَ الكذبُ بإخفائها. وَالأَحْوَطُ في هَذَا كُلِّهِ أن يُوَرِّيَ. ومعْنَى التَّوْرِيَةِ: أنْ يَقْصِدَ بِعِبَارَتِهِ مَقْصُوداً صَحيحاً لَيسَ هُوَ كَاذِباً بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وإنْ كَانَ كَاذِباً في ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وبالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ، وَلَوْ تَرَكَ التَّوْرِيَةَ وَأَطْلَقَ عِبَارَةَ الكَذِبِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ في هَذَا الحَالِ.

وَاسْتَدَلَ العُلَمَاءُ بِجَوازِ الكَذِبِ في هَذَا الحَالِ بِحَديثِ أُمِّ كُلْثُوم رضي الله عنها؛ أنها سمعتْ رسُولَ الله ﷺ، يقول: «لَيسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْراً أَوْ يَقُولُ خَيْراً». متفق عَلَيهِ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الّذي يصلح بين النّاس برقم (٢٦٩٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه برقم (٢٦٠٥).

📖 زاد مسلم في رواية: قالت أُمُّ كُلْثُوم: وَلَمْ أسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إلَّا في ثَلَاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، والإصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَديثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحديثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

الشَّرح

هذا الباب فيما يحل من الكذب تقدم أن الكذب من المحرمات؛ بل من الكبائر، تقدم قوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»، والله جلَّ وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، ويقول ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ»، في اللفظ الآخر: «أَفْرَى الفِرَى»؛ يعني: أكذب الكذب، ويقول ﷺ في صفة المنافق: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»، فمن صفات المنافقين الكذب؛ لكن يجوز من الكذب في المصالح العظيمة التي لا يتوصل إليها إلا بالكذب، فقد يجب، وقد يستحب، وقد يباح، على حسب الأحوال، فإذا كان إنساناً يريد قتل إنسان بغير حق وأمكن الدفع عنه بالكذب وجب الكذب حتى يدفع عنه، يقال: ليس بحاضر، هذا ليس بمكانه، وما أشبه ذلك حتى يدفع عنه الشر، أو يريد أخذ ماله، هذا مقصود صحيح لا بد من الدفاع عن المسلم كما يدافع عنه بالسلاح والجهاد، يدافع عنه أيضاً بالكذب إذا أراد ظالماً يريد قتله أو أخذ ماله، وأمكنه أن يكذب فيقول: إنه غائب، أو إن هذا ليس بيته، أو هذا المال ليس ماله، أو هذه السيارة ليس سيارته أو ما أشبه ذلك، كذلك إذا كان معه أخ يريد إنسان أن يؤذيه بغير حق فيسأله يقول من هو؟ فيقول: هذا أخي، أليس هذا فلان؟ يقول: لا؛ يعني: يحميه من الظالم، أو يقول: هذا أخي؛ يعني: أخي في الله، مثلما قال

إبراهيم عن سارة: إنها أخته في الله ليدفع عنها شر الظالم، كذبة أراد بها حمايتها من الظلم؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْراً، أَوْ يَقُولُ خَيْراً»**، من يصلح بين الناس تقول خير، ليس بكذاب قبيلتان بينهما شر أو أهل قريتين، أو طائفتان من الأقارب أو غيرهم يصير بينهم شر فيصلح بينهم، ويقول: إن إخوانكم يدعون لكم ويثنون عليكم، ويقولون: نحب الصلح، ويجيء الآخرين كذلك إخوانكم يحبون الصلح ويدعون لكم ويثنون عليكم خيراً، وهم لم يوصوه؛ لكن ليجمع بينهم؛ ليزيل بينهم الشحناء، ويجمعهم على الخير، هو مشكور ليس بكذاب؛ لأنه أراد الإصلاح بينهم وإنهاء الشر الذي بينهم؛ ولهذا قالت أم كلثوم: (**وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ مِنَ الكَذِبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ** - ثم بينتها -: **فِي الحَرْبِ والإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثِ المَرْأَةِ زَوْجَهَا**») الحرب؛ يعني: مثل ما قال ﷺ: **«الحَرْبَ خَدْعَةٌ»**(١).

كان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورّىٰ بغيرها؛ إذا أراد الشمال ورى بالجنوب، أراد الشرق ورى بالغرب حتى يعمي على العدو، إذا كان العدو قد بُلغوا، قد دعي وأصر يعم عليه حتى يهجم عليه، وهكذا أي خدعة يخدع بها الحرب ليس فيها نقض عهد ولا شفاء غدر لا بأس، مثل عدو متحصن شق على المسلمين حربه، فيوصى الجيش أو السرية بالانهزام وأنه منصرف عن الحصن حتى يخرجوا، فإذا خرجوا كرّ عليهم ورجع عليهم، وما أشبه ذلك من أشياء ليس فيها نقض عهد؛ وليس فيها غدر؛ لكن كذب لمصلحة الجهاد سواء تورية أو كذب، أو إظهار بما يدل على الكذب.

---

(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (١٣٥٢) ج٤.

وهكذا حديث الرجل لامرأته أو المرأة لزوجها فيما بينهم لا يتعلق بغيرهم فيما بينهم، يقول لها: سوف أعطيك كذا، سوف أشتري لك كذا حتى يرضيها ولو ما شرى، وهي تقول: إن شاء الله ما أعود سوف أبدأ سوف أفعل كذا، وسوف أزين البيت وسوف أسمع وأطيع، وإن كان في نيتها خلاف ذلك؛ لكن لأجل إزالة الشر وجمع القلوب وعدم المشاقة، فهذا بينهما لا يضر غيرهما ما دام الحديث بينهما وفي مصلحتها فلا بأس أن تكذب عليه ويكذب عليها فيما هو من مصلحتهما وجمع قلوبهما ولا يتعلق بغيرهما.

وفق الله الجميع.






٢٦٢ ـ بَابُ الحثّ عَلَى التثبت فيما يقوله ويحكيه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١٥٤٧ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «كَفَى بالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». رواه مسلم(١).

١٥٤٨ ـ **وعن** سَمُرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَديثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبينَ». رواه مسلم(٢).

١٥٤٩ ـ **وعن** أسماء ﷺ؛ أَنَّ امْرأَةً قالت: يَا رسولَ الله، إنَّ لِي ضَرَّةً فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ إنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِيني؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ». متفق عَلَيْهِ(٣).

◻ (وَالمُتَشَبِّعُ): هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الشبَعَ وَلَيْسَ بِشَبْعَان. ومعناهُ هُنَا: أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ فَضيلَةٌ وَلَيْسَتْ حَاصِلَةً. (وَلابِسُ ثَوْبَي زُورٍ)؛ أيْ: ذِي زُورٍ، وَهُوَ الَّذِي يُزَوِّرُ عَلَى النَّاسِ، بِأَنْ يَتَزَيَّى بزِيِّ أَهْلِ الزُّهْدِ أَو العِلْمِ أَو الثَّرْوَةِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ النَّاسُ وَلَيْسَ هُوَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ. وَقَيلَ غَيرُ ذَلِكَ واللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) أخرجه في المقدمة، باب النّهي عن الحديث بكلّ ما سمع برقم (٥).
(٢) أخرجه في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين برقم (١).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، وما ينهى من افتخار الضرّة برقم (٥٢١٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النّهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط برقم (٢١٣٠).

﴿ الشَّرح ﴾

ففي هذه الآيات والأحاديث في التحذير من التساهل بالكلام، وأن الواجب التثبت وألا يقول إلا عن بصيرة حتى لا يقع في الكذب أو في الغيبة والنميمة، أو في غير ذلك مما حرمه الله، الواجب التثبت في الكلام حتى لا ينطق إلا عن بصيرة، تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**».

ويقول جلَّ وعلا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فألفاظك يا ابن آدم مراقبة مكتوبة عليك خيرها وشرها؛ فالواجب التثبت فيها حتى لا تقول إلا خيراً، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ فأنت مسؤول عما تلقى، وما تسمع، وما تقول، وما يعتقده قلبك؛ فالواجب على المكلف الحذر وأن يكون كلامه موزوناً ومضبوطاً وعن بصيرة.

وفي حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» يكفي بأن يوصف بالكذب كونه ما يبالي كلما سمع حدث به: صار كذا وجرى كذا وفيه الشيء الكثير الكذب، فيكون تحدث بالكذب وأقر الكذب فيكون كاذباً فينبغي له أن ينتقي وألا يتحدث إلا بالشيء الذي يرى أنه صواب، وأنه طيب، وأنه نافع لا يحدث كلما سمع، «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»(١) الإنسان يتثبت ويتأمل حتى لا يتكلم إلا عن بصيرة، هكذا المؤمن، تقدم على من يذيع القول على غير بصيرة؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، قال الله سبحانه في ذم من فعل هذا: ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٨٣]؛ يعني: لم يبالوا ولم يتثبتوا حتى

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي مسعود ﷺ في كتاب الأدب، باب في زعموا برقم (٤٩٧٢) وأحمد (٤/ ١١٩).

يردوه إلى من يستنبطه ويعرف طيبه من خبيثه؛ فالحاصل على المؤمن التثبت، الواجب عليه التثبت والحذر أن يتكلم بشيء يضره ولا ينفعه أو يضر غيره.

وهكذا قوله ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثاً وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ**» ضبط يَرَى بالفتح؛ يعني: يعلم وضبط بالضم يُرى؛ يعني: يظن وهو أبلغ وهو يُرى يظن أنه كذب «**فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ**». روي بالجمع وروي بالمثنى الكاذبين، وبكل حال هذا ذم وعيب لمن لا يتثبت؛ فالواجب متى ظن أن الحديث كذب أو علمه كذباً لا يحدث به إلا مبيناً كذبه، يقول هذا كذب غير صحيح، أما يتكلم ويسكت فهو أحد الكاذبين، وسألته امرأة قالت: يا رسول الله فهل علي من بأس إذا قلت في حق جارتي ما لا يقع من زوجي: إنه أعطاني كذا وأعطاني كذا؟ فقال ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» كإنسان لبس ثوبي زور: كذب، المعنى كالذي يزور مرتين، يكذب مرتين، ومعلوم ما يترتب على قولها: إن زوجها أعطاها كذا وأعطاها كذا من الشر، فإن الزوجة الثانية تطالب تقول: أعطيت فلانة ما أعطيتني فيقع الشجار بين الرجل وأهله والفتنة، كون المرأة الذي لها ضرة تدعي أشياء أنها أعطاها زوجها كذا وهي تكذب، هذه يضر زوجها ويضر ضرتها ويضرها هي أيضاً، قد يكون سبباً لطلاقها؛ فالواجب الصدق وألا تتشبع بما لم تعط، وألا تدعي كذباً تضر زوجها، وتسبب مشاكل بينه وبين زوجته الأخرى.

نسأل الله للجميع الهداية.

❁ ❁ ❁



٢٦٣ ـ بَابُ بيان غلظ تحريم شهادة الزُّور

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

١٥٥٠ ـ وعن أَبي بَكْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «ألَا أُنَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رسولَ اللهِ. قَالَ: «الإشْراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ألا وَقولُ الزُّورِ» فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عَلَيْهِ[1].



(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور برقم (٢٦٥٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٧).




٢٦٤ ـ بَابُ تحريم لعن إنسان بعينه أوْ دابة

١٥٥١ ـ **عن** أَبي زيدٍ ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاريِّ ﷺ، وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإسْلَامِ كاذِباً مُتَعَمِّداً، فَهُوَ كما قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ، عُذِّبَ بِهِ يومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ». متفق عَلَيْهِ[(١)].

١٥٥٢ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ؛ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أنْ يَكُونَ لَعَّاناً». رواه مسلم[(٢)].

١٥٥٣ ـ **وعن** أَبي الدرداءِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه مسلم[(٣)].

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة كلها [١٥٥٠ ـ ١٥٥١ ـ ١٥٥٢ ـ ١٥٥٣] تحذر من شهادة الزور، فإن شرها عظيم وعواقبها وخيمة؛ لأنه يترتب عليها ظلم الناس وإعطاء الحقوق إلى غير أهلها، وذلك بلاء كبير وشر عظيم والله أوجب على عباده الإنصاف وإيصال الحق إلى مستحقه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النّفس برقم (١٣٦٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإنّ من قتل نفسه بشيء عذّب به في النّار وأنّه لا يدخل الجنّة إلّا نفسٌ مسلمةٌ برقم (١١٠).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب برقم (٢٥٩٧).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب برقم (٢٥٩٨).

وحرم عليهم الظلم في القول والعمل، وشهادة الزور من أقبح الظلم، ومن أسباب شر كثير؛ ولهذا حرم الله ذلك، قال ﷻ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] فجعل قرين الشرك ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] فسِّرت الآية بمعنى لا يشهدوا شهادة الزور وفسِّرت بأنهم لا يحضرون الزور؛ يعني: المحرم لا يحضرون المعاصي ومجالس الشر، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. قال جلَّ وعلا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فليحذر المؤمن أن يتلفظ بشهادة باطلة، فالله جلَّ وعلا قد وكل به من يحفظها عليه، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] لا يغيب عنه شيء؛ بل كل شيء محفوظ، كل شيء يطلع عليه ويعلمه ولا تخفى عليه خافية جلَّ وعلا؛ فالعاقل يحذر مغبة ظلمه بشهادة الزور، والله جلَّ وعلا أوجب العدل بين المسلمين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥] يقبل بالعدل، قال جلَّ وعلا في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثاً «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**، (فبدأ به؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب وأخطرها على الإطلاق) **وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ **قَوْلُ الزُّورِ** -» **وكان مُتَّكِئاً، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا**: (**لَيْتَهُ سَكَتَ**) رفقاً عليه لكثرة

ما كرر؛ يعني: رفقاً به وشفقة عليه مما كرر التحذير من شهادة الزور، فشهادة الزور والأيمان الفاجرة كلها شر عظيم وفساد كبير فيجب الحذر من ذلك.

كذلك الأحاديث في تحريم لعن المؤمن فلا يجوز لعنه بغير حق، السب شر عظيم؛ ولهذا قال ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»، السباب فسوق مسابة وقال: «**وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»، قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وقال: «**لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّاناً**»، وقال: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**»، وقال ﷺ: «**المُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى البَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ**».

فهذا اللسان شره عظيم؛ فالواجب الحذر الواجب إمساكه وصيانته حتى لا تقول إلا خيراً، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**».

نسأل الله للجميع التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله.



١٥٥٤ ـ **وعن** سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِالنَّارِ». رواه أبو داود والترمذي[١]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٥٥٥ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ». رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

١٥٥٦ ـ **وعن** أَبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً، صَعدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُ السَّماءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُهَا دُونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَميناً وَشِمالاً، فَإذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فإنْ كَانَ أَهْلاً لِذلِكَ، وإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا». رواه أَبو داود[٣].

١٥٥٧ ـ **وعن** عمران بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا رسُولُ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رسُولُ الله ﷺ فقالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» قَالَ عِمْرانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ. رواه مسلم[٤].

١٥٥٨ ـ **وعن** أَبي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ القَوْمِ. إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في اللعن برقم (٤٩٠٦)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة برقم (١٩٧٦).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة برقم (١٩٧٧).

(٣) أخرجه في كتاب الأدب، باب في اللعن برقم (٤٩٠٥).

(٤) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم (٢٥٩٥).

بِهِمُ الجَبَلُ فَقَالَتْ: حَلْ، اللَّهُمَّ العَنْهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ». رواه مسلم(١).

□ قَوْله: (حَلْ): بفتح الحاء المهملة وَإسكانِ اللّام: وَهِيَ كَلِمَةٌ لِزَجْرِ الإبِلِ.

وَاعْلَمْ أنَّ هَذَا الحَدِيثَ قَدْ يُسْتَشكَلُ مَعْنَاهُ، وَلَا إشْكَالَ فِيهِ، بَلِ المُرَادُ النَّهْيُ أنْ تُصَاحِبَهُمْ تِلْكَ النَّاقَةُ، وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ بَيْعِهَا وَذَبْحِهَا وَرُكُوبِهَا فِي غَيْرِ صُحْبَةِ النبيّ ﷺ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ وَمَا سِوَاهُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ جائِزٌ لا مَنْعَ مِنْهُ، إلَّا مِنْ مُصَاحَبَةِ النَّبيِّ ﷺ بِهَا؛ لأنَّ هذِهِ التَّصَرُّفَاتِ كُلَّهَا كَانَتْ جَائِزَةً فَمُنِعَ بَعْض مِنْهَا، فَبَقِيَ البَاقِي عَلَى مَا كَانَ، والله أعلم.

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها فيها التحذير والترهيب من اللعن والدعاء بغضب الله والدعاء بالنار، والواجب على المؤمن أن يتحفظ وأن يصون لسانه عن الدعوات الضارة الذي قد ترجع إليه وتضره، تقدم قوله ﷺ: «**إنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، تقدمَ قوله ﷺ: «**وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» رواه البخاري ومسلم في الصحيحين، «**لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» هذا وعيد عظيم، قوله ﷺ: «**يا عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إلَّا حَارَ عَلَيْهِ**» فإذا قال لشخص يا عدو الله أو يا فاجر أو يا ملعون أو كذا وليس أهلاً لذلك رجعت إلى قائلها، في الحديث: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**»، حديث: «**لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللهِ، وَلَا بِالنَّارِ**».

وهكذا لعن الدواب، لا تلعن الدواب فلما سمع النبي ﷺ امرأة

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم (٢٥٩٦).

تلعن دابة قال: «**لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ**» هذا كله يبين لنا أن الواجب على المسلم حفظ لسانه والحذر من الشتم واللعن وأن يكون ديدناً له وسجية له؛ يعالج الأمور بغير اللعن، يعالج الأمور، افعل كذا يا فلان دع كذا يعالج الأمور بغير اللعن، هذا هو الواجب على المؤمن وقوله «**خذوا ما عليها ودعوها**» ليس معناه أنها خرجت عن ملك صاحبها لا يعني أن هذا من باب التأديب وهي باقية على ملك صاحبها؛ لكن أخذ ما عليها من المتاع ولا تصحبنا، هذا نوع من التأديب لقائله للعن ومالك الدابة.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.





٢٦٥ ـ بَابُ جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقال تَعَالَى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَعنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»، وَأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا»، وأَنَّهُ لَعَنَ المُصَوِّرِينَ، وأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»؛ أيْ: حُدُودَهَا، وأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ»، وأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيهِ» وَ«لَعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»، وَأَنَّه قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً أَوْ آوَى مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَة والنَّاسِ أجْمَعينَ»، وأنّه قَالَ: «اللَّهُمَّ العَنْ رِعْلاً، وَذَكْوَانَ، وعُصَيَّةَ: عَصَت اللهَ وَرَسُولَهُ» وهذِهِ ثَلَاثُ قَبَائِلَ مِنَ العَرَبِ، وأنّه قَالَ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، وأنهُ «لَعَنَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّساءِ والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجالِ».

وَجَميعُ هذِهِ الألفاظِ في الصحيح؛ بعضُها في صَحيحَي البُخاري ومسلمٍ، وبعضها في أحَدِهِمَا، وإنما قصدت الاختِصَارَ بالإشارةِ إِلَيهِمَا، وسأذكرُ معظمها في أبوابها من هَذَا الكتاب، إن شاء الله تَعَالَى.

الشَّرح

هذه الأحاديث المتعددة الصحيحة كلها تتعلق بلعن العصاة غير المعينين يلعنون باسم معاصيهم لا باسم أعيانهم فلان بن فلان؛ ولكن بمعاصيهم كما قال جلَّ وعلا: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] يشمل المشركين ويشمل العصاة، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن

﴿لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ**»، والواصلة هي التي تصل شعرها بشعر آخر، أو شبه، توهم أن شعرها طويل وكثير، والمستوصلة التي تطلب ذلك، وهكذا الواشمة والمستوشمة تلك تستعمل الوشم في خدها أو في يديها وهو غرز اللحم بالإبرة ثم يجعل مكانه كحل أو غيره يكون وشماً وكان العرب تفعل هذا، الرسول ﷺ لعن من فعل ذلك.

كذلك لعن آكل الربا وموكله، وهذا يفيد الحذر من هذه المعاصي، كذلك لعن من غيّر منار الأرض؛ يعني: مراسيم الأرض؛ لأن تغيير المراسيم يسبب الشحناء والعداوة والاختلاف والخصومات ظلم، منار الأرض؛ يعني: مراسيمها، تفصل بينك وبين أخيك، أو بينك وبين الطريق، فالذي يغيّرها ملعون بنص الرسول عليه الصلاة والسلام.

كذلك لعن من ذبح لغير الله يتقرب بالذبائح للجن أو للأصنام، أو لغيرهم مما يعبد من دون الله أو للنجوم، يقول ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»؛ لأن الله يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾؛ يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢] فالذي يتقرب بالذبائح للجن أو للنجوم أو للأصنام من جنس الكفرة من جنس الجاهلية شرك أكبر.

كذلك لعن عليه الصلاة والسلام «**مَنْ لَعَنَ وَالِدَيه وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثاً**» فالذي لعن والديه قد أتى جريمة عظيمة فقد لعنه الرسول ﷺ، وهكذا من آوى محدثاً وهو الذي يحدث حدثاً في الإسلام فالذي يؤويه وينصره حتى لا يقام عليه الحد يكون ملعونا نسأل الله العافية.

كذلك لعن عليه الصلاة والسلام اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر من أعمالهم، لا يجوز اتخاذ المساجد على القبور، المقبرة شيء والمساجد شيء، فلا يجوز أن يتخذ على المقبرة مسجد، أو يدفن في المساجد القبور يجب الحذر من هذا؛ لأن هذا من أسباب الشرك.

كذلك «**لَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ**» يجب الحذر؛ فالرجل لا يتشبه بالمرأة وهي لا تتشبه به لا في قول ولا في عمل ولا في لباس، فهذه أشياء مما لعن فيها النبي عليه الصلاة والسلام يجب الحذر منها والتواصي بتركها لكونها من كبائر الذنوب، وهكذا لعن رعلاً وذكوان وعصية لما تعدوا على بعض أصحاب النبي ﷺ لعنهم قال: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ لِحيَان وَرِعْلاً، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[1]، ولعن جماعة من أعيان قريش لما اشتد كفرهم وضررهم على المسلمين لعنهم عليه الصلاة والسلام؛ كأبي جهل بن هشام وعتبان بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وجماعة نسأل الله العافية.

وفق الله الجميع.



(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة برقم (٦٧٥).



٢٦٦ ـ بَابُ تحريم سب المسلم بغير حق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٥٩ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ». متفق عَلَيْهِ(١).

١٥٦٠ ـ **وعن** أَبي ذرٍ رضي الله عنه؛ أنهُ سَمِعَ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلِكَ». رواه البخاري(٢).

١٥٦١ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «المُتَسَابَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى البَادِئ مَا لَمْ يَعتَدِ المَظْلُومُ». رواه مسلم(٣).

١٥٦٢ ـ **وعنه**، قَالَ: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ، بِرَجُلٍ قَدْ شرِبَ قَالَ: «اضربوهُ» قَالَ أَبُو هريرةَ: فَمِنَّا الضارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ! قَالَ: «لا تَقُولُوا هَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ». رواه البخاري(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله الخ برقم (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النّبيّ ﷺ: «سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ» برقم (٦٤).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السّباب واللّعن برقم (٦٠٤٥).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن السباب برقم (٢٥٨٧).

(٤) أخرجه في كتاب الحدود، باب الضّرب بالجريد والنّعال برقم (٦٧٧٧).

١٥٦٣ ـ وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَى يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يَومَ القِيَامَةِ، إلَّا أَنْ يَكُونَ كما قَالَ». متفق عَلَيْهِ(١).

۞ الشَّرح ۞

هذه الأحاديث الخمسة كلها تدل على تحريم السب لأخيك المسلم والدعاء عليه إلا بحق، الواجب على المسلم مع أخيه المحبة والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى وحفظ اللسان عما لا ينبغي، حفظ الجوارح عما لا ينبغي، المسلم أخو المسلم، الواجب عليه أن يحفظ لسانه من الأذى ويده أيضاً وغيرها من الأذى مع أخيه **«إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»**، ويقول ﷺ: **«مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»**؛ فالواجب على المسلمين فيما بينهم التراحم والتعاطف والحذر من الإيذاء يقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]؛ يعني: بغير جريمة ظلماً وعدواناً فهذا الذي فعل الأذى من قول أو فعل قد احتمل بهتاناً عظيماً؛ فالواجب عليك يا عبد الله مع أخيك حفظ اللسان وحفظ الجوارح عن الأذى، ويقول ﷺ: **«سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»** سباب؛ يعني: مسابته شتمه: الله يفعل بك أخزاك الله لعنك الله، قاتلك الله، أهلكك الله وما أشبه ذلك، كل هذا من الفسوق من العصيان الظاهر، وقتاله كفر؛ يعني: من الكفر المعروف في الشريعة،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب قذف العبيد برقم (٦٨٥٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب التّغليظ على من قذف مملوكه بالزّنا برقم (١٦٦٠).

كفر النعمة الكفر الأصغر؛ يعني: بدل ما يحبه في الله ويثني عليه يقاتله، فهذا من خصال الجاهلية ومن أعمال الجاهلية، ويسمى كفراً كما قال ﷺ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»، مثل قوله ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ**»(١)، وقوله ﷺ: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنَّ كُفْراً بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ**»(٢).

ويقول ﷺ من حديث أبي ذر وغيره: «**لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**» إذا قال: يا عدو الله، يا فاسق، أو يا خبيث، أو يا ملعون أو يا زنديق وليس كذلك رجع الكلام عليه صار هو أولى به؛ فالواجب الحذر من شر اللسان وورطاته: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] حديث معاذ رضي الله عنه لما سأل عن أعمال الجنة قال في آخره: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» فَقُلْتُ: (يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟) فَقَالَ ﷺ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ**». في اللفظ الآخر: «**يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً**» فورطات اللسان وأخطاره كثيرة.

وفي الحديث الرابع عن رجل أتي النبي ﷺ يشرب الخمر فأمر بتأديبه، منهم الضارب بيده والضارب بثوبه منهم الضارب بنعله فقال رجل: أخزاك الله، قال: «**لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ**» هذا

---

(١) يأتي تخريجه برقم (١٥٧٨).
(٢) يأتي تخريجه برقم (١٨٠٣).

يفيد أنه لا يدعى على العاصي أخزاك الله، ولعنك الله، لا، يقال: هداك الله، أصلحك الله، أعاذك الله من شر نفسك، اتق الله يا عبد الله، يخاطب بما ينفعه حتى يكون ذلك من أسباب الرجوع إلى الحق من أسباب هدايته.

في الحديث الآخر يقول ﷺ: «**المُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى البَادِئ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ**». إذا سب إنسان إنساناً فالإثم على الأول إلا إذا اعتدى المسبوب المظلوم، صار عليه إثم الاعتداء، أما القصاص فلا بأس، فإذا قال له: أخزاك الله، أو قاتلك الله قال له مثله، الإثم على الأول، أو لعنك الله قال مثلها، الإثم على الأول قصاص، فإن زاد الثاني فعليه إثم الزيادة، الأول قال: أخزاك الله، فقال الثاني: بل أنت أخزاك الله ولعنك، عليه إثم هذه الزيادة، أما إذا قال مثل ما قال سواء، هذا قصاص لا حرج على الثاني، الإثم على الأول، تقدم قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» «**لَيسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**» المؤمن طيب اللسان طيب الأعمال، حافظ لسانه، حافظ للجوارح، هكذا المؤمن، إيمانه يمنع من إطلاق اللسان ومن التعدي.

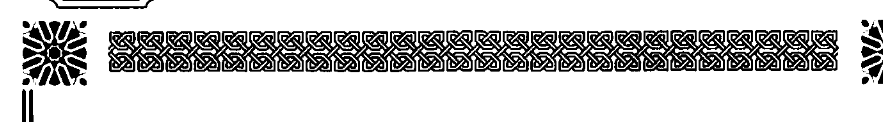
والحديث الخامس يقول ﷺ: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا، يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**»، احتج به العلماء على أن السيد لا يقام عليه حد إذا قذف مملوكاً وأنه يقام عليه الحد يوم القيامة إن كان كاذباً لقوله ﷺ: «**يقام عليه الحد يوم القيامة**»؛ يعني: يفضح على رؤوس الأشهاد نسأل الله العافية، فينبغي بل الواجب الحذر من ظلم الأرقاء والتعدي عليهم، وأن حقهم لا يضيع، إذا فات في الدنيا لم يفت في الآخرة؛ ولهذا قال في الحديث الصحيح ﷺ في المماليك: «**إِخْوَانُكُمْ**

خَوَلُكُمْ»؛ يعني: خدامكم «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[1]؛ فالمسلم يكون طيب الخلق مع خادمه سواء كان مملوكاً أو غير مملوك، يكون طيب الخلق، طيب الكلام لا يتكبر ولا يضرب.

وفق الله الجميع.



(١) سبق تخريجه برقم (١٣٦٠).



٢٦٧ ـ بَابُ تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحةٍ شرعية

وَهِيَ التَّحْذِيرُ مِنَ الاقْتِدَاء بِهِ في بِدْعَتِهِ، وَفِسْقِهِ، وَنَحْوِ ذَلِك، وَفِيهِ الآيَةُ والأحاديثُ السَّابِقَةُ في البَابِ قَبْلَهُ.

١٥٦٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا». رواه البخاري[١].



(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سبّ الأموات برقم (١٣٩٣).




٢٦٨ ـ بَابُ النهي عن الإيذاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٦٥ ـ وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ». متفق عَلَيْهِ[١].

١٥٦٦ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ». رواه مسلم[٢].

وَهُوَ بعض حديثٍ طويلٍ سبق في بابِ طاعَةِ وُلَاةِ الأمُورِ.

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث [١٥٦٤ ـ ١٥٦٥ ـ ١٥٦٦]، الأول في تحريم سب الأموات إلا من حاجة ومصلحة، والثاني والثالث في تحريم الإيذاء للمؤمنين بسب أو غيره، يقول ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الأمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» فلا يجوز سب الأموات بعيبهم وغيبتهم، أو لعنهم قد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده برقم (١٠)، وفي كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي برقم (٦٤٨٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأيّ أموره أفضل برقم (٤٠).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل برقم (١٨٤٤).

أفضوا إلى ما قدموا من خير وشر؛ لكن إذا كان الرجل مما يخشى من شره ممن يخشى شره أن يُقتدى به في بدعته فلا مانع أن يسب، يذكر ما عنده من الباطل حتى يحذر، والمقصود هو التحذير من شره وبدعته، وقد أفضى إلى ما قدم؛ لكن إذا كان يخشى اتباعه فيما علم من بدعته وشره يُحذر منه، والتحذير منه وبيان عيوبه هذا سب؛ لكن للحاجة والمصلحة كما نبين شر فرعون ومن تابعه، وشر كفار قريش ومن جرى مجراهم، وشر من بعدهم وشر من قبلهم من قوم نوح، وهود، وصالح، وغيرهم يبين شرورهم للتحذير منها والترغيب في تركها، وإيذاء المسلمين أمر لا يجوز، أحياءهم ولا أمواتهم؛ لأن الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، والرسول يقول ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**». والله يقول جلَّ وعلا: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»؛ يعني: المسلم الكامل «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»، من غيبته ونميمته وسبه ونحو ذلك ويده من العدوان والظلم، «**وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»؛ يعني: المهاجر الكامل من هجر ما نهى الله عنه من المعاصي، هذا المهاجر الكامل هجر الشرك وهجر المعاصي، ومنهم المنتقل من بلد إلى بلد لحفظ دينه، من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ومن بلد ظهور المعاصي إلى بلد أحسن منها، هذا أيضاً يسمى مهاجراً وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ، كذلك حديث عبد الله بن عمرو يقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**» هذا حديث طويل أوله يقول ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى**

خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»؛ يعني: يعامل الناس في الخير وليستقم على الإيمان طاعة لله جلَّ وعلا؛ وليعامل الناس كما يحب أن يعامل، يعاملهم باللطف والسلام، والكف عن الأذى كما يحب أن يعامل.

وفق الله الجميع.



٢٦٩ ـ بَابُ النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تَعَالَى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

١٥٦٧ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ». متفق عَلَيهِ[١].

١٥٦٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ويَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً، إلَّا رَجُلاً كَانَتْ بينهُ وَبَيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ فَيُقَالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أنْظِرُوا هَذَينِ حَتَّى يَصْطَلِحَا!». رواه مسلم[٢].

📖 وفي روايةٍ لَهُ: «تُعْرَضُ الأعْمالُ في كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ واثْنَيْن» وذَكَرَ نَحْوَهُ.

❁ الشَّرح ❁

هذه الآيات والأحاديث تدل على وجوب العناية بالأخوة الإيمانية والاستقامة عليها والتحاب في الله والتعاون على البر والتقوى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التّحاسد والتّدابر برقم (٦٠٦٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم التّحاسد والتّباغض والتّدابر برقم (٢٥٥٩).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتهاجر برقم (٢٥٦٥).

والتواصي بالحق، والحذر من ضد ذلك من البغضاء والعداوة والشحناء، أهل الإيمان يجب عليهم أن يكونوا متحابين في الله متناصحين متعاونين على البر والتقوى، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. قال جلَّ وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال جلَّ وعلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. هكذا المؤمنون رحماء يتواصلون ويتعاونون على البر والتقوى يتناصحون كل واحد يحب لأخيه الخير ويكره له الشر، ينصح له شهد أو غاب يؤدي له الأمانة يلقاه بوجه منطلق كما في الحديث الصحيح، يقول ﷺ: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**[1]؛ كونه يقابله بوجه منبسط هذا من المعروف، والحديث الآخر يقول ﷺ: **«لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهٍ، وَحُسْنُ خُلُقٍ»**[2]، ويقول ﷺ: **«البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ»**[3]، ويقول ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً»**[4]، ويقول ﷺ: **«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٦٩٥) ج٣.

(٢) أورده ابن أبي شيبة في مصنفه ج٦/ ٩٠.

(٣) سبق تخريجه برقم (٥٩٠).

(٤) سبق تخريجه برقم (٦٣١).

التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[١]؛ يعني: القلب متى استقام القلب انقادت الجوارح إلى الخير **«كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»** والأحاديث في هذا كثيرة، ويقول ﷺ: **«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»**، ويقول ﷺ: **«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيسِ»**، في لفظ: **«تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ»**، **«فَيَغْفِرُ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»**.

هذا يدل على أن الشحناء من أسباب إيقاف المغفرة عن المتشاحنين، وهذه مصيبة كبيرة؛ فالواجب على كل مؤمن أن يحرص على المحبة لأخيه والصلح مع أخيه وعدم الشحناء، تحل المشاكل بالطرق الطيبة والتسامح لا بالشحناء ولا بالتهاجر يقول ﷺ: **«لَا هِجْرَةَ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ»**، إذا كان ولا بد ثلاثة أيام، يومين، يوم كان شيء فيه خصومة مضاربة، النفوس تتغير بعض الشيء؛ لا بأس هجر يوم أو يومين أو ثلاث من أجل حظ النفس، لا بأس ولا يجوز الزيادة على ثلاث، من أجل حظ بينك وبينه مضاربة أو مشاتمة أو شبه ذلك، الواجب أن تحل المشكلة قبل الزيادة على ثلاثة أيام يعني في ظرف الثلاثة أيام حتى لا يبقى تهاجر، أما إذا كان التهاجر من أجل المعاصي والبدع هذا ليس له حد إلا التوبة، إذا هجر من أجل إظهار المعاصي والبدع، هذا لا حد

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٣٤) ج١.

له بثلاث ولا بغيرها، حده التوبة، كما هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه خمسين ليلة حتى تابوا وتاب الله عليهم لما تخلفوا عن غزوة تبوك مع أن الرسول أمرهم بذلك، تخلفوا من غير عذر هجرهم النبي ﷺ خمسين ليلة حتى تاب الله عليهم، وهكذا أشباههم ممن يتعاطى بعض المعاصي الظاهرة والبدع إذا لم يتب يهجر حتى يتوب، وهذا من باب التعزير، ومن باب التعاون على البر والتقوى لعله يراجع الحق، لعله يتدبر، لعله ينظر حتى يتوب إلى الله ﷻ.

وفق الله الجميع.






٢٧٠ ـ بَابُ تحريم الحسد

وَهُوَ تمني زوال النعمة عن صاحبها، سواءٌ كَانَتْ نعمة دينٍ أَوْ دنيا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]، وفِيهِ حديثُ أنسٍ السابق في الباب قبلَهُ.

١٥٦٩ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» أَوْ قَالَ: «العُشْبَ». رواه أبو داود[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب في الحسد برقم (٤٩٠٣).




٢٧١ ـ بَابُ النَّهي عن التجسُّس والتَّسَمُّع لكلام من يكره استماعه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٧٠ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، ولا تحسَّسوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً كَمَا أَمَرَكُمْ. المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا التَّقْوَى هاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ «بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ. إنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعْمَالِكُمْ».

📖 وَفِي رواية: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً».

📖 وفي رواية: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً».

📖 وَفِي رِوَايَة: «وَلَا تَهَاجَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ». رواه مسلم[1] بكلّ هذِهِ الروايات، وروى البخاريُّ أكْثَرَهَا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه، حتّى =

١٥٧١ ـ وعن معاوية ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّكَ إنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الناس أفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أنْ تُفْسِدَهُمْ». حديث صحيح، رواه أَبُو داود[١] بإسناد صحيح.

١٥٧٢ ـ وعن ابن مسعود ﷺ؛ أَنَّه أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْراً، فَقَالَ: إنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ، نَأخُذ بِهِ. حديث حسن صحيح، رواه أَبُو داود[٢] بإسنادٍ عَلَى شَرْطِ البخاري ومسلم.

الشَّرح

هذه الأحاديث [١٥٦٩ ـ ١٥٧٠ ـ ١٥٧١ ـ ١٥٧٢] مع الآيتين فيها الحث على عدم الحسد والتجسس والتحسس والظن بلا دليل والبيع على بيع البعض وتتبع عورات الناس، كل هذه الأخلاق تفسد المجتمع وتبذر الشحناء والعداوة؛ فالواجب الحذر منها، يقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، الواجب على المؤمن الحذر في كل ما يترتب عليه أذى المسلمين أو ظلم لهم، أو تجسس

= ينكح أو يدع برقم (٥١٤٣)، وفي كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التّحاسد والتّدابر برقم (٦٠٦٤)، وفي باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] برقم (٦٠٦٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظّنّ والتّجسّس والتّنافس والتّناجش ونحوها برقم (٢٥٦٣).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس برقم (٤٨٨٨).

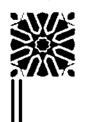
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس برقم (٤٨٩٠).

عليهم، أو غيبة، أو حسد أو غير ذلك مما يسبب الشحناء وهكذا التحسس وهو التجسس بالقول، وتجسس بالفعل يقال له: تحسس، فإن ظهر شيء يجب القيام فيه مما يوجب الحد أو التعزير، أما التفتيش والتجسس ماذا فعل فلان وماذا فعل فلان، أو فتح المغطاة، أو فتح الباب أو ما أشبه ذلك لالتماس العورات لا يجوز، والمسلم لا يلتمس عورات أخيه؛ بل يحب له الستر: **«مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»**[1]، فلا ينبغي للمؤمن أن يكون حريصاً على التنقيب عن العورات. قال جلَّ وعلا: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾** [النور: ١٩]؛ ولكن متى ظهر أو قامت البينة يجب القيام فيه بحق الله؛ ولهذا قال ابن مسعود لما قيل له: (هَذَا فُلاَنٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْراً)، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: (إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذْ بِهِ)؛ فالواجب على المسلمين أن يعتمدوا على البينات الشرعية والأحكام الظاهرة، وأن يحذروا ما حرم الله عليهم من التجسس والحسد والتحسس والبيع على بيع بعض والعمل بالظن بدون دليل، وأن يحذروا الظلم للناس في جميع الأحوال لا بالقول، ولا بالفعل، لا في البدن، ولا في المال، هذا هو طريق النجاة، وطريق الخير، وطريق السعادة، وطريق جمع الكلمة؛ ولهذا في حديث معاوية يقول ﷺ: **«إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»**؛ فتتبع عورات الناس والتماس عورات الناس من يسلم متى ظهر شيء وجب أن يحكم فيه أمر الله، وأما التجسس والتفتيش عن الأشياء المستورة والتحسس عنها بالقول هذا هو الذي لا يجوز.

نسأل الله للجميع التوفيق.

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الحدود، باب من لا يجب عليه الحد برقم ح(٢٥٤٤).




٢٧٢ ـ بَابُ النهي عن سوء الظنّ بالمسلمين من غير ضرورة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].

١٥٧٣ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ». متفق عَلَيْهِ[1].



(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه، حتّى ينكح أو يدع برقم (٥١٤٣)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظّنّ والتّجسّس والتّنافس والتّناجش ونحوها برقم (٢٥٦٣).



٢٧٣ ـ بَابُ تحريم احتقار المسلمين

قَالَ الله تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

١٥٧٤ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ». رواه مسلم(١)، وَقَدْ سبق قريباً بطوله(٢).

١٥٧٥ ـ **وعن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَقَالَ: «إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم(٣).

▫ ومعنى: (بَطَرُ الحَقِّ): دَفْعُه، (وغَمْطُهُمْ): احْتِقَارُهُمْ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ أوْضَحَ مِنْ هَذَا في باب الكِبْرِ.

١٥٧٦ ـ **وعن** جُندب بن عبدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله برقم (٢٥٦٤).
(٢) برقم (١٥٧٠).
(٣) أخرجه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ! فَإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَاحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رواه مسلم(١).

الشَّرح

هذه الآية الكريمة مع الأحاديث [١٥٧٣ ـ ١٥٧٤ ـ ١٥٧٥ ـ ١٥٧٦] تدل على تحريم سوء الظن بالمسلمين والسخرية واللمز والهمز والاحتقار، كما يحرم التجسس والغيبة والنميمة والكذب والظلم، هكذا يحرم احتقار المسلم لأخيه، سوء الظن به لمزه وهمزه، نبزه باللقب، إلى غير هذا مما يسبب الشحناء: العداوة والبغضاء بين المسلمين؛ فالواجب على المؤمن حسن الظن بأخيه إلا إذا تبين منه خلاف ذلك، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢] ما قال كل الظن قال: ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾؛ لأن بعض الظن قد يصيب، قد يكون له علامات شهود يشهدون عليه بالشيء أو مواقف التهم الذي يقفها ويجالس أهلها توجب سوء الظن به؛ لكن ما دام مبتعداً عن مجالس السوء بعيداً عن مواقف التهم فلا يجوز سوء الظن به؛ بل يجب حسن الظن به، يقول ﷺ: «**إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**»؛ يعني: الذي ليس عليه دليل «**إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَدِيثِ**»، أما الظن الذي عليه دليل من بينة هذا يعتبر؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ الشاهد شهد بالحق مع اليمين غلب على الظن صدقه، وهكذا الشاهدان قد يفيدان اليقين قد يفيدان الظن، وهكذا وجود التهم والعلامات، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١] السخرية أصلها الاحتقار يحتقره ويسخر منه ﴿وَلَا

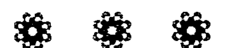
---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النّهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى برقم (٢٦٢١).

تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ اللمز العيب لأنه يسبب الشحناء، وهكذا التنابز بالألقاب يا حمار يا كلب يا عفريت يا خبيث، هذه ألقاب تسبب الشر كونه ينبزه، ينبزه بلقب يكرهه ويؤذيه، هذا يسبب البغضاء والعداوة؛ ولكن تكلمه بالأسماء التي يحبها والألقاب التي يحبها ولا تلمزه ولا تسخر به كلها تفيد الشحناء والعداوة؛ ولكن المسلم يرفق بأخيه ويحسن به الظن ويخاطبه بالألقاب والأسماء التي يحبها جمعاً للقلوب ودفعاً للشحناء والعداوة، ومن عادات الكفرة اتباع الظن والهوى فالمسلم يحذر ذلك، يحذر ظنه وهواه، قال تعالى في الكفرة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾ [النجم: ٢٣] هذه مستنداتهم اتباع الظن والهوى؛ فالواجب الحذر من مشابهة الكفار في ذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦] اذا كان لهوى أساء الظن بأخيه وتكلم فيه بغير حق والرسول يقول: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»، قال رجل: يا رسول الله إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**» بطر الحق وغمط الناس هذا الكبر بطر الحق؛ يعني: رده دفع الحق إذا خالف هواه غمط الناس؛ يعني: احتقار الناس، أما كون إنسان يلبس ثوباً حسناً ونعلاً حسناً أو عباءة حسنة ليس هذا من الكبر «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»، الكِبْرُ ويقول ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» هذا وعيد يفيد الحذر من الكبر وهو غمط الناس واحتقار الناس يرى نفسه فوقهم، هكذا همزهم ولمزهم وعيبهم، الله يقول: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١٠، ١١]؛ فالمسلم لا يكون عيّاباً للناس همّازاً لمّازاً ساخراً من الناس أو يسيء الظن بهم على غير دليل، كل هذا مما يسبب الشحناء والعداوة والبغضاء بين الناس فالواجب الحذر، وكذلك لا يعجب بعمله يحتقر الناس، يرى أن عمله فوقهم، قال رجل لشخص،

والله لا يغفر لفلان، في بعض الروايات أنه كان ينصحه فلم ينتصح فغضب عليه والله لا يغفر الله لك فغضب الله عليه فقال الله ﷻ: **«مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»** هذا أعجب بعمله ظن أنه يئس من هذا الرجل فقال هذا الكلام، لا يجوز ولو وجدته على المعاصي تدعو له ولا تقول: والله لا يغفر لفلان هل عندك من الله كتاب؟ عندك من الله أمر؟ قد يتوب ويغفر الله له فلا يجوز التعدي والجرأة على الله، والله لا يغفر الله لك، والله لا تدخل الجنة، هذا غلط؛ ولكن يقول: اتق الله راقب الله، اعمل كذا، دع كذا يا أخي اتق الله، هذا يجوز هذا لا يجوز، هذا واجب هذا محرم ينصح، أما يتألى على الله، يقسم على الله، يتحجر على الله أنه ما يغفر لفلان أو لا يدخل الجنة، هذا لا يجوز، فإن الأمر بيد الله قد يهديه الله ويتوب الله عليه ويدخله الجنة.

وفق الله الجميع.






٢٧٤ ـ بَابُ النهي عن إظهار الشماتة بالمُسْلِم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

١٥٧٧ ـ **وعن** وَاثِلَةَ بن الأسقع رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

📖 وفي الباب حديث أَبي هريرة السابق في باب التَّجسُّس[٢]: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ...» الحديث.



---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٥٤) برقم (٢٥٠٦).

(٢) انظر: رقم (١٥٧٠).




٢٧٥ ـ بَابُ تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٧٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رسول الله** ﷺ: **«اثْنَتَان في النَّاسِ هُمَا بهم كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»**. رواه مسلم[١].

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث [١٥٧٧ ـ ١٥٧٨] فيها بيان التحذير من الشماتة بالإخوان وأن ذلك خطر عظيم قد يفضي إلى أن يبتلى الشامت بما أصيب به غيره، والمؤمن أخو المؤمن يسره ما يسره ويحزنه ما يحزنه فلا يليق به أن يشمتة بأخيه، بأن يظهر الفرح بعيبه ونقصه، الشماتة بالأعداء الشمات بالإخوان؛ يعني: إظهار عيوبهم ونقصهم فرحاً بذلك وتلذذاً بذلك، ونوع انتقام وتبجح؛ فالحاصل أنه لا ينبغي على أي قصد إظهار الشماتة بأخيه؛ بل يسأل الله له العافية، سواء كانت الشماتة بنقص في دينه أو عيب في خلقه من عور أو عمى أو عرج أو غير ذلك، أو نقص في دينه من الفسق والمعاصي؛ بل ينصحه، ولا يجوز الشماتة به، من هذا الباب تحريم الغيبة، والنميمة، والسخرية، واللمز، كل هذا من هذا الباب، والله يقول جلَّ وعلا:

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة برقم (٦٧).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] الأخ يفرح لأخيه بالخير لا يشمت به الأعداء ولا يظهر عيوبه ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] في الحديث: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمُهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**»، في اللفظ الآخر: «**لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيُعَافِيَهِ اللهُ وَيَبْتَلِيَكَ**»؛ ولكن يدعو له بالعافية، ويدعو له بالستر، إن كان مرض يدعو له بالعافية، إن كان نقص في دينه يدعو له بالتوفيق والهداية، وهكذا فلا يشمت به الأعداء، وهكذا الطعن في الأنساب تنقص أنساب الناس عيبهم ليضرهم ويؤذيهم ويسبب البغضاء والعداوة، كونه يقول: إنهم كذا وإنهم كذا يحط من نسبهم هذا لا كرامة إلا بالتقوى، كونه يقول: آل فلان قصابون نجارون حدادون كذا يلتمس العيوب، هذا غلط، الواجب الكف عن هذا ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] الطعن في الأنساب إيذاء للمؤمنين، إيذاء لهم فلا يجوز تعاطيه، وهكذا الحديث الصحيح: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ**» سماها من خصال الكفر، أما إذا كان من باب البيان، من باب آل فلان من قحطان من جهينة، من كذا، يبين من باب البيان لا من باب التنقص والعيب؛ لكن يبين قبائلهم وجهادهم وأنسابهم على سبيل البيان حتى يعلموا ويعرفوا، فهذا لا بأس؛ لكن على سبيل الطعن والتنقص هذا هو الممنوع، من هذا قوله ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»[١].

فالواجب الحذر منها.

وفق الله الجميع.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ في كتاب الجنائز، التشديد في النياحة برقم (٩٣٤).




٢٧٦ ـ بَابُ النهي عن الغش والخداع

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٧٩ ـ وعن أَبي هريرة ﵁؛ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». رواه مسلم(١).

📖 وفي رواية لَهُ؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلاً، فقَالَ: «مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله. قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

١٥٨٠ ـ وعنه؛ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَنَاجَشُوا». متفق عَلَيهِ(٢).

١٥٨١ ـ وعن ابن عمر ﵄؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَهى عن النَّجْشِ. متفق عَلَيهِ(٣).

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» برقم (١٠١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب النّهي للبائع أن لا يحفّل الإبل والبقر والغنم برقم (٢١٥٠)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرّجل على بيع أخيه وسومه على سومه وتحريم النّجش وتحريم التّصرية برقم (١٥١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع المزايدة برقم (٢١٤٢)، وفي كتاب الحيل، باب ما يكره من التناجش برقم (٦٩٦٣)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرّجل على بيع أخيه وسومه على سومه وتحريم النّجش وتحريم التّصرية برقم (١٥١٦).

١٥٨٢ ـ **وعنه**، قَالَ: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَنَّهُ يُخْدَعُ في البُيُوعِ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لَا خِلَابَةَ». متفق عَلَيْهِ[1].

□ (الخِلَابَةُ): بخاءٍ معجمةٍ مكسورةٍ وباءٍ موحدة، وهي: الخديعة.

١٥٨٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا». رواه أَبُو داود[2].

□ (خَبب): بخاءٍ معجمة، ثُمَّ باءٍ موحدة مكررة؛ أيْ: أفْسده وخدعه.

الشَّرح

هذه الأحاديث في تحريم النجش والخداع، تقدم أبواب كثيرة في تحريم أعمال السب والشحناء والعداوة من الغيبة والنميمة والاستهزاء والاحتقار، وغير ذلك من الخلال الذميمة واللعن والسب ونحو ذلك.

وهنا كذلك النهي عن النجش، وعن الغش في المعاملات؛ لأنه يسبب الظلم ويسبب الشحناء والعداوة، فإن المغشوش والمنجوش عليه يتضرر بذلك؛ فلهذا نهى الرسول ﷺ عن الخداع، وعن الغش، ووصف الله جلَّ وعلا أهل النفاق بالخداع فقال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، والمخادع هو الذي يمكر بالناس ويظهر خلاف ما يبطن، يظهر لهم من الخير ما لا يبطن من الشر؛ يعني: يبطن الشر ويظهر الخير حتى يخدعهم، حتى يغرهم؛ فالخداع من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما يكره من الخداع في البيع برقم (٢١١٧)، ومسلم في كتاب البيوع، باب من يخدع في البيع برقم (١٥٣٣).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب فيمن خبّب مملوكاً على مولاه برقم (٥١٧٠).

صفات المنافقين، ويقول ﷺ: «**لَا تَنَاجَشُوا**»؛ يعني: لا ينجش بعضكم على بعض، في حديث ابن عمر «**نَهَى عَنِ النَّجْشِ**» وهو مصدر نجش ينجش نجشاً وهو الذي يزيد في السلعة ولا يريد الشراء، يزيد في السلعة، متلاعب ما يقصد الشراء، وقد يقصد إيذاء المشتري حتى يغليها عليه، قد يقصد ربح البائع حتى يزيد الثمن، هو يزيد ويزيد حتى الناس يزيدون وهو ما يريد الشراء؛ لكن لينفع البائع أو ليضر المشتري الذي يرى أنه راغب فيها، فهو يحاول إضراره حتى يشتريها بثمن مرتفع، وهذا ظلم وشر لا يجوز، إن كان يريد الشراء يزيد وإلا لا يزيد ما يتعرض السلعة بشيء.

وهكذا قوله ﷺ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**» فيه مضرة، وإن كان المقصود في اللفظ الثاني: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»؛ لكن حمل السلاح يسبب الشحناء والعداوة وقد يفضي إلى القتال وهذا يفعله قطاع الطريق، ويفعله البغاة أيضاً وهو ظلم لا يجوز لا من الباغي ولا من قطاع الطريق، يجب أن يتمسك الواحد بالشرع ويحذر البغي على غيره والظلم لغير بالسلاح أو بالعصا أو بغيرهما.

ومن النجش والخداع كونه يخفي العيب يجعل السلعة ظاهرها طيب وباطنها فيه العلة، هذا من النجش أيضاً، ومن الخداع، ومن الظلم، ومن الغش للناس، في الطعام، الرديء يجعله من داخل والطيب من ظاهر هذا من الغش والخداع؛ ولهذا لما مر النبي ﷺ على صرة من الطعام في السوق، أدخل يده فيها، الله ألهم ذلك أو أوحى بذلك فنالت أصابعه بللاً في داخل الطعام فقال: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»؛ **يعني**: لماذا لم تجعل هذا الرديء فوق حتى يراه الناس، هكذا بعض الناس يبيع الفاكهة والرطب ونحو ذلك

يجعل الطيب فوق ويجعل الرديء من الفاكهة أو من التمر في أسفل الإناء حتى لا يراه المشتري، يظن أن الإناء كله طيب هذا من الخداع أيضاً، والإنسان ما يعرف البيع والشراء، عنده نقص في التصرف، يقول: يا إخوان لا تفشلوني تر أنا ماني بإنسان جاهل ما تبيعوني الإمثل ما تبيعون الناس، لا خلابة.

يعني: لا غدر لا خديعة، يقول لهم: معنى لا خلابة لا خديعة، إذا كان إنسان ما يحسن التصرف في الأموال ولا يعرف السلع ودعت الحاجة إلى أنه يشتري بنفسه، يقول لصاحبه: أنا ما أعرف السلع لكن اتق الله فيَّ، يعني كما تبيع الناس، اتق الله فيَّ لا تخدعني لا تظلمني؛ يعني: بعبارات يفهمها لا خلابة؛ معناه: لا خديعة؛ يعني: العبارة التي يفهمها لا خديعة لا ظلم بيننا لا كذب لا غش يخاطب بالكلمات التي يفهمها، لعله يتقي الله فيه حتى لا يظلمه.

وفق الله الجميع.







٢٢٧ ـ بَابُ تحريم الغدر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، وقال تَعالَى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤].

١٥٨٤ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقاً خالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عَلَيهِ(١).

١٥٨٥ ـ **وعن** ابن مسعودٍ، وابن عمر، وأنس رضي الله عنهم، قالوا: قَالَ النَّبيّ ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ». متفق عَلَيهِ(٢).

١٥٨٦ ـ **وعن** أَبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يومَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْراً مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ». رواه مسلم(٣).

١٥٨٧ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال النفاق برقم (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب إثم الغادر للبرّ والفاجر برقم (٣١٨٦)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر برقم (١٧٣٥ و١٧٣٦).

(٣) أخرجه في كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر برقم (١٧٣٨).

فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجيراً، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ». رواه البخاري[١].

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآيات والأحاديث فيما يتعلق بالغدر، والغدر هو نقض العهود، كونه يأتي العهد ثم يغدر ولا يوفي بالعهد يعطي العهد للمشركين أو لغيرهم ثم ينقض العهد، هذا هو الغدر قال الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]؛ لأن المعاهدة عقد قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]. الواجب على الأمراء والسلاطين وغيرهم أن يوفوا بالعهود وألا يغدروا، إذا دعت الحاجة إلى غدر ينبذ العهد ينبذ يقول: العهد الذي بيننا وبينكم انتهى، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ [الأنفال: ٥٨] يعلمهم حتى يكونوا جميعاً على بينة، أما أنه يخدعهم يعطيهم عهداً ثم يهجم عليهم، هذا منكر ظلم خيانة؛ ولهذا قال ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً» (نفاقاً عمليّاً) «وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، في حديث أبي هريرة: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» هذه خمس خصال من خصال أهل النفاق العملية الظاهرة إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، فجر في الخصومة وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، والغالب من تجتمع فيه هذه الخصال الغالب عليه أنه والعياذ بالله ينتقل إلى النفاق العقدي، نسأل الله العافية.

والنفاق نفاقان: عقدي وهو نفاق المنافقين في عهد النبي ﷺ وهو

(١) أخرجه في كتاب البيوع، باب إثم من باع حرّاً برقم (٢٢٢٧).

كفر أكبر ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وهو الذي يظهر الإسلام وفي الباطن هو كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر هذا هو النفاق الأكبر، والنفاق العملي ما ذكر في حديث عبد الله بن عمرو وغيره كونه يتعاطى الكذب والغدر والخيانة، هذا النفاق العملي يخشى عليه منه ليجره إلى النفاق الاعتقادي، وهذا يسمى النفاق الأصغر.

نسأل الله العافية. في الحديث يقول ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْراً مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**».

(كما في حديث أبي سعيد؛ يعني: عند مقعدته عند المقعدة لواء يعرف به هذا غدار هذا غادر، بيرق، نسأل الله العافية، مكتوب عليه غدرته، هذه غدرة فلان بن فلان، وهذه فضيحة على رؤوس الأشهاد. نسأل الله العافية. قال في حديث أبي سعيد: (**ولا أعظم من غدرة أمير عامة**) كل سلطان يعطي الخصوم: العدو يعطيهم عهوداً ثم يغدر، هذا أكبر غدرة، أكبر من غدر الأفراد، غدر السلطان والأمراء أعظم من غدر الأفراد، الواجب على السلطان وأمير البلد ونحوه إذا أعطى عهداً أن يوفي بعهده، فإذا دعت الحاجة إلى نبذه، نبذ إليهم على سواء، يقول: العهد الذي بيننا وبينكم مفسوخ حتى يكونوا على حذر، يستعدوا)

الحديث الآخر يقول ﷺ: «**يقول الله ﷻ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ**» (عاهد أعطى العهود ثم غدر، الله خصمه يوم القيامة، ومن كان الله خصمه خُصم، نسأل الله العافية) «**وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ**» (خدع ولد من أولاد الناس وباعه قال: هذا عبد لي مملوك كذب) (الثالث)، **وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ**» ظلمهم استوفى منه وأدّى الأجير العمل، ولكن ما أعطاه الحق، فهذا ممن يخصمهم الله يوم القيامة، من خصوم الله يوم القيامة،

ومن كان الله خصمه فهو مخصوم مفلوج، وعلى خطر عظيم نسأل الله العافية، الواجب على من استأجر أحداً أن يعطيه أجره، وأن يتقي الله فيه ولا يظلمه، وهكذا يجب على من أعطى العهود أن لا يغدر وأن لا يبيع حرّاً، بل يحذر أن لا يبيع إلا من كان مملوكاً له ملكاً شرعيًّا.

وفق الله الجميع.






٢٧٨ ـ بَابُ النهي عن المنّ بالعطية ونحوها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

١٥٨٨ ـ وعن أبي ذَر رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مِرارٍ: قَالَ أَبُو ذرٍ: خَابُوا وخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ». رواه مسلم(١).

وفي روايةٍ لَهُ: «المُسْبِلُ إزَارَهُ»؛ يَعْنِي: المُسْبِلَ إزَارَهُ وَثَوْبَهُ أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ لِلخُيَلَاءِ.



---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ بالعطيّة وتنفيق السّلعة بالحلف وبيان الثّلاثة الّذين لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ برقم (١٠٦).



٢٧٩ ـ بَابُ النهي عن الافتخار والبغي

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

١٥٨٩ ـ وعن عياضِ بن حمارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعَالَى أوْحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ». رواه مسلم[١].

□ قَالَ أهلُ اللغةِ: (البغيُ): التَّعَدِّي والاستطالَةُ.

١٥٩٠ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «إِذَا قَالَ الرجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ». رواه مسلم[٢].

□ والرواية المشهورة: (أَهْلَكُهُمْ): بِرَفعِ الكاف وروي بنصبها: وذلكَ النَّهيُ لِمنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْباً بِنَفْسِهِ، وتَصَاغُراً للنَّاسِ، وارْتِفاعاً عَلَيْهِمْ، فَهَذَا هُوَ الحَرامُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَهُ لِما يَرَى في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أمرِ دِينِهم، وقَالَهُ تَحَزُّناً عَلَيْهِمْ، وعَلَى الدِّينِ، فَلَا بَأسَ بِهِ. هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَماءُ وفَصَّلُوهُ، وَمِمَّنْ قَالَهُ مِنَ الأئِمَةِ الأعْلامِ: مالِكُ بن أنس، وَالخَطَّابِيُّ، والحُميدِي وآخرونَ، وَقَدْ أوْضَحْتُهُ في كتاب: «الأذْكار».

الشَّـرح

هـذه الآيـات والأحـاديـث [١٥٨٨ ـ ١٥٨٩ ـ ١٥٩٠]؛ الأول منـهـا

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة، باب الصّفات الّتي يعرف بها في الدّنيا أهل الجنّة وأهل النّار برقم (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النّهي عن قول هلك النّاس برقم (٢٦٢٣).

التحذير من المن بالعطية والأذى والصدقة، الواجب على المؤمن إذا أعطى وتصدَّق ألا يمن ولا يؤذي وأن يكون كريم الأخلاق طيب النفس يعطي إخوانه يتصدق يحسن؛ لكن لا يَمنُّ ولا يؤذي المعطى قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٢ ـ ٢٦٤] المؤمن لا يبطل صدقاته ومعروفَهُ بالمن والأذى على إخوانه أو على الفقراء؛ بل يتصدق ويحسن ولا يمن ولا يؤذي يرجو ما عند الله ﷻ، وهكذا يجب على المؤمن أن يحذر الفخر والخيلاء والعجب والبغي على الناس؛ لماذا؟ أنت ابن آدم من تراب من نطفة من ماء مهين، يجب على المؤمن ينظر إلى أصله وحاله، وأنه مسكين ضعيف خلق من ماء مهين، يحتاج إلى قضاء الحاجة، يحتاج إلى الطعام والشراب، ثم سوف يعاد ويجازى بعمله؛ فالواجب أن لا يفخر، وألا يبغي، وألا يظلم؛ بل يعتدل ويستقيم يتواضع، يرجو ما عند الله جلَّ وعلا والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]؛ فالمؤمن لا يزكي نفسه تفاخراً وعجباً أو لمقاصد أخرى من المقاصد السيئة؛ بل يتواضع لله ويخاف الله ويراقبه أينما كان؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وفي حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: **«إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**؛ فالتواضع أمر مطلوب يقول النبي ﷺ: **«مَا**

زَادَ اللهُ عَبْداً بِعفْوٍ، إلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللهُ». وإذا تأمل في نفسه وضعفه ومنشئه ومصيره أوجب له ذلك التواضع، أما إذا أعرض عن ذلك ونظر إلى ماله أو وظيفته أو جاهه، قد يغرُّه الشيطان فيتكبر ويبغي، الواجب الحذر، في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: **«ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: المَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئاً إلَّا مَنَّهُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الفَاجِرِ، وَالمُسْبِلُ إزَارَهُ»**[1]. المؤمن يحذر ألا يقع في هذه المشاكل، والإسبال الغالب يكون عن تكبر، ويقول في الحديث الصحيح: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»** وقد يتساهل ويسبل ولا يريد التفاخر ولا البغي ولا الكبر؛ ولكن يحذر، والحديث أن الصديق رضي الله عنه قَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إزَارِي يَسْتَرْخِي، إلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟) فَقَالَ ﷺ: **«لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ»**[2]؛ فالمؤمن إذا تعاهد إزاره وتعاهد ثيابه سلم من هذا الوعيد؛ لكن من جر ثوبه يتهم بالخيلاء يمنع من ذلك، من يفتش على قلبه، الصادق الذي ليس يجر ثوبه خيلاء الصادق يصون ثيابه ويرفع ثيابه ويصون عرضه؛ ولهذا لم يقيد النبي ﷺ المسبل إزاره وأطلق **«مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإزَارِ فَفِي النَّارِ»**[3]. أطلق فدل على أنه يحرم الإسبال مطلقاً؛ ولكن مع الكبر يكون الإثم أعظم.

فالمؤلف حين قيد بالخيلاء ليس على إطلاقه؛ بل مع الخيلاء يكون أشد إثماً وإلا فالرسول في الأحاديث الكثيرة لم يقيد، وإنما قال

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إسبال الإزار... برقم (١٠٦)

(٢) سبق تخريجه في الحديث رقم (٧٩١).

(٣) سبق تخريجه في الحديث رقم (٧٩٣).

للصديق: «لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ»، وقال في حديث ابن عمر: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». هذا وعيد خاص، وهكذا من أسبل إزاره أو عباءته أو سراويله أو قميصه فيه الوعيد؛ لكن إذا كان عن خيلاء، وعن قصد صار الإثم أعظم نسأل الله العافية.

والحديث الصحيح يقول ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»؛ يعني: هو أشدهم هلاكاً، الروايات المختارة «أهلكُهمُ» بالضم وروى بعضهم «فهو أهلكهم»؛ يعني: هو الذي أهلكهم وإلا ما هلكوا ولكن هو الذي أهلكهم بقوله، والأرجح في الرواية «فهو أهلكُهُم»؛ يعني: أشدهم هُلكاً؛ لأن في الغالب يقول ذلك عن تكبر عن تعاظم عن عجب بنفسه وعمله، هلك الناس، هلك الناس، لا؟ لا تقول هلك الناس، أما هلك الأكثرون ما يخالف ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] أكثر الناس على الباطل كما قاله الله ﷻ؛ لكن أنت لا تقول: هلك الناس، قل: هلك الأكثرون، كما قال الله لا بأس، ثم احذر أن تقول هذا عجباً تكبراً، لا من باب الإخبار عن الواقع، تقول: هلك الناس، أكثر الناس على الباطل، كالتعزية عند وجود المنكرات؛ لكن أنت بنفسك احذر أن تتأسى بالأكثرين في أسباب الهلاك؛ بل احذر.

نسأل الله للجميع التوفيق.






٢٨٠ـ بَابُ تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلَّا لبدعة في المهجور، أَوْ تظاهرٍ بفسقٍ أَوْ نحو ذَلِكَ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

١٥٩١ ـ **وعن** أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ». متفق عَلَيْهِ(١).

١٥٩٢ ـ **وعن** أَبي أيوبَ ﷺ؛ أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». متفق عَلَيْهِ(٢).

١٥٩٣ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً، إِلَّا امْرَءاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيقُولُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا». رواه مسلم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التّحاسد والتّدابر برقم (٦٠٦٥)، وفي باب الهجرة برقم (٦٠٧٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم التّحاسد والتّباغض والتّدابر برقم (٢٥٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الهجرة برقم (٦٠٧٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاثٍ بلا عذرٍ شرعيٍّ برقم (٢٥٦٠).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب النّهي عن الشّحناء والتهاجر برقم (٢٥٦٥).

١٥٩٤ ـ **وعن** جابر رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». رواه مسلم(١).

□ (التَّحْرِيشُ): الإفْسَادُ وتَغْيِيرُ قُلُوبِهِمْ وتَقَاطُعُهُم.

١٥٩٥ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ». رواه أَبو داود(٢) بإسناد عَلَى شرط البخاري ومسلم.

١٥٩٦ ـ **وعن** أَبي خِراشٍ حَدْرَدِ بنِ أَبي حَدْرَدٍ الأسلميِّ. ويقالُ: السُّلمِيّ الصحابي رضي الله عنه؛ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ، يقولُ: «مَنْ هَجَرَ أخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». رواه أَبو داود(٣) بإسناد صحيح.

١٥٩٧ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤْمِناً فَوقَ ثَلَاثٍ، فإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا في الأجْرِ، وَإنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ». رواه أَبو داود(٤) بإسناد حسن.

قَالَ أَبُو داود: «إِذَا كَانَتْ الهِجْرَةُ للهِ تَعَالَى فَلَيسَ مِنْ هَذَا في شَيْءٍ».

---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشّيطان وبعثه سراياه لفتنة النّاس وأنّ مع كلّ إنسانٍ قريناً برقم (٢٨١٢).
(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب في هجر الرجل أخاه برقم (٤٩١٤).
(٣) أخرجه في كتاب الأدب، باب في هجر الرجل أخاه برقم (٤٩١٥).
(٤) أخرجه في كتاب الأدب، باب في هجر الرجل أخاه برقم (٤٩١٢).

الشَّرح

فهذه الأحاديث كلها تتعلق بالتهاجر، وهذه كلها وما في معناها تدل على تحريم التهاجر بين المسلمين والتقاطع؛ لأن هذا يسبب شرّاً عظيماً وفساداً كبيراً، وتعطيل حقوق الله وظهور المعاصي والشرور؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ فالمؤمنون إخوة يجب الإصلاح بينهم حتى لا يقع التهاجر والتشاحن، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]؛ فالواجب على أهل الإيمان أن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يدعوا التعاون على الإثم والعدوان، ومن التعاون على الإثم والعدوان التهاجر والشحناء والتباغض؛ ولهذا قال ﷺ: **«لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً»**. هذا الواجب على أهل الإسلام **«كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**، ويقول ﷺ: **«لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»** خيرهم الذي يبدأ بالسلام، في الحديث الأخير: **«لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِناً فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ»**.

والمسلم يسلم في الحديث الآخر يقول ﷺ: **«ترفع الأعمال على الله»**، في لفظ: **«تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»** هذا يفيد أن الشحناء من أسباب حرمان المغفرة، ويقول ﷺ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ»**؛ يعني: المؤمنون

«فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»، لما رأى عدو الله إقبال المؤمنين ودخولهم في الإسلام يئس؛ ولكن بقي له النشاط في التحريش والشحناء ويأسه غير معصوم ييأس من نفسه يقع؛ ولهذا جاءت الأحاديث: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ»[(١)]، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ، اللهُ»[(٢)]، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ»[(٣)] .....[(٤)] ينزع هذا الدين ولا يبقى إلا الأشرار فعليهم تقوم الساعة نسأل الله العافية.

في آخر الزمان يرسل الله ريحاً طيبة بعد طلوع الشمس من مغربها فتقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقى إلا الأشرار فعليهم تقوم الساعة، في الحديث الآخر أنه إذا هجر فوق ثلاث باء الذي لا يرجع بالإثم إلى النار، فهذا وعيد شديد يدل على أنها كبيرة من الكبائر، وإذا هجره سنة كان كسفك دمه وهو يدل على عظم المصيبة عظم الاثم، وما ذاك الا لما يترتب على الهجر من الشحناء والعداوة والتباغض، قطيعة الرحم، ظهور المنكرات إلى غير ذلك؛ فالواجب على جميع المسلمين الحذر من هذا التهاجر إذا كان لخصومة دعوىً بينه وبينه في أرض أو في سيارة أو في غير ذلك؛ يعني: خصومات بينهم، فالتهاجر .... لأن

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان برقم (٧١١٦)، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة برقم (٢٩٠٦). وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ في كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان برقم (١٤٨).

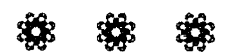
(٣) أخرجه أبو داود من حديث ثوبان ﷺ في كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها برقم (٤٢٥٢).

(٤) كلمة غير واضحة.

النفوس يعتريها ما يعتريها فسمح الله لها ثلاثة أيام بسبب شدة الخصومة فما زاد على الثلاثة يمنع من التهاجر في أمور الدنيا في الخصومات التي بين الناس.

أما ما يتعلق بالبدع والمعاصي فهذا ليس من هذا الباب، هذا يهجر حتى يتوب يستحق الهجر حتى يتوب، ولو مضى سنة أو سنوات حتى يتوب حتى يرجع إلى الله، إذا أظهر البدع أو المعاصي الظاهرة ينهى عن هذا ويحذر ويهجر، قد هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه لما تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر هُجروا خمسين ليلة حتى تاب الله عليهم، فمن أظهر المعاصي أو البدع يستحق الهجر حتى يتوب إلى الله أو يرجع كما يستحق التأديب أيضا من ولاة الأمور على بدعته حتى يرجع عنها، وعلى ما أظهر من المعاصي حتى يتوب، وإن كان فيها حد وجب إقامة الحد.

وفق الله الجميع.






٢٨١ ـ بَابُ النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إِلَّا لحاجةٍ وَهُوَ أن يتحدثا سراً بحيث لا يسمعهما وفي معناه مَا إِذَا تحدثا بلسان لا يفهمه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المجادلة: ١٠].

١٥٩٨ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانُوا ثَلاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ». متفق عَلَيهِ(١).

📖 ورواه أَبُو داود وزاد: قَالَ أَبُو صالح: قُلْتُ لابنِ عُمرَ: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: لا يَضُرُّكَ.

📖 ورواه مالك في «الموطأ»: عن عبد الله بن دينارٍ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وابْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بنُ عُقْبَةَ الَّتي في السُّوقِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُريدُ أنْ يُنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ ابْنِ عُمَرَ أَحَدٌ غَيْرِي، فَدَعَا ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً آخَرَ حَتَّى كُنَّا أَرْبَعَةً، فَقَالَ لِي وَللرَّجُلِ الثَّالِثِ الَّذِي دَعَا: اسْتَأْخِرَا شَيْئاً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ: «لا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ».

١٥٩٩ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه؛ أَنَّ رسول اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ». متفق عَلَيهِ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإستئذان، باب لا يتناجى اثنان دون الثّالث برقم (٦٢٨٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثّالث بغير رضاه برقم (٢١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثةٍ =

الشرح

فهذه الأحاديث مع الآية الكريمة في النجوى هي التسار في الحديث، وهي من الشيطان إذا كان في شر، إذا كانت النجوى في شر وإرادة سوء فهي من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]، أما النجوى في حق وفي حاجة فلا بأس بها إذا لم يكن بينهما أحد أو عندهما أكثر من واحد فلا بأس، أما إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، أو أربعة لا يتناجى ثلاثة دون الرابع وهكذا، أما إذا كان الباقي الذي لم يدخل في النجوى أكثر من واحد فلا بأس؛ لأنه اذا تناجوا والواحد معهم لا يعلم ما يقولون قد يظن أنهم يتناجون فيه ويتهمهم ويحزنه ذلك؛ ولهذا قال ﷺ: «إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»، في اللفظ الآخر: «**حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ**» فإذا كانوا ثلاثة ليس للاثنين أن يتناجيا دون الثالث، وإذا كانوا أربعة ليس لثلاث أن يتناجوا دون الرابع، وإذا كانوا خمسة ليس للأربع أن يتناجوا دون الخامس، إذا كان الباقي واحداً ليس لهم التناجي دونه، أما إذا كان الباقي أكثر من واحد فلا حرج.

وفق الله الجميع.

* * *

= فلا بأس بالمسارّة والمناجاة برقم (٦٢٩٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثّالث بغير رضاه برقم (٢١٨٤).




٢٨٢ ـ بَابُ النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أَوْ زائد عَلَى قدر الأدب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

١٦٠٠ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجَنَتْها حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ». متفق عَلَيْهِ[(١)].

▫ (خَشَاشُ الأرضِ): بفتح الخاءِ المعجمة وبالشينِ المعجمة المكررة، وهي: هَوَامُّها وَحَشَرَاتُهَا.

١٦٠١ ـ وَعَنْهُ؛ أَنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيراً وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا؛ إنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً. متفق عَلَيْهِ[(٢)].

▫ (الغَرَضُ): بفتحِ الغَين المعجمة والراءِ وَهُوَ الهَدَفُ وَالشَّيءُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ.

١٦٠٢ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: نهى رسُولُ الله ﷺ أن تُصْبَرَ البَهَائِمُ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء برقم (٢٣٦٥)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة برقم (٢٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثّمة برقم (٥٥١٥)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم برقم (١٩٥٨).

متفق عَلَيْهِ[١].

□ ومعناه: **تُحْبَسُ لِلقَتْلِ**.

﴿ الشَــرح ﴾

هذه الآية الكريمة مع الأحاديث فيها الترهيب من إيذاء الحيوان وظلم الحيوان، أو ظلم بني آدم كالمملوك أو الولد، أو الزوجة، الواجب على المؤمن أن يكون معتدلاً مع زوجته مع أولاده ومع مماليكه ومع دوابه، يحذر الظلم فلا يظلم الدابة ولا الولد ولا الزوجة، ولا يهمل بل يلاحظ الآداب الشرعية والتوجيهات الشرعية مع الزوجة ومع الولد ومع الخادم، وهكذا الدابة إذا احتاجت إلى تأديب أدبها التأديب الذي ينفعه ولا يضر، المقصود أن الواجب على المؤمن الاعتدال في كل شيء يعتدل مع زوجته ومع أولاده ومع دوابه، ومع مماليكه فيحذر الظلم ويبتعد عن الظلم والله يقول سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦] هذه الآية يقال لها: آية الحقوق العشرة، ذكر فيها سبحانه عشرة حقوق، أعظمها عبادته سبحانه، أعظمها توحيده والإخلاص له ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ هذا أعظم هذه الخصال وأهمها توحيد الله والإخلاص له، ثم الوالدين قال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ حق الوالدين قرين حق الرب جلَّ وعلا، قال سبحانه: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فجاء حق الوالدين قرين حقه ﷻ؛ فالواجب على الولد أن يبر والديه وأن يحرص على الإحسان إليهما والرفق بهما والحذر من عقوقهما؛ فالعقوق قرين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثّمة برقم (٥٥١٣)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم برقم (١٩٥٦).

الشرك والبر قرين التوحيد، ثم قال: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ يعني: الأقارب من الإخوة والأولاد والأعمام والأخوال يجب الإحسان إليهم وعدم القطيعة، ثم ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ هذا الرابع، وهم الذين لا أب لهم وهم صغار ما بلغوا الحلم يقال لهم: يتامى، كل إنسان ليس له أب موجود؛ يعني: ميت وهو صغير ما بلغ بعدُ الحلمَ، يسمى يتيماً والعادة أن مثله يتساهل به الناس؛ فالواجب على المؤمن أن يرفق باليتيم ويحسن إليه ولا يحتقره من أجل أن أباه غير موجود؛ بل الواجب على المسلمين احترام أيتامهم والإحسان إليهم وتوجيههم، وتعليمهم وإرشادهم، وإذا أخطؤوا يؤدبون مثل غيرهم، إذا أخطأ اليتيم يؤدب ويوجه؛ لكن لا يظلم يحسن إليه يواسى يرفق به رحمة لحاله، هكذا أوصى الله جلَّ وعلا بالقربى واليتامى والمساكين هم الفقراء والجار القربى والجار الجنب الجار القريب تحسن إليه، الجار له حق سواء كان قريباً أو بعيداً؛ لكن إذا كان قريباً يكون له حقان: حق الجوار وحق القرابة، وإذا كان مسلماً يكون ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة، وإذا كان جاراً مسلماً فقط وليس بقريب له حقان: حق الجوار وحق الإسلام، وإذا كان جاراً كافراً حق واحد وهو حق الجوار، عدم الظلم والحرص على الإحسان إليه ودعوته إلى الإسلام وترغيبه، والجار القربى والجنب ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾، الصاحب بالجنب فُسر بالرفيق في السفر وفُسر أيضاً بالزوجة، الصاحب بالجنب، قيل: المراد به الزوجة والإحسان إليها، وفسر بالرفيق في السفر؛ يعني: الإنسان يرفق برفيقه في السفر يحسن إليه ولا يظلمه، كذلك ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وابن السبيل ابن الطريق هذا التاسع ابن السبيل الذي يرد على البلد وليس من أهلها قد يكون محتاجاً، قد يكون ضاعت نفقته، قد يكون قصرت النفقة نفدت يحسن إليه، يعطى ما يوصله لبلده من الزكاة أو من غيرها هذا ابن السبيل؛ يعني: ابن الطريق، السبيل الطريق وهو الذي ذهبت نفقته، أو سرقت وهو ابن طريق ليس في وطنه يعطى ويحسن إليه

حتى يصل إلى بلده، ثم العاشر ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ ملك اليمين من الأرقاء والإبل والبقر والغنم وغير ذلك، الواجب الإحسان لها ما تملك في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**»[(١)] في الحديث الصحيح: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**» فدخلت فيها النار، إذا كانت هرة عذبت فيها امرأة كيف بالذي يعذب ناقة، أو شاة، أو بقرة، أو دجاجة أعظم من الهرة وأنفع من الهرة، فإذا عذبت التي حبست الهرة، فالذي يعذب الإبل أو البقر أو الغنم أو الدجاج أو الحمام أولى وأولى، نسأل الله العافية.

كذلك نصب حيوان شبحاً دجاجة أو سخلة أو حمامة يحط شبحاً يرمى هذا ما يجوز، الرسول لعن من فعل هذا وهو الغرض الشبح؛ يعني: ينصب وهو حي يرمونه هذا لا يجوز؛ لأنه تعذيب، فالواجب على المؤمن الإحسان في البهائم، الرسول نهى عن صبرها كونه ترمى تقتل على غير القتل الشرعي حية، البهيمة تقتل القتل الشرعي، إذا كانت تؤكل، وإن كانت لا تؤكل لا تقتل ولا تعذب؛ بل تترك إن كانت غير مؤذية، أما غير هذا مثل الكلب العقور كالذئب الشيء الذي يؤذي يقتل، أما شيء لا أذى فيه؛ ليس بعقور، أو هر، أو كلب لا يقتل إلا إذا كان عقوراً هذا جزاءه أن يقتل لتعديه، المقصود: الواجب على المسلم أن يتحرى العدل في كل شيء مع أولاده، مع زوجته، مع بهائمه، مع الناس كلهم يحذر الظلم، الظلم عاقبته وخيمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]. قال سبحانه: ﴿وَالظَّـٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨]. قال النبي ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ**

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم برقم (١٦٩٢)، وأحمد ٢/ ١٦٠.

ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١]

نسأل الله للجميع العافية.

❁ ❁ ❁

١٦٠٣ ـ **وعن** أبي عليٍّ سويدِ بن مُقَرِّنٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إلَّا وَاحِدَةٌ لَطَمَهَا أصْغَرُنَا فَأَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أنْ نُعْتِقَهَا. رواه مسلم[٢].

📖 وفي روايةٍ: «سَابعَ إخْوَةٍ لِي».

١٦٠٤ ـ **وعن** أبي مسعودٍ البدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أضْرِبُ غُلاماً لِي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» فَلَمْ أفْهَمِ الصَّوْتِ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إذَا هُوَ رسولُ الله ﷺ، فإذا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أنَّ اللهَ أقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلامِ». فَقُلتُ: لا أضْرِبُ مَمْلُوكاً بَعْدَهُ أَبَداً.

📖 وَفِي روايةٍ: فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ.

📖 وفي روايةٍ: فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: «أمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ». رواه مسلم[٣] بهذه الروايات.

١٦٠٥ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَاماً لَهُ حَدّاً لَمْ يَأتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فإنَّ كَفَارَتَهُ أنْ يُعْتِقَهُ». رواه مسلم[٤].

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٠٣) ج١.

(٢) أخرجه في كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفّارة من لطم عبده برقم (١٦٥٨).

(٣) أخرجه في كتاب في كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفّارة من لطم عبده برقم (١٦٥٩).

(٤) أخرجه في كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفّارة من لطم عبده برقم (١٦٥٧).

﴿ الشَرح ﴾

هذه الأحاديث كالتي قبلها فيها الحث على الرفق بالمملوك والحذر من ظلمه، وأن الواجب على الملاك أن يتقوا الله في مماليكهم سواء كانوا مماليك مكلفين من بني آدم أو من الحيوان؛ فالواجب الرفق والعدل وعدم الظلم سواء كان المملوك عبداً أو جارية أو بعيراً أو بقرة أو شاة أو غير ذلك؛ فالواجب تقوى الله في ذلك، وأن يحرص على الملك الطيب والرفق والإحسان، سبق أن الله جلَّ وعلا عذب امرأة في هرة حبستها وهي هرة لا تملك، حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار بسبب ذلك؛ لأنها حبستها ظلماً، فلم تتركها تأكل من خشاش الأرض ولم تطعمها ولم تسقها بل حبستها، فإذا كان من حبس هرة ونحوها حتى مات جوعاً يستحق الإنذار ويعذب؛ فالذي يحبس ما هو خير من الهرة، من شاة، أو بعير، أو بقرة، أو دجاج، أو حمام، أو غير ذلك أخطراً وأشد خطراً وأشد ظلماً، وهكذا إذا كان مملوك من العبيد والجواري يكون الجرم أشد؛ فالواجب الإحسان والرفق في المماليك؛ ولهذا لما لطم أحد بني مقرن الجارية التي كانت تخدمهم جعل عتقها كفارة، وهكذا أبو مسعود قال حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: **«أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ»**.

وهكذا الحديث الثالث فيمن ضرب مملوكاً يكون كفارته عتقه، هذا يدل على أن الإنسان إذا ضرب مملوكاً فمن كفارته العتق أو استسماحه كونه يستسمحه اغفر لي ما فعلت إذا كان ظلمه بغير حق ضربه بغير حق.

أما ضرب التأديب المناسب للولد للجارية للغلام للزوجة فلا بأس، الله جلَّ وعلا قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ

﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ»**[(١)].

إذا كان الشيء للتأديب الذي ليس فيه عدوان وليس فيه خطر إنما هو التأديب المناسب للزوجة، للغلام، للولد، للدابة هذا لا بأس به، أما الزائد الذي يفعله الإنسان تعاظماً وتكبراً، أو قلة مبالاة هذا هو الخطر.

نسأل الله للجميع العافية.

❁ ❁ ❁

١٦٠٦ ـ وعن هِشام بن حكيم بن حِزَام ﷺ؛ أنَّه مَرَّ بالشَّام عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ، وَقَدْ أُقِيمُوا في الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتُ! فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قيل: يُعَذَّبُونَ في الخَرَاجِ ـ وفي رواية: حُبِسُوا في الجِزْيَةِ ـ فَقَالَ هِشَامٌ: أشهدُ لَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: «إنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاس في الدُّنْيَا». فَدَخَلَ عَلَى الأمِيرِ، فَحَدَّثَهُ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُّوا. رواه مسلم[(٢)].

□ **(الأنباط): الفلاحون مِنَ العَجَم.**

١٦٠٧ ـ وعن ابن عباس ﷺ، قَالَ: رأى رسولُ الله ﷺ حِمَاراً مَوْسُومَ الوَجْهِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «واللهِ لا أَسِمُهُ إلَّا أَقْصَى شَيْءٍ مِنَ الوَجْهِ» وأمَرَ بِحِمَارِهِ فَكُوِيَ في جَاعِرَتَيْهِ، فَهُوَ أوَّلُ مَنْ كَوَى الجَاعِرَتَيْنِ. رواه مسلم[(٣)].

□ **(الجَاعِرَتَانِ): نَاحِيَةُ الوَرِكَيْنِ حَوْلَ الدُّبُرِ.**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٠١) ج١.

(٢) في كتاب البر والصلة، باب الوعيد الشّديد لمن عذّب النّاس بغير حقٍّ برقم (٢٦١٣).

(٣) في كتاب اللباس والزينة، باب النّهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه برقم (٢١١٨).

١٦٠٨ ـ وعنه؛ **أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ في وَجْهِهِ، فَقَالَ: «لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ»**. رواه مسلم(١).

📖 **وفي رواية لمسلم أيضاً: نهى رسول الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ في الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ في الوَجْهِ.**

الشَّرح

قد سبقت جملة من الأحاديث في بيان تحريم ضرب الناس وإيذائهم وظلمهم بغير حق، وبيان تحريم ظلم الدواب أيضاً، تقدم حديث أن الله جلَّ وعلا عذب في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً وهي هرة لا هي أطعمتها وسقتها حين حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض؛ فالواجب على المسلم الحذر من ظلم الناس أو ظلم الحيوان، أو ظلم الزوجة، أو غير ذلك، أما الشيء الذي شرعه الله من التأديب الشرعي والحدود الشرعية فلا بأس، كذلك تأديب الحيوان إذا تعسر أو خالف ما ينبغي يؤدب بالتأديب المناسب الذي يجعله يستقيم على الطريق، من دون تعذيب لا شغب له ولا موجب له، والله أباح ضرب المرأة ضرباً غير مبرح عند الحاجة إلى ذلك، وأباح ضرب الصبيان إذا بلغوا عشراً على الصلاة؛ فالتأديب الشرعي لا بأس به مع مراعاة الحدود الشرعية في الحدود وفي التأديب وهكذا في الحيوانات، البعير وغير البعير إذا أدب التأديب الذي يناسبه ويليق به لا بأس، أما ظلمه وتحميله ما لا يطيق، أو ضربه بغير سبب أو وسمه في الوجه هذا لا يجوز، الوسم في الوجه والضرب في الوجه لا يجوز، الوجه له حال خاصة فلا يجوز ضرب الوجه ولا الوسم في الوجه؛ ولهذا في الحديث الصحيح: «**إِذَا قَاتَلَ**

---

(١) أخرجه في كتاب اللباس والزينة، باب النّهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه برقم (٢١١٧).

أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ»(١)، لا في الحدود ولا في غيرها، ولا يتخذ غرضاً كما تقدم؛ يعني: شبحاً يرمى وهو حي كل هذا لا يجوز، ولا فرق في ذلك بين الإبل والبقر والغنم وبني آدم لا يجوز تعذيب الحيوان إلا بحق، وهكذا المملوك العبد والجارية.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه برقم (٢٥٥٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه برقم (٢٦١٢).




٢٨٣ ـ بَابُ تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حَتَّى النملة ونحوها

١٦٠٩ ـ **عن** أَبي هريرةَ رضي الله عنه، قَالَ: بعثنا رسولُ الله ﷺ في بَعْثٍ، فَقَالَ: «إنْ وَجَدْتُمْ فُلَاناً وَفُلاناً» لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا «فَأَحْرِقُوهُمَا بالنَّارِ»، ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ حِيْنَ أَرَدْنَا الخرُوجَ: «إنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلاناً وفُلاناً، وإنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إلَّا الله، فإنْ وَجَدْتُمُوهُما فاقْتُلُوهُما». رواه البخاري[1].

١٦١٠ ـ **وعن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كنَّا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فانْطَلَقَ لحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءتِ الحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا؟، رُدُّوا وَلَدَهَا إلَيْها». ورأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ قَالَ: «إنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إلَّا رَبُّ النَّارِ». رواه أَبو داود[2] بإسناد صحيح.

□ قَوْله: (قَرْيَةُ نَمْلٍ): مَعْنَاهُ: مَوضْعُ النَّمْلِ مَعَ النَّمْلِ.

﴿ الشَّـرح ﴾

قد سبق عدة أحاديث في بيان تحريم تعذيب الحيوانات وإيذائها بغير حق، سواء كانت تعقل أو لا تعقل، سواء كان من بني آدم أو من

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذّب بعذاب الله برقم (٣٠١٦).

(٢) أخرجه في كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار برقم (٢٦٧٣).

غير بني آدم لا يجوز للمسلم أن يعذب عباد الله لا أولاده ولا زوجته ولا أرقاؤه ولا دوابه يجب عليه أن يقيد بالشرع ولا يجوز أن يتعدى الشرع؛ فالتأديب الشرعي للزوجة للولد للخادم لا بأس، أما التعذيب الذي ليس داخلاً في الأدب الشرعي، إنما هو يصدر من أجل الغضب أو الحقد أو ما أشبه ذلك، هذا لا يجوز، والواجب على المؤمن التقيد بالشرع، وتقدم أن الرسول أنكر على من ضرب العبد بغير حق، وكذا تقدم حديث الهرة، وأن امرأة عذبت في النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها وسقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض فعذبت بذلك، فإذا كانت المرأة عذبت في هرة وهي بهيمة لا تؤكل، ومع هذا عذبت فيها بل حبستها لأنها ظلمت، فكيف بمن يعذب بني آدم بغير حق، ويعذب الحيوانات المباحة الطيبة من غير حق يكون عذابه أشد.

وفي هذين الحديثين الدلالة على أنها لا يجوز التعذيب بالنار «**لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**»؛ ولهذا لما أمر بعض أصحابه قال: «**إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَاناً وَفُلَاناً فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ**»، **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ**: «**إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَاناً وَفُلَاناً، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا**»، وهكذا لما رأى قرية نمل قد حرقت أنكر على من حرقها قال: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**». فلا يجوز تحريق دور النمل ولا غير النمل كالجعران والقعس والعصافير وغير ذلك، يجب ترك ذلك فإذا أريد التخلص من أذاها يستعمل شيئاً آخر من المبيدات التي تبيدها من دون تعذيب بالنار، وفي هذا رحمة الحيوان. وهو أن الرسول ﷺ رحم الحمرة التي جاءت إليه كأنها تشكو من أخذ فرخيها فرد فرخيها عليها لما رأى من جزعها على فرخيها، هذا فيه الرحمة للحيوان فإذا أراد الإنسان أخذها، فلا بأس صيد يصيدها ويأكلها وفرخيها، أما أن يعذبها يأخذ فرخيها ويتركها، يتركهما جميعاً أو يأخذهما جميعاً، وهكذا الحمام، وهكذا نحوه هو صيد مباح، لكن

يتحرى الإنسان الرحمة في مثل هذه المسائل، فإذا أخذ الطير وفرخها وانتفع بها لا بأس، أما أن يتساهل فيأخذ الفروخ ويترك الأم ليس هذا من الرحمة؛ بل ترك هذا أولى إما أن يأخذهم جميعاً أو يدعهم جميعاً.

وفق الله الجميع.






٢٨٤ ـ بَابُ تحريم مطل الغني بحقٍّ طلبه صاحبه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

١٦١١ ـ **وعن** أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَع». متفق عَلَيْهِ[1].

□ معنى: (أُتبع): أُحيل.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الحوالات، باب في الحوالة، وهل يرجع في الحوالة وقال الحسن وقتادة: إذا كان يوم أحال عليه مليّاً جاز. وقال ابن عبّاسٍ يتخارج الشّريكان وأهل الميراث، فيأخذ هذا عيناً وهذا ديناً، فإن توي لأحدهما لم يرجع على صاحبه برقم (٢٢٨٧)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغنيّ وصحّة الحوالة واستحباب قبولها إذا أحيل على مليٍّ برقم (١٥٦٤).

٢٨٥ ـ بَابُ كراهة عود الإنسان في هبة لَمْ يُسلِّمها إلَى الموهوب لَهُ وفي هبة وهبها لولده وسلمها أَوْ لَمْ يسلمها وكراهة شرائه شَيْئاً تصدّق بِهِ من الَّذِي تصدق عَلَيْهِ أَوْ أخرجه عن زكاة أَوْ كفارة ونحوها وَلا بأس بشرائه من شخص آخر قَدْ انتقل إلَيْهِ

١٦١٢ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «الَّذِي يَعُودُ في هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ في قَيْئِهِ». متفق عَلَيْهِ[1].

📖 وفي رواية: «مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ في صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ في قَيْئِهِ فَيَأكُلُهُ».

📖 وفي روايةٍ: «العائِدُ في هِبَتِهِ كالعائِدِ في قَيْئِهِ».

١٦١٣ ـ **وعن** عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ في سَبيلِ اللهِ فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِندَهُ، فَأَرَدْتُ أن أشْتَرِيَهُ، وَظَنَنْتُ أنَّهُ يَبِيعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَا تَشْتَرِهِ وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِك وإنْ أعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ؛ فَإنَّ العَائِدَ في صَدَقَتِهِ كَالعَائِدِ في قَيْئِهِ». متفق عَلَيْهِ[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب لا يحلّ لأحدٍ أن يرجع في هبته وصدقته برقم (٢٦٢١)، ومسلم في كتاب الهبات، باب تحريم الرّجوع في الصّدقة والهبة بعد القبض إلّا ما وهبه لولده وإن سفل برقم (١٦٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب هل يشتري صدقته، ولا بأس أن يشتري صدقته غيره لأنّ النّبيّ ﷺ إنّما نهى المتصدّق خاصّةً عن الشّراء ولم ينه غيره برقم (١٤٩٠)، وفي كتاب الهبة، باب لا يحلّ لأحدٍ أن يرجع في هبته وصدقته برقم (٢٦٢٣)، ومسلم في كتاب الهبات، باب كراهة شراء الإنسان ما تصدّق به ممّن تصدّق عليه برقم (١٦٢٠).

□ قَوْله: (حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبيلِ الله) مَعنَاهُ: تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى بَعْضِ المُجَاهِدِينَ.

﴿ الشَّرح ﴾

الحديث الأول مع الآيتين [١٦١١ ـ ١٦١٢ ـ ١٦١٣] فيما يتعلق في مطل الغني لا يجوز للغني أن يمطل بالحق الذي عليه وطلبه صاحبه؛ فالواجب أداءه إذا كان يستطيع؛ لأن الله جلَّ وعلا أوجب أداء الحقوق، الواجب على المؤمن أن يؤدي الحق الذي عليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فإذا كانت الأمانة وهي وديعة يجب أداءها فحق لازم الذي هو دين عليك من ثمن سلعة أو قرض أو نحو ذلك وأنت مستطيع يجب أداءه، أما إذا كنت معسراً مثل ما قال الله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أما القادر فيجب عليه الأداء ومطله ظلم.

في الحديث الآخر يقول ﷺ: «**لَيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ**»[1]؛ لي الواجد؛ يعني: مطله وتأخيره «**يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ**» لصاحب الحق أن يشتكيه وأن يرفع أمره ويستحق العقوبة حتى يسلم الحق الذي عليه «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، فَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتْبَعْ**»؛ يعني: إذا أحيل فليحتل إذا أحاله صاحب الحق على ملي فليحتل، أنا ليس عندي الآن شيء ولكني أحولك على فلان؛ لأن فلاناً عنده مال وهو ملي فليحتل؛ يعني: فليقبل إذا حوله صاحب الحق على إنسان ملي فليقبل؛ ولهذا قال: «**فَلْيَتْبَعْ**»، في اللفظ الآخر: «**فَلْيَحْتَلْ**»، أما على معسر لا؛ لكن لا بد على ملي، على ملي باذل فإنه يلزمه أن يقبل الحوالة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب لصاحب الحق مقال، ساقه بعد حديث رقم (٢٤٠٠).

والحديث الثاني يدل على تحريم الرجوع في الهبة والصدقة، ولا يجوز إذا تصدق أو وهب أن يرجع، يقول ﷺ: **«العَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ»**. يقول لعمر رضي الله عنه لما حمل على فرس في سبيل الله؛ يعني: أعطاها إنساناً يجاهد عليها عطاء فرآه قد ساهل فيها فظن أنه يبيعها برخص فسأل النبي ﷺ عن ذلك؛ يعني: هل يشتري هذه الفرس التي قد نذرها في سبيل الله وتصدق بها قال: **«لَا تَشْتَرِهِ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ، وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ، فَإِنَّ العَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالعَائِدِ فِي قَيْئِهِ»**.

هذا يدل على أنه إذا ساعد إنساناً في فرس في سبيل الله أو بعير في سبيل الله أو سيارة في سبيل الله، أو أي صدقة فإنه لا يعود فيها لا بالشراء ولا بغير الشراء، شيء أخرجه لله يعلق يقطع تعلقه به ولا يرجع فيه؛ لأنه أخرجه لله تعالى.

وفق الله الجميع






٢٨٦ ـ بَابُ تأكيد تحريم مال اليتيم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

١٦١٤ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ!» قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ». متفق عَلَيْهِ[1].

□ (المُوبِقَاتِ): المُهْلِكات.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، برقم (٢٧٦٦)، وانظر: (٥٧٦٤) و(٦٨٥٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٩).



٢٨٧ ـ بَابُ تغليظ تحريم الربا

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٧٨].

وأما الأحاديث فكثيرة في الصحيح مشهورة، مِنْهَا حديث أَبي هريرة السابق في الباب قبله.

١٦١٥ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: لَعَنَ رسول الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ. رواهُ مسلم[1]، زاد الترمذي وغيره: وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ.

الشَّرح

هذه الأحاديث والآيات [١٦١٤ ـ ١٦١٥] في تحريم مال اليتيم وتحريم الربا، مال اليتيم محترم، وهكذا أموال كل المعصومين محترمة؛ لكن لما كان اليتيم ضعيفاً لا يستطيع يدافع عن نفسه صار التحريم والتعدي عليه أشهر وأشد، وإلا فكلٌّ محترم يجب الحذر من العدوان عليه، قال النبي ﷺ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب لَعْنِ آكِلِ الرِّبَا وَمُؤْكِلِهِ برقم (١٥٩٧)، وأبو داود في كتاب البيوع، باب في آكِلِ الرِّبَا وَمُؤْكِلِهِ برقم (٣٣٣٣)، والترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في آكِلِ الرِّبَا برقم (١٢٠٦).

وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩] الظلم محرم مطلقاً مع الكبير والصغير واليتيم وغير اليتيم؛ ولكن مال اليتيم يصير أشد لضعفه وعدم استطاعة المدافعة، وهكذا مال المعتوه والمجنون لأنهم ليس عندهم من العقول يدافعون بها عن أنفسهم لضعفهم إما لقلة عقله كالمجنون والمعتوه أو لضعفه وقصور عقله كاليتيم؛ فالتحريم أشد في حقه، ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠] فلا بأس بالمخالطة يأكل معه ولكن مع الحرص والعناية بماله، وإذا أخذ من ماله بقدر طعامه وشرابه وكسوته هذا لا بأس به، وهكذا الولي له أن يأكل بالمعروف إذا كان فقيراً كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ٦] في مقابل تعبه وعمله، والربا كذلك من أقبح السيئات، ومن أقبح المحارم كما قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]... من أقبح السيئات ومن أقبح الكبائر؛ ولهذا في الحديث الصحيح المذكور يقول ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»

(يعني: المهلكات)، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ** (هذا أكبرها وأعظمها الشرك) ثم «**السِّحْرُ**» (لأنه من الشرك العبادة لغير الله؛ لأن السحر يتوصل إليه بعبادة الشياطين والجن) **وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ**، (هذه أيضاً من أكبر الكبائر) **وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ** (فهما كبيرتان عظيمتان)، **وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ** (مصافة الكفار ينحرف ينصرف يتولى ويترك إخوانه هذا من أكبر الكبائر)، **وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**»؛ يعني: قذف المحصنة بالزنى، وهكذا المحصن الرجل؛ لكن لما كان الغالب أن هذا يقع مع النساء عُبر بالمحصنات وإلا فالرجل كذلك لا يجوز قذفه، وفي قذفه الحد إلا أن يأتي القاذف بأربعة شهود عدول، ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ**»، وَقَالَ: «**هُمْ سَوَاءٌ**» فيجب على المؤمن أن يحذر ما حرم الله عليه من سائر المعاصي، وبالأخص ظلم اليتامى وأكل الربا، فهذه هاتان كبيرتان عظيمتان قد يتساهل فيهما الكثيرون من الناس، اليتيم لضعفه وعدم مدافعته والربا لكثرة العاملين به وطمع الناس في المال، فقد يقدمون على الربا لطمع المال وحب المال، وعدم المبالاة بالوعيد، نسأل الله العافية، الواجب الحذر.






٢٨٨ ـ بَابُ تحريم الرياء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالَى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالَى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

١٦١٦ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «قَالَ الله تَعَالَى: أنا أغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رواه مسلم(١).

١٦١٧ ـ **وعنه**، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أولَ النَّاسِ يُقْضَى يومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعرَفَها، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيها؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعرَفَها. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ! وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ؛ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأعْطَاهُ مِنْ أصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقاق، باب مَنْ أشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ برقم (٢٩٨٥).

فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: جَوَادٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم[(١)].

□ (جَرِيءٌ): بفتح الجيم وكسر الراء والمد؛ أيْ: شُجَاعٌ حَاذِقٌ.

❁ الشَّرح ❁

في هذه الآيات الكريمات والأحاديث الحث على الإخلاص والصدق في العمل والحذر من عمل المنافقين، المنافقون يراؤون الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ لأن أعماله باطلة، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]. قال جلَّ وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] الواجب على جميع المكلفين إخلاص العمل صلاتهم وصومهم وصدقاتهم وسائر أعمالهم يجب أن تكون لله وحده وأن يخص الله بها دون كل ما سواه من صدقة، حج، صيام، صلاة، قراءة إلى غير ذلك، تعليم، دعوة إلى الله، يكون قصده من ذلك وجه الله والدار الآخرة، وأن ينفع المؤمنين، وينفع الناس كما أمره الله، أما الرياء فله حالان، رياء أكبر وهو رياء المنافقين وأهله في الدرك الأسفل من النار أعوذ بالله، وعلى هذا يحمل حال الثلاثة الذي المقاتل في

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ برقم (١٩٠٥)، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة برقم (٢٣٨٢)، والنسائي في كتاب الجهاد، باب مَنْ قَاتَلَ لِيُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ برقم (٣١٣٧).

سبيل الله، والمتصدق، والعالم القارئ تعلم ليقال عالم والقارئ ليقال: قارئ؛ فلهذا أمر به فسحب على وجهه إلى النار، على أنه ما تعلم لله ولا قرأ لله، ولا عمل بمقتضى علمه، هكذا الذي قاتل في سبيل الله، قاتل ليقال: جريء يقال شجاع فقد قيل، وهكذا الآخر الذي أعطاه الله أصناف المال وأنفق، أنفق ليقال: سخي، ليقال: جواد لا لله؛ فلهذا أمر به إلى النار، نسأل الله العافية؛ لعدم إخلاصهم في أعمالهم، وهم بين أمرين، إما أن تكون أعمالهم نفاقاً كأعمال المنافقين والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، وأما أن يكون أعمال عاملي هذه الأشياء كلها رياءً وقد قال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» قِيلَ: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**» والرياء يحبط الأعمال التي قارنها، يحبط الجهاد، ويحبط التعليم والقراءة والنفقة إذا صحبها الرياء وعدم الإخلاص؛ فالواجب الحذر، في الحديث الصحيح: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**» فليحذر المؤمن من قصد وجوه الناس، وحمدهم وثنائهم، فإذا هم لا ينفعونه ولا يضرونه وإنما يجب أن يقصد وجه الله في أعماله كلها، وأن يخلص له العمل حتى تحصل له الثمرة والثواب الجزيل من الله ﷻ، والمقصود من هذا كله، أن يكون للمؤمن في جميع أعماله له عناية وإقبال على الإخلاص والصدق وتحمل ما في ذلك؛ لأن الإنسان قد يتعب في قصد الإخلاص؛ ولكن يجاهد؛ النفس أمارة بالسوء والشيطان يدعو إلى الرياء فلا بد من جهاد وصدق في أن تكون أعماله كلها لله من تعليم أو جهاد أو صدقة أو غير ذلك يقصد بها وجه الله ﷻ لا رياءً ولا سمعة.

نسأل الله للجميع التوفيق.

❁ ❁ ❁

١٦١٨ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن ناساً قَالُوا لَهُ: إنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ؟ قَالَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقاً عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ. رواه البخاري[1].

١٦١٩ ـ **وعن** جُندب بن عبد اللهِ بن سفيان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ». متفق عَلَيْهِ[2].

ورواه مسلم أَيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(سَمَّعَ): بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للناس رياءً. (سَمَّعَ اللهُ بِهِ)؛ أيْ: فَضَحَهُ يَومَ القِيَامَةِ. ومعنى: (مَنْ رَاءى)؛ أيْ: مَنْ أظْهَرَ لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَعْظُمَ عِنْدَهُمْ. (رَاءى اللهُ بِهِ)؛ أيْ: أظْهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ.

١٦٢٠ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عز وجل لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبو داود[3] بإسنادٍ صحيحٍ

والأحاديث في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

الشَّرح

هذه الأحاديث وما جاء في معناها كلها توجب الحذر من الرياء، وأن الواجب على المؤمن في جميع أعماله وفي جميع أقواله أن يخلص لله وحده وأن تكون أعماله وتعبداته لوجه الله جلَّ وعلا من صلاة، وصوم، وقراءة، وحج، وغير ذلك؛ لأن الله جلَّ وعلا أوجب

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة برقم (٦٤٩٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ برقم (٢٩٨٦ و٢٩٨٧).

(٣) أخرجه في كتاب العلم، باب فِي طَلَبِ العِلْمِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى برقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب الانْتِفَاعِ بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ بِهِ برقم (٢٥٢)، وأحمد ٢/ ٣٣٨.

على عباده أن يخلصوا له العمل. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]. قال ﷻ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]. قال جلَّ وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، الواجب على كل مسلم أن يخلص لله في قراءته، في صلاته، في صومه، في حجه، في جهاده، كل شيء يريد وجهه الكريم لا رياء الناس ولا حمد الناس وثناءهم، فإنهم لم يغن عنه من الله شيئاً حمدهم وثناؤهم لم يغن عنه من الله شيئاً ولم ينفع بل يضره؛ ولكن الإخلاص لله والصدق في العمل هذا هو الذي ينفعه عند الله وعند عباده؛ ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما في الذين يمدحون الأمراء قَالَ أُنَاسٌ لِابْنِ عُمَرَ: (**إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ**)، قَالَ: (**كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقاً**)؛ لأن المنافق يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه له وجهان له وجوه، فإذا جاء عند السلاطين أو عند من يرغب في دنياهم مدحهم، وإذا خرج ذمهم وعابهم، وهذا والعياذ بالله من قلة الأمانة وقلة المبالاة ومن ضعف الإيمان أو عدم الإيمان؛ فالواجب على المسلم أن ينصف، وإذا جلس مع الناس أن يقول الحق فينصح المقصر، ويذكر الغافل، هكذا المؤمن لا يكون مداحاً بغير حق؛ بل يمدح على الخير ويذم على الشر، ينصح فيما رأى تقصيراً أو جفاءً ويعظ ويذكر إذا رأى غفلة وهكذا؛ ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**» سمع؛ يعني: في الأقوال كالقراءة ونحوها رياءً وراءى؛ يعني: في الأعمال كالصلاة ونحوها؛ فالمعنى أنه يفضح يوم القيامة يُراءى يوم القيامة يفضح يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، بأنه فعل هذا رياءً لا لقصد وجه الله جلَّ وعلا؛ فليحذر المؤمن أن يراءى به وأن يسمع به يوم القيامة ويفضح على رؤوس الأشهاد بسبب ريائه ونفاقه في الدنيا، ويقول ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ**

وَجْهُ اللهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ يعني: رِيحَهَا تعلم القرآن وتعلم الفقه وتعلم الحديث وما أشبه ذلك ليصيب عرضاً من الدنيا لا ليعمل به، ولا لطلب الآخرة؛ ولكن تعلمه ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة؛ يعني: ريحها هذا وعيد من باب الوعيد والتعزير، من هذا حديث الثلاثة الذين تسعر بهم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ذكر منهم: العالم والقارئ تعلم ليقال: عالم وليقال: قارئ، ذكر منهم صاحب الصدقة الذي بذل المال ليقال: إنه جواد إنه سخي، وذكر المقاتل الذي قاتل ليقال: شجاع ما قاتل لله؛ بل قاتل ليقال: إنه جريء شجاع قال أولئك أول من تسعر بهم النار؛ لعدم إخلاصهم لأعمالهم؛ بل فعلوها لغير الله نسأل الله العافية.

والمقصود من هذا كله الحث على الإخلاص في أعمالك جميعها والحذر من الرياء والشرك في جميع الأعمال عملاً بقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وحذَّر من الرياء بقوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣] هذه حال المنافقين ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

أعوذ بالله نسأل الله العافية.

❁ ❁ ❁




٢٨٩ ـ بَابُ مَا يتوهم أنَّه رياء وليس هُوَ رياء

١٦٢١ ـ **وعن** أبي ذرٍ ﷺ، قَالَ: قِيلَ لِرسولِ الله ﷺ: أرَأيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ». رواه مسلم(١).



(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب إِذَا أُثْنِيَ عَلَى الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّهُ برقم (٢٦٤٢).



٢٩٠ ـ بَابُ تحريم النظر إلَى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

١٦٢٢ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْن آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِك ذَلِكَ لا مَحَالَةَ: العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِناهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ». متفق عَلَيْهِ(١).

📖 هَذَا لفظ مسلمٍ، ورواية البخاري مختصرةٌ.

١٦٢٣ ـ **وعن** أَبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «إيّاكُمْ والجُلُوس فِي الطُّرُقَاتِ!» قالوا: يَا رسولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «فَإذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب زِنَا الجَوَارِحِ دُونَ الفَرْجِ برقم (٦٢٤٣)، ومسلم في كتاب القدر، باب قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَى وَغَيْرِهِ برقم (٢٦٥٧).

وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، والأمرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عنِ المُنْكَرِ». متفق عَلَيْهِ(١).

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث كلها [١٦٢١ ـ ١٦٢٢ ـ ١٦٢٣] تتعلق بغض البصر وحفظ الجوارح عن محارم الله، المؤمن في هذه الدنيا معرض للفتن فتن الشهوات والشبهات؛ فالواجب عليه الحذر من أسبابها، واتقاؤها غاية ما يمكن، وسؤال الله التوفيق والإعانة، يضرع إلى الله ويسأله التوفيق والإعانة والعافية من مضلات الفتن ويأخذ بالأسباب الواقية؛ لأن الله أمر بذلك، أمر بالأسباب وحث عليها؛ فالله يقول جلَّ وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، ويقول سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] الإنسان مسؤول عن هذه الجوارح هل حافظ عليها هل صانها أم أطلقها؟ فإذا أطلق اللسان وقع في البلاء، في الغيبة والنميمة والشتم وغير ذلك، وإذا أطلق البصر رأى ما لا يحل له من النساء، أو المردان الذي قد يتعلق بهم القلب، وقد يرى أشياء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالْجُلُوسِ فِيهَا وَالْجُلُوسِ عَلَى الصُّعُدَاتِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَابْتَنَى أَبُو بَكْرٍ مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ برقم (٢٤٦٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النَّهْيِ عَنِ الْجُلُوسِ فِي الطُّرُقَاتِ وَإِعْطَاءِ الطَّرِيقِ حَقَّهُ برقم (٢١٢١).

أخرى يحرم عليه النظر إليها، وهكذا اليد قد تمد إلى ما لا يحل بلمس ما لا يحل، أو تناول ما لا يحل، وهكذا الرجل قد تمشي إلى ما لا يحل؛ فالمؤمن يصون هذه الجوارح ويحفظها؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ** (كل يأتي نصيبه هذه الدنيا مظنة الفتن) **فَالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ** (والنظر قد يجر للشر)، **وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ** (قد يستمع إلى ما لا يحِلُّ له)؛ ولهذا يقول ﷺ: «**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»؛ يعني: الرصاص رواه البخاري رحمه الله(١)، تستمع الهاتف أو غير الهاتف؛ لأن الناس يتحدثون سرّاً بينهم وهم يكرهون سماعك، لا يجوز هذا، هذا من زنى الأذنين استماعها لما لا ينبغي، قد تستمع بها كلام المرأة بالشهوة فيجر ذلك إلى الفاحشة وهكذا **وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ** الأخذ والعطاء قد تأخذ ما حرم الله عليها، قد تعطي ما حرم الله عليها، قد تلمس ما حرم الله عليها، وهكذا **وَالرِّجْلُ** قد تمشي إلى ما حرم الله، فالواجب أن تصان هذه الجوارح ويحذر المؤمن والنفس نفس الإنسان **يَهْوَى وَيَتَمَنَّى**، ويشتهي قد يتمنى هذا، قد يشتهي هذا، فيتوسل بالوسائل) **وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**» الفرج يصدق ذلك بوقوع الفاحشة أو يكذب بعدم وقوعها وكون الله صانه وعافاه من ذلك، هذه الجوارح وسيلة إلى زنا الفرج يجب الحذر منها حتى لا تقع في الغاية التي هي الزنا، ولا حول ولا قوة الا بالله أو اللواط ولا حول ولا قوة الا بالله، والله جلَّ وعلا أمر المؤمن بأن يحذر قال: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]؛ فالمؤمن يحذر حذره

(١) سبق تخريجه برقم (١٥٤٤).

ولا يتساهل؛ بل يحذر حذره في جميع الأحوال، ويقول النبي ﷺ للصحابة: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**» (لأنها مظنة التعرض للفتن من مرور النساء وغير النساء) قَالُوا: (**يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا**) (نحتاج للأفنية عند الأبواب على حافات الطرق يكون للناس مجالس)، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» (هذا يفيد أن ترك المجالس أولى وأبعد عن الشر؛ لكن إذا دعت إليها الحاجة فالواجب أن يعطى الطريق حقها) قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟، قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَام وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**» هذا من حق الطريق أما إذا تيسر مجلس بعيد عن الطريق في أحد البيوت في صحراء بعيدة عن الطريق هذا طيب، هذا أسلم؛ لكن إذا دعت الحاجة إلى حافات الطريق؛ وما حول الطريق؛ فالواجب يعطى الطريق حقه، من غض البصر عن محارم الله، كف الأذى لا تؤذي المارة بلسانك هذا كذا، هذا كذا تؤذيهم بلسانك أو بفعالك، تكف الأذى عن المارة لا من اللسان لا من غير اللسان، رد السلام إذا سلم تقول: وعليكم السلام سلم المار ترد السلام، رأيت منكراً تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، رأيت منكراً في الطريق امرأة غير متسترة، إنسان يتكلم بما لا ينبغي في الطريق، تأمرهم بالمعروف وتنهى عن المنكر، يا فلان هذا ما يجوز دع هذا الكلام، يا فلانة احتجبي، يا فلان دع هذا الكلام اتق الله؛ يعني: تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حسب الطاقة بالحكمة والأسلوب الحسن واللين، وعدم العنف حتى تكون هادياً مهدياً، وحتى تكون هذه الجلسات نافعة، تنفعك وتنفع المارة.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٦٢٤ ـ وعن أَبي طلحة زيد بن سهل ﷺ، قَالَ: كُنَّا قُعُوداً بالأَفْنِيَةِ نَتَحدَّثُ فِيهَا فَجَاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ وَلِمَجَالسِ الصُّعُدَاتِ؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ» فقُلْنَا: إنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَأسٍ، قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ، وَنَتَحَدَّثُ. قَالَ: «إمَّا لَا فَأدُّوا حَقَّهَا: غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الكَلَامِ». رواه مسلم(١).

□ (الصُّعُدات): بضم الصاد والعين؛ أيْ: الطُّرُقَاتِ.

١٦٢٥ ـ وعن جرير ﷺ، قَالَ: سألت رسول الله ﷺ عن نَظَرِ الفَجْأَةِ فَقَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ». رواه مسلم(٢).

١٦٢٦ ـ وعن أم سَلَمَة ﷺ، قالت: كنتُ عِنْدَ رسول الله ﷺ، وعندهُ مَيْمُونَة، فَأقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُوم، وَذَلِك بَعْدَ أنْ أُمِرْنَا بِالحِجَابِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «احْتَجِبَا مِنْهُ» فَقُلْنَا: يَا رسولَ اللهِ، ألَيْسَ هُوَ أعْمَى! لَا يُبْصِرُنَا، وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أفَعَمْيَاوَانِ أنتُما ألَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ!؟». رواه أبو داود والترمذي(٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

١٦٢٧ ـ وعن أَبي سعيد ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا المَرْأةُ إلَى عَوْرَةِ المَرْأةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إلَى الرَّجُلِ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضي المَرْأةُ إلَى المَرْأةِ في الثَّوْبِ الواحِدِ». رواه مسلم(٤).

---

(١) أخرجه في كتاب السلام، باب من حقّ الجلوس على الطّريق ردّ السّلام برقم (٢١٦٠).

(٢) أخرجه في كتاب الآداب، باب نظر الفجأة برقم (١١٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب في قوله ﷻ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] برقم (٤١١٢)، والترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في احتجاب النّساء من الرّجال برقم (٢٧٧٨).

(٤) أخرجه في كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلي العورات برقم (٣٣٨).

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في وجوب غض البصر ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من جلس في الطرقات وعلى غيرهم، تقدم حديث أبي سعيد رضي الله عنه وهو أن الرسول ﷺ في الجلوس في الطريق قال: «**أعطوا الطريق حقه**»، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟، قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**» هذا من حق الطريق، وهكذا حديث أبي طلحة: «**مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ**»، **فَقُلْنَا**: (**إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَأسٍ قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ وَنَتَحَدَّثُ**)، **قَالَ**: «**إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الكَلَامِ**» إذا جلسوا في الطرقات يكون كلامه طيباً لا يؤذون الناس لا بالغيبة ولا بالنميمة ولا بالسب ولا بغير ذلك، وهكذا مع رد السلام وغض البصر عن حرمات الناس، هذا هو الواجب على من جلس في الطرقات ومن سار فيها أيضاً أن يتقي الله وأن يراقب الله، وأن يغض بصره.

في حديث جرير أنه بايع النبي ﷺ لما سأل النبي عن نظر الفجأة قال: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**» إذا نظر لامرأة فجأة فإنه يصرف بصره، في حديث علي: «**يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ**» فإذا صادف أنه رآها خارجة من باب أو طريق أو غير ذلك فيصرف بصره ينحني البصر عنها لا يتابع النظرة النظرة؛ بل يغض بصره فله الأولى وليس له الآخرة، وكذلك حديث أم سلمة في نظر غض البصر عن الأعمى حديث أم سلمة هذا حديث ضعيف وإن حسنه الترمذي، فقد غلط الترمذي في تحسينه وتصحيحه هو حديث ضعيف ليس بصحيح قوله ﷺ لأم سلمة ومن معها: «**أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا، أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ**» هذا الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية مولى أم سلمة مجهول الحال لا تعرف

عدالته؛ ولأنه يعارض الأحاديث الصحيحة؛ بل قال ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**»[(١)]؛ فالاستئذان من أجل النظر، فالأعمى لا يجوز التحجب عنه ولا يلزم التحجب عنه.

وهكذا حديث فاطمة بنت قيس في الصحيح؛ أن الرسول أمرها أن تعتد عند امرأة «**تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فإنه رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ، فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي**»[(٢)]. فهذا يدل على أن وضع المرأة ثيابها عند الأعمى لا حرج في ذلك ولا بأس؛ لأن المقصود غض البصر والبصر مفقود فلا حجاب عن الأعمى.

وحديث أم سلمة هذا حديث ضعيف؛ لأن المقصود غض البصر والبصر مفقود فلا حجاب عن الأعمى، وحديث أم سلمة هذا حديث ضعيف كما نبه عليه أهل العلم، والترمذي رَحِمَهُ اللهُ يغلط بعض الأحيان في التصحيح، وهكذا المؤلف النووي قد يتساهل ويقلد الترمذي وغيره، وهكذا حديث: «**لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ**»، كذلك لا يجوز لا ينظر إلى عورة أخيه ما بين السرة والركبة هذه عورة لا ينظرها الرجل لأخيه ولا عمه ولا زيد ولا عمرو لا من ولد ولا غيره، وهكذا المرأة لا تنظر عورتها للمرأة، بالنسبة إلى المرأة ما بين السرة والركبة لا تنظر إلى عورتها، «**وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ**»، يصير ثوب واحد بينهم، يجتمعون في ثوب واحد لا؛ هذا يفضي إلى الفتن، أشد من النظر، هكذا المرأة لا تجتمعان في ثوب واحد؛ يعني: لباس واحد؛ بل يجب أن تكون

---

(١) سبق تخريجه برقم (٨٧١) ج٣.

(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر برقم (٦٢٤١)، وأخرجه مسلم في كتاب الأدب، باب تحريم النظر في بيت غيره برقم (٢١٥٦).

لباس كل واحدة مستقلّاً، وأن يكون لباس كل واحد مستقلّاً؛ حتى لا تقع الفتنة.

وفق الله الجميع.





٢٩١ ـ بَابُ تحريم الخلوة بالأجنبية

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١٦٢٨ ـ **وعن** عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ!» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أفَرَأيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ!». متفق عَلَيهِ(١).

▫ (الحَمْو): قَريبُ الزَّوْجِ كَأخِيهِ، وابْنِ أخِيهِ، وَابْنِ عَمِّهِ.

١٦٢٩ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَخْلُونَّ أَحَدكُمْ بامْرَأَةٍ إلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». متفق عَلَيهِ(٢).

١٦٣٠ ـ **وعن** بُريدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ القَاعِدِيْنَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ المُجَاهِدِينَ في أهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يَرْضى» ثُمَّ التَفَتَ إلَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخلونّ رجلٌ بامرأةٍ إلّا ذو محرمٍ، والدّخول على المغيبة برقم (٥٢٣٢)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها برقم (٢١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء برقم (١٨٦٢)، وفي كتاب النكاح، باب لا يخلونّ رجلٌ بامرأةٍ إلّا ذو محرم، والدّخول على المغيبة برقم (٥٢٣٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرمٍ إلى حجٍّ وغيره برقم (١٣٤١).

فَقَالَ: «مَا ظَنُّكُمْ؟». رواه مسلم[(١)].

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة في تحريم الخلوة للأجنبية، ثبت عن النبي ﷺ ما يدل على تحريم ذلك وما ذاك إلا لأنه وسيلة إلى نزغات الشيطان، وسيلة إلى الجريمة؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَخْلُـوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، وروى أحمد في المسند عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، (أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟) قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ»؛ يعني: الخطر العظيم الحمو كالأخ والعم وابن العم وابن الأخ؛ لأنه قد تتساهل المرأة ولا تتحجب ولا تبالي فيطمع فيها؛ فالمقصود أن الخلوة بالأجنبي مطلقاً ولو كان حمواً ولو كان أخاه أو عمه أو ابن عمه ليس لها ذلك حتى يكون معهم ثالث من امرأة أو رجل، ثالث تزول به الفتنة والتهمة.

الحديث الثالث يقول ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ»، (يعني: الحرمة شديدة كون الإنسان يخرج في الجهاد في سبيل الله ثم يخلفه أحد في أهله بسوء، هذا من أقبح السيئات من أقبح القبائح؛ ولهذا قال: «كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ») «وَمَـا مِنْ رَجُلٍ مِنَ القَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ المُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟»؛ يعني: ما ظنكم أنه يبقي له شيئاً ما حنقه عليه وغضبه عليه ما يبقي له شيئاً يأخذ ما أمكنه من

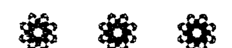
(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهنّ برقم (١٨٩٧).

حسناته مع ما هو متوعد به من العذاب على هذه الجريمة؛ فالواجب الحذر من الخلوة ولا سيما في نساء الغُياب للجهاد أو لطلب العلم أو نحو ذلك، فإنهم أحق بأن يحترموا أكثر تقديراً لعمل أزواجهم الطيب من جهاد وطلب علم ونحو ذلك.

وهذا شيء معروف، فإن الخلوة لها خطر عظيم، الشيطان يُزين للخالي أنه في إمكانك أن تفعل كذا وتفعل كذا، ويزين له ما رآه أنه في إمكانك أن تفعل كذا ولا يعلم زوجها ولا يعلم أحدٌ من أقاربها حتى يوقع الشيطان الفتنة؛ فالواجب على الجميع الحذر من الرجال والنساء هذا واجبهم الحذر والواجب على الرجل الحذر من ذلك، ومن هذا ركوب المرأة مع الرجل مع السائق وحدها الذهاب بها هاهنا وهاهنا فإنها خلوة وقد يزين الشيطان للسائق أن يذهب بها إلى جهات كثيرة إلى فنادق أو إلى غيرها، المقصود أن الخلوة مطلقاً مع السائق أو غير السائق مع الحمو أو مع غير الحمو لا تجوز، أما إذا كان معهم ثالث أو رابع تزول الخلوة في غير السفر.

أما السفر لا، ليس للمرأة أن تسافر إلا مع ذي محرم مطلقاً.

وفق الله الجميع





٢٩٢ ـ بَابُ تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذَلِكَ

١٦٣١ ـ **عن** ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: لَعَنَ رسُولُ اللهِ ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

وفي رواية: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ. رواه البخاري[١].

١٦٣٢ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رسُولُ الله ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المَرْأَةِ، والمَرْأَةَ تَلْبِسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ. رواه أَبو داود بإسناد صحيح[٢].

١٦٣٣ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». رواه مسلم[٣].

□ معنى: (كَاسِيَاتٌ)؛ أيْ: مِنْ نِعْمَةِ اللهِ، (عَارِيَاتٌ): مِنْ شُكْرِهَا. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَدَنِهَا، وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ إظْهاراً لِجَمَالِهَا وَنَحْوِهِ. وَقِيلَ: تَلْبَسُ ثَوباً رَقِيقاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب إخراج المتشبّهين بالنّساء من البيوت برقم (٥٨٨٥).

(٢) أخرجه في كتاب اللباس، باب في لباس النساء برقم (٤٠٩٨).

(٣) أخرجه في كتاب اللباس والزينة، باب النّساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات برقم (٢١٢٨).

يَصِفُ لَوْنَ بَدَنِهَا. وَمَعْنَى: (مائِلَاتٌ): قِيلَ: عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَمَا يَلْزَمُهُنَّ حِفْظُهُ، (مميلَاتٌ)؛ أيْ: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ المَذْمُومَ. وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، مُمِيلَاتٌ لأَكْتَافِهِنَّ، وقيلَ: مائلاتٌ يَمْتَشطنَ المِشْطَةَ المَيلاءَ: وهي مِشطةُ البَغَايا، ومُميلاتٌ: يُمَشِّطْنَ غَيْرَهُنَّ تِلْكَ المِشْطَةَ. (رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ)؛ أيْ: يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِهَا.

الشَّرْح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها التحذير من التشبه بالرجال من جهة النساء والتشبه بالنساء من جهة الرجال، وأنه لا يجوز لكل صنف أن يتشبه بالآخر، الله ميّز هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء فيجب أن يتميزوا وألا يتشبه بعضهم ببعض، والرجال قوامون على النساء؛ فالواجب على الرجل أن تكون له ميزة وصفة وعلى المرأة كذلك؛ ولهذا **«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»**، والمخنث هو الذي يتشبه بالمرأة يقال: مخنث ومخنِث؛ يعني: متشبه بالمرأة والتخنث التشبه بالنساء؛ فالواجب الحذر من ذلك، وأن يكون الرجل في لباسه وكلامه وحركاته متميزاً والمرأة كذلك، فليس للرجل أن يتشبه بالمرأة في لبسها ولا في كلامها ولا في مشيتها ولا غير ذلك، وهي كذلك ليس لها أن تشبه الرجل في كلامه، أو مشيه أو لباسه أو غير ذلك، واللفظ الآخر: **«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المَرْأَةِ، وَالمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ»**

والحديث الثالث يقول ﷺ: **«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ»** هذا يدل على أن وجود من يتعدى على الناس من شرطة أو غيرهم لا يجوز بل يجب أن يكون ذلك في حدود الأمر الشرعي، أما ضرب الناس لا من جهة الدولة أو غير

الدولة بغير حق فهو من الظلم، فلا بد أن تكون السياط محدودة بالحد الشرعي من رجال الدولة ومن غيرهم من الدولة الشرطة كل من له سلطة يجب أن تكون سياطهم محدودة وليس له أن يظلم الناس يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، ويقول النبي ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ فالواجب الحذر من الظلم «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

«وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا» (كاسيات عاريات؛ يعني: ملابس قصيرة أو رقيقة اسم كسوة ولكنها عارية في الحقيقة مائلة عن العفة وعن الصلاح مميلة إلى غيرها من الفساد والفواحش) «رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ» (يعني: يعظمون الرؤوس بأشياء يجعلن فيها حتى تكون كأسنمة البخت المائلة، والبخت نوع من الإبل لها سنامان بينهما شيء منخفض فهم يجعلون على روؤسهن أشياء حتى تكون كأسنمة البخت المائلة لها كرأسين بينهما فجوة، شيء تشابه أسنمة البخت المائلة إما للتميز وإما للتعاظم، وإما لأسباب أخرى؛ فالواجب على النساء أن يحذرن هذه الصفات وأن يكن عفيفات بعيدات عن الفواحش بعيدات عن الميل عن الحق والصواب، بل يلزمن الزي الصالح والسيرة الحميدة والحذر مما حرم الله ﷻ من الميل عن الحق أو الإمالة إليه، أو لباس ما لا يستر من الملابس لقصره أو لرقته والحذر من الميل إلى الباطل أو من الزنا، والحذر من إمالة الناس إليه من أخوات أو جارات، أو بنات، يجب على المرأة أن تحذر الزنا وأن تحذر أن تكون عوناً فيه، أو مشيرة فيه، أو تميل الناس إليه، وكما يحرم على النساء يحرم على الرجال، يحرم

على الرجال أيضاً أن يكونوا دعاة للباطل دعاة للإثم في أقوالهم أو أفعالهم، نسأل الله العافية.

وفق الله الجميع.






٢٩٣ ـ بَابُ النهي عن التشبه بالشيطان والكفار

١٦٣٤ ـ **عن** جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَأكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ ويَشربُ بِالشِّمَالِ». رواه مسلم[١].

١٦٣٥ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَأكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا». رواه مسلم[٢].

١٦٣٦ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارى لَا يَصْبغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ». متفق عَلَيْهِ[٣].

□ المُرَادُ: خِضَابُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ والرَّأسِ الأبْيَضِ بِصُفْرَةٍ أَوْ حُمْرَةٍ؛ وأمَّا السَّوَادُ، فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ كَمَا سَنَذْكُرُهُ في البَابِ بَعْدَهُ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.



---

(١) أخرجه في كتاب الأشربة، باب آداب الطّعام والشّراب وأحكامهما برقم (٢٠١٩).
(٢) أخرجه في كتاب الأشربة، باب آداب الطّعام والشّراب وأحكامهما برقم (٢٠٢٠).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦٢)، وفي كتاب اللباس، باب في الخضاب برقم (٥٨٩٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب في مخالفة اليهود في الصّبغ برقم (٢١٠٣).



٢٩٤ ـ بَابُ نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد

١٦٣٧ ـ عن جابر رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ والِدِ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما، يَومَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضاً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ». رواه مسلم(١).

الشَرح

هذه الأحاديث الأربعة [١٦٣٤ ـ ١٦٣٥ ـ ١٦٣٦ ـ ١٦٣٧] تتعلق بتحريم التشبه بالشياطين والكفرة وأن الواجب على المؤمن أن يحذر ذلك؛ لأن التشبه الظاهر قد يجر إلى التشبه بالباطن قد يفضي إلى التخلق بأخلاقه؛ ولهذا قال ﷺ: «لَا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ»، قال ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ». ففي هذا الحذر من التشبه بعدو الله الشيطان، وهكذا شياطين الإنس من الكفرة لا يتشبه بهم؛ ولهذا يقول ﷺ: «إِنَّ اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ»؛ يعني: لا يصبغون الشعر يتركون بياضاً، السُّنَّة أن يخالفوا بالصبغ بالصفرة والحمرة، وهكذا السُّنَّة للرجال والنساء جميعاً، وأما السواد فلا، لا يغير الشيب بالسواد؛ لما في حديث والد الصديق أنه جاء إلى النبي ﷺ يوم الفتح وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ مِثْلُ الثَّغَامَةِ بياضاً، الثغامة نوع من الحشيش أبيض

(١) أخرجه في كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد برقم (٢١٠٢).

فقال النبي ﷺ: «**غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ**». دل على أن السُّنَّة أن يغير الشيب بالحمرة أو الصفرة، أو الحناء أو الكتم، أما بالسواد لا، لا يغير بالسواد.

وفيه من الفائدة أن المؤمن يتحرى ما شرع الله له في كل شيء حتى في تغير الشيب في ثيابه وملابسه، في سيره، في أكله وشربه، في نظراته، في كل شيء يتحرى الحق، يتحرى ما جاءت به السُّنَّة، يغض البصر، ويكف سمعه مما لا ينبغي، ويكف جوارحه عما لا ينبغي، وإذا دعت الحاجة إلى تغير، غيّر بالشرعي، غير تغيُّراً شرعياً، إذا شاب يغير بغير السواد، سواء كان امرأة أو رجلاً.

وفق الله الجميع.





٢٩٥ ـ بَابُ النهي عن القَزَع وَهُوَ حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حَلْقِهِ كُلّه للرجل دون المرأة

١٦٣٨ ـ **عن** ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عن القَزَعِ. متفق عَلَيْهِ[١].

١٦٣٩ ـ **وعنه**، قَالَ: رأَى رسُولُ اللهِ ﷺ صَبِيّاً قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِ رَأسِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وقال: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ». رواه أبُو داود[٢] بإسناد صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم.

١٦٤٠ ـ **وعن** عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، أمْهَلَ آلَ جَعْفَر ثَلاثاً ثُمَّ أتَاهُمْ فَقَالَ: «لَا تَبْكُوا عَلَى أخِي بَعْدَ اليَوْمِ»، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوا لِي بَنِي أخِي» فَجِيءَ بِنَا كَأنَّنَا أفْرُخٌ فَقَالَ: «ادْعُوا لِي الحَلَّاقَ» فَأمرَهُ، فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم[٣].

١٦٤١ ـ **وعن** عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ تَحْلِقَ المَرْأةُ رَأسَهَا. رواه النسائي[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب القزع برقم (٥٩٢٠ و٥٩٢١)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب كراهة القزع برقم (٢١٢٠).

(٢) أخرجه في كتاب الترجل، باب في الذؤابة برقم (٤١٩٥)، والنسائي في كتاب الزينة، باب الرّخصة في حلق الرّأس برقم (٥٠٤٨).

(٣) أخرجه في كتاب الترجل، باب في حلق الرأس برقم (٤١٩٢)، والنسائي في كتاب الزينة، باب حلق رؤوس الصّبيان برقم (٥٢٢٧).

(٤) أخرجه في كتاب الزينة، باب النّهي عن حلق المرأة رأسها برقم (٥٠٤٩).

﴿ الشَّـرْح ﴾

هذه الأحاديث الأربعة تتعلق بالقزع والنهي عنه في حق الرجل وأن الواجب حلق الرأس كله أو تركه كله، هذا هو الواجب، والقزع أن يحلق البعض ويدع البعض من رأس الصبي، أما المرأة فليس لها أن تحلق رأسها؛ لأنه زينة لها وجمال رأسها لها جمال وزينة فليس لها حلقه؛ ولهذا قال ﷺ لأصحاب الصبي: **«احْلِقُوا كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوا كُلَّهُ»** ونهى عن القزع سمي قزعاً؛ لأنه قطع قطعة وقطعة، كذا يقال لها السحاب، قطعة محلوقة، وقطعة غير محلوقة، وهكذا لما دخل أولاد جعفر بن أبي طالب أمر بحلق رؤوسهم لمصلحة في ذلك، فإذا دعت الحاجة إلى حلقه فالحلق جائز، وإن ترك فلا بأس، فالأمر واسع في حق الرجل؛ لكن ليس له أن يحلق البعض ويدع البعض، أما المرأة فلا تحلق رأسها بل تنهى عن ذلك لأنه زينة لها وجمال لها؛ لكن إذا طال وأخذت من طوله بعض الشيء إذا طال عليها وأحبت أن تأخذ من طوله فلا بأس، قد ثبت أن أزواج النبي ﷺ بعد وفاته قصصن بعض رؤوسهن؛ يعني: بعض الطول تخفيفاً للمؤنة.

وفق الله الجميع.





٢٩٦ ـ بَابُ تحريم وصل الشعر والوشم والوشر وهو تحديد الأسنان

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١١٩].

١٦٤٢ ـ وعن أسماء رضي الله عنها؛ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رسولَ اللهِ إنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الحَصْبَةُ، فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، وإنّي زَوَّجْتُهَا، أفأَصِلُ فِيهِ؟ فقالَ: «لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ». متفق عليه(١).

📖 وفي روايةٍ: «الوَاصِلَةَ، والمُسْتَوْصِلَةَ».

▫ قَوْلُهَا: (فَتَمَرَّقَ): هو بالراءِ ومعناهُ: انْتَثَرَ وَسَقَطَ. (وَالوَاصِلَةُ): التي تَصِلُ شَعْرَهَا، أو شَعْرَ غَيْرِهَا بِشَعْرٍ آخَرَ. (وَالمَوْصُولَةُ): التي يُوصَلُ شَعْرُهَا. (والمُسْتَوْصِلَةُ): التي تَسْأَلُ مَنْ يَفْعَلُ لها ذلك.

📖 وعن عائشة رضي الله عنها نَحوهُ. متفق عليه.

١٦٤٣ ـ وعن حُميدِ بنِ عبد الرحْمٰنِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، عامَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر برقم (٥٩٣٦)، وفي باب الموصولة برقم (٥٩٤١)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنّامصة والمتنمّصة والمتفلّجات والمغيّرات خلق الله برقم (٢١٢٢)، وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة برقم (٢١٢٣).

حَجَّ على المِنْبَرِ وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ كَانَتْ في يَدِ حَرَسِيٍّ فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟! سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ، يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هذِهِ، ويقُولُ: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ». متفق عليه[1].

١٦٤٤ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ لَعَنَ الوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والوَاشِمَةَ والمُسْتَوشِمَةَ. متفق عليه[2].

١٦٤٥ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ والمُسْتَوشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ في ذَلِك فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. متفق عليه[3].

□ (المُتَفَلِّجَةُ): هيَ: الَّتي تَبْرُدُ مِنْ أَسْنَانِهَا لِيَتَبَاعَدَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ قَلِيلاً، وتُحَسِّنُهَا وَهُوَ الوَشْرُ. (وَالنَّامِصَةُ): الَّتي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِ حَاجِبِ غَيْرِهَا، وتُرَقِّقُهُ لِيَصِيرَ حَسَناً. (وَالمُتَنَمِّصَةُ): الَّتي تَأْمُرُ مَنْ يَفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٤٦٨)، وفي كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر برقم (٥٩٣٢). ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنّامصة والمتنمّصة والمتفلّجات والمغيّرات خلق الله برقم (٢١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر برقم (٥٩٣٧)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنّامصة والمتنمّصة والمتفلّجات والمغيّرات خلق الله برقم (٢١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] برقم (٤٨٨٦)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنّامصة والمتنمّصة والمتفلّجات والمغيّرات خلق الله برقم (٢١٢٥).

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآية الكريمة مع الأحاديث كلها يتعلق بالتحذير من تغيير خلق الله وطاعة الشيطان في ذلك، فإن الله جلَّ وعلا أخبر أنه سيأمرهم بأن يغيروا خلق الله وأن يقطعوا آذان الأنعام؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر طاعة الشيطان، وأن يستجيب لدعوة الرحمٰن، والوصل كونها تزيد المرأة في الشعر، شعر بنتها أو أختها، والوشم ما يقع من بعض الناس يغرز خده أو يده بإبرة ونحوها ثم يحشو بشيء من الألوان التي يريد أصفر، أو أحمر، أو أخضر، أو أسود، يقال لها: الوشم، وأما الوشر معناه: تفليج الأسنان للحسن كون يفلجها ويحسنها وَشْرُها تزيينها وتجميلها وتفليجها، والنمص: أخذ شعر الحاجبين، الرسول قال: «لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ» كل هذا يدل على أنه من الكبائر، لعن الرسول لهم يدل على أن العمل من الكبائر؛ فالواجب الحذر من ذلك وأن لا يطيع الشيطان في هذه الأمور التي يزينها الشيطان لبعض الناس.

والوشم مثلما تقدم غرز الوجه أو غيره بإبرة أو مخيط أو غيره حتى يخرج الدم ثم يجعل فيه شيء من الألوان التي يريد.

والوصل: وصل الشعر بغيره. قد يكون كبة وهي التي يسمونها الباروكة فيها الشعر كله كما قال معاوية ﵁ أنه سمع النبي ﷺ: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ»؛ يعني: كبة من الشعر، يجعل كبة من الشعر فيها ضفائر تلبسها المرأة عند عدم رأسها، وهذا لا يجوز لا باروكة، ولا النمص، ولا الوصل كله لا يجوز.

والواجب على المؤمن أن يحذر ما حرم الله عليه، وأن يقف عند حدود الله.

وفق الله الجميع.





٢٩٧ ـ بَابُ النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما، وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه

١٦٤٦ ـ **عن** عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورُ المُسْلِمِ يَوْمَ القِيَامَةِ». حديث حسن، رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي بأسانيد حسنة، قال الترمذي[1]: هو حديث حسن.

١٦٤٧ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عليْهِ أمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم[2].



---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الترجل، باب في نتف الشيب برقم (٤٢٠٢)، والترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في النهي عن نتف الشيب برقم (٢٨٢١)، والنسائي في كتاب الزينة، باب النهي عن نتف الشيب برقم (٥٠٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).




٢٩٨ ـ بَابُ كراهة الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين من غير عذر

١٦٤٨ ـ وعن أبي قتادة ﷺ، عن النبيّ ﷺ، قال: «إذا بَالَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإنَاءِ». متفق عليه(١).

📖 وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة [١٦٤٦ ـ ١٦٤٧ ـ ١٦٤٨]؛ الأول: يتعلق بنتف الشيب، والثاني: يتعلق بالتحذير بالبدع، والثالث: يتعلق بالنهي عن مسك الذكر باليمين حين البول.

الأول يدل على أنه لا ينبغي للمؤمن نتف الشيب، الحديث: «**لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فإنه نُورُ المُسْلِمِ**» فلا ينبغي نتفها من الرأس ولا من اللحية ولا من غيرها، وهو مذكِّر بالله مذكِّر بالآخرة مذكِّر بالموت، فإن من شاب فقد مات بعضه، فالشيب فيه نزارة وفيه موعظة، فينبغي للمؤمن أن لا يكره الشيب وألا ينتفه؛ بل يحمد الله على أن بلغه هذه المدة ويستعين بالله على طاعة الله، ويجتهد في إكمال حياته بطاعة الله ورسوله، وقد جاءه النذير، قال بعض السلف: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]؛ يعني:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب النّهي عن الاستنجاء باليمين برقم (١٥٣)، وفي باب لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال برقم (١٥٤)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب النّهي عن الاستنجاء باليمين برقم (٢٦٧).

الشيب، والصواب أنه محمد عليه الصلاة والسلام، المقصود: أن الشيب من النذر لقرب الموت، وأن العمر قد بدأ يموت بعضه فالمؤمن ينتفع بهذا ويحذر ويعد العدة ويجتهد في طاعة الله ورسوله استعداداً لما بعد الموت.

ويقول النبي ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**، والنبي ﷺ كان يكرم اللحية ويوفرها، وقد شاب بعض الشيء ولم ينتفه عليه الصلاة والسلام، قد طلع فيه شيبات يسيرة قبل أن يموت عليه الصلاة والسلام في لحيته، وإكرامها وتوفيرها واجب سواء كان فيها شيب أو لم يكن فيها شيب.

ويشير المولف لحديث: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً»** إلا أن النتف ليس عليه أمر النبي، النبي يأمر بالتوفير وعدم التعرض لها بشيء، فهكذا مسألة الشيب نتفه من التعرض لها إذا كان في اللحية، هو خلاف أمره ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**.

والحديث الثالث يدل على أنه لا ينبغي للمؤمن أن يستنجي بيمينه ولا يمسك ذكره بيمينه؛ فاليمين للشيء الطيب وللمصافحة والأخذ والعطاء، واليسار لما دون ذلك، يمسك ذكره بيساره يتمسح بيساره هكذا السُّنَّة؛ لكن لو دعت الحاجة إلى ذلك بأن كانت اليسرى معطلة فلا بأس عند الحاجة للضرورة، ولو تعطلت اليسرى لشلل جاز استعمال اليمنى لحاجته.

وفق الله الجميع.






٢٩٩ ـ بَابُ كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائماً لغير عذر

١٦٤٩ ـ **عن** أبي هريرة ﷺ؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: «لَا يَمشِ أحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيَنْعَلْهُمَا جَمِيعاً، أو لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعاً».

وفي رواية: «أو لِيُحْفِهِمَا جَمِيعاً». متفق عليه[١].

١٦٥٠ ـ **وعنه**، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقول: «إذا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أحَدِكمْ، فَلَا يَمْشِ في الأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا». رواه مسلم[٢].

١٦٥١ ـ **وعن** جابر ﷺ؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ قَائِماً. رواه أبو داود[٣] بإسناد حسن.

الشَّرح

هذه الأحاديث في النهي عن المشي في نعل واحدة، السُّنَّة للمؤمن أن يمشي في النعلين فإذا اختلت إحداهما فإنه لا يمشي في نعل واحدة ولا يتشبه بالشيطان، إما أن ينعلهما جميعاً وإما أن يخلعهما جميعاً، والسُّنَّة له أن يبدأ في اللبس باليمنى وفي الخلع باليسرى، إذا أراد أن يلبس يبدأ باليمنى وفي الخلع يبدأ باليسرى، وتكون اليمنى أول ما تنعل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب لا يمشي في نعلٍ واحدٍ برقم (٥٨٥٥)، ومسلم في كتاب اللباس، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً والخلع من اليسرى أولاً وكراهة المشي في نعل واحدة برقم (٢٠٩٧).

(٢) أخرجه في كتاب اللباس، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً والخلع من اليسرى أولاً وكراهة المشي في نعل واحدة برقم (٢٠٩٨).

(٣) أخرجه في كتاب اللباس، باب في الانتعال برقم (٤١٣٥).

وآخر ما تنزع هكذا السُّنَّة، أما الانتعال وهو قائم فلا حرج فيه؛ لأن الحديث المذكور وإن حسنه المؤلف فهو ضعيف، فالحديث المذكور ضعيف لأن في إسناده مدلساً وقد عنعن، والمقصود أنه لا يثبت في النهي عن الانتعال قائماً حديث فيما نعلم، فلا حرج أن ينتعل قائماً أو جالساً.

وفق الله الجميع.






٣٠٠ ـ بَابُ النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره

١٦٥٢ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ». متفق عليه(١).

١٦٥٣ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: احْتَرَقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَأْنِهِم، قالَ: «إنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذا نِمْتُمْ، فَأَطْفِئُوهَا». متفق عليه(٢).

١٦٥٤ ـ وعن جابر رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ، قال: «غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ. وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَاباً، وَلَا يَكْشِفُ إنَاءً. فإنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إلَّا أنْ يَعْرُضَ عَلَى إنَائِهِ عُوداً، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَل، فإنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ». رواه مسلم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب لا تترك النّار في البيت عند النّوم برقم (٦٢٩٣)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السّقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السّراج والنّار عند النّوم وكفّ الصّبيان والمواشى بعد المغرب برقم (٢٠١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب لا تترك النّار في البيت عند النّوم برقم (٦٢٩٤)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السّقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السّراج والنّار عند النّوم وكفّ الصّبيان والمواشى بعد المغرب برقم (٢٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٨٠)، وانظر =

▫ (الفُوَيْسِقَةُ): الفَأرَةُ، (وَتُضْرِمُ): تُحْرِقُ.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة في شيء من الآداب الشرعية فيما يتعلق بإطفاء النار، وهو من الآداب الشرعية، ومن الحيطة في حفظ البيت وأهله إطفاء النار عند النوم سواء كانت سراجاً أو لمبة أو جمراً في البيت أو نحو ذلك مما يخشى منه، فإن السُّنَّة إطفاء ذلك حتى لا يتعرض البيت لشيء من الخطر بعبث العابثين أو بسبب الفويسقة الفأرة، أو بسبب الهواء، أو بأسباب أخرى، السُّنَّة إطفاؤها: اللمبات السرج المعلقة وما أشبه ذلك، والنار موجودة حتى لا يتعرض البيت للخطر، كما أن السُّنَّة أيضاً إغلاق الباب وتغطية الإناء، وإيكاء السقاء؛ لئلا يقع فيه شيء، والشيطان لا يفتح مغلقاً ولا يحل سقاءً فإن لم يجد إلا أن يعرض عوداً على الإناء الذي فيه شيء يضع عوداً فوقه في ماء أو تمر، أو لبن أو غير ذلك يضع عوداً ويسمي الله كما جاء في الحديث: «**غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا البَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَاباً، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُوداً، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ**».

كل هذا من باب الأخذ بالأسباب، وهذا يبين لنا أن الشرع جاء بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله جلَّ وعلا، فالإنسان يتوكل على الله ويأخذ بالأسباب، يأكل، يشرب، يغلق بابه عن السُّراق، يطفئ النار عن الخطر، توكئ السقاء لئلا يخرج منه الماء أو اللبن، يغطي الإناء إن كان

= رقم (٣٣٠٤)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السّقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السّراج والنّار عند النّوم وكفّ الصّبيان والمواشي بعد المغرب برقم (٢٠١٢).

فيه شيء ولو أن يضع عليه عوداً، يبيع ويشتري يزرع الأرض يرعى الإبل، يرعى الغنم، يرعى البقر، يطلب الصيد، يطلب الرزق، بأي طريق أباحه الله لا يجلس هكذا معطلاً؛ بل عليه أن يفعل الأسباب والله هو الرزاق ﷻ ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]؛ فالحاصل أن المؤمن يفعل الأسباب التي أباحها الله في طلب الرزق، وكذلك في حماية البيت، أو حماية المزرعة وحماية الغنم أو ما أشبه ذلك، يجعل الراعي الجيد إذا دعت الحاجة إلى كلب اتخذ كلباً، إذا دعت الحاجة إلى سور وضع سوراً، إذا دعت الحاجة إلى باب وضع باباً وأغلق وهكذا في بيته، وهكذا في حانوته، وهكذا في جميع شؤونه سفينته، سيارته إلى غير ذلك.

وفق الله الجميع.





٣٠١ ـ بَابُ النهي عن التكلف وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

١٦٥٥ ـ وعن عمر رضي الله عنه قال: **نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ**. رواه البخاري(١).

١٦٥٦ ـ وعن مسروقٍ، قال: **دَخَلْنَا على عبدِ اللهِ بْنِ مَسعُودٍ** رضي الله عنه **فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ. قالَ اللهُ تَعالَى لِنَبِيِّهِ** ﷺ: **«قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ»**. رواه البخاري(٢).

الشَرح

هذان الحديثان مع الآية الكريمة كلها تدل على النهي عن التكلف وأن لا ينبغي للمؤمن أن يتكلف، أن يتعاطى ما فيه كلفة ومشقة من دون حاجة إلى ذلك سواء كان قولاً أو فعلاً؛ بل ينبغي له أن يعود نفسه السماح وعدم التكلف في القول والعمل، طعامه وشرابه وأقواله، وأحاديثه مع إخوانه لا يكون فيها تكلف بل يكون فيها السماح والتيسير

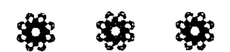
---

(١) أخرجه في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السّؤال وتكلّف ما لا يعنيه. وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] برقم (٧٢٩٣).

(٢) أخرجه في كتاب التفسير، باب ﴿فَلَا يَرْبُوا۟﴾ [الروم: ٣٩] برقم (٤٧٧٤).

في كل شيء، ومن ذلك التكلف في كونه يتكلم بما لا يعلم يفتي بما لا يعلم أو يمدح ما لا يعلم، أو يذم ما لا يعلم كل هذا من التكلف؛ بل يكون كلامه على بصيرة، مدحه على بصيرة، ذمه على بصيرة، وإلا فليحذر وليتوقف يقول الله جلَّ وعلا: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] ﴿قُلْ﴾؛ يعني: قل يا محمد للناس: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ يعني: على تبليغ الحق والدعوة إليه وتعليمكم وإرشادكم؛ يعني: ما أطلب من ورائكم شيئاً هو يعلمهم ويرشدهم من دون حاجة إليهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من يتكلف ما لم يؤمر به، وما لم يشرع له يقول عمر رضي الله عنه: (**نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ**) وابن مسعود رضي الله عنه يقول: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ بِهِ**) وإلا لا يتكلف؛ يعني: لا يقول بغير علم يفتي بغير علم يمدح بغير علم يذم بغير علم؛ ولكن يتأمل وينظر حتى لا يتكلم إلا عن بصيرة، وحتى لا يقول إلا عن بصيرة، وحتى لا يقع في التكلف والتشدد من دون علم ولا بصيرة.

وفق الله الجميع.





٣٠٢ ـ بَابُ تحريم النياحة على الميت ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور

١٦٥٧ ـ **عن** عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النَّبِيّ ﷺ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ».

وَفِي روايةٍ: «مَا نِيحَ عَلَيْهِ». متفق عليه[١].

١٦٥٨ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ». متفق عليه[٢].

١٦٥٩ ـ **وعن** أبي بُرْدَةَ، قال: وَجِعَ أبو مُوسَى، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أهْلِهِ، فَأَقْبَلَتْ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئاً، فَلَمَّا أفَاقَ قَالَ: أنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِيءَ مِنْهُ رسُولُ اللهِ ﷺ، إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، والحَالِقَةِ، والشَّاقَّةِ. متفق عليه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من النّياحة على الميّت. برقم (١٢٩٢)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه برقم (٩٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ليس منّا من ضرب الخدود برقم (١٢٩٤ و١٢٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشقّ الجيوب والدّعاء بدعوى الجاهليّة برقم (١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة برقم (١٢٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشقّ الجيوب والدّعاء بدعوى الجاهليّة برقم (١٠٤).

□ (الصَّالِقَةُ): الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِالنِّيَاحَةِ والنَّدْبِ. (وَالحَالِقَةُ): الَّتِي تَحْلِقُ رَأسَهَا عِنْدَ المُصِيبَةِ. (وَالشَّاقَّةُ): الَّتي تَشُقُّ ثَوْبَهَا.

الشَّرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بتحريم النياحة على الميت وشق الثياب، ولطم الخدود، والدعاء بدعوى الجاهلية، كل هذا محرم يجب الحذر، الواجب عند المصيبة الصبر والاحتساب ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، هذا هو المشروع، قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] هذا هو المشروع عند المصيبة، الصبر والاحتساب، وأن يقول المؤمن: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، يقول ﷺ في الحديث الصحيح: **«مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أُجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِف لِي خَيْراً مِنْهَا. إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا»**[1].

هذا فضل عظيم يقول ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه: **«المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»**، وجاء في أحاديث أيضاً: **«المَيِّتُ يُعَذَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»**[2].

فالنائح يضر قريبه، وهذا فيه التحذير من النياحة إذا علموا أنها يضر قريبهم كان أدعى لتركها والحذر منها، ويقول ﷺ: **«أَرْبَعٌ فِي**

---

(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (٩٢١) ج٣.

(٢) أخرجه النسائي من حديث عمر رضي الله عنه من كتاب الجنائز، باب النياحة على الميت برقم (١٨٥٣).

أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ». وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»، ولما بايع النبي ﷺ النساء بايعهن على أن لا ينحن وقال ﷺ: «**أنا بَرِيء مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ**»، وقال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**» كل هذا منكر شق الثياب، لطم الخدود نتف الشعر حلق الشعر من أجل المصيبة هذا جزع، والصالقة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، مثلها النتف، والشاقة هي التي تشق ثوبها عند المصيبة، كل هذه من أمر الجاهلية، أما دمع العين لا بأس، دمع العين، حزن القلب لا حرج في ذلك، يقول النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[1]، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ**» عليه الصلاة والسلام، والواجب هو الصبر والاحتساب ولا بأس بالبكاء بدمع العين وحزن القلب، أما ضرب الخدود، شق الجيوب، دعوى الجاهلية، رفع الصوت هذا هو الذي لا يجوز.

نسأل الله للجميع السلامة والعافية.

❁ ❁ ❁

١٦٦٠ - وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيهِ يومَ القِيَامَةِ».

---

(١) سبق تخريجه برقم (٩٢٧).

متفق عليه[١].

١٦٦١ ـ وعن أُمِّ عَطِيَّةَ نُسَيْبَةَ ـ بِضَمِّ النون وفتحها ـ ﵂، قالت: أخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عِندَ البَيْعَةِ أنْ لَا نَنُوحَ. متفق عليه[٢].

١٦٦٢ ـ وعن النعمان بن بشير ﵄، قال: أُغْمِيَ عَلَى عَبدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ﵁، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ تَبْكِي، وَتَقُولُ: وَاجَبلاهُ، وَاكَذَا، وَاكَذَا: تُعَدِّدُ عَلَيْهِ. فقالَ حِينَ أفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئاً إلَّا قِيلَ لِي أنْتَ كَذلِكَ؟!. رواه البخاري[٣].

١٦٦٣ ـ وعن ابن عمر ﵄، قال: اشْتَكَى سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ ﵁ شَكْوَى، فَأتَاهُ رسُولُ الله ﷺ، يَعُودُهُ مَعَ عَبدِ الرَّحمٰنِ بْنِ عَوفٍ، وَسَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ، وعبدِ اللهِ بن مسعودٍ ﵃. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَجَدَهُ في غَشْيَةٍ فَقالَ: «أقَضَى؟» قالوا: لا يا رسول اللهِ، فَبكَى رسولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبيِّ ﷺ بَكَوْا، قال: «ألَا تَسْمَعُونَ؟ إنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا وَأشَارَ إلَى لِسَانِهِ أو يَرْحَمُ». متفق عليه[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من النّياحة على الميّت. برقم (١٢٩١)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه برقم (٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن النّوح والبكاء والزّجر عن ذلك برقم (١٣٠٦)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب التّشديد في النّياحة برقم (٩٣٦).

(٣) أخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة موتة من أرض الشّأم برقم (٤٢٦٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض برقم (١٣٠٤)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت برقم (٩٢٤).

﴿ الشَـرح ﴾

هذه الأحاديث الأربعة تبين شدة تحريم النياحة وأن الميت يعذب بذلك؛ فالواجب الحذر منها، والنياحة: هي الصياح رفع الصوت والندب للميت والدعاء بدعوى الجاهلية واعضداه واناصراه وانقطاع ظهراه، وما أشبه ذلك هذه لا تجوز هذه النياحة، والميت يتأذى بها ويعذب بها؛ ولهذا تقدم في حديث عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**»، وهكذا حديث المغيرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فإنه يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»؛ فالواجب على أهل الميت وأقاربه وأصدقائه الحذر من ذلك، قد أخذ النبي ﷺ على النساء يوم البيعة ألا ينحن في البيعة بايعهن وعاهدهن على أن لا ينحن على موتاهن، ولما أغشي على عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ضج أهله، ظنوا أنه مات جعل بعضهم ينحن، (**فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئاً إِلَّا قِيلَ لِي آنْتَ كَذَلِكَ؟**) هذا يدل على أن الواجب على أقارب الميت وأصحابه الحذر من النياحة التي كان يعتادها أهل الجاهلية ويتعاونون فيها.

أما البكاء فلا بأس، بكاء العين دمع العين حزن القلب تأس لا بأس.

والحديث الرابع أن النبي ﷺ زار سعد بن عبادة رضي الله عنه قد أصابه مرض فزاره ﷺ يعوده ومعه سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف وابن مسعود رضي الله عنهم فلما دخل عليه في البيت وجده في غشية؛ يعني: في إغماء فقال: «**أَقَضَى؟**»؛ يعني: توفي **قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا فَقَالَ ﷺ**: «**أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا ـ وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ـ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**» النياحة برفع الصوت، وهكذا لما مات ابنه إبراهيم قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ**

العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» فدمع العين كونه تدمع عينه يبكي يحزن قلبه لا بأس لكن لا يرفع الصوت لا ينح، النياحة هي المحرمة.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٦٦٤ ـ وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يومَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رواه مسلم[1].

١٦٦٥ ـ وعن أَسِيد بن أبي أَسِيدٍ التابِعِيِّ، عن امْرَأةٍ مِنَ المُبَايِعاتِ، قالت: كان فِيما أخَذَ عَلَيْنَا رسُولُ اللهِ ﷺ، فِي المَعْرُوفِ الَّذِي أخَذَ عَلَيْنَا أنْ لَا نَعْصِيَهُ فِيهِ: أنْ لا نَخْمِشَ وَجْهاً، وَلَا نَدْعُوَ وَيْلاً، وَلَا نَشُقَّ جَيْباً، وأنْ لَا نَنْشُرَ شَعْراً. رواه أبو داود[2] بإسناد حسن.

١٦٦٦ ـ وعن أبي موسى رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ فَيَقُولُ: وَاجَبلَاهُ، واسَيِّدَاهُ، أو نَحْوَ ذلِكَ إلَّا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أهكَذَا كُنْتَ؟». رواه الترمذي[3]، وقال: حديث حسن.

▫ (اللَّهْزُ): الدَّفْعُ بِجُمْعِ اليَدِ فِي الصَّدْرِ.

١٦٦٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ». رواه مسلم[4].

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة برقم (٩٣٤).

(٢) أخرجه في كتاب الجنائز، باب في النوح برقم (٣١٣١).

(٣) أخرجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء على الميّت برقم (١٠٠٣).

(٤) أخرجه في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطّعن في النّسب والنّياحة على الميّت برقم (٦٧).

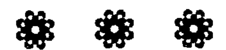
﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث من بقية الأحاديث الدالة على تحريم النياحة على الميت وشق الثياب ولطم الخدود، وشق الجيوب، المقصود الواجب الصبر، المقصود من هذا أن الواجب على أهل الميت الصبر والاحتساب وعدم الجزع؛ لأن الله يقول: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، ويقول ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا**»، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]؛ فالواجب على أهل الميت وأقاربه أن يتقوا الله وأن يحذروا الجزع والنياحة، وشق الثياب، لطم الخدود نتف الشعر، كل هذا منكر، تقدم قوله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»، وقوله ﷺ: «**أنا بَرِيء مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ**» تبرأ منهم، الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: تحلق شعرها، والشاقة: تشق ثوبها، ويقول ﷺ في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**» أصل الحديث: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ**» (يعني: على الموتى). وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»، يكون هذا أشد في اشتعال النار والعذاب، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ:**

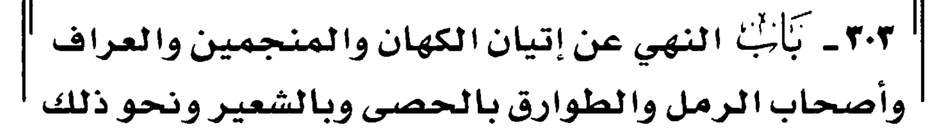
الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ» هذا من الكفر العملي، من الكفر الأصغر، والطعن في أنساب الناس عيب، أنساب الناس والنياحة على الموتى هذا من الكفر الأصغر من المعاصي.

وأخذ النبي ﷺ أن لا ينحن أخذ عليهن في البيعة أن لا ينحن، وفي الحديث الآخر أن المرأة إذا قالت عند موت صاحبها: «وَاجَبَلَاهُ وَاسَيِّدَاهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِك إِلَّا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ أَهَكَذَا كُنْتَ» نوع من التعذيب؛ فالواجب على كل حال عند المصائب، التأدب بآداب الله والصبر والاحتساب، والحذر من الكلام السيئ والفعل السيئ.

وفق الله الجميع.







٣٠٣ ـ بَابُ النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعراف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك

١٦٦٨ ـ **عن** عائشة رضي الله عنها، قالت: سأل رسُولَ اللهِ ﷺ أنَاسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: «لَيْسُوا بِشَيءٍ» فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ إنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أحْيَاناً بِشَيءٍ، فَيَكُونُ حَقّاً؟ فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مئَةَ كَذْبَةٍ». متفق عليه[(١)].

📖 وفي رواية للبخاري عن عائشة رضي الله عنها؛ أنَّها سمعتْ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ المَلائِكَةَ تَنزِلُ فِي العَنَانِ ـ وَهُوَ السَّحَابُ ـ فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّماءِ، فَيَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْع، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوحِيهُ إلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ».

▫ قَولُهُ: (فَيَقُرُّهَا): هو بفتح الياء وضم القاف والراء؛ أي: يُلْقِيها، (والعَنانِ): بفتح العين.

١٦٦٩ ـ **وعن** صَفِيَّةَ بِنتِ أبي عُبيدٍ، عن بعض أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، ورضي الله عنها، عن النَّبيّ ﷺ، قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أرْبَعِينَ يَوماً». رواه مسلم[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم (٣٢١٠)، وفي باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٨٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان برقم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان برقم (٢٢٣٠) بلفظ: ليلة.

١٦٧٠ ـ وعن قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ ﷺ قال: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «العِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، والطَّرْقُ، مِنَ الجِبْتِ». رواه أبو داود[1] بإسناد حسن.

□ وقال: (الطَّرْقُ): هُوَ الزَّجْرُ؛ أيْ: زَجْرُ الطَّيْرِ وَهُوَ أنْ يَتَيَمَّنَ أو يَتَشَاءَمَ بِطَيَرَانِهِ، فإنْ طَارَ إلَى جِهَةِ اليَمِين، تَيَمَّنَ، وإنْ طَارَ إلَى جِهَةِ اليَسَارِ، تَشَاءمَ. قال أبو داود: (والعِيَافَةُ): الخَطُّ. قالَ الجَوْهَرِيُّ في الصِّحَاحِ: (الجِبْتُ): كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَى الصَّنَمِ وَالكاهِنِ والسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذلِكَ.

الشَّـرْح

هذه الأحاديث تتعلق بالسحر والكهانة والطيرة وما يتعاطاه والدعوة بعلم الغيب من الملحدين والخرافيين؛ فالأحاديث المذكورة كلها تدل على تحريم الكهانة والطيرة وسائر ما يتعاطاه، وادعاء الغيب من الكذب والزور والحيل كلها باطلة؛ لأن الله جلَّ وعلا هو الذي يعلم الغيب لا يعلمه سواه كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ فالمقصود أن علم الغيب إلى الله جلَّ وعلا، هؤلاء الكهنة الذين يدعون علم الغيب إنما يتوصلون إلى هذا مما قد يسمعون من الشياطين فيكذبون مع ذلك كذبات كثيرة فيصدقهم الجهال بأسباب ما صدقوه فيه، وبيَّن الرسول ﷺ أنهم ليسوا بشيء؛ يعني: أنهم أمرهم باطل، الكهان لا يعول عليهم ولا يصدقون؛ ولهذا في الحديث الصحيح: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ» قيل: يا رسول الله

---

(١) أخرجه في كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير برقم (٣٩٠٧)، وأحمد ٣/ ٤٧٧.

إنهم قد يصدقون في شيء فَقَالَ: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ**» (من السحرة والكهنة)، «**فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**»[١].

والملائكة قد تتحدث بكلام في السماء أو في العنان في السحاب فيسمعهم ويسترق السمع، ومسترق السمع تارة يسمع من الملائكة من العنان وتارة من السماء الدنيا قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨، ٩]؛ يعني: الجن تقعد من السماء مقاعد للسمع، وبيَّن النبي ﷺ أن مسترق السمع يركب بعضهم بعضاً؛ يعني: يقع بعضهم فوق بعض من غير التماس، الله أعطاهم قدرة على الصعود في الهواء وليركب بعضهم فوق بعض، فالذي في الفوق حول السماء وحول العنان يقول ما يسمع وهو الذي يلي هكذا حتى يصل إلى الأخير فيقره في أذن أصحابه من الكهنة والمنجمين، وقد تدركهم الشهب قبل أن يفعلوا شيئاً فتهلكهم، وقد يتأخر الشهاب عنهم لحكمة بالغة فيؤديها إلى من يستمعه لذلك من السحرة والكهانة، كما جاء في صحيح البخاري معنى ذلك، والمقصود من هذا أنه لا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم، ولو قدر أنهم قد يصدقون في كلمة لكن يكذبون أشياء كثيرة مائة كذبة ويقذفون ويزيدون أكثر من مائة كذبة، ثم مدعي علم الغيب كفار؛ لأن علم الغيب لا يعلمها الا الله جلَّ وعلا، الذي يدعي أنه يعلم الغيب فهو كافر ضال مضل، والحديث الصحيح أنه ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**».

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الكهانة برقم (٥٧٦٢) ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان برقم (٢٢٢٨).

كما في مسلم أربعين ليلة، كأن المؤلف رواه بالمعنى قال يوماً والعراف والكاهن شيء واحد، العراف، والكاهن، والمنجم والرمال كلها معناها واحد، وهم الذين يدَّعون علم الغيب بأسباب يدعونها من ضرب الرمل، من ضرب الحصى من حسب النجوم من غير هذا من خرافاتهم، الواجب الحذر منهم وعدم سؤالهم وعدم تصديقهم. وهكذا حديث قبيصة بن المخارق: **«العِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الجِبْتِ»** الجبت الشيء الذي لا خير فيه يطلق على الصنم والساحر وكل شيء لا خير فيه يقال له: جبت، ويطلق على الشيطان .... كما قال عمر: الجبت الشيطان، قال: الجبت السحر؛ فالحاصل أن الجبت يطلق على السحر وعلى الشيطان وعلى الصنم وعلى كل شيء لا خير فيه؛ ولهذا قال في الحديث: **«العِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الجِبْتِ»**؛ يعني: من الشيء الذي لا خير فيه، والعيافة زجر الطير إذا تيامنوا تفاءلوا وإذا تياسروا تشاءموا، والطرق يخط خطوطاً يخط في الأرض يدعون أنهم يعلمون بها علم الغيب وهي لا أصل له؛ ولهذا قال: **«كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ»** ما يعلم خط الأنبياء ما يعلمها إلا الله خط الأنبياء التي أعطاهم الله إياها؛ لكن الخطوط الذي يدعيها السحرة والكهنة كلها رجم بالغيب كلها دعوى بالغيب، والجبت قيل: السحر وقال بعضهم: رنة الشيطان، وبكل حال فالجبت شيء عام يطلق على كل شيء لا خير فيه، أما الطيرة فهي التشاؤم بالمرئيات والمسموعات إذا أجلستك ومنعتك من حاجتك؛ يُقال لها: الطيرة الشيء الذي يمنعك من حاجتك يسمى طيرة.

وفق الله الجميع

❁ ❁ ❁

١٦٧١ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُوم، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ ما زَادَ». رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

١٦٧٢ ـ **وعن** مُعاوِيَةَ بنِ الحَكَمِ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسُولَ اللهِ إنِّي حديثُ عَهْدٍ بالجاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ تَعَالَى بالإسْلَامِ، وإنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الكُهَّانَ؟ قال: «فَلَا تأتِهِمْ» قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدُّهُمْ» قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ؟ قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ، فَذَاكَ». رواه مسلم[2].

١٦٧٣ ـ **وعن** أَبي مَسعودٍ البدريِّ رضي الله عنه؛ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ نَهى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكاهِنِ. متفق عَلَيْهِ[3].

الشَّرح

هذه الأحاديث من بقية الأحاديث الدالة على التحذير من إتيان الكهان والسحرة والمنجمين وتصديقهم، وأن الواجب الحذر منهم وعدم تصديقهم وعدم إتيانهم، وأن الواجب على ولاة الأمور الأخذ عليهم واستتابتهم فإن تابوا وإلا عوملوا بما يستحقون من قتل وغيره، من ذلك قوله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» كلما زاد تعلم النجوم للتأثير زاد فيما يتعلق بالسحر والتلبيس على الناس، الواجب الحذر من ذلك وألا يتعلم هذه الأشياء التي يتعلق بها السحرة والمنجمون، أما تعلم المنازل لمعرفة الأوقات هذا لا بأس به،

---

(١) أخرجه في كتاب الطب، باب في النجوم برقم (٣٩٠٥).

(٢) أخرجه في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته برقم (٥٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ثمن الكلب برقم (٢٢٣٧)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنور برقم (١٥٦٧).

كونه يتعلم سير الشمس والقمر والنجوم لتعلم الطرقات والمياه والبلدان لا بأس، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]. قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]؛ يعني: يهتدي بها المسافرون في جهات البلدان وجهات المياه، وجهات الطرقات، أما تعلمها للتأثير أنها يقع كذا ويصير كذا هذا هو المحرم هذا هو التنجيم المحرم، وهذا من شعب السحر.

والحديث الثاني حديث معاوية بن الحكم، قُلْتُ: (**يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلَام وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِهِمْ»**)، قَالَ: (**وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ. قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ»**)؛ يعني: هذه التي يجدها الناس من الطير والتشاؤم هذا شيء لا حقيقة له إنما هو شيء يجده في نفسه في صدد التشاؤم فليس له حقيقة فليس عند الطير أو الكلب الذي رآه أو الحمار لا خير ولا شر؛ ولكن الجاهلية عندهم العقول الضعيفة والتشبثات بالأشياء التي لا حقيقة لها، فلهذا يتطيرون إذا رأوا شيئاً ما يناسبهم تطيروا تشاءموا تركوا السفر إذا أرادو أن يسافروا كل ذلك من أجل التشاؤم.

والحديث الصحيح لما ذكرت عند رسول الله: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِماً فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**».

حديث عبد الله بن عمرو: «**اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلٰهَ غَيْرُكَ**»[1] فلا ينبغي لعاقل أن تصده هذه التشاؤمات فليحذرها ولا يلتفت إليها ويتوكل على الله، يمضي في حاجته ولا يبالي يقول: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ويسمي الله والحمد لله، كان النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (٢/ ٢٢٠).

يحث الخارج من بيته للصلاة وغيرها أن يقول: «**بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**»(١).

كذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه (**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ وَمَهْرِ البَغِيِّ وَحُلْوَانِ الكَاهِنِ**)، الكلاب لا يجوز بيعها فالرسول نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن، وقال ﷺ: «**ثَمَنُ الكَلْبِ خَبِيثٌ وَمَهْرُ البَغِيِّ خَبِيثٌ وَكَسْبُ الحَجَّامِ خَبِيثٌ**»(٢).

فالواجب الحذر من ذلك لا يجوز بيعه، بيع الكلاب ومهر البغي وهي الزانية ما تعطى من المال هذا عوض حرام؛ لأنه في مقابل حرام يسمى مهراً هو محرم؛ ولهذا سماه النبي خبيثاً ونهى عنه؛ لأنه زنا وسيلة إلى الزنا يعطيها المال حتى تمكنه من الزنا فهو حرام عليها وحرام عليه، وهكذا حلوان الكاهن هو ما يعطاه الكاهن حتى يخبر بعض المغيبات يعطون فلوساً يخبر وايش ولد فلان وماذا عند فلان هكذا السفهاء والجهلة يأتون الكهان يقول لهم: نعطيكم كذا وكذا علمونا ماذا سيقع كذا ماذا سوف يصير، يقول لهم ما يشاؤون حتى يأكلوا أموالهم، فهذه المعطيات وهذه المعاوضات كلها منكر، ما يعطاه الكاهن أو البغي وما يعطى صاحب الكلب كله لا يجوز.

وفق الله الجميع.



(١) سبق تخريجه برقم (٨٢) ج١.
(٢) أخرجه مسلم من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه في كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن برقم (١٥٦٧).




٣٠٤ ـ بَابُ النهي عن التَّطيُّرِ

فِيهِ الأحاديث السابقة في الباب قبله.

١٦٧٤ ـ **وعن** أنس ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ». متفق عَلَيْهِ[١].

١٦٧٥ ـ **وعن** ابن عمر ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ. وإنْ كَانَ الشُّؤمُ في شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، والفَرَسِ». متفق عَلَيْهِ[٢].

١٦٧٦ ـ **وعن** بُرَيْدَةَ ﷺ؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ لا يَتَطَيَّرُ. رواه أبو داود[٣] بإسناد صحيح.

١٦٧٧ ـ **وعن** عُروة بن عامر ﷺ قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ. وَلَا تَرُدُّ مُسْلِماً فإذا رَأى أَحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ، فَلْيَقلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأتِي بِالحَسَناتِ إلَّا أنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ». حديث صحيح رواه أبو داود[٤] بإسناد صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الفأل برقم (٥٧٥٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطّيرة والفأل وما يكون فيه الشّؤم برقم (٢٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب في الأسواق التي كانت في الجاهلية برقم (٢٠٩٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطّيرة والفأل وما يكون فيه الشّؤم برقم (٢٢٢٥).

(٣) أخرجه في كتاب الطب، باب في الطيرة برقم (٣٩٢٠).

(٤) أخرجه في كتاب الطب، باب في الطيرة برقم (٣٩١٩).

﴿ الشَرح ﴾

هذه الأحاديث كلها تدل على تحريم التطير وأنه من خصال الجاهلية، تقدم حديث معاوية لما قال: قُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلَام وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الكُهَّانَ. قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**»، قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**»)؛ يعني: شيء يجده بعض الناس في صدره، تشاؤم، فلا ينبغي ولا يجوز أن يصده عن حاجته، تقدم حديث: «**العِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الجِبْتِ**» وهنا يقول ﷺ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**». **قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ**: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**» كما قال ﷺ يسمعها الرجل يقال لها فأل، والتطير هو التشاؤم بالمرئيات والمسموعات، كان أهل الجاهلية يتشاءمون، إذا رأوا شيئاً ما يناسبهم تشاءموا ورجعوا عن حاجاتهم، كأن يخرج للسفر فيصادف إنساناً ما يحبه أو يصادف حيواناً ما يناسب، حيواناً مريضاً أو حيواناً مقطوع الأذن، أو أجرب، أو كذا، فيتشاءم يرجع، وهذا من جهلهم، فالطيرة باطلة ليس لها أساس، والإنسان إذا أحس بشيء يكره، مثل ما قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**» ربنا جلَّ وعلا هو الذي يأتي بالمصالح والنعم، وهو الذي يجلبها للعباد وهو الذي يدفع المصائب والسيئات جلَّ وعلا بيده كل شيء ﷻ، منها الحديث الآخر: «**اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلهَ غَيْرُكَ**»؛ فالمقصود أن التطير من خصال الجاهلية الواجب الحذر منه، والعدوى تقدم الكلام فيها وهو اعتقاد أن شيئاً يعدي بطبعه كالجرب أو غيره من المرض لا؛ لكن بعض الأمراض إذا خالط أصحابها الصحيح قد تنتقل بإذن الله لا بنفسها هي، بل بإذن الله، المرض لا يملك شيئاً لنفسه ولا

يتصرف، المرض أثر قد يقدره الله جلَّ وعلا، بعض الأمراض إذا خالطها الناس قد يحصل منها العدوى؛ يعني: الانتقال مثل الجذام مثل الجرب؛ ولهذ في الحديث: **«فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ»**(١).

الحديث الآخر يقول ﷺ: **«لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»**(٢)؛ يعني: صاحب إبل مصاب لا يوردها على صاحب إبل صحاح يكون هذا في وهذا في وقت من باب اتّقاء الأسباب؛ يعني: الإنسان يأخذ بالأسباب الطيبة، يحذر الأسباب الرديئة، لكن مع اعتقاد أنه لا عدوى ولا طيرة إن الأمر بيد الله؛ ولهذا لما قَالَ النبي ﷺ: **«لَا عَدْوَى»**. فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ (يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيَأْتِي البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا؟) فَقَالَ: **«فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ»**(٣) الله الذي أنزل بالأول هو الذي أنزل بالثاني؛ لكن جعل الخلطة من الأسباب، جعل الاختلاط من الأسباب؛ ولهذا قال ﷺ: **«لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»**؛ يعني: صاحب الإبل المراض، أو البقر المراض، أو الغنم المراض؛ لا يوردها مع صاحب الإبل الصحيحة والبقر الصحيحة، يكون هذا وهذا في وقت، بعداً عن أسباب الشر وحرصاً على سلامة القلوب من الوساوس، أما الفأل فلا بأس به؛ ولهذا قال: **«وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»**.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢/٤٤٣).

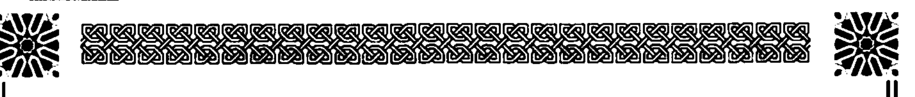
(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة... برقم (٢٢٢١).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن برقم (٥٧١٧) ومسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة... برقم (٢٢٢٠).

في حديث عروة بن عامر رضي الله عنه: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ**» هو نوع من الطيرة لكن فأل؛ لكن لا يرد ولا يمضي؛ ولهذا صار جائزاً وأحسنها؛ لأن الفأل لا يرده ولا يمضيه يتفاءل ويمشي، مثل إنسان مريض يسمع إنساناً يقول: يا معافى، يا مشفي، يا سليم، فيفرح في هذا وهو ذاهب في حاجته، أو إنسان يدوِّر ضالة، يسمع إنساناً يقول، أبشر، أو قد وجدت، أو ستجد إن شاء الله، فيفرح بهذا الكلام ولا يرده ولا يمضيه، هذا الفأل، الكلام الطيب الذي يسرك ولكن لا يمضيك ولا يردك.

وفق الله الجميع.





٣٠٥ـ بَابُ تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك، وتحريم اتخاذ الصور في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها، والأمر بإتلاف الصورة

١٦٧٨ ـ **عن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ الَّذينَ يَصْنَعُونَ هذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ». متفق عليه(١).

١٦٧٩ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ رسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرام فِيهِ تَمَاثيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وقالَ: «يَا عائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِندَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ!» قَالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنهُ وِسَادَةً أوْ وِسَادَتَيْنِ. متفق عليه(٢).

□ (القِرامُ): بكسرِ القاف هو: السِّتْرُ. (وَالسَّهْوَةُ): بفتح السينِ المهملة وهي: الصُّفَّةُ تَكونُ بَيْنَ يَدَيِ البَيْتِ، وقيلَ: هِيَ الطَّاقُ النَّافِذُ في الحائِطِ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصوّرين يوم القيامة برقم (٥٩٥١)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب برقم (٢١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما وطئ من التّصاوير برقم (٥٩٥٤)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب برقم (٢١٠٧).

١٦٨٠ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ». قال ابن عباس: فإنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلاً، فَاصْنعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا رُوحَ فِيهِ. متفق عليه[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة وما جاء في معناها كلها تتعلق بالتصوير، والتصوير من أكبر السيئات ومن أكبر الكبائر وهو تصوير ذوات الأرواح، من حيوانات طائرة أو ماشية كلها يحرم تصويرها الإبل والبقر والغنم وبني آدم والطيور وكل ذي روح لا يجوز تصويره؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، في اللفظ الآخر: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ»، في اللفظ الآخر: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ».

في الحديث الآخر في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفساً فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»، في حديث أبي جحيفة: «لَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ وَالمُصَوِّرَ». الواجب على كل مؤمن يحذر ذلك فإن كان ولا بد كما قال ابن عباس تصوير الشجر والجماد لا بأس شجرة جماد، أما تصوير الحيوان آدمي أو غير آدمي فلا يجوز؛ بل يجب الحذر من ذلك؛ لأنه مضاهاة لخلق الله، والله جلَّ وعلا لا يرضى بذلك؛ بل سبحانه يمنع ذلك، ولأن التصوير

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع التصاوير برقم (٢٢٢٥)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب برقم (٢١١٠).

وسيلة إلى شر كثير، تصوير المعظمين وسيلة إلى عبادتهم من دون الله، وتصوير النساء وسيلة للفواحش، تصوير غيرهم وسيلة إلى شرور كثيرة، وقد هلك قوم نوح بأسباب الصور؛ لما صوروا وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونصبوها في مجالسهم، عظمت بعد ذلك واتخذت أوثاناً وأصناماً تعبد من دون الله، وكانت أول حدث وقع في الشرك بأسباب الصور، صورة ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، قال لهم الشيطان لما ماتوا في زمن متقارب، وهم رجال صالحون قال: صوروا صورهم وانصبوها في مجالسهم حتى تذكروا أعمالهم، وقصد الخبيث أن يغيرهم بعد طول المدة أو غيره حتى يعبدوه من دون الله فوقع ذلك، فأرسل الله إليهم نوحاً ودعاهم إلى توحيد الله واستمر في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فأصروا ولم يؤمن به إلا القليل حتى أهلكهم الله بالطوفان ولم ينج مع نوح إلا من كان معه في السفينة.

وهكذا جعلها في الخرق أو في الجرائد، أو في ستر، أو في جدار كله دربه واحد لا يجوز مطلقاً؛ ولهذا لما رأى النبي ﷺ الصور الذي في الستر عند عائشة على الباب غضب وتغير وجهه، وفي اللفظ الآخر: **«هَتَكَهُ»**؛ يعني: قطعه وقال: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ**»، قالت: وجعلنا منه وسادتين، هذا يدل على أن الصورة إذا كانت في شيء يوطأ ويمتهن لا بأس، في بساط في وسادة، ممتهن لا بأس؛ لكن لا يجوز التصوير؛ لكن إذا وقع وجد في الصورة في بساط في وسادة هذه تمتهن لا حرج، في الشيء الذي يمتهن؛ لكن شيء يلبس أو يعلق لا يجوز.

وفق الله الجميع.

❀ ❀ ❀

١٦٨١ ـ **وعنه**، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يومَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ». متفق عليه[١].

١٦٨٢ ـ **وعن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ». متفق عليه[٢].

١٦٨٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «قال اللهُ تَعالَى: وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». متفق عليه[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث متعلقة بالصور من جنس التي قبلها في بيان شدة الوعيد في التصوير وأنه من الكبائر العظيمة؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب من صوّر صورةً كلّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الرّوح، وليس بنافخ برقم (٥٩٦٣)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب برقم (٢١١٠) (١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصوّرين يوم القيامة برقم (٥٩٥٠)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب برقم (٢١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب نقض الصور برقم (٥٩٥٣)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب برقم (٢١١١).

الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»؛ يعني: هو أعجز من أن ينفخ، وقال ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**».

وقال عليه الصلاة والسلام: يقول الله ﷻ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**» (يعني: لا أحد أظلم منه وهذا يفيد الوعيد الشديد؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر هذه الجريمة وأن يحذر منها إخوانه وأن يتلف ما وجد من ذلك لقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**لا تدع صُورَة إلا طَمستَها ولا قَبرا مُشْرِفاً إلا سَوَّيتَهُ**»، ولعموم قوله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[1].

وهذا يعم الصور التي لها ظل، المجسدة، وهكذا الصور التي لا ظل لها ما تكون في الثوب والعمامة وفي الكتاب وفي ختم وفي غير ذلك مما تكون تابعة، الأحاديث عامة ومن ذلك ما تقدم في الصور التي في القرام، وهي من جنس الصور التي تكون في القراطيس؛ لأن القرام الصورة فيه تابعة كالصور، وهكذا ما يكون في البسط، ما يكون في الوسائد كله محرم على أي وجه كان في وسادة، في بساط، أو عمامة، أو سراويل، أو فنيلة أو عمامة، أو غيرها مما يتعاطاه الناس كله لا يجوز؛ لكن متى وجدت فإن فيه ممتهن سمح بامتهانها متى وجدت التصوير لا يجوز مطلقاً؛ لكن متى وجدت في بساط أو وسادة أو أرض لا بأس أن توطأ ولا يضر وجودها، إنما يضر كونها معلقة، أو مرفوعة في شيء، أو منصوبة في جدار، أو في ثوب يلبسه أو ما أشبه ذلك، أما ما يمتهن وهكذا الأواني التي يكون فيها الفواكه والأدوية وترمى هذه من جنس الممتهنات من جنس الوسائد وأشباهها، وإذا طمست الصورة قطع رأسها وزال رأسها زال حكمها؛ لما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٨٤) ج١.

«فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي البَيْتِ يُقْطَعُ فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ»[١].

بعد قطع الرأس؛ يعني: وأمر بالقرام الذي فيه تصاوير أن يتخذ وسادتان ممتهنتان تقطعان، فدل على أن الشيء الذي يكون في بساط ونحوه مما يوطأ لا يضر، وإن كان صاحبه قد فعل محرماً بالتصوير؛ لكن وجودها في البساط ونحوه لا يمنع؛ لأنه ممتهنة توطأ ويجلس عليها بخلاف الصور التي أصلها التعظيم، أصلها صورها المشركون لتعظيمها وعبادتها هذا أصلها، أصلها للتعظيم والعبادة، هذا أصلها كما فعل قوم نوح لما مات جماعة من صالحيهم يدعون، ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، زين لهم الشيطان وصوروا صورهم وأن ينصبوها في مجالسهم ففعلوا، فلما طال الأمد عبدت من دون الله وبعث الله نوحاً لينذرهم من هذا الشرك، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ينذرهم من الشرك فلم يستجيبوا، ولم يقبلوا إلا القليل، فعذبهم الله بالغرق، إلا من كان مع نوح في السفينة.

وذهب بعض أهل العلم أن الصورة في الثوب ونحوه لا تدخل في الوعيد واحتجوا بحديث: **«لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ إِلَّا رَقْماً فِي ثَوْبٍ»**[٢] قالوا: قول: إلا رقماً في ثوب، يقتضي أنه يجوز التصوير في الثوب، وهذا خلاف ما عليه الجمهور والأئمة، فإن قوله: إلا رقماً في ثوب؛ يعني: النقوش، النقوش ما تسمى صورة، الرقوم والنقوش ما تسمى، ليس لها حكم الصور، والأحاديث عامة، قد أنكر النبي الصورة التي في القرام، فدل على أن الحكم عام يعم ما يكون في مجسم أو ما يكون في ثوب ونحوه.

وفق الله الجميع.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب اللباس، باب في الصور برقم (٤١٥٨) والترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتاً... برقم (٢٨٠٦) والإمام أحمد برقم (٨٢٦٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي طلحة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب كراهية القعود على الصور برقم (٥٩٥٨) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الكلب على الثوب برقم (٢١٠٦).

١٦٨٤ ـ **وعن** أبي طلحة رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قال: «لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتاً فيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ». متفق عليه(١).

١٦٨٥ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وَعَدَ رسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أنْ يَأْتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبريلُ فَشَكَا إلَيهِ، فَقَالَ: إنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. رواهُ البُخاري(٢).

□ (راث): أبْطأَ، وهو بالثاء المثلثة.

١٦٨٦ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: واعدَ رسولَ اللهِ ﷺ، جبريلُ عليه السلام، في سَاعَةٍ أنْ يَأتِيَهُ، فَجَاءتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصاً، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «ما يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ» ثُمَّ التَفَتَ، فإذَا جَرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فقالَ: «مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ؟» فَقُلْتُ: واللهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأتِني» فقالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كانَ في بَيْتِكَ، إنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. رواه مسلم(٣).

١٦٨٧ ـ **وعن** أبي الهَيَّاجِ حَيَّانَ بنِ حُصَيْنٍ، قال: قال لي عَلِيُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألَا أبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أن لَا تَدَعَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب التصاوير برقم (٥٩٤٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب برقم (٢١٠٦).

(٢) أخرجه في كتاب اللباس، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورةٌ برقم (٥٩٦٠).

(٣) أخرجه في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب برقم (٢١٠٤).

صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إِلَّا سَوَّيْتَهُ. رواه مسلم(١).

الشَّرح

هذه الأحاديث كلها تدل على تحريم التصوير، كما تقدم في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله لعن المصورين وقال: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»، وفي هذه الأحاديث دلالة على أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، وهذا يعم الصورة المجسدة والصورة غير المجسدة في ثوب أو غيره إذا كانت مرفوعة كالقرام الذي يستر به الباب وكالستر التي على الجدران فإن هذه تمنع، وهكذا الكلب يمنع دخول الملائكة، أما الصورة التي تداس وتمتهن فلا تمنع من دخول الملائكة، بدليل قوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها لما رأى القرام غضب وقال: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ**»، قال: فاتخذنا منها وسادة أو وسادتين يرتفق به النبي ﷺ.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما سأل جبرائيل: ما منعك؟ قال: «**إِنَّهُ كَانَ عَلَى البَابِ تَمَاثِيلُ وَكَانَ فِي البَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ وَكَانَ فِي البَيْتِ كَلْبٌ فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي البَيْتِ يُقْطَعُ فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مَنْبُوذَتَيْنِ تُوطَآنِ وَمُرْ بِالكَلْبِ فَلْيُخْرَجْ**».

فأمر الرسول ﷺ بالكلب فأخرج وأمر بقطع رأس التمثال وتقطيع القرام وسادة تمتهن وتوطأ، فدخل النبي ﷺ وكان جرو كُليب أدخله الحسن أو الحسين ابنا عليّ رضي الله عنهما كانا صغيرين قبل التمييز، ومن عادة الصبيان الصغار اللعب بالكلاب الصغار، وهذه الأحاديث كلها تدل على أن الواجب عدم تعليق الصور وأنه تمنع دخول الملائكة وأنه يجب

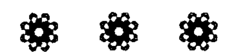
(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر برقم (٩٦٩).

طمسها؛ ولهذا في حديث علي: (**لا تدعَ صُورَة إلا طَمستَها ولا قَبراً مُشْرِفاً إلا سَوَّيتَهُ**) فلا يجوز اتخاذها على الجدران أو على الأبواب بل يجب إزالتها.

أما إذا كانت تمتهن في الأرض وتداس في الأرض كالبسط والوسائد فلا تمنع؛ ولكن لا يجوز التصوير مطلقاً حتى ولو في البساط لا يجوز التصوير؛ لكن إذا كان موجودة الصورة وجدت فيما يداس وفي وسادة لا تمنع بدليل حديث أبي هريرة وحديث عائشة رضي الله عنهما.

والكلب يجوز اقتناؤه للصيد والزرع والماشية، وإذا جاز لم يمنع من دخول الملائكة كلب مأذون فيه لا يمنع، إنما يمنع غير المأذون؛ ولهذا الصورة المأذون فيه التي تداس لا تمنع، إنما يمنع دخول الملائكة الشيء الممنوع من الكلب والصورة.

وفق الله الجميع.






٣٠٦ ـ بَابُ تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

١٦٨٨ ـ **عن** ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «مَنِ اقْتَنَى كَلْباً إلَّا كَلْبَ صَيْدٍ أوْ مَاشِيَةٍ فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطَانِ». متفق عليه[١].

📖 وفي رواية: «قِيرَاطٌ».

١٦٨٩ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أمْسَكَ كَلْباً، فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطٌ إلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أوْ مَاشِيَةٍ». متفق عليه[٢].

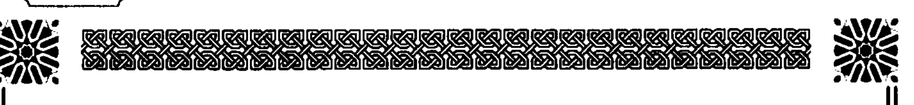
📖 وفي رواية لمسلم: «مَنْ اقْتَنَى كَلْباً لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ، وَلَا مَاشِيَةٍ وَلَا أرْضٍ، فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ».



---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب من اقتنى كلباً ليس بكلب صيدٍ أو ماشيةٍ برقم (٥٤٨٠ و٥٤٨١ و٥٤٨٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلّا لصيدٍ أو زرعٍ أو ماشيةٍ ونحو ذلك برقم (١٥٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث برقم (٢٣٢٢ و٢٣٢٣)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلّا لصيدٍ أو زرعٍ أو ماشيةٍ ونحو ذلك برقم (١٥٧٥).



٣٠٧ - بَابُ كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب، وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر

١٦٩٠ - **عن** أبي هريرة ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تَصْحَبُ المَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ». رواه مسلم(١).

١٦٩١ - **وعنه**؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال: «الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث [١٦٨٨ - ١٦٨٩ - ١٦٩٠ - ١٦٩١] فيما يتعلق باقتناء الكلاب وتعليق الأجراس، هذه الأحاديث تدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يصون نفسه عن اقتناء الكلاب إلا لهذه الثلاثة: إما صيد، أو ماشية، أو حرث، أما من اقتناها لغير ذلك ينقص من أجره كل يوم قيراطان والقيراطان سهمان من عشرين أو سهمان من أربعة وعشرين من الأجر، والقيراط عند العرب فسره قوم بواحد من أربع وعشرين وآخرون بواحد من عشرين، والمعنى: أنه ينقص من أجره جزءان من مجموع الأجر، فهذا يدل على أنه ما ينبغي أن يقتنى إلا لهذه المسائل الثلاث: إما للصيد، وإما للماشية عند الغنم إذا كان حول الغنم يحميها من الدواب

(١) أخرجه في كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الكلب والجرس في السّفر برقم (٢١١٣).

(٢) أخرجه في كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الكلب والجرس في السّفر برقم (٢١١٤).

ترهبه، وهو أيضاً ينبه أهل الغنم حتى يلاحظوا غنمهم وهو يطارد الذئاب، وأهل الغنم يساعدونه وينبههم بنباحه، وهكذا في مسألة الزرع الحرث كونه يكون حارساً في الحرث حتى يكون حول الحرث إذا رأى من يستنكر من اللصوص نبح وانتبه أهله، أما اقتناؤه لغير ذلك فلا يجوز؛ كاقتنائه لحراسة الأبواب في القرى والأمصار أو للعب عليه أو لغير هذا لا يجوز، وهكذا لا يجوز استصحابه في السفر: «**لَا تَصْحَبُ المَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ**» إلا إذا كان من هذه الثلاثة، كلب الصيد لا بأس إذا كان معهم في السفر لا بأس أو الماشية، أو الزرع والجرس كذلك لأنه من آلات اللهو؛ ولهذا قال ﷺ: «**الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ**» اتخذ للهو وإسماع الصوت، كان هذا من مزامير الشيطان فينبغي التحرز من ذلك والحذر من ذلك؛ لأن العرب كانت تتخذه للعب واللهو، أما إذا كان مثل ما قد يقع للتنبه لأهل البيت أو للتلفون هذا ما يتخذ للعب واللهو إنما هو للحاجة، فليس من هذا الباب وإنما هو للتنبيه.

وفق الله الجميع.



٣٠٨ ـ بَابُ كراهة ركوب الجَلَّالة وهي البعير أو الناقة التي تأكل العَذِرَة، فإنْ أكلت علفاً طاهراً فطاب لَحمُهَا، زالت الكراهة

١٦٩٢ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الجَلَّالَةِ في الإبِلِ أنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا. رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.



(١) أخرجه في كتاب الجهاد، باب في ركوب الجلالة برقم (٢٥٥٧).




٣٠٩ ـ بَابُ النهي عن البصاق في المسجد، والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه، والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار

١٦٩٣ ـ **عن** أنس رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «البُصَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا». متفق عليه[(١)].

□ والمرادُ: (بِدَفْنِهَا): إِذَا كَانَ المَسْجِدُ تُرَاباً أَوْ رَمْلاً ونَحْوَهُ، فَيُوَارِيهَا تَحْتَ تُرَابِهِ. قالَ أبُو المحاسِنِ الرُّويَانِي مِنْ أصحابِنا في كِتَابِهِ «البحر» وقِيلَ: المُرَادُ بِدَفْنِهَا إخْراجُهَا مِنَ المَسْجِدِ، أمَّا إِذَا كَانَ المَسْجِدُ مُبَلَّطاً أَوْ مُجَصَّصاً، فَدَلَكَهَا عَلَيْهِ بِمَدَاسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَفْنٍ، بَلْ زِيَادَةٌ فِي الخَطِيئَةِ وَتَكْثِيرٌ لِلقَذَرِ في المَسْجِدِ، وَعَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أنْ يَمْسَحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَوْبِهِ أَوْ بِيَدِهِ أَوْ غَيرِهِ أَوْ يَغْسِلَهُ.

١٦٩٤ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رَأى في جِدَارِ القِبْلَةِ مُخَاطاً، أَوْ بُزَاقاً، أَوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ. متفق عَلَيْهِ[(٢)].

١٦٩٥ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَلَا القَذَرِ، إنَّمَا هي لِذِكْرِ اللهِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد برقم (٤١٥)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النّهي عن البصاق في المسجد في الصّلاة وغيرها برقم (٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب حكّ البزاق باليد من المسجد برقم (٤٠٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النّهي عن البصاق في المسجد في الصّلاة وغيرها برقم (٥٤٩).

تَعَالَى، وَقِراءةِ القُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ. رواه مسلم[(١)].

الشَّرح

هذه الأحاديث [١٦٩٢ ـ ١٦٩٣ ـ ١٦٩٤ ـ ١٦٩٥] يتعلق الأول منها بالجلالة، والجلالة هي التي تأكل الجلة تأكل العذرة النجاسة من الإبل والبقر والغنم، نُهي عن ركوبها وعن ألبانها ولحومها حتى تنظف حتى تعلف الطيب، إن كان دجاجة تعلف الطيب ثلاثة أيام أو أكثر، إن كان شاة كذلك تعلف الطيب أياماً، وهكذا البقرة، وهكذا الناقة تعلف العلف الطيب حتى تزول آثار النجاسة، هذا إذا غلب عليها ذلك، أما الشيء اليسير فيعفى عنه الشيء الذي ما يكون غالباً يعفى عنه الذي ما تكون جلالة بصيغة المبالغة، إذا غلب عليها أكل النجاسة، والمؤمن يلاحظ هذه الأشياء في الدواب، دجاجة، أو حمام، أو غنم، إبل، أو بقر حتى تكون بعيدة عن النجاسة.

والأحاديث الأخرى هنا تدل على تنزيه المساجد، تطهيرها من القذر النخامة البصاق، البول إلى غير ذلك، المساجد يجب أن تطهر، أمر الرسول ﷺ أن تنظف المساجد وتطيب ويبعد منها الأذى؛ ولهذا قال ﷺ: «**البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ**» (يعني: معصية) «**وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**» إذا وجدت دفنها إذا كان تراب ورمل بحيث يدفنها الأرض ولا تضر أحداً وإلا أزالها، أما إذا كان مبلطة فإن الواجب حكها وإزالتها حتى لا يبقى لها أثر؛ وهكذا إذا كان في الجدار، والرسول ﷺ لما **رَأَى فِي جِدَارِ القِبْلَةِ مُخَاطاً أَوْ بُصَاقاً أَوْ نُخَامَةً فَحَكَّهُ** وأزاله ونهى عن هذا، وحذر عن البصاق في المسجد «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ رَجُلٌ فَيَبْصُقَ في وَجْهِهِ**

(١) أخرجه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النّجاسات إذا حصلت في المسجد وأنّ الأرض تطهر بالماء من غير حاجةٍ إلى حفرها برقم (٢٨٥).

إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ ﷻ وَالمَلَكُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ تَحْتَ قَدَمِهِ اليُسْرَى أَوْ عَنْ يَسَارِهِ فَإِنْ عَجِلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ هَكَذَا»[1] وبصق في طرف ثوبه حك بعضه على بعض، والمساجد يجب أن تنظف، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى القَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ المَسْجِدِ**» (هذه من الأجور)، ولما بال أعرابي في المسجد وزجره الناس قال: «**أمهلوه**» ولما قضى بوله دعاه وقال: «**إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَلَا القَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ**».

فالواجب على المسلمين تنزيه المساجد وتطهيرها وتنظيفها والحذر مما قد يقذره على الناس وينفر الناس منها ومن النجاسة أشد، لا بصاق، ولا قذر حتى القذاة، وكانت امرأة تقوم بالمسجد تلاحظ ما يقع فيه فلما توفيت ليلاً صُلي عليها ليلاً فلما أُخبر النبي ﷺ قال: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا**» فدلوه على قبرها فصلى عليها عليه الصلاة والسلام.

الحاصل: أن المساجد يجب أن تنظف وتطهر وتطيب ويبعد بها عن الأذى والقذر من جميع الوجوه؛ لأنه محل للعبادة للمسلمين فلا يجوز أن يكون فيها ما يقذرها عليهم، أو ينفرهم منها والله المستعان.

وفق الله الجميع.



(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٣/ ٢٤).



٣١٠ ـ بَابُ كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فِيهِ ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

١٦٩٦ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّه سمعَ رسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً في المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّها اللهُ عَلَيْكَ، فإنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا». رواه مسلم(١).

١٦٩٧ ـ **وعنه**؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ في المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فَقُولُوا: لا رَدَّهَا الله عَلَيْكَ». رواه الترمذي(٢)، وقال: حديث حسن.

١٦٩٨ ـ **وعن** بُرَيْدَةَ رضي الله عنه؛ أنَّ رَجُلاً نَشَدَ في المَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إلَى الجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا وَجَدْتَ؛ إنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ». رواه مسلم(٣).

١٦٩٩ ـ **وعن** عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّهِ رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَن الشِّراءِ والبَيْعِ في المَسْجِدِ، وَأنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ؛

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب النّهي عن نشد الضّالّة في المسجد وما يقوله من سمع النّاشد برقم (٥٦٨).
(٢) أخرجه في كتاب البيوع، باب النّهي عن البيع في المسجد برقم (١٣٢١).
(٣) أخرجه في كتاب المساجد، باب النّهي عن نشد الضّالّة في المسجد وما يقوله من سمع النّاشد برقم (٥٦٩).

أَوْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ. رواه أبو داود والترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

١٧٠٠ ـ **وعن** السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهذَينِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ، لأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ! رواه البخاري[٢].

الشَّرح

هذه الأحاديث فيها التحذير من إنشاد الضوال في المسجد والبيع والشراء وما لا ينبغي في المساجد؛ لأنها بنيت لعبادة الله وطاعته والتقرب إليه بقراءة كتابه الكريم، والصلاة والتسبيح والتهليل، وإقامة حلقات العلم، فلا يجوز أن يقام فيها ضد ذلك من إنشاد الضوال والبيع والشراء، وإنشاد الأشعار التي لا خير فيها؛ ولهذا زجر النبي عن ذلك فقال: «**مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا**»، وهذا إنكار شديد، وهكذا من يبيع ويشتري «**لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ**» وهذا إنكار شديد أيضاً، هذا يدل على أن من تهاون بالمساجد ولم يحترمها ينكر عليه، سواء كان بالبيع والشراء، أو بإنشاد الضوال، أو الأشعار الماجنة التي لا خير فيها، أما الأشعار الطيبة فلا بأس بها، كان حسان ينشد في المسجد في الرد على المشركين الشعر الذي لا بأس به، أشعار في الرد على أهل الشرك فيما

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة برقم (١٠٧٩)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء في كراهية البيع والشّراء وإنشاد الضّالّة والشّعر في المسجد برقم (٣٢٢).

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب رفع الصّوت في المساجد برقم (٤٧٠).

ينشر الحق، الحق في الدعوة إليه، هذه لا بأس به في المسجد وغير المسجد، أما الأشعار التي فيها مدح فلان، أو ذم فلان فلا ينبغي إنشادها في المساجد تصان المساجد عنها.

كذلك ما يتعلق بالشراء والبيع والإجارة والجعالة ونحوها من أمور المعاملات والمعاوضات تمنع في المساجد؛ لأنها لم تبنَ لهذا الشيء، هكذا رفع الأصوات كون الجلوس في المسجد وترفع الأصوات ينبغي التأدب في المساجد وألا ترفع الأصوات، كما زجر عمر عن ذلك رضي الله عنه، فالمساجد لها حرمتها إذا كان هناك حديث أو حاجة لحديث فليكن بالصوت العادي لا برفع الأصوات.

وفق الله الجميع.






٣١١ ـ بَابُ نهي من أكل ثوماً أَوْ بصلاً أَوْ كراثاً أَوْ غيره مِمَّا لَهُ رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إِلَّا لضرورة

١٧٠١ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ ـ يعني: الثُّومَ ـ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا». متفق عَلَيْهِ[١].

وفي روايةٍ لمسلم: «مساجدنا».

١٧٠٢ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّا» أو «لَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا». متفق عَلَيْهِ[٢].

١٧٠٣ ـ وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلنا، أو فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا». متفق عَلَيْهِ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثّوم النّيّء والبصل والكرّاث. وقول النّبيّ ﷺ: **«من أكل الثّوم أو البصل من الجوع أو غيره فلا يقربنّ مسجدنا»** برقم (٨٥٣)، ومسلم في كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كرّاثاً أو نحوها عن حضور المسجد برقم (٥٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثّوم النّيّء والبصل والكرّاث. وقول النّبيّ ﷺ: «من أكل الثّوم أو البصل من الجوع أو غيره فلا يقربنّ مسجدنا» برقم (٨٥٦)، ومسلم في كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كرّاثاً أو نحوها برقم (٥٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثّوم النّيّء والبصل والكرّاث. وقول النّبيّ ﷺ: **«من أكل الثّوم أو البصل من الجوع أو غيره فلا يقربنّ مسجدنا»** برقم (٨٥٥)، ومسلم في كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كرّاثاً أو نحوها برقم (٥٦٤).

📖 وفي روايةٍ لمسلم: «مَنْ أكَلَ البَصَلَ، والثُّومَ، والكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

١٧٠٤ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أنَّه خَطَبَ يومَ الجمعَةِ فَقَالَ في خطبته: ثُمَّ إنَّكُمْ أيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرتَيْنِ مَا أَرَاهُمَا إلَّا خَبِيثَتَيْن: البَصَلَ، وَالثُّومَ. لَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ، إذَا وَجدَ ريحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ في المَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَى البَقِيعِ، فَمَنْ أكَلَهُمَا، فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً. رواه مسلم[١].

الشَّرح

هذه الأحاديث تتعلق بما يتعاطاه الإنسان مما يكره ريحه ويؤذي ريحه الناس وأن الواجب عليه ألا يؤذي به الناس في مصلاهم، فإذا أكل ثوم أو البصل أو الكراث أو كان به ما يتأذى به الناس مع الرائحة الكريهة، فإنه لا يصلي مع الناس؛ ولهذا قال ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا** أَوْ قَالَ: **فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا**» في لفظ: «**فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا**» هذا لأنه يتأذى به الناس، وفي اللفظ الآخر: «**فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**»؛ يعني معناه: لا يدخل المسجد حتى ولو كان ما فيه مصلون؛ لأن هذا يتأذى به الملائكة؛ فالواجب على من أكل الثوم أو البصل أو الكراث، أو كانت به رائحة الدخان أو أسنان، أو رائحة الآباط الشديدة، يجتنب الناس حتى يتنظف من ذلك حتى يزول عنه ما به من الريح الكريهة، وفي حديث عمر أن الرسول كان يأمر بإخراجهم من المسجد إذا وجدوا منه الريح أمر بإخراجه، هذا يدل على أن الأمر عظيم وأن الواجب على المسلم أن يتباعد

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كرّاثاً أو نحوها برقم (٥٦٧).

عما يؤذي إخوانه، قول عمر: إنها خبيثتان؛ يعني: من جهة الرائحة خبيثتان من جهة الرائحة مثل ما قال ﷺ: **«كَسْبُ الحَجَّامِ خَبِيثٌ»** لا من جهة سوء الكسب، فهي خبيثة من جهة الرائحة، هي حلال طيب؛ لكن خبيثة من رائحتها فإذا أميت طبخاً إذا طبخت وزالت الريحة رجع إلى طيبها، خبثها من جهة الرائحة فإذا طبخها الإنسان حتى ذهب الريح فلا حرج في ذلك ولا بأس.

وفق الله الجميع.






٣١٢ ـ بَابُ كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب؛ لأنَّه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء

١٧٠٥ ـ **عن** مُعاذِ بن أنس الجُهَنِيِّ رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الحِبْوَةِ يَومَ الجُمعَةِ وَالإمَامُ يَخْطُبُ. رواه أبو داود والترمذي[1]، وقالا: حديث حسن.



(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الاحتباء والإمام يخطب برقم (١١١٠)، والترمذي في كتاب الجمعة، باب ما جاء في كراهية الاحتباء والإمام يخطب برقم (٥١٤)، وأحمد ٣/٤٣٩.




٣١٣ ـ بَابُ نهي من دخل عَلَيْهِ عشر ذي الحجة وأراد أنْ يضحي عن أخذ شيء من شعره أوْ أظفاره حَتَّى يضحّي

١٧٠٦ ـ عن أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، قالت: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الحِجَّةِ، فَلَا يَأخُذَنَّ من شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أظْفَارِهِ شَيْئاً حَتَّى يُضَحِّيَ». رواه مسلم[1].

﴿ الشَّرح ﴾

الحديث الأول [١٧٠٥]: فيما يتعلق بالحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب تكره لما ورد من الحديث وإن كان في سنده لين؛ لكن الحبوة مجلبة للنوم وقد تكون سبباً لانتقاض الوضوء، والحبوة هكذا كونه ينصب ساقيه وفخذيه يعتمد على مقعدته هذه الحبوة؛ لأنها وسيلة ارتخاء الأعضاء وربما خرج شيء، وربما جاءه النعاس ففات عليه استماع الخطبة؛ فالأولى للمؤمن تركها وقت الخطبة يكون متربعاً أو متوركاً أو مفترشاً كجلسة بين السجدتين، أو نحو ذلك غير الحبوة ابتعاداً عن أسباب انتقاض الوضوء وابتعاداً عن أسباب النعاس.

وفي **الحديث الثاني** [١٧٠٦]: الدلالة على أن من دخل عليه شهر ذي الحجة وهو يريد أن يضحي، عنده ذبح ليضحي، فإنه لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أهلَّ هِلَالُ ذِي**

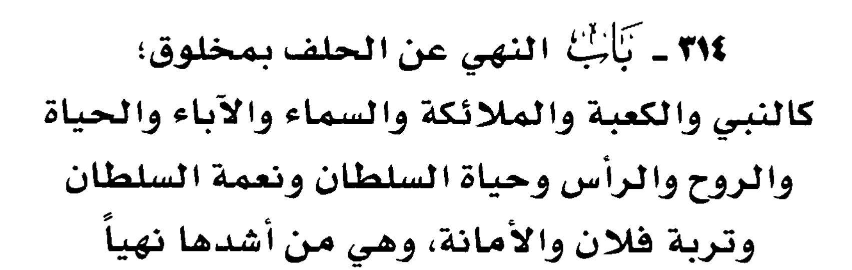
(١) أخرجه في كتاب الأضاحي، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجّة وهو مريد التّضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئاً برقم (١٩٧٧).

الحِجَّةِ فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئاً حَتَّى يُضَحِّيَ»، وفي لفظ: «**وَلَا بَشَرِهِ شَيْئاً**» وظاهر النهي المنع؛ يعني: الأصل في النهي التحريم يقول ﷺ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» والله يقول جلَّ وعلا: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر: ٧] فإذا أراد الإنسان أن يضحي سواءً عن نفسه أو عن أبيه أو أمه، والسُّنَّة أن يضحي كل إنسان عنه وعن أهل بيته، هذه السُّنَّة كل واحد يضحي عن نفسه وأهل بيته عن زوجته وأولاده ضحية واحدة، كما كان النبي يفعل والصحابة وإن ضحى بأكثر فلا بأس، النبي كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين أحدهما يذبح عن أهله وأهل بيته والثاني عمن وحد من أمته، فإذا ذبح الإنسان واحدة عن أهل بيته واثنين أو أكثر فإنه لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً، لا من إبطه ولا من أظفاره ولا من رأسه ولا من بشرته؛ يعني: جلده تقشير الجلد؛ بل يترك ذلك حتى يضحي، هذا هو السُّنَّة، أما الهدي لا ما يلزمه إذا كان ما عنده إلا هدي هدي التمتع ليس بضحية فله أن يأخذ بعد التحلل إذا تحلل من حجه فله أن يأخذ من شعره وأظفاره إذا ما عنده أضحية، أما الأضحية فهي الدم يتقرب به المسلم أيام عيد النحر في كل مكان، الأضحية مستحبة في كل مكان، في مكة، في المدينة، في البادية، في القرى، في المدن، في كل مكان الأضحية مستحبة لجميع المسلمين في يوم العيد وأيام التشريق أربعة أيام يوم العيد، ويوم الحادي عشر، والثاني عشر والثالث عشر إلى غروب الشمس، هذه أيام الذبح وهذه أيام العيد للضحية وللهدي هدي التمتع والقران والتطوع.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁





٣١٤ ـ بَابُ النهي عن الحلف بمخلوق؛ كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان والأمانة، وهي من أشدها نهياً

١٧٠٧ ـ **عن** ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عَلَيْهِ[1].

📖 وفي رواية في الصحيح: «فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلَا يَحْلِفْ إلَّا بِاللهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ».

١٧٠٨ ـ **وعن** عبد الرحمٰن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ». رواه مسلم[2].

▫ (الطَّواغِي): جَمْعُ طَاغِيَةٍ، وهِيَ الأصنَامُ. وَمِنْهُ الحَدِيثُ: (هذِهِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ)؛ أيْ: صَنَمُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ. وَرُوِيَ في غير مسلم: (بِالطَّوَاغِيتِ): جَمعُ طَاغُوت، وَهُوَ الشَّيْطَانُ وَالصَّنَمُ.

١٧٠٩ ـ **وعن** بُريدَةَ رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَلَفَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم برقم (٦٦٤٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النّهي عن الحلف بغير الله تعالى برقم (١٦٤٦).

(٢) أخرجه في كتاب الأيمان، باب من حلف باللّات والعزّى فليقل: لا إلـٰه إلّا الله برقم (١٦٤٨).

بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا». حديث صحيح، رواه أبو داود[١] بإسناد صحيح.

١٧١٠ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فقَالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإسْلَام، فَإنْ كَانَ كَاذِباً، فَهُوَ كمَا قَالَ، وإنْ كَانَ صَادِقاً، فَلَنْ يَرْجِعَ إلَى الإسْلَامِ سَالِماً». رواه أبو داود[٢].

١٧١١ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: لَا تَحْلِفْ بَغَيْرِ اللهِ، فَإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ، فقد كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رواه الترمذي[٣]، وقال: حديث حسن.

□ وفَسَّرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ قولَهُ: (كفَرَ أَوْ أشْرَكَ): عَلَى التَّغْلِيظِ، كما روي أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الرِّياءُ شِرْكٌ».

الشَّرح

هذه الأحاديث كلها تتعلق بالحلف بغير الله، قد دلت الأحاديث الصحيحة على تحريم الحلف بغير الله وأنه لا يجوز لأحد أن يحلف بغير الله، اليمين تكون بالله وحده، فإذا دعت الحاجة لليمين يكون بالله، قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» المقصود أنه لا يجوز الحلف بغير الله لا بالكعبة ولا بالأنبياء ولا بالملائكة ولا حياة السلطان، ولا بشرف أبيك، ولا بالأمانة ولا بغير ذلك من المخلوقات، الحلف تعظيم لا يكون إلا بالله وحده؛ ولهذا قال ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفاً

---

(١) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة برقم (٣٢٥٣).

(٢) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير ملة الإسلام برقم (٣٢٥٧).

(٣) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله برقم (١٥٣٥).

فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» في اللفظ الآخر: «**فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت**»، ويقول ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»، ويقول ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» في حديث عمر رضي الله عنه يقول ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»، وهكذا لا يحلف المرء بالإسلام يقول: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلَامِ**» (أو أنا يهودي أو نصراني لا يجوز، هذا يكفيه الحلف بالله والحمد لله) «**فَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلَامِ سَالِماً**».

فالواجب الحذر وألا يحلف بهذه الأشياء يهودي أو نصراني أو هو بريء من الإسلام إن فعل كذا، هذا لا يجوز، والواجب على المؤمن أن يكتفي بالحلف بالله، إذا دعت الحاجة يقول: والله أو بالله أو تالله ما فعلت كذا يكفي والحمد لله، قال النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ**»؛ فالمؤمن يصدق في يمينه، المحلوف له يرضى بالحكم الشرعي والحمد لله، يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي وَاليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**» لا بد من التقيد بالأمر الشرعي ولا يحل للإنسان أن يتجاهل الأمور الشرعية أو يعمل ما يعتاده أو جماعته أو قبيلته أو ما أشبه ذلك، لا يتقيد بالأمر الشرعي فلا يحلف إلا بالله وحده، ولا يحلف لا بآبائه ولا بأمهاته ولا بالأنداد، ولا بالأمانة، ولا بالنبي، ولا بشرف فلان ولا حياة فلان ولا حياة السلطان ولا غير ذلك.

وفق الله الجميع.






٣١٥ ـ بَابُ تغليظ اليمين الكاذبة عمداً

١٧١٢ ـ **عن** ابن مسعودٍ ﵁؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [آل عمران: ٧٧]. متفق عَلَيْهِ(١).

١٧١٣ ـ **وعن** أبي أُمَامَة إياس بن ثعلبة الحارثي ﵁؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ. وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «وإنْ كَانَ قَضِيباً مِنْ أرَاكٍ». رواه مسلم(٢).

١٧١٤ ـ **وعن** عبد اللهِ بن عمرو بن العاصِ ﵄، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ». رواه البخاري(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] برقم (٧٤٤٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حقّ مسلم بيمينٍ فاجرةٍ بالنّار برقم (١٣٨).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حقّ مسلمٍ بيمينٍ فاجرةٍ بالنّار برقم (١٣٧).

(٣) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤]، دخلاً مكراً وخيانة برقم (٦٦٧٥).

📖 وفي روايةٍ لَهُ؛ أنَّ أعْرابِياً جَاءَ إِلَى النبيّ ﷺ، فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الإشْرَاكُ بِاللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ: «اليَمِينُ الغَمُوسُ» قلتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ!»؛ يعني: بِيَمِينٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ.

الشَّرْح

هذه الأحاديث فيما يتعلق باليمين الكاذبة لا يجوز للمسلم أن يحلف وهو كاذب في الخصومات والدعاوى ولا في غير ذلك؛ بل يجب أن يتحرى الصدق في أيمانه وفي كلامه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، قال الله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ» الحديث؛ فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يتحرى الصدق في خصوماته ودعاواه وأيمانه وغيره، من ذلك يقول ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَهْوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ» صبر؛ يعني: حبس؛ يعني: من حبس نفسه على اليمين؛ يعني: تكلف اليمين لطمع الدنيا، أو لعداوة ونحو ذلك وهو فيها كاذب «لَقِيَ اللهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَان»، في اللفظ الآخر يقول ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: (وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللهِ)، قَالَ: «وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ».

يعني: عوداً من أراك هذا من باب التحذير والتخويف والترهيب من الظلم، ويقول ﷺ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ

وَعِرْضُهُ»[(١)].

وسئل عن الكبائر: «الكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ»، قُلْتُ: (وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟) قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ» سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم تغمسه في النار؛ فالواجب على الإنسان في الدعاوى وغيرها يتحرى الصدق وألا يؤثر الدنيا على الآخرة، فعليه أن يتحرى الصدق في أيمانه وشهاداته وغير ذلك، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه ﷻ والكبائر أنواع، منها اليمين الغموس هذا من الكبائر، وهكذا قتل النفس بغير حق، هكذا العقوق، هكذا الربا، هكذا الغيبة والنميمة، كل هذه من كبائر الذنوب، والمؤمن يحذر كبائرها وصغائرها يحذر الكبائر والصغائر؛ لأن فعل الصغائر يفضي إلى الكبائر.

نسأل الله العافية والسلامة



(١) سبق تخريجه برقم (٢٣٤) ج١.



٣١٦ ـ بَابُ ندب من حلف عَلَى يَمينٍ فرأى غيرها خيراً مِنْهَا أنْ يفعل ذَلِكَ المحلوف عَلَيْهِ ثُمَّ يُكَفِّر عن يمينه

١٧١٥ ـ **عن** عبد الرحمٰن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ». متفق عَلَيْهِ[١].

١٧١٦ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ، فَرَأى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». رواه مسلم[٢].

١٧١٧ ـ **وعن** أبي موسى رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنِّي واللهِ إنْ شاءَ اللهُ لا أحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ أَرَى خَيراً مِنْهَا إلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». متفق عَلَيْهِ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] برقم (٦٦٢٢)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الّذي هو خيرٌ ويكفّر عن يمينه برقم (١٦٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الّذي هو خيرٌ ويكفّر عن يمينه برقم (١٦٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ برقم (٦٦٢٣)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الّذي هو خيرٌ ويكفّر عن يمينه برقم (١٦٤٩).

١٧١٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ في يَمِينِهِ في أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أنْ يُعْطِي كَفَّارَتَهُ الَّتي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ». متفق عَلَيْهِ[1].

□ قَوْلُهُ: (يَلَجّ): بفتح اللام وتشديد الجيم؛ أيْ: يَتَمَادَى فِيهَا، وَلَا يُكَفِّرُ، وَقَولُهُ: (آثَمْ): هُوَ بالثاء المثلثة؛ أيْ: أَكْثَرُ إثْماً.

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بكفارة اليمين والمضي فيما هو خير وأفضل، إذا حلف الإنسان على شيء ثم تبين له أن الخلاف أولى، وهذا من محاسن الشريعة أن الله جلَّ وعلا شرع للعبد إذا حلف على يمين ورأى أن إمضاء اليمين لا خير فيه وأن الخير عدم إمضائها، فإنه لا يمضيها ويكفر عنها؛ ولهذا قال ﷺ لعبد الرحمٰن بن سمرة: «وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ» وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ وَلْيَفْعَلْ» ويقول ﷺ: «وَإِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ أَرَى خَيْراً مِنْهَا إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»، وهكذا قوله: «وَاللهِ لأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ».

---

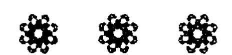
(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] برقم (٦٦٢٥)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النّهي عن الإصرار على اليمين فيما يتأذّى به أهل الحالف ممّا ليس بحرامٍ برقم (١٦٥٥).

فالحاصل أن الإنسان إذا حلف على يمين وتبين له بعد ذلك أن تركها أصلح وعدم المضي فيها أصلح فإنه يكفر عن يمينه، مثل: حلف ألا أزور فلان ثم تبين له أن زيارته أنسب فيها مصالح، فيها تعلم علم، فيها دعوة إلى الله، يكفر عن يمينه ويزور، أو: والله ما أكلم فلان يهجره ثم تبين له مخطئ أنه ما يستحق الهجر يكفر عن يمينه، أو قال: والله ما أتزوج ثم رأى أن الزواج أصلح يتزوج ويكفر عن يمينه، أو قال: والله ما أحج هذه السنة ثم تبين له أن الحج هذه السنة مناسب يكفر عن يمينه ويحج، أو قال: والله ما أسافر اليوم ثم رأى أن سفره اليوم أنسب يسافر يكفر عن يمينه، هكذا المقصود أنه إذا حلف على شيء فعل أو ترك ثم تبين له الأصلح عدم ما حلف عليه يكفر عن يمينه بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة، فإن عجز يصوم ثلاثة أيام ولا يلج في يمينه لأنه اتضح له أن اللجاج في يمينه ليس بأصلح بل غلط فيأخذ بالصواب ويترك الخطأ، وهذا من رحمة الله ومن إحسان الله جلَّ وعلا ومن محاسن هذه الشريعة، الله جلَّ وعلا شرع لهم ما هو الأرفق، وما هو الأحب إليه، وما هو الأنفع قال جلَّ وعلا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهكذا النذر إن كان نذر لله ما يسافر نذر ما أكلم فلان مثل اليمين حكمه حُكم اليمين، إذا رأى المصلحة في عدمه يكفر عن النذر كفارة يمين؛ إلا إذا كان نذر طاعة إن كان نذر لله أنه يصوم يوم الاثنين نذر لله أني أحج هذا العام يحج يصوم؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ**». أما إذا كان في أمور الدنيا فيعمل بالأصلح فأمور الدنيا ليست بعبادة النذر مثل اليمين إذا نذر لله أنه ما يسافر اليوم رأى المصلحة في السفر

يسافر يكفر عن نذره كفارة يمين، نذر لله إنه ما يكلم فلاناً ثم أن تكليمه أنسب وأنه ما يستحق الهجر يكفر عن نذره كفارة يمين.

وفق الله الجميع






٣١٧ ـ بَابُ العفو عن لغو اليمين وأنَّه لا كفارة فِيهِ، وَهُوَ مَا يجري عَلَى اللسان بغير قصد اليمين كقوله عَلَى العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذَلِكَ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٨٩].

١٧١٩ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: أُنْزِلَتْ هذِهِ الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ في قَوْلِ الرَّجُلِ: لا واللهِ، وَبَلَى واللهِ. رواه البخاري[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] برقم (٤٦١٣).



٣١٨ ـ بَابُ كراهة الحلف في البيع وإنْ كان صادقاً

١٧٢٠ ـ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: سَمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». متفق عليه(١).

١٧٢١ ـ وعن أبي قتادة ﷺ؛ أنَّه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «إيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ، فَإنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ». رواه مسلم(٢).

❁ ❁ ❁

❁ الشَّرح ❁

هذه الأحاديث مع الآية الكريمة [١٧١٩ ـ ١٧٢٠ ـ ١٧٢١] فيها الحث على حفظ اليمين والحذر من الإكثار منها؛ لأن الإكثار منها وسيلة إلى الكذب والحلف بغير حق والله يقول: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] فالمشروع للمؤمن الحرص على حفظ يمينه وألا يحلف إلا على شيء له أهمية، أما غالب الأشياء ينبغي له أن يتجنب فيها الحلف؛ لئلا يجره ذلك إلى الكذب، وأما اللغو هو الذي يجري على اللسان بغير قصد، هذا يسمى لغو اليمين، ليس فيه شيء، قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، في الآية الأخرى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩] فالأيمان التي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦] برقم (٢٠٨٧)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب النّهي عن الحلف في البيع برقم (١٦٠٦).

(٢) أخرجه في كتاب المساقاة، باب النّهي عن الحلف في البيع برقم (١٦٠٧).

يعقدها الإنسان ويكسبها بقلبه ينويها هذه التي فيها الكفارة، فإذا قال: والله قاصداً لا أسافر والله ما أكلم فلان عن قصد هذا فيه الكفارة إذا حلف، أما يتحدث هو وصاحبه والله ما فعلت كذا والله ما صار كذا هذه صاير ما قصد فيه اليمين هذا مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ: لَا، وَاللهِ بَلَى وَاللهِ؛ يعني: في حديث العابر الذي ليس فيه قصد الحلف على شي، والكفارة وضحها الله في سورة المائدة إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد؛ يعني: من عجز عن الثلاثة صام ثلاثة أيام وينبغي أن تكون متتابعة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي **الأحاديث الأخيرة** التحذير من الحلف في البيع وكثرة الأيمان فإنها قد تجر إلى الكذب، ولهذا قال ﷺ: «**الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**»؛ يعني: ما درج السلعة يصدقونه يدرج سلعته بالأيمان؛ لكنها تمحق الكسب؛ لأن الغالب يكون فيها الكذب وهكذا قوله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ فإنه يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ**»؛ يعني: ينفق السلعة يدرجها ثم يمحق بركة الثمن فالواجب على المؤمن أن يكون حافظاً ليمينه قليل الحلف إلا عند الحاجة حتى لا تقع منه الكارثة اليمين الغموس نسأل الله العافية.

وفق الله الجميع.





٣١٩ ـ بَابُ كراهة أنْ يسأل الإنسان بوجه الله ﷻ غير الجنة، وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به

١٧٢٢ ـ **عن** جابر رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلا الجَنَّةُ». رواه أبو داود(١).

١٧٢٣ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ باللهِ، فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ، فأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَد كَافَأْتُمُوهُ». حديث صحيح رواه أبو داود(٢) والنسائي بأسانيد الصحيحين.



---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله ﷻ برقم (١٦٧١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله ﷻ برقم (١٦٧٢)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب من سأل بالله ﷻ برقم (٢٥٦٧).




٣٢٠ ـ بَابُ تحريم قوله: شاهنشاه للسلطان وغيره؛ لأن معناه ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله ﷻ

١٧٢٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ ﷻ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ**». متفق عليه[(١)].

قال سُفيانُ بن عُيَيْنَةَ: (مَلِكُ الأَمْلَاكِ): مِثْلُ: شَاهِنْ شَاهِ.

الشَّرح

هذه الأحاديث [١٧٢٢ ـ ١٧٢٣ ـ ١٧٢٤] تتعلق بالسؤال بوجه الله والسؤال بالله وقول فلان ملك الملوك، والسؤال بوجه الله لا ينبغي إلا إذا كان يسأل الجنة وما يقرب إليها؛ لقوله ﷺ: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ**» والحديث في إسناده بعض الشيء؛ لكنه مقارب تعظيماً لله جلَّ وعلا وأنه لا يسأل بوجهه إلا الشيء العظيم وهو الجنة أو ما يقرب إليها؛ كسؤال الثبات على الحق والاستقامة على الهدى وحسن الختام وأشباه ذلك؛ لأن هذا سؤال يؤدي إلى الجنة، ومن هذا ما يروى في الحديث: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة**»[(٢)] لما خرج من الطائف عليه الصلاة والسلام؛ فالمقصود أن سؤال الله بوجهه ﷻ أو بنور وجهه إذا كان للجنة وما يقرب إليها فلا بأس.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله برقم (٦٢٠٥ و٦٢٠٦)، ومسلم في كتاب الآداب، باب تحريم التسمّي بملك الأملاك وبملك الملوك برقم (٢١٤٣).

(٢) جامع الأحاديث للسيوطي (٦/ ١٥٥).

وفي **الحديث الثاني** حديث ابن عمر الدلالة على أنه ينبغي مساعدة من سأل بالله ومن استعاذ بالله ومن دعا يجاب الدعوة قال النبي ﷺ: «**مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ**»؛ يعني: تعظيماً لهذا الأمر إذا كان يستحق، فقير، أو يطلب من الزكاة، أما إذا كان لا يستحق يمنع من السؤال؛ لكن مراده ﷺ إذا سأل بالله هو أهل للعطاء يعطى، إما من الزكاة إن كان من أهلها أو من غير الزكاة، وفيها يقول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠] «**وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ**» إذا قال: أنا عائذ بوجه الله أن تجبروني بكذا، أو أنا أعوذ بالله أن تلزموني بكذا، يعاذ إلا استعاذ بشيء يلزمه؛ يعني: يلزم بذلك، كأن يستعيذ بالله أن يلزم بالصلاة أو يلزم بأداء قضاء الدين، هذا ما يطاع يلزم بالحق؛ لكن استعاذ بالله بشيء لا يلزمه يعاذ؛ كأن يلزم بالسفر أو بالزواج بفلانة أو بما أشبه ذلك، ومن هذا ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما لما أراده عثمان على القضاء قال: أعوذ بالله من ذلك، فأعاذه عثمان ولم يلزمه «**وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ**» إذا دعا إلى وليمة يجاب الدعوة النبي ﷺ أمر بإجابة الدعوة، قَالَ البَرَاء رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، ذكر منها وَإِجَابَةِ الدَّاعِي في الحديث الصحيح: «**مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»[1].

فإذا دعاه أخوه وليمة عرس أو عقيقة أو إكراماً له دعوة خاصة يجيب الدعوة إذا كان الداعي ليس ممن يستحق الهجر، أما إذا كان الداعي يستحق الهجر؛ لكونه قد أعلن المعاصي أو ما أشبه ذلك، فلا بأس، لا يستحق الإجابة؛ يكون عذر أو كان الإنسان لا يستطيع لمرضه،

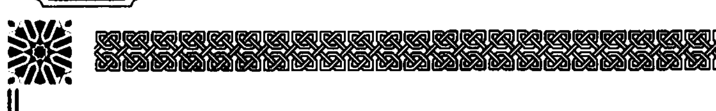
---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٦٦) ج١.

أو لأن الدعوة فيها منكر لا يحضرها، فله العذر «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ» هذا من مكارم الأخلاق إذا صنع المعروف تكافئ، أنجاك من مظلمة، حماك من عدو، قضى دينك إذا تيسر لك ولو بالدعاء طيب «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ» إذا ما تيسرت المكافأة المالية فالدعاء، وبعض الناس لا يحتاج إلى مكافأة مالية يحتاج إلى مكافأة بالدعاء لكونه صنع معروفاً قضى دينك، فرج كربتك منعك من ظالم أعانك على الزواج إلى غير هذا من المعروف «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا» (يعني: حتى تعلموا في الرواية الأخرى تُروا؛ يعني: حتى تظنوا) «أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»؛ يعني: حتى يغلب على الظن أنك قد كافأت بالدعوات الطيبة، وفي قوله ﷺ: «إن أَخْنَع اسْم عِنْدَ اللهِ»، وَقَالَ سُفْيَانُ غَيْرَ مَرَّةٍ: (أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ «رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ») هذا من الأسماء المنكرة؛ ولهذا قال ﷺ: «إن خْنَعُ اسْم» أخنع؛ يعني: أوضعَ وأردأ اسم عند اللهِ «رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ» لا مالك إلا الله من يقول: ملك الملوك أو ملك الأملاك أو حاكم الحكام لا يجوز؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: شَاهَانْ شَاهْ لسان العجم، لسان العجم شاهان شاه لملك الملوك فلا يجوز هذا التسمي؛ لا يجوز التسمي بأسماء الله التي لا يسمى بها غيره، كالله والرحمٰن، ملك الملوك، رحمان الدنيا والآخرة، الرحمٰن الرحيم، الأسماء الخاصة بالله جلَّ وعلا.

وفق الله الجميع.






٣٢١ ـ بَابُ النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بِسَيِّد ونحوه

١٧٢٥ ـ **عن** بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عز وجل». رواه أبو داود[1] بإسنادٍ صحيح.



(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك: «ربّي وربّتي» برقم (٤٩٧٧).




٣٢٢ ـ بَابُ كراهة سب الحمّى

١٧٢٦ ـ عن جابر رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دخلَ على أُمِّ السَّائِبِ، أو أُمِّ المُسَيّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ ـ أو: يَا أُمَّ المُسَيَّبِ ـ تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتْ: الحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا! فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الحُمَّى فَإنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيْرُ خَبَثَ الحَدِيدِ». رواه مسلم(١).

□ (تُزَفْزِفِينَ)؛ أيْ: تَتَحَرَّكِينَ حَرَكَةً سَرِيعَةً، وَمَعْنَاهُ: تَرْتَعِدُ. وَهُوَ بِضَمِّ التاء وبالزاي المكررة والفاء المكررة، وَرُوِيَ أيضاً بالراء المكررة والقافين.

الشَّـرح

في هذان الحديثان [١٧٢٥ ـ ١٧٢٦] التحذير عن سب الحمى فإنها يمحو الله بها الخطايا ويكفر بها السيئات، والنهي عن تسمية المنافق ومن أظهر المعاصي سيداً أو كريماً أو ما أشبه ذلك من صفات التزكية؛ لأنه جدير بضد ذلك، فمن تظاهر بالبدع والمعاصي والنفاق لا يقال له: سيد ولا يزكى، بل يوجه إلى الخير ويحذر مما هو فيه من الباطل ولا يزكى، تزكيته إغضاب لله؛ لأنه وصف له بما لا يليق، فلا ينبغي للمؤمن أن يسمي من عرف بالنفاق والبدعة أو المعاصي الظاهرة سيداً، أو يا كريم أو فلان بالعبارات الرفيعة، كل هذا لا يليق.

أما الحمى يكفر الله بها الخطايا، وهي أيضاً تصيب الأنبياء

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرضٍ أو حزنٍ أو نحو ذلك حتّى الشّوكة يشاكها برقم (٢٥٧٥).

والأخيار؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«لَا تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ»**.

وهكذا لا ينبغي سب ما لا يستحق السب يسب الحمى أو سب الأمراض الأخرى لا؛ ولكن يسأل الله العافية يسأل ربه العافية، وإنما من يستحق السب من أظهر الكفر والشر هذا هو الذي يستحق ودعا إليه كما سب النبي ﷺ دعاة الكفر أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم من صناديد الكفر ولعنهم على رؤوس الأشهاد

أما من سالمنا وكف شره عنا فلا يسب، هكذا المسلم لا يسب أخاه يقول النبي ﷺ: **«لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ»**(١).

ويقول ﷺ: **«سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»**(٢).

ويقول ﷺ: **«إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ»**(٣).

فلا يليق بالمؤمن أن يكون سبّاباً ولا لعّاناً ولكن من كان مظهر الفسق والبدعة لا يلقب بالألقاب الرفيعة كالسيد ونحوه.

وفق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٥٥٥).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٥٥٩).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم (٢٥٩٨).




٣٢٣ ـ بَابُ النهي عن سب الريح، وبيان ما يقال عند هبوبها

١٧٢٧ ـ **عن** أبي المنذِرِ أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن صحيح.

١٧٢٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «الرِّيحُ مِنْ رَوحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ شَرِّهَا». رواه أبو داود[٢] بإسناد حسن.

▫ قوله ﷺ: (مِنْ رَوْحِ اللهِ): هو بفتح الراء؛ أي: رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

١٧٢٩ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النَّبِيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قال: «اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». رواه مسلم[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه في كتاب الفتن، باب ما جاء في النّهي عن سبّ الرّياح برقم (٢٢٥٢).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الرّيح برقم (٥٠٩٧).

(٣) أخرجه في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التّعوّذ عند رؤية الرّيح والغيم والفرح بالمطر برقم (٨٩٩)، رقم حديث الباب (١٥).




٣٢٤ ـ بَابُ كراهة سب الديك

١٧٣٠ ـ **عن** زيد بن خالد الجُهَنِيِّ ﷺ قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ». رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

الشَّرح

هذه الأحاديث كلها [١٧٢٧ ـ ١٧٢٨ ـ ١٧٢٩ ـ ١٧٣٠] تتعلق بالريح، يبين النبي ﷺ أن الريح ترسل بالخير والشر فترسل رحمة لقوم، وعذاباً لآخرين، وقد أهلك بها قوم هود لما اشتد كفرهم وعتوا في الأرض ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] فأرسل الله عليهم الريح العقيم. قال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وهلكوا عن آخرهم وأرشد ﷺ إلى أنه ينبغي للمؤمن إذا رأى من الريح ما يكره أن يقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»، في اللفظ الآخر: «**وَمِنْ خَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**». وهذا دعاء جامع يسأل الله خيرها ويتعوذ بالله من شرها، أما سبها؛ فلا يجوز سبها لأنها مأمورة تؤمر بالخير والشر؛ فالمؤمن يسأل الله خيرها ويتعوذ بالله من شرها، وهكذا الديك جاء في الحديث الصحيح: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فإنه رَأَى شَيْطَاناً**»[2].

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب ما جاء في الديك والبهائم برقم (٥١٠١).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال برقم (٣٣٠٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم برقم (٢٧٢٩).

فالديكة لا تسب؛ لأنه يستعان بها على أوقات الصلاة تنفع كان فيما مضى من الزمان قبل مجيء الساعات واستعمال الساعات ينتفعون بالديكة؛ لأن الله جلَّ وعلا جبلها على أوقات معينة تؤذن فيها يعرف بأذانها أوقات الصلوات، فهي من آيات الله فلا يجوز سبها بل إذا سمع صوتها يسأل الله من فضله: اللَّهُمَّ إني أسألك من فضلك، كما يقول: أعوذ بالله من الشيطان عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمر.

وفق الله الجميع.





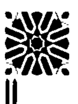

٣٢٥ - بَابُ النهي عن قول الإنسان: مُطِرنا بنَوء كذا

١٧٣١ - **عن** زيد بن خالد ﷺ قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَّةِ في إثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فقالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟» قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قال: «قالَ: أصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأما مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذلك كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ». متفق عليه[١].

▫ وَالسَّماءُ هُنَا: المَطَرُ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام النّاس إذا سلّم برقم (٨٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنّوء برقم (٧١).




٣٢٦ ـ بَابُ تحريم قوله لمسلم: يا كافر

١٧٣٢ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذَا قَالَ الرَّجُلُ لأخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كانَ كَمَا قَالَ وَإلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ». متفق عليه(١).

١٧٣٣ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه؛ أنَّه سَمِعَ رسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بالكُفْرِ، أو قالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذلك إلَّا حَارَ عَلَيْهِ». متفق عليه(٢).

□ (حَارَ): رَجَعَ.

الشَّرح

الحديث الأول [١٧٣١]: يدل على شرعية أن يقول المؤمن عند نزول المطر: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ» هذا هو المشروع عند نزول الأمطار يقول المؤمن: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ»؛ ولهذا أخبرهم النبي ﷺ لما نزل عليهم المطر وهم في الحديبية وصلى بهم الصبح قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: (اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ)، قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ: فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِك مُؤْمِنٌ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفّر أخاه بغير تأويلٍ فهو كما قال برقم (٦١٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر برقم (٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السّباب واللعن برقم (٦٠٤٥)، ومسلم في كتاب الايمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم (٦١).

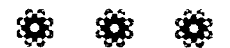
بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ» هذا يدل على أنه ينبغي عند نزول الأمطار أن تنسب النعم إلى الله ﷻ؛ يعني: هو الذي نزل المطر ويسره فيقول المؤمن: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ»، كان النبي يقول إذا نزل المطر: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّباً نَافِعاً» الصيب النازل؛ يعني: اللَّهُمَّ اجعله نازلاً نافعاً للمسلمين، وكان إذا نزل المطر حسر ثوبه حتى يصيبه المطر؛ ولا يجوز أن يقال: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا؛ يعني: النسبة للنجوم، النجوم ليس لها تأثير وليس لها عمل، إنما هي زينة للسماء ورجوم للشياطين وعلامات يهتدى بها ليس لها تصرف في شيء، فلا يجوز أن يقال: مطرنا بنوء كذا أو سقينا بنوء كذا أو بنجم كذا، هذا لا يجوز، أما لو قالوا: سقينا في الوسمي في الشتاء في الصيف يخبر عن الوقت لا بأس، أما سقينا بنجم كذا أو مطرنا بنجم كذا هذا لا يجوز؛ لأن النسبة إلى النجم والنجم ليس له تصرف؛ فلهذا سماه النبي كفراً ويستحب أن يقول: «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ» «اللَّهُمَّ صَيِّباً نَافِعاً».

ولا يجوز للإنسان أن يقول لأخيه: يَا كَافِرُ أو: يَا عَدُوَّ اللهِ لا يجوز أن يقول هذا الكلام؛ لأنه إذا قال له: يا كافر وليس كذلك رَجَعَ عَلَيْهِ كلامه، أو قال: يا عدو الله أو فاسق، أو يا خبيث رجع إليه كلامه إذا كان صاحبه ليس أهلاً لذلك؛ ولهذا يقول ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا (يعني: أن المقول له كافر)، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ» وهكذا قول: يا عدو الله أو يا كافر أو يا خبيث، أو يا فاسق، أو يا منافق لا يقول لأخيه ذلك؛ يعني: إذا قال له هذا الكلام وهو ليس أهلاً لذلك رجع إليه وصار هو الذي سب نفسه وهو أحق بهذا الوصف؛ لكن ما كان كافراً يقال له كافر، أما يسب أخاه إذا غضب عليه يقول: يا كافر، أو يا عدو الله، أو يا فاسق من أجل غضبه عليه هذا غلط ما يجوز، هذا السب يرجع إليه هو، ويكون هو

الجدير بهذا، وهو الآثم بهذا نسأل الله العافية، والواجب على المؤمن أن يتوقى شر لسانه، اللسان هذا خطير؛ فالواجب على المسلم أن يتوقى شر لسانه ويحفظه؛ ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**»، ويقول ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، من سَخَطَ اللهِ مَا يَتَبَيَّنُ** (يعني: ما يتثبت فيها) **فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**»[1]، وفي اللفظ الآخر: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يُلْقِي لَهَا بَالاً** (يعني: خبيثة)، **يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ**»؛ فالواجب التوقي من شر اللسان والحذر من شر اللسان.

وفي حديث معاذ يقول ﷺ: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**» اللسان خطير؛ فالواجب الحذر وأن تصونه إلا من الخير، إما أن تقول خيراً، وإما أن تحفظ لسانك حتى لا تقع في الشر.

وفق الله الجميع.



(١) سبق تخريجه برقم (١٥١٦).

٣٢٧ ـ بَابُ النهي عن الفحش وبذاء اللسان

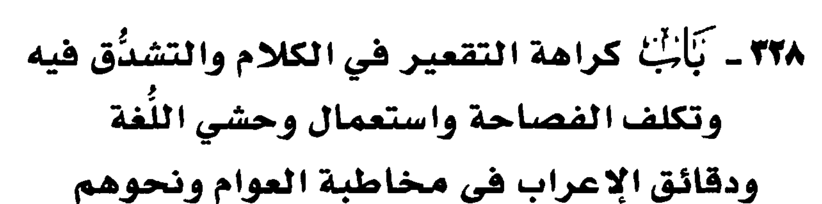
١٧٣٤ ـ **عن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ». رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن.

١٧٣٥ ـ **وعن** أنسٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].



(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة برقم (١٩٧٧).
(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش برقم (١٩٧٤).





٣٢٨ ـ بَابُ كراهة التقعير في الكلام والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم

١٧٣٦ ـ **عن** ابن مسعود ﷺ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلاَثاً. رواه مسلم(١).

□ (المُتَنَطِّعُونَ): المُبَالِغُونَ فِي الأُمورِ.

١٧٣٧ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ؛ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ». رواه أبو داود والترمذي(٢)، وقال: حديث حسن.

١٧٣٨ ـ **وعن** جابر بن عبد الله ﷺ؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: «إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إلَيَّ، وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يومَ القِيَامَةِ، أحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً، وإنَّ أبْغَضَكُمْ إلَيَّ، وأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَومَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ». رواه الترمذي(٣)، وقال: حديث حسن. وقد سبق شرحه في بَابِ حُسْنِ الخُلُقِ.

---

(١) أخرجه في كتاب العلم، باب هلك المتنطّعون برقم (٢٦٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدّق في الكلام برقم (٥٠٠٥)، والترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان برقم (٢٨٥٣)، وأحمد ٢/ ١٦٥ و١٨٧.

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق برقم (٢٠١٨)، وانظر الحديث رقم (٦٣١).

﴿ الشَّـرْح ﴾

هذه الأحاديث [١٧٣٤ ـ ١٧٣٥ ـ ١٧٣٦ ـ ١٧٣٧ ـ ١٧٣٨] فيها التحذير من الفحش والتفحش وسوء الكلام، والحث على طيب الكلام والحرص على الحياء وعدم التكلف في الكلام والتقعر، يكون سمحاً في كلامه سمحاً في مخاطباته لا يتكلف؛ ولهذا أخبر ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ**»[١]، وقال: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**»، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ**»؛ فالمؤمن يتباعد عن فحش الكلام ورديء الكلام من ذكر الفواحش والمعاصي، قلّة الحياء ويكون طيبا الكلام نزيه اللسان ولا ينبغي له تقعر الكلام المبالغة في الحديث: «**إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ**» الذي يتقعر بلسانه ويتكلف، وكذلك قوله ﷺ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**» قَالَهَا ثَلَاثاً المتنطع المتشدد المبالغ في الكلام من دون حاجة، وكذلك قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**» الثرثارون أهل الكلام الكثير بلا فائدة والمتكبرون معروف التكبر والتغطرس والترفع على الناس، وغمطهم واحتقارهم، والمتفيهق هو الذي عنده زيادة في التكبر والتكلف، فينبغي للمؤمن أن يكون متواضعاً طيب الكلام بعيداً عن الثرثرة والفحش وسوء الكلام والغيبة والنميمة، حريصاً على الكلام الطيب والأسلوب الحسن والرفق والتواضع، هكذا المؤمن التواضع يكون من أحسن خصال المؤمن التواضع والرفق وطيب الكلام، أما الفحش والتفحش والتكلف فليس من

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة ﵂ في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام... برقم (٢١٦٥).

صفات المؤمن؛ بل هو من صفات المتكبرين والمترفعين عن الناس والمحتقرين للناس، نسأل الله للجميع الهداية.






٣٢٩ ـ بَابُ كراهة قوله: خَبُثَتْ نَفْسي

١٧٣٩ ـ **عن** عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ ﷺ، قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسي». متفق عليه[1].

□ قالَ العُلَمَاءُ: مَعْنَى: (خَبُثَتْ): غَثَتْ، وَهُوَ مَعْنَى: (لَقِسَتْ): وَلَكِنْ كَرِهَ لَفْظَ الخُبْثِ.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يقال: خبثت نفسي برقم (٦١٧٩)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي برقم (٢٢٥٠).



٣٣٠ ـ بَابُ كراهة تسمية العنب كرماً

١٧٤٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإِنَّ الكَرْمَ المُسْلِمُ». متفق عليه[١]، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية: «فَإِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ».

وفي رواية للبخاري ومسلم: «يَقُولُونَ الكَرْمُ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ».

١٧٤١ ـ وعن وائلِ بنِ حُجرٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «لَا تَقُولُوا: الكَرْمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، والحَبَلَةُ». رواه مسلم[٢].

□ (الحَبَلَةُ): بفتح الحاء والباء، ويقال أيضاً بإسكان الباء.

الشَرح

هذه الأحاديث [١٧٣٩ ـ ١٧٤٠ ـ ١٧٤١] تتعلق بالأدب الشرعي في الأقوال وأن المؤمن يحرص على الآداب الشرعية في الأقوال فهذه الشريعة العظيمة جاءت بترغيب الناس في طيب الأقوال والأعمال وفي تحذيرهم من خبيث القول والعمل، ومن ذلك هذا الحديث: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي» فإن هذه الكلمة غير

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبيّ ﷺ: «إنّما الكرم قلب المؤمن». برقم (٦١٨٣) ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب كراهة تسمية العنب كرماً برقم (٢٢٤٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه في كتاب الألفاظ من الأدب، باب كراهة تسمية العنب كرماً برقم (٢٢٤٨) حديث الباب (١٢).

لائقة، فلا يقل: خَبُثَتْ نفسي ولكن يقول: لَقِسَتْ؛ يعني: تغيرت، تغير نفسي، أو تكدر نفسي، أو لقست نفسي ....[1] الخبث لأن كلمة الخبث كلمة مستبشعة؛ فلهذا كرهها النبي ﷺ ونهى عنها أن يقول: خبثت نفسي؛ ولكن يأتي بكلمة أحسن منها: لقست تكدرت تغيرت أو ما أشبه ذلك.

كذلك من الآداب عدم تسمية العِنب الكرمَ، كانت العرب تسمي العنب الكرم لما فيه من الطيب، ثمرة طيبة؛ لكن يقول ﷺ: «لَا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإِنَّ الكَرْمَ الرَّجُلُ المُسْلِمُ» فيقال لها العنب والحبلة؛ ويقال: الكَرْمَ قَلْبُ المُؤْمِنِ من باب الآداب في الألفاظ، فالأفضل والسُّنَّة أن يطلق هذا اللفظ على قلب المؤمن، والمؤمن نفس؛ لأن الله أكرمه بالتقوى والتوحيد والدين فهو كريم على الله وقلبه هو الكرم، كل هذا من الآداب في الألفاظ.



(١) كلمة غير واضحة.




٣٣١ ـ بَابُ النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلَّا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه

١٧٤٢ ـ **عن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُبَاشِرِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فَتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا». متفق عليه[1].



(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها برقم (٥٢٤٠)، ولم أجده في مسلم.




٣٣٢ ـ بَابُ كراهة قول الإنسان: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ بل يجزم بالطلب

١٧٤٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول اللهِ ﷺ، قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ». متفق عليه(١).

📖 وفي رواية لمسلم: «وَلكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعَظمِ الرَّغْبَةَ فَإنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

١٧٤٤ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا دَعَا أحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ، فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ». متفق عليه(٢).

الشَّرح

الحديث الأول [١٧٤٢]: فيه الدلالة على النهي عن وصف المرأة للرجل المرأة كأنه يشاهدها «**لَا تُبَاشِرِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا**»؛ لأن هذا قد يفتنه قد يسبب شرّاً من تعلق قلبه بها فلا يجوز هذا الكلام إلا من حاجة كأن يخطبها للزواج، بين صفاتها للخطبة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنّه لا مكره له برقم (٦٣٣٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدّعاء ولا يقل إن شئت برقم (٢٦٧٨)، ومن حديث أبي هريرة برقم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة برقم (٦٣٣٨) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت برقم (٢٦٧٨).

لحاجة أو أمة تشترى تصفها له حتى يشتريها، أما لغير الحاجة فلا؛ لأن هذا قد يفتن الرجل، قد يسبب تعلقه بها قد يقع بسببها فيما لا ينبغي.

وفي الحديث الثاني والثالث [١٧٤٣ ـ ١٧٤٤]: الدلالة على أنه ينبغي للداعي أن يعزم الرغبة فيما عند الله وأن لا يستثني، فإذا دعا ربه فليجزم وليعظم الرغبة، فإن الله سبحانه هو الجواد الكريم لا يتعاظمه شيء أعطاه جلَّ وعلا، فلا يقول: اللَّهُمَّ اغفر لي إن شئت، اللَّهُمَّ ارحمني إن شئت، اللَّهُمَّ أعطني كذا إن شئت لا، يعزم المسألة، اللَّهُمَّ اغفر لي، اللَّهُمَّ ارحمني، اللَّهُمَّ أنجني من النار، اللَّهُمَّ يسر أمري، اللَّهُمَّ اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك، يجزم لا يعلق كأن إذا علق المعنى إن أعطيتني ولا ليس لي حاجة أنا مستغني ما يصلح هذا، أنت في فقر إلى الله في حاجة إلى الله، وفي ضرورة إلى ربك فلا تعلق، اللَّهُمَّ اغفر لي، اللَّهُمَّ ارحمني، اللَّهُمَّ أنجني من النار، اللَّهُمَّ ألبسني لباس العافية، اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل، اجزم جزماً وأعظم الرغبة واسأل الله بأسمائه وصفاته؛ لأنك مضطر إليه وأنت الفقير إليه سبحانه هو الغني عنك جلَّ وعلا؛ ولهذا أمر الرسول ﷺ بالجزم والعزم وعدم التعليق.

وفق الله الجميع.






٣٣٣ ـ بَابُ كراهة قول: ما شاء اللهُ وشاء فلان

١٧٤٥ ـ عن حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ ﷺ، عن النبيّ ﷺ، قال: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ؛ وَلكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رواه أبو داود(١) بإسناد صحيح.



(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب (٨٥) برقم (٤٩٨٠).



٣٣٤ ـ بَابُ كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة

والمرادُ بِهِ الحَديثُ الذي يَكُونُ مُبَاحاً في غَيرِ الوَقْتِ، وَفِعْلُهُ وَتَرْكُهُ سواءٌ. فَأَمَّا الحَديثُ المُحَرَّمُ أو المَكرُوهُ في غير هذا الوقتِ، فَهُوَ في هذا الوقت أشَدُّ تَحريماً وَكَرَاهَةً. وأَمَّا الحَديثُ في الخَيرِ كَمُذاكَرَةِ العِلْمِ وَحِكايَاتِ الصَّالِحِينَ، وَمَكَارِمِ الأخْلاَقِ، والحَديث مع الضَّيفِ، ومع طالبِ حَاجَةٍ، ونحو ذلك، فلا كَرَاهَة فيه، بل هُوَ مُسْتَحَبٌّ، وكَذَا الحَديثُ لِعُذْرٍ وعَارِضٍ لا كَرَاهَةَ فِيه. وقد تظاهَرَتِ الأحَاديثُ الصَّحيحةُ على كُلِّ ما ذَكَرْتُهُ.

١٧٤٦ـ عن أبي بَرْزَةَ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكرهُ النَّومَ قَبْلَ العِشَاء والحَديثَ بَعْدَهَا. متفقٌ عليه[١].

١٧٤٧ـ عن ابن عمر ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صَلَّى العِشَاء في آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قال: **«أرأيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذِه؟ فَإنَّ عَلَى رَأسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ اليَومَ أحَدٌ»**. متفق عليه[٢].

١٧٤٨ـ وعن أنس ﷺ: أنَهم انتظروا النَّبيَّ ﷺ فَجَاءهُمْ قَريباً مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ فَصَلَّى بِهِمْ ـ يَعْنِي: العِشَاءَ ـ ثمَّ خَطَبنا فقالَ: **«ألَا إنَّ النَّاسَ قَدْ صَلّوا، ثمَّ رَقَدوا، وَإنَّكمْ لَنْ تَزَالوا فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُم الصَّلَاةَ»**. رواه البخاري[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر برقم (٥٤٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح برقم (٤٦١) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب السمر في العلم برقم (١١٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: **«لا تأتي مائة سنة وعن الأرض نفسي منفوسة اليوم»** برقم (٢٥٣٧).

(٣) أخرجه في كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء برقم (٦٠٠)، ومسلم في كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها برقم (٦٤٠).

الشَّرح

في **الحديث الأول** [١٧٤٥]: الدلالة على أنه لا يجوز، أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان ولا أن يقال: لولا الله وفلان، أو هذا من الله ومن فلان؛ ولكن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، لولا الله ثم فلان، هذا من الله ثم من فلان، هكذا جاءت السُّنَّة؛ ولهذا قال ﷺ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ؛ وَلكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»، في حديث الثلاثة «**فَلَا بَلَاغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ**»، بكذا حديث الأقرع والأبرص والأعمى، فالواجب على المؤمن أن يتأدب بالآداب الشرعية لأن الواو تقتضي المعية، والتسوية والله جلَّ وعلا لا يساويه شيء بل هو القادر على كل شيء والمستقل بكل شيء ﷻ؛ فلهذا لا يجوز أن تقول: «**مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ**»؛ جعلته شريكاً مساوياً أو لولا الله وفلان، فكل هذا لا يصح؛ ولكن يقال: لولا الله ثم فلان، هذا من الله ثم من فلان «**مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»، هذا هو المشروع.

وكذلك السمر بعد العشاء في حديث الدنيا مكروه، كان ﷺ يكره السمر بعد العشاء والنوم قبلها، قد يفوتها ينام قبلها قد يسبب ذلك فوتها في الجماعة فيكره النوم قبلها، والحديث بعدها؛ يعني: السمر والتحدث بعدها غير مشروع، أما إذا كان أمر مشروع مع الضيف، أو مع الأهل أو في الحديث في طلب العلم والتفقه في الدين أو نصيحة فلا بأس؛ ولهذا نصحهم النبي ﷺ بعد صلاة العشاء لما تأخر بعض الليالي قال: «**أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ**» فدل على أن ما دام ينتظرها فهو في صلاة وله أجر المصلين.

وهكذا أخبر في آخر حياته ﷺ بعد صلاة العشاء أنه قال: «**أرأيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذِه؟ فَإِنَّ عَلَى رَأسِ مِئَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ اليَومَ أَحَدٌ**»؛ يعني: بعد مرور مائة عام جميع من كان في وقته ذاك الوقت يموتون

لا يبقى منهم أحد، وهذا عن وحي من الله جلَّ وعلا أخبره عليه الصلاة والسلام؛ أن ذلك العصر ينخرم قبل مائة عام؛ يعني: لا يبقى منهم أحد بعد مائة عام، ومن هذا احتج العلماء على أن الخضر لو كان موجوداً، لكان توفي قبل مرور مائة عام؛ ولكن الصحيح أنه توفي قبل ذلك؛ يعني: هو نبيٌّ ومحمد خاتم الأنبياء، فقد مات قبله عليه الصلاة والسلام، وليس بموجود، أما ما يقع في بعض الكتب أن الخضر حي وأنه يلقى بعض الناس هذا كله ليس بصحيح، الخضر قد مات قبل مبعث النبي ﷺ.

والسمر بعد العشاء في درس القرآن، درس العلوم الشرعية في محاضرات، ندوات علمية، مع الضيف، مع الأهل لا حرج في ذلك، إنما المكروه السمر في القيل والقال في الشيء الذي لا حاجة إليه.

وفَّق الله الجميع.






٣٣٥ بَابُ تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إِذَا دعاها ولم يكن لَهَا عذر شرعي

١٧٤٩ ـ **عن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبحَ». متفق عَلَيْهِ[١].

📖 وفي رواية: «حَتَّى تَرْجعَ».



(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرةً فراش زوجها برقم (٥١٩٣)، ومسلم في كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها برقم (١٤٣٦).




٣٣٦ ـ بَابُ تحريم صوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلَّا بإذنه

١٧٥٠ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ». متفق عَلَيهِ[١].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحدٍ إلَّا بإذنه برقم (٥١٩٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ما أنفق العبد من مال مولاه برقم (١٠٢٦).




٣٣٧ ـ بَابُ تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام

١٧٥١ ـ عن أبي هريرة ﷺ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «أمَا يَخْشَى أحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأسَهُ قَبْلَ الإمَامِ أنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأسَهُ رَأسَ حِمَارٍ! أوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ». متفق عَلَيهِ[١].

ﷺ الشَّرح ﷺ

هذه الأحاديث [١٧٤٩ ـ ١٧٥٠ ـ ١٧٥١] فيما يتعلق بحق الزوج على الزوجة، وفيما يتعلق بمتابعة الإمام وعدم المسابقة.

الحديث الأول: الدلالة على وجوب السمع والطاعة من الزوجة لزوجها إذا دعاها لحاجته أو أمرها بشيء عليها السمع والطاعة في المعروف، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**» في الرواية الأُخرى: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**»[٢]. هذا يدل على وجوب الإجابة إذا دعاها إلى حاجته لفراش ليلاً أو نهاراً أن عليها الإجابة وليس لها الامتناع، وهكذا بقية الحاجات التي من شأنها أن تقوم بها الزوجة إلا من عذر شرعي؛

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام برقم (٦٩١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما برقم (٤٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها برقم (١٤٣٦).

كالحيض والنفاس، فإن المرأة لا توطأ في الحيض ولا في النفاس، وهكذا في الإحرام، هكذا إذا كانت مريضة يضرها الجماع إذا كان لها عذر شرعي لا حرج، والواجب عليه أن يعذرها ولا يكلفها ما يشق عليها أو ما حرم الله عليها.

وليس لها أن تصوم إلا بإذنه إذا كان حاضراً شاهداً ليس لها أن تصوم إلا بإذنه؛ لأن الصوم قد يحول بينه وبين حاجاته، إلا رمضان كما في الرواية الأخرى رواية أبي داود: «**إلا رمضان**»، رمضان تصوم ولو لم يرض، فرض على الجميع عليها أن تصوم ولو لم يرض؛ لكن لا تتطوع إلا بإذنه إذا كان حاضراً، أما إذا كان غائباً مسافراً أو هي عند أهلها لأسباب فلا بأس تصوم بغير إذن، لكن إذا كانت عنده وهو حاضر ليس لها أن تصوم إلا بإذنه إلا رمضان، وهكذا الكفارات الواجبة عليها أن تصومها، والمؤمن أخو المؤمن في كل شيء فالمؤمنون إخوة، والزوجة لها صفة خاصة مع زوجها والزوج له صفة خاصة قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩] فليس له أن يعاشرها بغير معروف وليس لها أن تعاشره بغير معروف، وهكذا المؤمنون عليهم فيما بينهم التحاب في الله التناصح التواصي وأن لا يظلم أحدٌ أحداً ولا يؤذي أحدٌ أحداً بل عليهم التواصي بالحق والتناصح، كما قال الرسول ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»، وقال ﷺ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**» هكذا المؤمنون ولكن مع الوالد ومع الوالدة يتأكد هذا الأمر ومع الزوج والزوجة يتأكد هذا الأمر.

والحديث الثاني: يتعلق بمتابعة الإمام يجب على المأموم أن يتابع إمامه من دون مسابقة ولا موافقة، بل متابعة، فليس له أن يسبقه لا في خفض ولا رفع، وليس له أن يوافقه أيضاً بل يكون بعده؛ لقوله ﷺ:

«إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَلَا تُكَبِّرُوا حَتَّى يُكَبِّرَ، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا وَلَا تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ» إلى آخره، فهو متابع ليس له أن يسبق إمامه ولا أن يوافق إمامه، وكثير من الناس تغلب عليه العجلة فيرفع قبل إمامه أو مع إمامه أو يسجد معه أو يركع معه، هذا لا يجوز، الواجب الأناة والصبر حتى يستمر راكعاً ينقطع صوته ثم تركع، وهكذا السجود حتى يستوي جالساً ثم ترفع إذا انقطع صوته، وهكذا في السجود لا تسجد قبله يجب عليك أن تراعي صوته وفعله فإذا انقطع صوته تنتقل: الله أكبر تكبر بعده كبر للركوع تكبر بعده إذا انقطع صوته، وهكذا السجود وإذا كنت تشاهد الفعل عملت به؛ يعني: شاهدته إذا رفع استوى رافعاً من الركوع رفعت إذا استوى رافعاً من السجود رفعت ولو ما سمعت الصوت، إذا رأيت فالمأموم مع الإمام على ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن يسابقه وهذا منكر لا يجوز.

الحالة الثانية: أن يوافقه لا يجوز أيضاً.

الحالة الثالثة: أن يكون بعده متصلاً، وهذا هو المشروع يكون بعده متصلاً به.

وفَّق الله الجميع.



٣٣٨ ـ بَابُ كراهة وضع اليد عَلَى الخاصرة في الصلاة

١٧٥٢ ـ **عن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عن الخَصْرِ في الصَّلَاةِ. متفق عَلَيهِ[١].



(١) أخرجه البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب الخصر في الصلاة برقم (١٢١٩ و١٢٢٠)، ومسلم في كتاب المساجد، باب كراهة الاختصار في الصلاة برقم (٥٤٥).




٣٣٩ ـ بَابُ كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إِلَيْهِ أَوْ مَع مدافعة الأخبثين

١٧٥٣ ـ **عن** عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ». رواه مسلم[1].



(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب كراهة الصّلاة بحضرة الطّعام الّذي يريد أكله في الحال وكراهة الصّلاة مع مدافعة الأخبثين برقم (٥٦٠).




٣٤٠ـ بَابُ النهي عن رفع البصر إلَى السماء في الصلاة

١٧٥٤ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَالُ أقْوام يَرْفَعُونَ أبْصَارَهُمْ إلَى السَّمَاءِ في صَلَاتِهِمْ!» فَاشْتَدَّ قَولُهُ في ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: «لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِك، أَوْ لَتُخطفَنَّ أَبْصَارُهُمْ!». رواه البخاري[1].

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث الثلاثة [١٧٥٢ ـ ١٧٥٣ ـ ١٧٥٤]: مشتملة على النهي على الاختصار في الصلاة، وعن الصلاة بحضرة الطعام، أو في حال مدافعة الأخبثين: الغائط والبول، وكذلك مشتملة على النهي عن رفع البصر إلى السماء حال كونه في الصلاة، كل هذه الأشياء نهى عنها المصطفى ﷺ؛ لأنها تخل بالخشوع والخضوع في الصلاة، أما النهي عن الاختصار في الصلاة فهو أن يضع يده على خاصرته، هذا خلاف السُّنَّة؛ لأن السُّنَّة أن يضع كفه اليمنى على كفه اليسرى في الصلاة على صدره، أو يضع يده اليمنى على ذراعه اليسرى، أما وضع اليد على خاصرته هذا خلاف السُّنَّة، وروي أن ذلك فعل اليهود وأنه تشبه باليهود في صلاتهم، فلا يجوز للمسلم فعل ما نهى الله عنه؛ لأنه خلاف الهيئة المشروعة، ولأنه تشبه باليهود في الاختصار، هكذا الخاصرة أسفل جنبه يقال له: خاصرة، ويقول ﷺ: «**لا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ**

---

(١) أخرجه في كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السّماء في الصّلاة برقم (٧٥٠).

طَعَام، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ» ويقول ﷺ: **«إذا حضر العشاء والعِشَاء فابدؤوا بالعَشاء»**[١].

في اللفظ الآخر **«إِذَا قُدِّمَ العَشَاءُ فَابْدَؤُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تُصَلُّوا صَلَاةَ المَغْرِبِ، وَلَا تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ»**[٢]، وما ذاك إلا لأن تقديم العشاء يجعله يتعلق به ويصلي صلاة ليس فيها الخشوع المطلوب، بل قلبه معلق بالطعام الذي قُدم فيبدأ به لكن لا يتخذها عادة، فإن هذا معناه العزم على التخلف عن الصلاة في الجماعة، لكن إذا صادف قدم العشاء أو الغداء قبل الظهر أو مع العصر قُدم لا يذهب ونفسه متعلقة به، أما إذا كان لا رغبة له فيه، ليس عنده رغبة في الأكل فلا يضر؛ لأنه لا يتعلق به حينئذ شيء، والمقصود من هذا كونه يأتي الصلاة وقلبه مشغول بها يقبل عليها فيحضر فيها بقلبه يخشع فيها يطمئن يشتغل بذكر الله والخشوع بين يديه وتعظيمه لا يشغله شاغل من طعام أو مدافعة الأخبثين، فلهذا قال ﷺ: **«لا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ»** البول والغائط؛ يعني: لا يأتي الصلاة وهو يدافع البول أو الغائط، يفرغ من هذا إذا كان عنده تأثر بذلك وإحساس يبدأ به، أما إذا كان لا يضره، شيء يسير، ما فيه مدافعة، لا حرج.

والمقصود من هذا: أن يأتي الصلاة وهو مقبل عليها مشغول بها مطمئن فيها خاشع فيها لربه قد جمع قلبه عليها، فإذا أتى إليها وهو

---

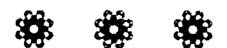
(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب كراهة الصّلاة بحضرة الطّعام الّذي يريد أكله في الحال وكراهة الصّلاة مع مدافعة الأخبثين برقم (٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب إذا حضر الطّعام وأقيمت الصّلاة. وكان ابن عمر يبدأ بالعشاء. وقال أبو الدّرداء: من فقه المرء إقباله على حاجته حتّى يقبل على صلاته وقلبه فارغٌ برقم (٦٧٢)، ومسلم في كتاب المساجد، باب كراهة الصّلاة بحضرة الطّعام الّذي يريد أكله في الحال وكراهة الصّلاة مع مدافعة الأخبثين برقم (٥٥٧).

يدافع الاخبثين أو قام إليها بحضرة الطعام شُغل وأخذ ذلك شعبة من قلبه وشوش عليه صلاته، وإذا قام في الصلاة طرح بصره إلى موضع سجوده لا ينظر فوق يخشع يطرح بصره هذا السُّنَّة يقول الله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] ومن الخشوع طرح البصر ولا يجوز أن يرفع بصره إلى السماء وهو في الصلاة، يقول ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ في الصَّلَاةِ أَوْ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ**»(١).

في لفظ «**أَوْ لَتُخطفَنَّ**» وفي رواية «**ينتهوا عن هذا**» إذا كان يصلي يطرح بصره إلى الأرض لا يرفعه إلى السماء؛ لأن رفعه إلى السماء يشوش عليه صلاته، وقد يشتغل عنها فينظر إليه، لكن إذا طرح إلى موضع سجوده صار أجمع إلى قلبه على صلاته وأقل للعبث أو الوسوسة، بل يكون خاشعاً مطمئناً بصره خاشع مطروح ليس بمتشعب هكذا وهكذا.

وفَّق الله الجميع.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب النّهي عن رفع البصر إلى السّماء في الصّلاة برقم (٤٢٨).



٣٤١ ـ بَابُ كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر

١٧٥٥ ـ **عن** عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسُولَ الله ﷺ عَنِ الالتفَاتِ في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ». رواه البخاري[1].

١٧٥٦ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكَ والالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الالتفَاتَ في الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ، فَفِي التَّطَوُّعِ لَا في الفَرِيضَةِ». رواه الترمذي[2]، وقال: حديث حسن صحيح.



(١) أخرجه في كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة برقم (٧٥١).
(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب ما ذكر في الالتفات في الصلاة برقم (٥٨٩).



٣٤٢ ـ بَابُ النهي عن الصلاة إلى القبور

١٧٥٧ ـ **عن** أَبي مَرْثَدٍ كَنَّازِ بْنِ الحُصَيْنِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لا تُصَلُّوا إِلَى القُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا». رواه مسلم[١].



(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب النّهي عن الجلوس على القبر والصّلاة عليه برقم (٩٧٢).

٣٤٣ ـ بَابُ تحريم المرور بَيْنَ يدي المصلِّي

١٧٥٨ ـ **عن** أبي الجُهَيْم عبد اللهِ بن الحارِثِ بن الصِّمَّةِ الأنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أنْ يَقِفَ أرْبَعِينَ خَيْراً لَهُ مِنْ أنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ».

قَالَ الراوي: لا أدْرِي قَالَ: أرْبَعينَ يَوماً، أَوْ أرْبَعِينَ شَهْراً، أَوْ أرْبَعِينَ سَنَةً. متفق عَلَيهِ[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث [١٧٥٥ ـ ١٧٥٦ ـ ١٧٥٧ ـ ١٧٥٨]: تتعلق بالالتفات في الصلاة، والمرور بين يدي المصلي، فالالتفات في الصلاة بيَّن النبي ﷺ أنه اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، فينبغي للمؤمن أن يحذر ذلك إلا من حاجة فإن كان لا بد ففي التطوع، والنبي ﷺ التفت في الصلاة في بعض الأحيان لما أرسل شخصاً ينظر للمسلمين ربيئة فجاء ينظر إلى الشعب هل أقبل أم لا، والصديق ﷺ لما صلى بالناس عند غيبة النبي ﷺ، فلما جاء النبي وقد دخل الصديق في الصلاة جعل الناس يصفقون تنبيهاً للصديق أن الرسول حضر، فلما رآهم أكثروا التفت فرأى النبي ﷺ فأشار له النبي ﷺ أن يبقى فلم يبق بل تأخر وتقدم النبي ﷺ وصلى بالناس، وقال ﷺ: «**إِذَا نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالُ وَلْتُصَفِّقِ النِّسَاءُ**». بدلاً من الالتفات والتصفيق ولم ينكر النبي ﷺ التفات الصديق من أجل الحاجة، مثل إنسان يصلي فسمع حركة عن يمينه أو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب إثم المارّ بين يدي المصلّى برقم (٥١٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب منع المارّ بين يدي المصلّى برقم (٥٠٧).

شماله يخشى منها، فالتفت لا حرج للحاجة في الفرض والنفل وفي النفل أوسع.

ويدل حديث **أبي مَرْثَدٍ** على تحريم الصلاة إلى القبور والجلوس عليها، فالواجب على المسلم يبتعد عن القبور عند الصلاة لا يصلي فيها ولا إليها، يقول النبي ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[1]، فالقبور لا يصلى عندها ولا يتخذ مساجد ولا يصلى إليها ولا يقعد عليها؛ لأن القعود عليها امتهان، ولأن الصلاة عندها وإليها وسيلة إلى الشرك، واتخاذ المساجد عليها وسيلة إلى الشرك فلا يجوز، فالمقابر تزار للسلام عليهم والدعاء لهم والترحم عليهم وتذكر الآخرة والموت؛ لكن لا يصلى عندها ولا يصلى إليها ولا يتخذ عليها مساجد ولا يجلس عندها للقراءة ونحوها، كل هذا من المنكرات ومن وسائل الشرك.

وهكذا لا يجوز للمسلم أن يمر بين يدي أخيه وهو يصلي؛ لأنه يشوش عليه صلاته لكن إذا كان بعيداً فوق ثلاثة أذرع لا بأس، أو بينه وبينه سترة ومرَّ من وراء السترة لا بأس، كأن يكون عمود أو كرسي أو عنزة عصا إذا مرَّ من ورائها لا حرج، أما أن يمر بين المصلي وبين السترة هذا لا يجوز، أو قريباً منه إذا كان ما عنده سترة يمر قريباً منه لا يجوز؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: **«لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ»**؛ يعني: من الإثم **«لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»** هذا يدل على أنه لا يجوز، ويقول ﷺ: **«إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ، فَإِنْ أَبَى**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب منه برقم (٤٣٥ و٤٣٦)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النّهي عن بناء المساجد على القبور واتّخاذ الصّور فيها والنّهي عن اتّخاذ القبور مساجد برقم (٥٣١).

فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[١].

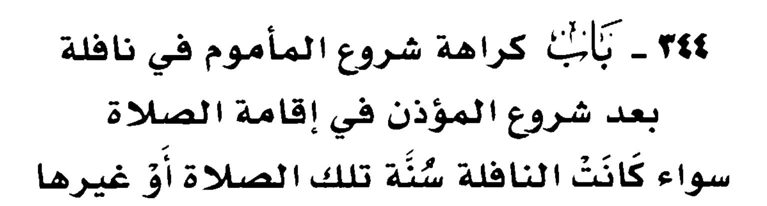
ويقول ﷺ: «**يَقْطَعُ صَلَاةَ الرَّجُلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ: الْمَرْأَةُ وَالحِمَارُ وَالكَلْبُ الأَسْوَدُ**»[٢]. هذه الثلاث تقطع الصلاة إذا مرت قريب منه أو بينه وبين السترة: المرأة البالغة الحائض والحمار والكلب الأسود، هذه الثلاثة تقطع الصلاة إذا مرت قريباً منه أو بينه وبين السترة: المرأة البالغة الحائض والحمار والكلب الأسود، هذه الثلاث تقطع الصلاة تبطلها، أما مرور الرجل أو الكلب غير الأسود أو بعض الدواب الأخرى لا تقطع، لكن يردها، لا تمر بين يديه، يحاول أن لا تمر بين يديه، وهكذا ما يمر الرجل بين يديه يرده، ولا يجوز للرجل أن يمر إما يمر من ورائه أو من وراء السترة، أما أن يمر قريباً منه ثلاثة أذرع فأقل أو يمر بينه وبين السترة، هذا لا يجوز يمنع، وإذا كان المار حماراً أو كلباً أسود أو مرأة بالغة قطعت الصلاة.

وفَّق الله الجميع.



(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب يردّ المصلّي من مرّ بين يديه برقم (٥٠٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب منع المارّ بين يدي المصلّي برقم (٥٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقطع الصّلاة برقم (٧٠٢)، والإمام أحمد ١٤٩/٥.



٣٤٤ ـ بَابُ كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كَانَتْ النافلة سُنَّة تلك الصلاة أَوْ غيرها

١٧٥٩ ـ **عن** أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا المَكْتُوبَةَ». رواه مسلم(١).



(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب كراهة الشروع في نافلةٍ بعد شروع المؤذّن برقم (٧١٠).




٣٤٥ ـ بَابُ كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أَوْ ليلته بصلاة من بين الليالي

١٧٦٠ ـ **عن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَام مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَومَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَومٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ». رواه مسلم(١).

١٧٦١ ـ **وعنه**، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «لَا يَصُومَنَّ أحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَّا يوماً قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ». متفق عَلَيهِ(٢).

١٧٦٢ ـ **وعن** محمد بن عَبَّادٍ، قَالَ: سَأَلْتُ جَابِراً رضي الله عنه: أَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَومِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. متفق عَلَيهِ(٣).

١٧٦٣ ـ **وعن** أُمِّ المُؤمِنِينَ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟» قالت: لا، قَال: «تُرِيدِينَ أنْ تَصُومِي غداً؟» قالتْ: لَا. قَالَ: «فَأَفْطِرِي». رواه البخاري(٤).

الشَّرح

الحديث الأول [١٧٥٩]: يدل على أنه لا يجوز بداءة النافلة إذا

(١) أخرجه في كتاب الصيام، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً برقم (١١٤٤).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة برقم (١٩٨٥)، ومسلم في كتاب الصيام، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً برقم (١١٤٤).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة برقم (١٩٨٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً برقم (١١٤٣).
(٤) أخرجه في كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة برقم (١٩٨٦).

أقيمت الصلاة سواء كان النافلة راتبة أو تحية المسجد أو غير ذلك، متى أُقيمت الصلاة وجب الاستعداد لدخول الفريضة ولا يشرع في النافلة لقوله ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**». وهذا يعم جميع النوافل «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**». وهذا ظاهره المنع والتحريم؛ يعني: معناه النهي، وإذا كان قد شرع فيها قطعها وإذا كان قد بقي ركعة أو أكثر يقطعها؛ لأن الركعة تسمى صلاة، أما إذا كان قد أنهاها فلا بأس إذا كان في السجود أو بعد الركوع أو في السجود الأخير أو في التحيات كمل؛ لأن الصلاة أقلها ركعة، فإذا كان قد أنهاها وركع الركوع الثاني من التحية أو الراتبة كمل، أما إذا كان في أولها أو قد أدى الركعة الأُولى فإنها يقطعها ويستعد للفريضة ولا يبتدئ، قد مرَّ النبي ﷺ على رجل يصلي بعد ما أقيمت الصلاة صلاة الفجر، قال: «**أتصلي الصبح أربعاً**»[1]، المقصود أنه لا يجوز للمسلم أن يبدأ صلاة نافلة بعد الإقامة، وليس له أن يستمرَّ فيها بعد الإقامة إذا كان بقي منها ركعة أو أكثر لقوله ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**».

والأحاديث الأربعة الأخيرة [١٧٦٠ ـ ١٧٦١ ـ ١٧٦٢ ـ ١٧٦٣]: تدل على أنه لا يجوز إفراد الجمعة وتخصيصها بصوم ولا ليلتها بقيام بل تصام مع الصيام، أما أن تخص بصوم لا، لكن إذا كان له صوم يصوم يوماً يفطر يوماً لا بأس أو صامها؛ لأنها يوم عرفة لأنه وافقت عرفة فلا بأس، أما أن يخصها بالصوم لفضلها لأنها يوم الجمعة هذا لا يجوز؛ لقوله ﷺ: «**لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَومَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَومٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**» وقال ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب كراهة الشروع في نافلةٍ بعد شروع المؤذن برقم (٧١١)، وهذا لفظه من حديث ابن بحينة قال: أقيمت صلاة الصبح فرأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلّي والمؤذّن يقيم فقال: «**أتصلّي الصّبح أربعاً**».

«**لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَّا يَوماً قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ**» إذا صام قبلها الخميس أو معها السبت فلا بأس، في حديث جابر؛ أن الرسول نهى عن صوم يوم الجمعة؛ يعني: إفراده الجمعة بالصيام، قد دخل النبي على جويرية أم المؤمنين بنت الحارث زوجته ﷺ وهي صائمة يوم الجمعة فقال لها: «**أَصُمْتِ أمْسِ؟**» قالت: (لا)، قَال: «**تُرِيدِينَ أنْ تَصُومِي غَداً؟**» **قالتْ**: (لَا). **قَالَ**: «**فَأَفْطِرِي**» دل على أنه إذا صام يوم الجمعة للتخصيص يفطر لا يكمل إلا إذا كان في صوم يصومه يصوم يوماً يفطر يوماً أو صادف يوم عرفة فلا بأس لأنه ما قصد تخصيصها، أو مثلاً آخر يوم عن المرأة قضاء قضاء صيام أو نذر يكمل، المقصود إذا كان صامه لكونه دخل في صوم له فريضة أو نافلة لا حرج، أما أن يخصه بصوم فلا.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁




٣٤٦ ـ بَابُ تحريم الوصال في الصوم، وَهُوَ أنْ يصوم يَومَينِ أَوْ أكثر وَلَا يأكل وَلَا يشرب بينهما

١٧٦٤ ـ **عن** أَبي هريرة وعائشة ﵄؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الوِصَالِ. متفق عَلَيْهِ[1].

١٧٦٥ ـ **وعن** ابن عمر ﵄، قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ. قالوا: إنَّكَ تُواصِلُ؟ قَالَ: «إنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى». متفق عَلَيْهِ. وهذا لفظ البخاري[2].



(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الوصال، ومن قال: ليس في اللّيل صيامٌ برقم (١٩٦٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النّهي عن الوصال في الصّوم برقم (١١٠٢) و(١١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الوصال، ومن قال: ليس في اللّيل صيامٌ برقم (١٩٦٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النّهي عن الوصال في الصّوم برقم (١١٠٢).




٣٤٧ ـ بَابُ تحريم الجلوس عَلَى قبر

١٧٦٦ ـ **عن** أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لأنْ يَجْلِسَ أحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ». رواه مسلم(١).



(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب النّهي عن الجلوس على القبر والصّلاة عليه برقم (٩٧١).




٣٤٨ - بَابُ النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

١٧٦٧ - عن جابر ﷺ قَالَ: **نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القَبْرُ، وأنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأنْ يُبْنَى عَلَيْهِ**. رواه مسلم[1].

الشَرح

هذه الأحاديث [١٧٦٤ - ١٧٦٥]: فيها النهي عن الوصال، وعن الجلوس على القبور والبناء عليها، الوصال كون الإنسان يجمع بين يومين أو ثلاثة صائماً لا يأكل ولا يشرب في الليل والنهار جميعاً، ثبت عنه ﷺ أنه نهى عن الوصال، فقالوا: إنك تواصل يا رسول الله؟ قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى**» فلما أبوا ينتهوا واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ تَأَخَّرَ الهِلَالُ لَزِدْتُكُمْ**»[2]؛ كَالمُنَكِّلِ لَهُمْ حين أبوا أن ينتهوا، هذا يدل على كراهة الوصال وقول المؤلف: تحريم الوصال ليس بجيد. الصواب أن يقال: كراهة الوصال؛ لأن الرسول واصل بهم ولو كان محرماً ما واصل بهم؛ لكنه مكروه، والصواب أن يقال: باب كراهة الوصال بدل تحريم الوصال، والرسول ﷺ واصل بهم في يوم الثامن والتاسع ورأوا الهلال ليلة الثلاثين، فقال: «**لَوْ تَأَخَّرَ الهِلَالُ لَزِدْتُكُمْ**»؛ كَالمُنَكِّلِ لَهُمْ حين أبوا أن ينتهوا، فدل ذلك على أن الواجب والسُّنَّة المشروع عدم الوصال، السُّنَّة عدم الوصال يفطر في الليل أو في

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب النّهي عن تجصيص القبر والبناء عليه برقم (٩٧٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب مايكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، برقم(٧٢٩٩) ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم برقم(١١٠٣)

آخر الليل في حديث أبي سعيد: «**لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ**»(١) لو ترك الأكل إلى السحر لا بأس يصير سحوره عشاءه جميع فلا حرج؛ ولكن الأفضل أن يفطر إذا غابت الشمس هذا هو الأفضل لقوله ﷺ: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»(٢)، وقوله ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»(٣)، وقوله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً**»(٤)، فالسُّنَّة الإفطار إذا غابت الشمس في الفرض والنفل هذا هو الأفضل، فإن واصل إلى السحر ولم يأكل حتى السحر فلا بأس، أما أن يواصل الليل مع النهار ولا يأكل شيئاً ولا يشرب في الليل هذا هو المكروه الذي نهى عنه النبي ﷺ.

والحديث الثالث والرابع [١٧٦٦ ـ ١٧٦٧]: فيما يتعلق بالجلوس على القبور والبناء عليها والرسول نهى أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه وقال: «**لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ**»؛ لأن الجلوس على القبور إهانة لأهلها واستخفاف بهم، فلا يليق أن يستخف المسلم ويجلس على قبره، ونهى الرسول عن البناء عليها وتجصيصها واتخاذ المساجد عليها؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، البناء عليها وتجصيصها اتخاذ القباب عليها هذا من وسائل الشرك؛ ولهذا قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام برقم (١٩٦٣).

(٢) متفق عليه من حديث عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب متى يحل فطر الصائم برقم (١٩٥٤) ومسلم في كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار برقم (١١٠٠).

(٣) سبق تخريجه برقم (١٢٣٣) ج٣.

(٤) سبق تخريجه برقم (١٢٣٥) ج٣.

(٥) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ =

قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا وقال ﷺ: «**لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا**»[(١)]، وقال: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»[(٢)]؛ فاتخاذ القبور مساجد بالبناء عليها أو تجصيصها أو اتخاذ القباب عليها أو ما أشبه ذلك منكر وبدعة ومن أسباب الشرك كما فعله المشركون بنوا على القبور وعظموها حتى دعوها من دون الله حتى استغاثوا بأهلها حتى نذروا لهم ووقعوا في الشرك نسأل الله العافية، فتعظيمها بالبناء والتجصيص واتخاذ القباب عليها والمساجد هذا من أعظم وسائل الشرك، كما قد وقع في بلدان كثيرة بنوا على القبور وعبدوها من دون الله، كما جرى حول قبر البدوي في مصر والحسين والست نفيسة وزينب كل هذه وقع الشرك بهم والغلو فيهم لما عظمت بني عليها المساجد والقبور والبناء والقباب، وكثير من الجهلة إذا زاروا قبر النبي ﷺ أيضاً يدعونه من دون الله ويستغيثون به وهذا من الشرك الأكبر، فالعبادة حق الله وحده لا يجوز لأحد أن يدعو غير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، العبادة حق الله؛ لكن تزار القبور للسلام عليه والدعاء لهم يقول: «**زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»[(٣)]. هكذا يقول ﷺ وكان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**» يدعى لهم ما يدعون مع الله هم محتاجون

= المساجد على القبور برقم (١٣٣٠)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور... برقم (٥٢٩).

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي ﵁ في كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، برقم (٩٧٢).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود ﵁ في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، برقم (٧٠٦٧)، والإمام أحمد ١/ ٤٠٥ و٤٣٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﵁ في كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور برقم (١٥٦٩).

للدعوة. «**نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ يَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالمُسْتَأْخِرِينَ**»؛ فاذا زارهم يسلم عليهم ويقول هذا: اللَّهُمَّ اغفر لهم، اللَّهُمَّ ارحمهم نسأل الله لنا ولكم العافية، أما أن يدعو الميت يستغيث بالميت، ينذر للميت، أو يذبح للميت هذا هو الشرك الأكبر، هذا فعل المشركين مع اللات والعزى ومناة وهبل ونحو ذلك.

نسأل الله العافية والسلامة.






٣٤٩ ـ بَابُ تغليظ تحريم إباق العبد من سيده

١٧٦٨ ـ **عن** جرير رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ». رواه مسلم(١).

١٧٦٩ ـ **وعنه**، عن النبيِّ ﷺ: «إِذَا أَبَقَ العَبْدُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ». رواه مسلم(٢).

وفي روايةٍ: «فَقَدْ كَفَرَ».



---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب تسمية العبد الآبق كافراً برقم (٦٩).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب تسمية العبد الآبق كافراً برقم (٧٠).




٣٥٠ ـ بَابُ تحريم الشفاعة في الحدود

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ﴾ [النور: ٢].

١٧٧٠ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها؛ أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فقالوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى؟!» ثُمَّ قَامَ فاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». متفق عَلَيْهِ[1].

📖 وفي روايةٍ: فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ!؟» فَقَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

الشَّرح

في هذه الأحاديث [١٧٦٨ ـ ١٧٦٩ ـ ١٧٧٠]: التحذير من الإباق من جهة المماليك، وأن الواجب على المملوك أن يقوم بواجب الخدمة وأن يحذر العناد أو الإباق والشرود، فإن هذه أمور ابتلاه الله بها، فعليه أن

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار برقم (٣٤٧٥)، ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السّارق الشّريف وغيره والنّهي عن الشّفاعة في الحدود برقم (١٦٨٨).

يصبر وأن يحتسب ويقوم باللازم حتى يجعل الله فرجاً ومخرجاً، وعلى السادة أن يحسنوا، الله أمر بالإحسان إلى المماليك والرفق بهم، فعلى السادة أن يحسنوا وعلى المملوك أن يصبر ويحتسب ويحذر الإباق والشرود والإيذاء، فيه الوعيد المذكور أن العبد إذا أبق فقد هلك. في اللفظ الآخر «**فقد كفر**» لم تقبل له صلاة، كل هذا وعيد فالواجب الحذر، مما يتعلق بهذا، خيانة العامل الوكيل والأمين يجب أن يحذر يجب أن يكون العامل والوزير والأمين في شيء أن يحذر الخيانة وأن يتقي الله في الصبر وأداء الأمانة، وهكذا كل من كان على أمر من أمور المسلمين يجب عليه أن ينصح وأن يؤدي الأمانة، وأن يحذر الخيانة سواء كان الأمر صغيراً أو كبيراً من شؤون الدنيا أو شؤون الآخرة، على من كان في شيء من ذلك أن ينصح ويتقي الله، وألّا يخون الأمانة سواء كان وزيراً أو موظفاً كبيراً أو صغيراً أو مدير مدرسة أو مدير شعبة أو مدير مكتب أو غير ذلك، أو تحت مدير عام لشركة أو أعمال واسعة، كل واحد عليه أداء الأمانة والحذر من الخيانة، كثير من الناس يغلبه هواه وشهوته وشيطانه حتى يخون الأمانة للحظ العاجل وطاعة الهوى والشيطان، وهذه مصيبة كبيرة يجب الحذر منها، وقد يقع في هذا أيضاً من يتولى تعميراً فيخون في التعمير يخون في غرس الأشجار يخون في غير ذلك، يجب على من تولى شيئاً وإن دق يجب أن ينصح فيه وأن يتقي الله فيه وأن يحذر الخيانة، هكذا المؤمن أينما كان يؤدي الأمانة ويحذر الخيانة.

كذلك **حديث المخزومية**، النبي ﷺ يقول: «**إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع**»[1]، الشفاعة تكون في الخير ﴿مَن

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ والدارقطني بهذا اللفظ وليس فيه ذكر الحدود: «**إذا بلغت به السّلطان فلعن الله الشّافع والمشفّع**».

﴿يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»، لكن الشفاعة في الحدود أو ضد أمر الله أو الشفاعة في معاصي الله، هذا لا يجوز يجب أن تكون الشفاعة في محلها في إقامة أمر الله في نفع العباد في إصلاح أمور العباد، أما الشفاعة في إسقاط حد أو إقامة منكر أو إعانة على منكر هذا منكر آخر لا يجوز، ولما سرقت امرأة من بني مخزوم في مكة رفع أمرها إلى النبي ﷺ عام الفتح، أهمَّ جماعتها أمرها لما أَمر بقطع يدها، فطلبوا من أُسامة بن زيد أن يشفع فَقَالَ ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ!؟**» «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»؛ لأن الله قال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]؛ لأن هذا الحد فيه حماية أموال المسلمين، فيه حماية لأموالهم والله يزع بالحدود والتعزيرات ما لا يزع بالأوامر والنواهي، والله جعل الحدود رادعة تردع الناس على الإقدام على المعاصي والشرور، فلا يجوز لأحد يشفع في إسقاطها، متى بلغت ولي الأمر وجب إقامتها.

وفَّق الله الجميع






٣٥١ ـ بَابُ النهي عن التغوط في طريق الناس وظلِّهم وموارد الماء ونحوها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٧٧١ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ» قالوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ في ظِلِّهِمْ». رواه مسلم[١].



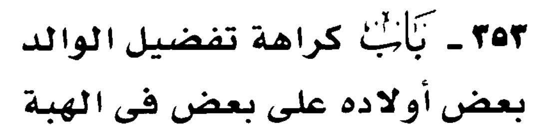
(١) أخرجه في كتاب الطهارة، باب النّهي عن التّخلّي في الطّرق والظّلال برقم (٢٦٩).

٣٥٢ ـ بَابُ النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

١٧٧٢ ـ **عن** جابر رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أنْ يُبَالَ في المَاءِ الرَّاكِدِ. رواه مسلم[١].



(١) أخرجه في كتاب الطهارة، باب النّهي عن البول في الماء الرّاكد برقم (٢٨١)، ومن حديث أبي هريرة بلفظ «**لا يبولنّ أحدكم في الماء الدّائم ثمّ يغتسل منه**» برقم (٢٨٢).

٢٥٣ ـ بَابُ كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة

١٧٧٣ ـ **عن** النعمان بن بشير رضي الله عنهما؛ أنَّ أباه أتَى بِهِ رسُولَ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاماً كَانَ لِي، فقال رسولُ الله ﷺ: «أكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فقال: لا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فَأرْجِعهُ».

📖 وفي روايةٍ: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أفَعَلْتَ هذا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قال: لا، قال: «اتَّقُوا الله واعْدِلُوا فِي أوْلادِكُمْ» فَرَجَعَ أبي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

📖 وفي روايةٍ: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا بَشيرُ ألَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» فقالَ: نَعَمْ، قال: «أكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هذا؟» قال: لا، قال: «فَلَا تُشْهِدْنِي إذاً فَإنِّي لَا أشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ».

📖 وفي روايةٍ: «لَا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ».

📖 وفي رواية: «أشْهِدْ عَلَى هذَا غَيْرِي!» ثُمَّ قال: «أيَسُرُّكَ أنْ يَكُونُوا إلَيْكَ في البِرِّ سَواءً؟» قال: بَلَى، قال: «فَلا إذاً». متفق عليه[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة [١٧٧١ ـ ١٧٧٢ ـ ١٧٧٣]: تتضمن النهي عن أشياء ثلاثة: الشيء الأول التخلي في طريق الناس أو في ظلهم أو في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب الهبة للولد برقم (٢٥٨٦) انظر (٢٥٨٧)، ومسلم في كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة برقم (١٦٢٣).

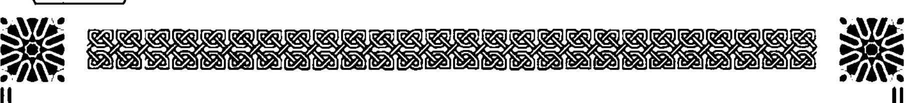
أي موضع يحتاجون إليه كمتشمس في الشتاء أو تحت الأشجار المثمرة أو غير ذلك، فلا يجوز للمسلم أن يتغوط في الطريق أو في ظل الناس ومحل جلوسهم أو تحت الأشجار المثمرة، فإن هذا يشوش عليهم ويؤذيهم، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. الواجب على المؤمن أن يحذر هذا؛ ولهذا قال ﷺ: «اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ» الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم سمي لاعنين؛ لأن الناس يلعنون من فعل يسبونه، فالإنسان يلتمس لحاجته محلاً بعيداً لا يتأذى به الناس في محل بعيد عن طرق الناس إذا كان في البرية، أما إذا كان في بيته ففي بيته له محل فيه، لكن المقصود أن هذا قد يقع في الطرقات وفي الأسفار فليحذر المؤمن أن يبول أو يتغوط في محل يضر الناس، وهكذا الماء الدائم الراكد لا يبال فيه، الرسول نهى عن البول في الماء الدائم؛ لأنه يقذره وربما كثر وتوالى حتى ينجسه، فإذا بال هذا وبال هذا وبال هذا تكاثرت الأبوال وأثرت، فلا يجوز البول في الماء الدائم فإذا حرم البول فالتغوط من باب أولى لأنه أشد، والمقصود من هذا أن المؤمن يتحرى عدم الأذى يكف أذاه عن الناس من جميع الوجوه، وإذا كان هذا في التخلي في طريق الناس والبول في الماء الدائم، فكيف بما كان أكثر، كيف بالذي يضرب الناس ويؤذيهم ويأخذ أموالهم ويغشهم يكون في حالة أشد وأشر في الإثم.

والحديث الثاني: يتضمن النهي عن تفضيل الأولاد بعضهم على بعض في العطية وأنه ليس للمؤمن أن يخص بعض أولاده بعطية، بل يجب العدل، ولهذا لما جاء بشير بن سعد الأنصاري إلى النبي ﷺ بأبنه النعمان قد أعطاه غلاماً قال: «**أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟**» فقال: (لا)، **فقالَ رسولُ اللهِ** ﷺ: «**فَأَرْجِعهُ**». قال: «**اتَّقُوا الله واعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ**» فدل على أنه لا يجوز أن يخص بعض الأولاد بشيء يعطي هذا سيارة أو بيتاً أو

دراهم والباقي ما يعطيهم لا، لا بد يعدل بينهم إلا إذا كانوا كباراً مرشدين وسمحوا لا بأس، وإلا فالواجب العدل «**اتَّقُوا الله واعْدِلُوا فِي أوْلادِكُمْ**» سواء كان العطية نقوداً أو أراضي أو بيوتاً أو سيارة أو غير ذلك، يتحرى العدل إما أن يعطيهم جميعاً أو يدعهم جميعاً؛ لكن إذا كان واحد منهم محتاجاً للشيء والآخرون مستغنون وهو غير محتاج هذا من باب النفقة ليس من باب التفضيل، إذا له إخوة مغنيهم الله وهو فقير ينفق عليه النفقة الواجبة.

وفَّق الله الجميع.





٣٥٤ ـ بَابُ تحريم إحداد المرأة على ميِّت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

١٧٧٤ ـ **عن** زينب بنتِ أبي سلمة رضي الله عنهما، قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها، زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بن حرب رضي الله عنه، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ أوْ غَيرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، إِلَّا على زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً».

قالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها حينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غيرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا علَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً». متفق عليه[1].

الشَّرح

هذا الحديث: حديث زينب بنت أبي سلمة عن أم حبيب بنت أبي سفيان رضي الله عنها وعن أبيها، وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها وهما من أمهات

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إحداد المرأة على غير زوجها برقم (١٢٨٠)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدّة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلّا ثلاثة أيّام برقم (١٤٨٦).

المؤمنين من أزواج النبي ﷺ زينب وأم حبيبة، تقول زينب: دخلت عليهما بعد موت والد أم حبيبة وموت أخي زينب فدعت كل واحدة بطيب وتمسحت به وقالت: (مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ تُحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً»)، كما هو نص القرآن يقول جلَّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] الزوجة عليها أن تعتد أربعة أشهر وعشراً على زوجها إذا مات وعليها أن تحد أيضاً عليها المدة كلها أربعة أشهر وعشراً، والإحداد ترك الزينة والطيب والكحل والحلي، والملابس الجميلة هذا الإحداد، المتوفى عنها إذا مات عنها زوجها تلاحظ خمسة أمور.

الأول: بقاءها في البيت إلا من حاجة تبقى في بيتها الذي مات زوجها وهي ساكنة فيه إلا من حاجة مثل خروجها للمستشفى، أو لمحكمة، أو لحاجة في السوق، أو نحو ذلك.

الأمر الثاني: عدم الملابس الجميلة؛ لأن الرسول نهى أن تلبس ثوباً مصبوغة صبغة جمال.

والثالث: عدم الحلي من ذهب أو فضة.

والرابع: عدم التكحل.

والخامس: عدم الطيب.

هذه الحادة على الزوج أربعة أشهر وعشر، أما الأقارب ثلاثة أيام فقط، المرأة تحد على قريبها ثلاثة أيام لا بأس أخوها، أبوها، ولدها، عمها، لا بأس ثلاثة أيام؛ لأن الرسول ﷺ قال: **«كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ»**؛ ولهذا لما مات أبو سفيان حدت عليه ابنته أم حبيبة ثلاثة أيام، وهكذا زينب بنت جحش حادت على أخيها

ثلاثة أيام فلا بأس إذا مات أخوها، أو أبوها أن تترك الزينة والطيب ثلاثة أيام لا بأس لقوله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ**» دل على أن الثلاث لا بأس بها «**إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**».

أما الرجل لا يغير شيئاً ليس له إحداد، الرجل لا يحد على ميت لا على زوجة لا على قريب بل يبقى على حاله؛ لكن النساء لأنهن يغلب عليهن قلة الصبر وعدم التحمل جبرهن الله بالإحداد على الميت أربعة أشهر وعشراً وعلى القريب ثلاثة أيام فقط، ولأن الزوج له حرمة فجعل هذا الإحداد من حماة الرحم ومن إظهار حق الزوج، ومن أسباب البعد عن الشر والريبة في حق المعتدة؛ لأن التجمل والزينة قد يدعوا إلى الطمع فيها، والإحداد من أسباب السلامة وإظهار الحزن على زوجها، وإظهار منزلته، فمن رحمة الله أن جعل هذه المدة براءة للرحم وحماية للزوجة من أسباب الشر، وحزناً للزوج الذي مات عنها رحمة من الله جلَّ وعلا للجميع وحماية للأرحام، وقد يكون فيها ولد، فيتبين بعد أربعة أشهر وعشر.

وفق الله الجميع.



٣٥٥ ـ بَابُ تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخِطبة على خطبته إلا أنْ يأذن أو يردّ

١٧٧٥ ـ **عن** أنس ﷺ، قالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يَبيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وإنْ كانَ أخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ. متفق عليه[١].

١٧٧٦ ـ **وعن** ابن عمر ﷺ، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا إِلَى الأَسْوَاقِ». متفق عليه[٢].

١٧٧٧ ـ **وعن** ابن عباس ﷺ، قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ» فقالَ لَهُ طَاوُسٌ: مَا لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَاراً. متفق عليه[٣].

١٧٧٨ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَبِيعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أخيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ، وَلَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إنائِهَا.

📖 وفي رواية قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبْتَاعَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب لا يبيع حاضرٌ لبادٍ بالسّمسرة برقم (٢١٦١)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للبادي برقم (١٥٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب النّهي عن تلقّى الرّكبان برقم (٢١٦٥)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم تلقّي الجلب برقم (١٥١٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضرٌ لبادٍ بغير أجرٍ وهل يعينه أو ينصحه برقم (٢١٥٨)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للبادي برقم (١٥٢١).

المُهَاجِرُ لِلأَعْرَابِيِّ، وَأَنْ تَشْتَرِطَ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، وأنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ على سَوْمِ أخِيهِ، وَنَهَى عَنِ النَّجْشِ والتَّصْرِيَةِ. متفق عليه[١].

١٧٧٩ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ إلَّا أنْ يَأذَنَ لَهُ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم[٢].

١٧٨٠ ـ **وعن** عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ حَتَّى يذَرَ». رواه مسلم[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث الصحيحة: دلت على أحكام متعددة أرشد إليها النبي ﷺ لما فيها من صلاح المجتمع وإبعاده عن الشحناء والعداوة والتباغض.

فالمسألة الأولى: النهي عن بيع الحاضر للبادي ولو كان أخاه لأبيه وأمه؛ لأن البيع من الحاضر للبادي يسبب غلاء الأسعار والتشدد في القيمة والبادي يبيع بأسهل، الذي يقدم من الخارج يبيع بالأسهل ولا يتشدد، فإذا تولى الحاضر البيع له شدد على الناس، فإذا جلب الناس على الأسواق غنماً أو إبلاً أو أقطاً أو غير ذلك، فلا يشتري الحاضر،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الطلاق برقم (٢٧٢٧)، ومسلم في كتاب البيوع، باب تحريم بيع حبل الحبلة برقم (١٥١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه، حتى ينكح أو يدع برقم (٥١٤٢)، ومسلم في كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك برقم (١٤١٢).

(٣) أخرجه في كتاب البيوع، في كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك برقم (١٤١٣).

أن يبيع لهم، يخلي يبيعون هم، هم يتولون البيع؛ لأن هذا أنفع للناس وأرخص للناس وأقرب إلى الرحمة، أما إذا تولاها الحاضر يشدد؛ ولهذا كرر ﷺ النهى **«أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»** كذلك النهي عن بيعه على بيعه وشرائه على شرائه لا يبيع على بيع أخيه ولا يشتر على شراء أخيه؛ لأن هذا يسبب العداوة والبغضاء فلا تبع على بيع أخيك ولا تشتري على شرائه، أما صورة البيع على بيع أخيك تعلم أن زيداً باع على عمرو سلعة بمائة ريال، تجيء للمشتري تقول له: أنا بعطيك مثل ها السلعة بأرخص حتى يهون من الشراء من أخيه، أنا بعطيك بأقل أو سلعتي أحسن حتى يهوّن، هذا بيع على بيع أخيه: **«دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»**(١) لا يدخل الإنسان في هذا.

يقول النبي ﷺ: **«دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»** والشراء على شرائه، الصورة نفسها تأتي للبائع وتقول: أنا بشتريها بأحسن من الذي بعتها لفلان، بعتها بألف، أنا بشتريها بألف ومائة يهوّن حتى تشتريها أنت، تمنع ذاك من شرائها، هذا الشراء على الشراء، هذه كلها تسبب الشحناء تسبب العداوة والبغضاء، فلا يبيع على بيع أخيه ولا يشتري على شراء أخيه **«دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»**.

أما النهي عن تلقي الجلب حتى تهبط الأسواق، معناه: ما ينبغي ولا يجوز للإنسان أن يتلقى الجلب في الطريق يشتري منهم قبل أن يصلوا السوق يوافيهم حتى يشتري الدهن أو الأقط أو الغنم لا يستمر حتى تهبط الأسواق، فإذا وصلت إبلهم أو غنمهم أو أقطهم أو سمنهم السوق اشتر منهم، أما أن تتلقاهم في الطريق لا؛ لأنك قد تشتري رخيصاً تغبنهم وتحرم الأسواق من المشاركة، دعهم حتى يهبطوا السوق يشترك معك إخوانك يتسع الرزق للناس، هذا يسوم، وهذا يسوم

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر لباد برقم (١٥٢٢).

الجالبون يطمئنون وأنت أيضاً تشارك إخوانك لا تبتز بالفائدة عنهم، ودع الجالبين يهبطون الأسواق، ثم سم أنت وغيرك، أما قوله ﷺ: «**لا تناجشوا**» النهي عن النجش فالنجش كونه يزيد في السلعة وما يقصد الشراء هذا النجش، والتناجش في كل واحد يزيد وليس هو بشاري ولكن يريد زيادة السعر على الناس، أو يريد أن ينفع البائع حتى يزيد الثمن الكثير يزيد وهو لا يريد الشراء لو قال نصيبك ما اشتراه لكنه يريد يشوش على الناس، هذا النجش، لا يجوز هذا لأنها خداع وخيانة وظلم للناس وإغلاء عليهم للسلع، فلا يجوز.

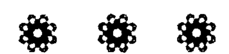
أما النهي عن التصرية معناه: أنه يصري الدابة الذي يريد بيعها البقرة أو الشاة أو العنز أو الخلفة يكثر لبنها يخلي فيها لبناً ولبن النهار وإذا جاء يبيع، يقول: هذا لبن الصبح، وهو فيها لبن الليل ولبن النهار جمعها حتى يظنوا أن هذا لبنها وأن لبنها جيد لا، لا يصري يبيع بلبنها الجديد، أما لبن الليل يأخذه لا يخليه وإلا يبين يقول: هذا لبن الليل والنهار يبين الحقيقة يقول: هذا لبن البارحة ولبن الصبح حتى لا يظن المشتري أنها لبن الصبح، هذا التصرية، الجمع، جمع اللبنين يجمع لبن البارحة أو أمس على لبن اليوم حتى يظن المشتري أن هذا لبنها اليوم، هذا يقول: ما شاء الله لُبنها كثير وهو غاش، ضام لبن البارحة وأمس على لبن الصبح، فلا يجوز هذا يسمى التصرية، ومن وجدها مصراة فله الخيار إذا عرف أنها مصراة، فله الخيار ويرد معها صاعاً من التمر.

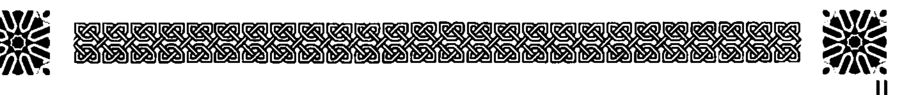
وأما النهي عن الخطبة على خطبة أخيه لا يحل له أن يخطب على خطبة أخيه حتى يأذن أو تُرد، إذا سمعت أن زيداً خطب بنت فلان لا تخطب على خطبته إلا إذا ردوه أو سمح لك هو أذن لك؛ لأنك إذا خطبت على خطبته قد يردونه ويأخذونك تسبب في السعي في الشر إذا خطب وسبقك لا تخطب أنت لأنه هو السابق حتى يأذن لك هو أو

يردوته هم، إذا ردوه اخطب أنت، هذا معنى النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه؛ يعني: خطبة النساء.

والمسألة الأخيرة: نهى الرسول عن المرأة تسأل طلاق أختها تقول: أنا ما أقبلك إلا حتى تطلق زوجتك لا؟ ما يجوز هذا الكلام إما تقبل أو ترد، ولا تقول: طلق زوجتك لا تتسبب في فراقها مع زوجته، بعض النساء إذا خطبت قالت: لا عنده جارة ما أوافق حتى يطلقها، هذا لا يصلح، إذا جاز لها أو تقول: أنا غير موافقة؛ لا تقول: شرط أن تطلق زوجتك أو زوجاتك؛ لأن هذا ظلم لهن وتعد عليهن وسعي في حرمانهن وهن سابقات.

وفق الله الجميع.





٣٥٦ ـ بَابُ النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

١٧٨١ ـ **عن** أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تفرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإضَاعَةَ المَالِ». رواه مسلم[1]، وتقدم شرحه.

١٧٨٢ ـ **وعن** ورَّادٍ كاتب المغيرة، قال: أَمْلَى عَلَيَّ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ في كِتابٍ إلَى مُعَاوِيَةَ ﷺ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إلـهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» وَكَتَبَ إلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإضَاعَةِ المَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ. متفق عليه[2]، وسبق شرحه.

الشَّرح

هذان الحديثان: فيهما النهي عن إضاعة المال، المال له فوائد

---

(١) أخرجه في كتاب الأقضية، باب النّهي عن كثرة المسائل من غير حاجةٍ والنّهي عن منعٍ وهاتٍ وهو الامتناع من أداء حقٍّ لزمه أو طلب ما لا يستحقّه برقم (١٧١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذّكر بعد الصّلاة برقم (٨٤٤) ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته برقم (٥٩٣).

جمة وبه يتعامل الناس في هذه الدار في حاجاتهم من مأكل ومشرب وملبس ومركب ومسكن فلا تجوز إضاعته ولا الإسراف فيه ولا التبذير؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأنعام: ١٤١]، ونهى عن إضاعة المال؛ فالواجب على المؤمن وعلى كل مسلم أن يتقيد بالشرع في التصرف في ماله وألا يصرف المال في وجه لا يبيحه الشرع المطهر، وكان ﷺ إذا سلم من الصلاة، اسْتَغْفَرَ ثَلَاثاً وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام**»[١]، وكان يقول: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**»[٢]. ثبت هذا من طريق ابن الزبير ومن طريق المغيرة، ومن طريق ثوبان في الاستغفار ثلاثاً «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ**»؛ فالسُّنَّة للمؤمن هكذا بعد كل فريضة والمؤمنة كذلك أول شيء يستغفر ثلاثاً ثم يقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**» المأموم الإمام والمنفرد والإمام بعد هذا يلتفت إلى الناس يعطيهم وجهه بعدما يقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**» ثم يقول كل منهم: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»، وإذا كررها ثلاثاً كان أفضل «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا**

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٤١٥).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٤١٦).

مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» ويستحب أن يزيد على هذا في المغرب والفجر: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» عشر مرات في الفجر وفي المغرب مع الذكر المذكور.

وكان عليه الصلاة والسلام «**ينهى عن عُقُوق الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ وَمَنَعَ وَهَاتِ**»، **عقوق الأمهات** من أقبح الكبائر والوالدين من أقبح الكبائر والأمهات أشد **ووأد البنات** وقتلهن، كانت الجاهلية يئدون البنات من كراهة البنت يكرهونها ويقتلونها وهي صغيرة وهو الوأد كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، وهكذا **مَنَعَ وَهَاتِ** ينبغي للمؤمن ألا يكون هكذا؛ منع وهات يعني: يكون شحيح بخيل ......[1] يبخل يطلب المال من كل طريق من حل وحرمه ويبخل به لا يليق بالمؤمن هذا؛ بل يطلب المال من حله وينفق في وجوهه هذا المشروع، أما أنه يكون بخيل حريص على المال من كل طريق ولو حراماً هذا منكر عظيم، نسأل الله العافية.

وكان ينهى عن «**قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَة السُّؤَالِ**» في اللفظ الآخر: «**وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[2]؛ يعني: قيل وقال تفضي إلى الغيبة والنميمة والكلام الفارغ، ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**»[3]، كثرة القيل والقال تفضي إلى ما لا تحمد عقباه، إما إلى كذب، إما إلى غيبة، وإما إلى نميمة فالحزم والمشروع للمؤمن أن يقول الخير أو ليصمت وأن يحفظ ماله ولا يضيع إلا فيما أباح الله له.

هكذا كثرة السؤال، كثرة السؤال عن العلم على وجه فيه تعنت أو

---

(١) كلمة غير واضحة (ولعل لا يبيح إظهار ماله).

(٢) سبق تخريجه برقم (٣٤٠) ج٢.

(٣) سبق تخريجه برقم (٣١٤) ج٢.

إيذاءً للمسؤول هذا هو المنهي عنه أو كثرة السؤال فيما يتعلق بالدنيا، يسأل قدر حاجته يسأل قدر الحاجة ولا يسأل زيادة إذا كان مضطر ما عنده شيء يسأل قدر حاجته، ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، وهكذا سؤال العلم يسأل لكن من دون تعنت ومن دون إحراج للمسؤول مع القصد الصالح مع النية الطيبة يقول ﷺ: **«إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً»** (يعني: للإصلاح أو لحاجته)، **فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ،** (يعني: سيل أو حرق اجتاحت ماله) **فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ ـ أَوْ قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ** (حتى يسد ما يسد حاجته) (والثالث رجل كانت عنده سعة تناقص ماله حتى نزل به الفاقة) **وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَاناً فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً»** رواه مسلم عن قبيصة رضي الله عنه[(١)].

المقصود للمؤمن: أن ينبغي له أن يتورع عن السؤال إلا في هذه المسائل: إذا تحمل حمالة للإصلاح أو لحاجته وحاجة أهله أو أصابته جائحة أو اشتد حاجته وشهد له ثلاثة من ذوي الحجا، من ذوي الديانة والعقل والبصيرة من قومه.

وفق الله الجميع.



---

(١) سبق تخريجه برقم (٥٣٦) ج٢.



٣٥٧ ـ بَابُ النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جاداً أو مازحاً، والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً

١٧٨٣ ـ **عن** أبي هريرة ﷺ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «لَا يُشِرْ أحَدُكُمْ إلَى أخِيهِ بِالسِّلاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَع فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ». متفق عليه[١].

وفي رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ: «مَنْ أشَارَ إلَى أخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْزِعَ، وَإنْ كَانَ أخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

□ قوله ﷺ: (يَنْزِع): ضُبِطَ بالعين المهملة مع كسر الزاي، وبالغين المعجمة مع فتحها، ومعناهما مُتَقَارِبٌ، وَمَعنَاهُ بالمهملةِ يَرْمِي، وبالمعجمةِ أيضاً يَرْمِي وَيُفْسِدُ. وَ(أصْلُ النَّزْعِ): الطَّعْنُ وَالفَسَادُ.

١٧٨٤ ـ **وعن** جابر ﷺ قال: نهى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً. رواه أبو داود والترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النّبي ﷺ «من حمل علينا السّلاح فليس منّا» برقم (٧٠٧٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب النّهي عن الإشارة بالسّلاح إلى مسلمٍ برقم (٢٦١٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في النّهي أن يتعاطى السّيف مسلولاً برقم (٢٥٨٨)، والترمذي في كتاب الفتن، باب في النّهي أن يتعاطى السّيف مسلولاً برقم (٢١٦٣).




٣٥٨ ـ بَابُ كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة

١٧٨٥ ـ عن أبي الشَّعْثَاءِ، قالَ: كُنَّا قُعُوداً مَع أبي هريرة ﵁ في المَسْجِدِ، فَأَذَّن المُؤَذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أبُو هُريرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فقال أبو هريرة: أَمَّا هذَا فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ ﷺ. رواه مسلم[١].

الشَّرْح

فالحديث الأول والثاني [١٧٨٣ ـ ١٧٨٤ ـ ١٧٨٥]: يدلان على تحريم تعاطي ما يسبب شرّاً على أخيه المسلم لا بالسلاح ولا بالعصا ولا بغيرها، وأن الواجب احترام المسلم والحذر من إيصال الشر إليه بالفعل أو القول، ومن ذلك الإشارة بالحديدة أو بالسلاح ولو مازحاً لا يجوز؛ لأن الشيطان قد ينزغ في يده ويزين له ضرب أخيه أو ينزع السلاح من يده حتى يقع من غير اختياره فيضر أخاه، ويروى: ينزغ وينزع، والمعنى: أنه قد يفعل الشيطان ما يسبب سقوطها من يده حتى تقع على أخيه.

في الحديث الآخر: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَنْزِعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» هذا يفيد الحذر من هذا وأن الواجب الحذر، وأن هذه من الكبائر، وما ذاك إلا لحرمة أخيه «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[٢]. المسلم محترم

---

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب النّهي عن الخروج من المسجد إذا أذّن المؤذّن برقم (٦٥٥).

(٢) سبق تخريجه برقم (٢٣٤) ج١.

حرمته عظيمة فلا يجوز ظلمه لا بقول ولا بفعل ولا التعرض للشيء الذي يسبب شرًّا عليه كالإشارة بالسلاح أو بالحديدة أو بشيء مثقل أو محاولة طرحه من سطح أو من جدار أو من نخلة أو ما أشبه ذلك كل هذا يسبب شرّاً عليه ولو كان مازحاً فقد يقع بالمزاح شر كبير.

وهكذا الحديث الثاني: أنه ﷺ: «**نَهَى أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً**» إذا أراد أن يناول أخاه يضعه في جفيره ثم يناوله إياه؛ لأنه قد يناوله إياه يسقط بينهما يسقط من هذا أو من هذا فيضر أحدهما فإذا أراد أن يناوله إياه يضعه في جفيره وهكذا أشباهها مما يضر.

وفي الحديث الثالث: الدلالة على أن الإنسان إذا كان في المسجد وأذن المؤذن ليس له الخروج حتى يصلي مع الجماعة، الجماعة واجبة إلا من عذر شرعي؛ ولهذا لما رأى أبو هريرة رضي الله عنه رجلاً خرج بعد الأذان قال: (**أَمَّا هَذَا، فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ**)؛ لأن بالأذان وجبت الصلاة والجماعة إلا من عذر كأن يخرج ليتوضأ أو إمام مسجد يذهب يصلي في مسجده؛ لأنه إمام أو لأعذار أخرى، وإلا فلا يخرج حتى يصلي مع الجماعة، ثم خروجه يوجب تهمته بأنه متساهل في الجماعة ينبغي أن يبعد الريبة عن نفسه وسبب ظن السوء.

وفق الله الجميع.





٣٥٩ ـ بَابُ كراهة رد الريحان لغير عذر

١٧٨٦ ـ **عن** أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمِلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ». رواه مسلم(١).

١٧٨٧ ـ **وعن** أنس بن مالكٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ. رواه البخاري(٢).



(١) أخرجه في كتاب الألفاظ من الأدب، باب استعمال المسك وأنّه أطيب الطّيب وكراهة ردّ الرّيحان والطّيب برقم (٢٢٥٣).

(٢) أخرجه في كتاب الهبة، باب ما لا يردّ من الهديّة برقم (٢٥٨٢).



٣٦٠ ـ بَابُ كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه، وجوازه لمن أمِنَ ذلك في حقه

١٧٨٨ ـ **وعن** أبي موسى الأشعري ﷺ قال: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ في المِدْحَة، فقالَ: «أَهْلَكْتُمْ ـ أَوْ: قَطَعْتُمْ ـ ظَهْرَ الرَّجُلِ». متفق عليه[١].

◻ وَ(الإطْرَاءُ): المُبَالَغَةُ فِي المَدْحِ.

١٧٨٩ ـ **وعن** أبي بكرة ﷺ؛ أنَّ رجلاً ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْراً، فقال النبيّ ﷺ: «وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» يَقُولُهُ مِرَاراً: «إنْ كَانَ أَحَدُكُم مَادِحاً لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلَا يُزَكّى عَلَى اللهِ أَحَدٌ». متفق عليه[٢].

١٧٩٠ ـ **وعن** همام بن الحارث، عن المِقْدَادِ ﷺ؛ أَنَّ رَجُلاً جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمانَ ﷺ، فَعَمِدَ المِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَجَعَلَ يَحثو في وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ. فقالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما يكره من الإطناب في المدح وليقل ما يعلم برقم (٢٦٦٣)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب النّهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنةٌ على الممدوح برقم (٣٠٠١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب إذا زكّى رجلٌ رجلاً كفاه برقم (٢٦٦٢)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب النّهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنةٌ على الممدوح برقم (٣٠٠٠).

رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ». رواه مسلم[١].

فهذهِ الأحاديث في النَهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة.

قال العلماءُ: وطريق الجَمْعِ بين الأحاديث أنْ يُقَالَ: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيَقينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لَا يَفْتَتِنُ، وَلَا يَغْتَرُّ بِذَلِك، وَلَا تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، وإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَديدَةً، وَعَلَى هَذا التَفصِيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلك.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الإبَاحَةِ قَولُهُ ﷺ لأبي بكْرٍ رضي الله عنه: «أرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»؛ أيْ: مِنَ الَّذِينَ يُدْعَونَ مِنْ جَمِيعِ أبْوابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِهَا.

وَفِي الحَدِيثِ الآخر: «لَسْتَ مِنْهُمْ»؛ أيْ: لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلَاءَ.

وَقَالَ ﷺ لعُمَرَ رضي الله عنه: «مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً إلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ».

والأحاديثُ في الإباحة كثيرةٌ، وقد ذكرتُ جملةً مِنْ أطْرَافِهَا في كتاب «الأذكار».

الشَرح

في الحديث الأول والثاني [١٧٨٦ ـ ١٧٨٧]: استحباب عدم رد الطيب لأنه خفيف المحمل طيب الريح، الريحان وأنواع الطيب إذا عرض عليك

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقاق، باب النّهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنةٌ على الممدوح برقم (٣٠٠٢).

أخوك طيباً فلا ترده لكونه خفيف المحمل طيب الرائحة خفيف المؤنة إلا من عذر شرعي؛ ولهذا كان النبي لا يرد الطيب عليه الصلاة والسلام ويقول: «**مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ، فإنه خَفِيفُ المَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ**» فإذا عرض أخوك عليك شيئاً من طيب يضعه في يدك أو يبخره، أما إذا كان شيئاً له قيمة تقول: أقبله بالثمن، كان لا يرد الهدية ويقبلها بالثمن إذا كان له قيمة تقول: أنا أقبلها لكن بالثمن إلا إذا كان بينك وبينه صفة خاصة ما تحتاج فيها الثمن هذا شيء آخر.

والحديث الثالث والرابع والخامس [١٧٨٨ ـ ١٧٨٩ ـ ١٧٩٠]: فيما يتعلق بالمدح، المدح خطير جدًا مدح الإنسان في وجه قد يفضي به إلى العجب، قد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه، فلهذا نهى النبي ﷺ عن المدح وقال للصحابة: «**وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**» «**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحاً أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَاناً، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَداً أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ**»؛ لأن الجزم بالمدائح قد يفضي إلى عجب الممدوح وأيضاً قد يضر آخرين من الذين يعتقدون فيه أنه كما قال هذا المادح؛ ولكن يقول: أحسبه كذا إلا إذا كان ممن يوثق به وكان المدح قليلاً فلا بأس مثل ما قال ﷺ لعمر: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكاً فَجّاً إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ**»[١] وجماعة على بعض الصحابة ثناءً خفيفاً ليس فيه طول؛ ولأنه معلم مرشد عليه الصلاة والسلام، فإذا كان المدح قليلاً لا يترتب عليه خطر فلا بأس به، وكما جرى من بين الصحابة ﷺ وأرضاهم في الشيء القليل الذي لا يخشى منه لا بأس أو كان ميتاً الممدوح لا يضر، لما

(١) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٩٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر برقم (٢٣٩٦).

ثبت عنه ﷺ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْراً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَجَبَتْ»** ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرّاً، فَقَالَ: **«وَجَبَتْ»** فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: (مَا وَجَبَتْ؟) قَالَ: **«هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ»**(١) ولم ينكر على من أثنوا عليها خيراً لأنه ميت ما يخشى عليه فإذا قيل للميت إنه رجل صالح وإنه كذا يدعى له يرجى له الخير.

وفق الله الجميع.



(١) سبق تخريجه برقم (٩٥٠) ج٣.




٣٦١ ـ بَابُ كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فراراً منه وكراهة القدوم عليه

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

١٧٩١ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشَّام حَتَّى إذا كَانَ بسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأصْحَابُهُ فَأخْبَرُوهُ أنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّام. قَال ابن عباس: فقال لي عمر: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأخْبَرَهُمْ أنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشَّامِ، فَاختَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَرَجْتَ لأمْرٍ، وَلَا نَرَى أنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعضهم: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وأصْحَابُ رسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نَرَى أنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاء. فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كاخْتِلَافِهِمْ، فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ رضي الله عنه في النَّاسِ: إنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عليْهِ، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أفِراراً مِنْ قَدَرِ الله؟ فقالَ عُمرُ رضي الله عنه: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبا عبيدَةَ! ـ وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ، نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِ اللهِ، أرَأيْتَ لَو كَانَ لَكَ إبِلٌ، فَهَبَطَتْ وَادِياً لَهُ عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيسَ إنْ

رَعَيْتَ الخصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ ﷺ، وَكَانَ مُتَغَيِّباً في بَعْضِ حاجَتِهِ، فقالَ: إنَّ عِنْدِي من هَذَا علماً، سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بأرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِراراً مِنْهُ» فحمِدَ اللهَ تَعَالَى عمرُ ﷺ وانصَرَفَ. متفق عَلَيهِ[1].

□ (والعُدْوَة): جانِب الوادِي.

١٧٩٢ ـ وعن أسامة بن زيد ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا». متفق عَلَيهِ[2].

الشَّرح

فهذان الحديثان: قصة عمر ﷺ لما توجه إلى الشام في حرب الروم وكانت الجيوش في الشام جيوش المسلمين في الشام مع قائدهم أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وجماعة، فلما وصل عمر ﷺ إلى محل يقال لها: السرغ في أطراف الشام بلغه أن الطاعون قد وقع بالشام؛ يعني: الوباء الخبيث فتوقف واستشار الناس في ذلك هل يرجع أو ما يرجع دعا بالمهاجرين ﷺ فانقسموا منهم من قال ارجعوا ومنهم من قال: لا ترجع، ثم دعا الأنصار الذين معه فاختلفوا كاختلاف المهاجرين منهم من قال: ارجعو ومنهم من قال: لا ترجع، ثم دعا بقية الصحابة الذين أسلموا عام الفتح، فاستشارهم فأجمع رأيهم على الرجوع

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب مايذكر في الطاعون برقم (٥٧٢٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب مايذكر في الطاعون برقم (٥٧٢٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٨).

وألا يقدم الناس على الوباء؛ يعني: ألا يقدم الجيش الذي معه على هذا الوباء فعزم على الرحيل ونادى في الناس أنه مصبح على ظهر؛ يعني: إنه متوجه صباحاً إلى المدينة راجع للمدينة.

فجاءه أبو عبيدة بن الجراح أمير الجيوش في الشام وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ أفرار من قدر الله فقال عمر رضي الله عنه: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لكان أسهل، ثم قال عمر رضي الله عنه: (**نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ**)، **نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ** الذي هو الوباء إلى قدر الله الذي هو السلامة هو طريق السلامة، ثم قال: أضرب لك مثلاً، (**أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِياً لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟**) وكله من قدر الله فبينما هم كذلك **فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ** رضي الله عنه الزهري وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة أيضاً، (**وَكَانَ مُتَغَيِّباً فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْماً**، عن النبي ﷺ في هذا ففرح عمر بذلك والمسلمون فقال: **إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ** (يعني: الطاعون) **فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ»**) هذا هو فصل النزاع هذا هو الفصل إذا وقع الطاعون وأنت في البلد لا تخرج فلا تخرج فراراً منه، أما إذا خرج الإنسان لحاجة أخرى ليس لقصد الفرار فلا بأس، وأما إذا وقع وأنت خارج البلد فلا تقدم عليه، إذا وقع في الشام أو في مصر أو في أي مكان فلا تقدم عليه؛ ولكن متى وقع وأنت في البلد فاصبر على قدر الله، والآجال مضروبة ما أحد يتقدم عن أجله ولا يتأخر كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]؛ لكن الإنسان مأمور بالبعد عن أسباب الهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] الإنسان يأخذ بالأسباب وما كتب الله ماضٍ ونافذ لا حيلة فيه؛ لكنه مأمور بالأسباب التي

شرعها الله، وهذا الوباء كانت في السنة السابعة عشرة من الهجرة وقيل: سنة ثمان من الهجرة مات فيه أبو عبيدة رئيس أمير الجيش رضي الله عنه مات فيه هو ومن كان من أهل البلد وتوفي بهذا الطاعون، هو شهادة للمؤمن هذا الوباء شهادة للمؤمن ومات فيه أيضاً معاذ بن جبل وجماعة من المسلمين في الشام بهذا الوباء رضي الله عنهم ورحمهم.

وفق الله الجميع.






٣٦٢ ـ بَابُ التغليظ في تحريم السحر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

١٧٩٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ». قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ باللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيم، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ؛ وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ». متفق عَلَيْهِ[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] برقم (٢٧٦٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٩).



٣٦٣ ـ بَابُ النهي عن المسافرة بالمصحف إِلَى بلاد الكفار إِذَا خيف وقوعه بأيدي العدوّ

١٧٩٤ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بالقُرْآنِ إِلَى أرْضِ العَدُوِّ. متفق عَلَيْهِ(١).

الشَرح

هذه الآية والحديثان الشريفان [١٧٩٣ ـ ١٧٩٤] كلها تتعلق بأحكامٍ:

أما الأول: فيتعلق بالسحر ووجوب الحذر منه قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. قال بعده: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهو شر عظيم وبلاء كبير؛ فالواجب الحذر منه؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ فالشياطين تعلمه الناس ليكفروا والملكان يعلمان الناس ويحذران؛ لأنه كفر ﴿حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾؛ يعني: اختبار وامتحان وابتلاء ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ يعني: بتعلمه ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، والسبب في ذلك أن تعلمه إنما يكون بواسطة الشياطين وعبادتهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب السّفر بالمصاحف إلى أرض العدوّ برقم (٢٩٩٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النّهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفّار إذا خيف وقوعه بأيديهم برقم (١٨٦٩).

من دون الله والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم ونحو ذلك؛ فلهذا كان تعلم السحر وسيلة إلى الشرك بالله، فمن تعلمه إنما يتعلمه من طريق الكفر وهم أهل السحر يستخدمون الشياطين في تنفيذ مرادهم من إيذاء أحد أو ظلم أحد، أو قتل أحد، أو غير هذا، فالسحرة هم أولياء الشياطين يتولون عبادتهم من دون الله، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، والذبح لهم، ويستعينون بهم على ما يريدون من إيذاء الناس؛ ولهذا كتب عمر ﷺ إلى قواة الجيوش في الشام أن يقتلوا كل ساحر وساحرة لعظم شرهم وبلائهم، وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»[(١)] **وقتلت حفصة** ﷺ أم المؤمنين جارية لها سحرتها فأمرت بها فقتلت؛ فالساحر إنما يسحر بواسطة الشياطين والشرك مع ضرره بالناس وإيذائه للناس.

يقول ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**» (يعني: المهلكات) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ**، (فجعل السحر قرين الشرك لأنه منه) **وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**»؛ يعني: قذفهن بالفاحشة فهذه من الكبائر، سبع من الكبائر، والكبائر كثيرة هذه السبع منها: عقوق الوالدين من الكبائر، قطيعة الرحم من الكبائر، كتم العلم من الكبائر، اللعن والسب من الكبائر، قطع الطريق من

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث جندب ﷺ في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر برقم (١٤٦٠) قال أبو عيسى هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال: وكيع هو ثقة ويروي عن الحسن أيضا. والصحيح عن جندب موقوفا والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس وقال الشافعي: «إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلا» والدارقطني والحاكم.

الكبائر، إلى غير هذا، الكبائر عديدة، يروى عن ابن عباس أنه قال: «هِيَ إِلَى سَبْعِينَ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى سَبْعَةٍ».

وضابطها أنها كل ذنب توعد عليه بالنار أو بغضب الله أو باللعنة فإنه يسمى كبيرة، وقال بعض أهل العلم: كذلك كل ذنب نفي الإيمان عن صاحبه أو جاءت البراءة منه فهو كبيرة مثل قوله ﷺ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»**[(١)]؛ يعني: عند المصيبة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أن هذا من الكبائر ومن هذا قوله ﷺ: **«أنا بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ»**[(٢)] براءة، الصالقة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة هي التي تشق ثوبها عند المصيبة؛ فالواجب الحذر من جميع السيئات، الواجب الحذر من جميع السيئات، والبدار بالتوبة من جميع السيئات، هذا هو الواجب على المؤمن أن يكون حذراً من المعاصي، الله يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢]، الواجب الحذر من جميع المعاصي والبدار بالتوبة من جميع المعاصي؛ فالتوبة هي طريق النجاة بعد الحذر، فإذا وقع في الذنب الإنسان يبتلى، فإذا وقع فالبدار بالتوبة يبادر بالتوبة والندم وسؤال الله المغفرة قبل أن يهجم عليه الأجل، ومن أسباب الخير كثرة الأعمال الصالحات فإنها تعين على محو السيئات فإن الحسنات تذهبن السيئات، فالاستكثار من الخير والعمل الصالح من أسباب تكفير السيئات كقراءة القرآن، كثرة التسبيح

(١) سبق تخريجه برقم (١٦٥٨).
(٢) سبق تخريجه برقم (١٦٥٩).

والتحميد والتهليل والتكبير، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة إلى الله الإحسان إلى الناس بالصدقة وغيرها، كل هذا من أسباب الخير وأسباب تكفير السيئات.

حديث نهىٰ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، كذلك النهي عنه إذا خُشي عليه وهو الآن يطبع في بلادهم وبين أيديهم؛ لكن متى خشي عليه في أي بلد من بلاد العدو فلا يسافر به إليه صيانة له.

وفق الله الجميع.






٣٦٤ ـ بَابُ تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

١٧٩٥ ـ **عن** أُمِّ سلمة رضي الله عنها؛ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ، إنَّمَا يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ». متفق عَلَيْهِ[1].

📖 وفي رواية لمسلم: «إنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ».

١٧٩٦ ـ **وعن** حُذَيفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نهانا عنِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالشُّرْبِ في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وقالَ: «هُنَّ لَهُمْ في الدُّنْيا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ». متفق عَلَيْهِ[2].

📖 وفي رواية في الصحيحين عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَا تَلْبسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا».

١٧٩٧ ـ **وعن** أنس بن سِيرين، قَالَ: كنتُ مَعَ أنس بن مالك رضي الله عنه، عِنْدَ نَفَرٍ مِنَ المَجُوسِ؛ فَجِيءَ بفَالُوذَجٍ عَلَى إنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَأْكُلْهُ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب آنية الفضّة برقم (٥٦٣٤)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم أواني الذّهب والفضّة في الشّرب وغيره على الرّجال والنّساء برقم (٢٠٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناءٍ مفضّضٍ برقم (٥٤٢٦)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذّهب والفضّة على الرّجال والنّساء وخاتم الذّهب والحرير على الرّجل وإباحته للنّساء وإباحة العلم ونحوه للرّجل ما لم يزد على أربع أصابع برقم (٢٠٦٧).

فَقِيلَ لَهُ: حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ عَلَى إناءٍ مِنْ خَلَنْجٍ وَجِيءَ بِهِ فَأَكَلَهُ. رواه البيهقي[١] بإسناد حسن.

▫ **(الخَلَنْج): الجفْنَةُ.**

الشَّرح

هذه الأحاديث: تتعلق بالشرب في أواني الذهب والفضة، وهذه الأحاديث تدل على تحريم ذلك لا يجوز للمسلم أن يتخذ أواني من الذهب والفضة لا للأكل ولا للشرب ولا للطهارة ولا غير ذلك؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، (في اللفظ الآخر: إناء الذهب والفضة) إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**» هذا وعيد شديد يدل على تحريم ذلك، وقال ﷺ: «**لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا (يعني: الكفرة) وَلَنَا فِي الآخِرَةِ**». في حديث حذيفة أن الرسول «**نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ، وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ**»؛ فالواجب على أهل الإسلام أن يحذروا ذلك لأن الكفرة قد يستحلون هذا ولا يبالون لعدم إيمانهم وعدم تقيدهم بالشرع، أما المسلم فالواجب أن يتقيد بالشرع وأن يحذر ما نهى الله عنه فلا يتخذ أواني من الذهب ولا من الفضة لا أباريق ولا أواني للشرب ولا أكواب شاي ولا فناجين قهوة ولا ملاعق كلها لا يجوز من الذهب والفضة يجب الحذر من ذلك لقوله ﷺ: «**الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**»، ويقول: «**لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ**

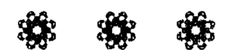
---

(١) رواه في سننه ١/٢٨، باب المنع من الأكل في صحاف الذّهب والفضّة برقم (١٠٦).

الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ».

وهكذا الحرير يحرم على الرجال خاصة أما النساء فلا بأس، أما الرجال يحرم عليهم لبس الحرير والجلوس عليه، والمرأة لها لبس الحرير والتجمل به خاص بالنساء.

وفق الله الجميع.






٣٦٥ ـ بَابُ تحريم لبس الرجل ثوباً مزعفراً

١٧٩٨ ـ **عن** أنس رضي الله عنه قَالَ: نَهَى النبيُّ ﷺ أنْ يَتَزَعْفَرَ الرجُل. متفق عَلَيْهِ[١].

١٧٩٩ ـ **وعن** عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: رأى النَّبيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «أُمُّكَ أمَرَتْكَ بِهَذا؟» قلتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا».

📖 وفي رواية، فَقَالَ: «إنَّ هَذَا مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا». رواه مسلم[٢].



(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب التّزعفر للرّجال برقم (٥٨٤٦)، ومسلم في كتاب اللباس، باب النّهي عن التّزعفر للرّجال برقم (٢١٠١).

(٢) أخرجه في كتاب اللباس، باب النّهي عن لبس الرّجل الثّوب المعصفر برقم (٢٠٧٧).




٣٦٦ ـ بَابُ النهي عن صمت يوم إلَى الليل

١٨٠٠ ـ **عن** عليٍّ ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ يَومٍ إِلَى اللَّيْلِ». رواه أبو داود[1] بإسناد حسن.

قَالَ الخَطَّابِيُ في تَفسيرِ هَذَا الحديث: كَانَ مِنْ نُسُكِ الجَاهِلِيَّةِ الصُّمَاتُ. فَنُهُوا في الإسْلَامِ عَن ذَلِك وأُمِرُوا بالذِّكْرِ وَالحَدِيثِ بالخَيْرِ.

١٨٠١ ـ **وعن** قيس بن أَبي حازم، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بكر الصِّدِّيق ﷺ عَلَى امْرأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ، فَرَآهَا لَا تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ: مَا لَهَا لا تكلمُ؟ فقالوا: حَجَّتْ مصمِتةً، فقالَ لها: تَكَلَّمِي، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَتَكَلَّمَتْ. رواه البخاري[2].

الشَـرح

الحديثان السابقان [١٧٩٨ ـ ١٧٩٩]: يدلان على أن الرجل لا يتزعفر ولا يلبس الثياب المزعفرة والمعصفرة؛ لأن هذا من زي النساء وزي الكفار؛ ولهذا قال لعبد الله بن عمرو: «أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟ إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»؛ فالمؤمن يحذر الألبسة التي تشابه النساء والألبسة التي تشابه الكفار؛ فالتزعفر من شأن النساء، وكذلك لباس الثياب المزعفرة والمعصفرة من شأن النساء وربما لبسها بعض الكفرة أيضاً؛ فلهذا قال ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ» في اللفظ الآخر: «أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟» فدل على أن المؤمن يتجنب ملابس الكفرة وملابس

---

(١) أخرجه في كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتم برقم (٢٨٧٣).
(٢) أخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب أيّام الجاهليّة برقم (٣٨٣٤).

النساء، الرجل لا يتشبه بالنساء ولا بالكفرة ولا يلبس الثياب المزعفرة والمعصفرة؛ ولكن يلبس الثياب الأخرى بيضاء سوداء صفراء خضراء صفراء؛ لكن بغير عصفر وبغير زعفران؛ كذلك الحديث الآخر على لا يجوز التعبد بالصمت إلى الليل، الإنسان يتكلم، بعض الجاهلية ينذرون أن يصمتوا إلى الليل لا يتكلمون، هذا غلط ولا يجوز؛ بل يتكلم الإنسان والتعبد بالصمت إلى الليل غلط؛ لكن يتكلم بذكر الله يصون لسانه عما لا ينبغي ويتكلم «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**» يتكلم بالخير أو يصمت، أما أن يمسك عن الكلام يتعبد هذا بدعة التعبد بترك الكلام من الليل إلى الليل هذا بدعة، المؤمن يتكلم يذكر الله يحدث أصحابه يتكلم مع إخوانه يسلم يرد السلام يشمت العاطس؛ ولهذا أنكر النبي على هذه المرأة «**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ**».

متى بلغ الصغير الذي ليس له أب زال عنه اليتم يسمى يتيماً ما دام صغيراً وأبوه ميت يسمى يتيماً، فإذا بلغ الحلم ما يسمى يتيماً؛ لأنه استقل صار رجلاً؛ ولا يجوز التعبد بالصمت إلى الليل إنما التعبد بالصمت عما لا ينبغي يصمت عن الكلام الفاحش عن الغيبة والنميمة؛ لكن يتكلم بذكر الله برد السلام البداءة بالسلام التحدث مع إخوانه مع أهله، هذا هو المشروع، الله المستعان.

وفق الله الجميع.





٣٦٧ ـ بَابُ تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه وتَولِّيه إلى غير مَواليه

١٨٠٢ ـ **عن** سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ». متفق عَلَيْهِ(١).

١٨٠٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أبِيهِ، فَهُوَ كُفْرٌ». متفق عَلَيْهِ(٢).

١٨٠٤ ـ **وعن** يزيد بن شريك بن طارقٍ، قَالَ: رَأيتُ عَلِيّاً رضي الله عنه عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يقُولُ: لَا واللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرؤُهُ إلَّا كِتَابَ اللهِ، وَمَا في هذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا فَإذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإبِلِ، وَأشْيَاءُ مِنَ الجَرَاحَاتِ، وَفِيهَا: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «المَدينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً، أَوْ آوَى مُحْدِثاً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً. ذِمَّةُ المُسْلِمينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِماً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف برقم (٤٣٢٦ و٤٣٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم (٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب من ادّعى إلى غير أبيه برقم (٦٧٦٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم (٦٢).

وَمَن ادَّعَى إِلَى غَيرِ أَبيهِ، أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيرِ مَوَاليهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعينَ؛ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يومَ القِيَامَةِ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً». متفق عَلَيْهِ[١].

▫ (ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ)؛ أيْ: عَهْدُهُم وأمَانَتُهُم. و(أخْفَرَهُ): نَقَضَ عَهْدَهُ.

▫ وَ(الصَّرْفُ): التَّوْبَةُ، وَقِيلَ: الحِيلَةُ. وَ(العَدْلُ): الفِدَاءُ.

١٨٠٥ ـ وعن أبي ذَرٍّ ﷺ؛ أنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، يقول: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُو اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ». متفق عَلَيْهِ، وهذا لفظ رواية مسلم[٢].

الشَّرح

فهذه الأحاديث الصحيحة: كلها تتعلق بتحريم الانتساب إلى غير الأب، وأن الواجب على كل مسلم أن ينتسب إلى أبيه وإلى جماعته وألا يترك ذلك لاحتقارٍ ولا لغير ذلك من المقاصد؛ بل يجب أن يكون انتسابه إلى أبيه وجماعته وليس له أن ينتسب إلى زيد أو عمرو من أجل دنيا أو مكاسب أخرى؛ ولهذا توعد ﷺ في ذلك في الأحاديث الصحيحة: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» هذا وعيد شديد في اللفظ الآخر: «فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ» في لفظ: «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ» هذا يدل على شدة الوعيد والواجب الحذر، والمعنى: أنه كفر أصغر وفيه الوعيد

(١) أخرجه البخاري في أبواب فضائل المدينة، باب حرم المدينة برقم (١٨٦٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النّبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها برقم (١٣٧٠).

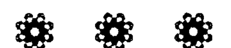
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب،برقم (٣٥٠٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم (٦١).

الشديد وإذا استحل ذلك صار كفراً أكبر نسأل الله العافية، الواجب على المسلم أن يحذر ذلك وأن ينتسب إلى أبيه وألا يترك ذلك لا احتقاراً ولا لمقاصد أخرى، بعض الناس ينتسب إلى عمه أو إلى زيد للجنسية؛ لأن عمه مشهور أو ابن عمه مشهور ينتسب إليه حتى يأخذ الجنسية في البلد التي هو فيها، هذا منكر عظيم نسأل الله العافية.

بعضهم يحتقر أباه وينتسب إلى غير أبيه من أجل الدنيا ينتسب إلى إنسان معروف حتى يوظف أو حتى يعطى كذا أو حتى يعمل له كذا كل هذا منكر عظيم؛ فالواجب على المسلم أن يحذر ذلك.

وهكذا مواليه إذا كان من مطير لا يقول: أنا من عتيبة، وإذا كان من قريش لا يقول: أنا من غير قريش، وإذا كان من قريش، لا يقول: أنا من قريش ينتسب إليهم يكذب وهم معتقوه عتيق قد أعتقه قريش لا ينتسب إلى غيرهم، أعتقه مطير لا ينتسب غيرهم، أعتقه فلان لا ينتسب إلى غيره إلى مواليه في هذا وعيد **«وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**. هذا وعيد عظيم يفيد الحذر من هذه الخصلة الذميمة؛ فالواجب على المؤمن ينتسب إلى أبيه وإلى مواليه وحمولته وقرابته، ويحذر خلاف ذلك كما حذره النبي عليه الصلاة والسلام.

وفق الله الجميع.






٣٦٨ ـ بَابُ التحذير من ارتكاب ما نهى الله ﷻ أو رسوله ﷺ عنه

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

١٨٠٦ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ تَعالَى يَغَارُ، وَغَيْرَة اللهِ أنْ يَأْتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ». متفق عليه[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة برقم (٥٢٢٣)، ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش برقم (٢٧٦١).



٣٦٩ ـ بَابُ ما يقوله ويفعله من ارتكب منهياً عنه

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

١٨٠٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ في حَلفِهِ: بِاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلـٰهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرِكَ فَلْيَتَصَدَّقْ». متفق عليه[1].

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة كلها [١٨٠٦ ـ ١٨٠٧] فيها التحذير من ارتكاب محارم الله، وأن الواجب الحذر من المعاصي، فإن الله جلَّ وعلا يغار، وغيرته أن تنتهك محارمه، في الحديث الصحيح **«يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] برقم (٤٨٦٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب من حلف باللّات وَالعُزّى فَلْيَقُلْ: لا إلـه إلّا الله برقم (١٦٤٧).

أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً»(١). وهو ﷻ يغار؛ ولهذا نهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠]، قال ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

فالواجب الحذر من معاصي الله جلَّ وعلا، والمسارعة إلى التوبة والندم والإقلاع، والتعوذ بالله من الشيطان، كما قال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ يعني: بادروا بالتوبة؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]؛ يعني: سارعوا بالتوبة والعمل الصالح ولا تقنطوا فعلى المؤمن أن يحذر غضب الله ويحذر نقمته، ويحذر أسباب عقوبته.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂ أخرجه البخاري في كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف برقم (١٠٤٤)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف برقم (٩٠١).

كذلك في الحذر من الحلف بغير الله، وأن الواجب الحلف بالله وحده، يقول النبي ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ»**[1] ويقول ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ فَقَالَ في حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**.

في اللفظ الآخر **«فينفث عن يساره ثلاثاً ويتعوذ من الشيطان وليقل لا إله إلا الله»** لأن الحلف بغير الله شرك ودواء الشرك التوحيد، والإخلاص لله جلَّ وعلا.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية ولا حول ولا قوة إلا بالله.



(١) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٣٤.



كتاب المنثورات والملح

٣٧٠ ـ بَابُ المنثورات والملح

١٨٠٨ ـ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِم، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشام وَالعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْماً: يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْم قَالَ: لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ: كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَراً لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ

بَعَثَ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». رواه مسلم[1].

قوله: (خلةً بين الشام والعراق)؛ أي: طريقاً بينهما. وقوله: (عاث): بالعين المهملة والثاء المثلثة، و(العيث): أشد الفساد. و(الذرى): بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأسنمة. وهو جمع ذروةٍ بضم الذال وكسرها، و(اليعاسيب): ذكور النحل. و(جزلتين)؛ أي: قطعتين، و(الغرض): الهدف الذي يرمى إليه بالنشاب؛ أي: يرميه رميةً كرمي النشاب إلى الهدف. و(المهرودة): بالدال المهملة والمعجمة، وهي: الثوب المصبوغ. قوله: (لا يدان)؛ أي: لا طاقة. و(النغف): دودٌ. و(فرسى): جمع فريسٍ، وهو القتيل: و(الزلقة): بفتح الزاي واللام وبالقاف، وروي الزلفة بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وهي المرآة. و(العصابة): الجماعة. و(الرسل): بكسر الراء: اللبن و(اللقحة): اللبون، و(الفئام): بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودةٌ: الجماعة. و(الفخذ من الناس): دون القبيلة.

الشَّرح

هذا الحديث الصحيح: فيما يتعلق بخروج الدجال، الدجال ورد فيه عدة أحاديث وهو من أشراط الساعة القريبة من قيامها، وحتى الآن لم يقع فإن أشراط الساعة كثيرة لكن أخصها وأقربها إليها أربعة: خروج المهدي الذي يحكم الناس من بيت النبوة فيعدل في الناس، ثم خروج الدجال، والدجال سمي دجالاً لكذبه لكثرة كذبه وهو من بني آدم لكن يدعي النبوة ثم يدعي أنه ربُّ العالمين، نسأل الله العافية ويخرج من جهة الشرق خلة بين الشام والعراق من جهة المشرق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً، يدعي أنه نبي ثم يدعي أنه رب العالمين، فيتبعه من الناس من لا

(١) أخرجه في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٧).

يحصيهم إلا الله من جهلة الناس وسفلتهم، ومن لا يعرف شيئاً لما يقع على يديه من خوارق التي تمر الناس، منها أنه يأمر السماء أن تمطر والأرض أن تنبت، وهذا أمر خطير فيمر بقوم فيردون عليه دعوته فيمهلون وتجدب أرضهم وتنيهه خروج كنوز قرى التي بها كنوز قد مضى أهلها، تخرج وتتبعه كيعاسيب النحل هذه فتنة عظيمة، ثم يأمر بالشاب الممتلئ فيقطعه جزلتين، ثم يقول: قم فيقوم سوياً يضحك ويقول: ما زدت فيك إلا بصيرة أنت الدجال فلا يستطيع بعد هذا أن يقتل أحداً بعد هذا الرجل، قالوا: يا رسول الله كم يمكث فينا، وهو أعور عينه اليمنى كأنه عنبة طافية أعور اليمنى ساقطة قالوا: يا رسول الله كم يمكث فينا قال: **«أَرْبَعُونَ يَوْماً يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»** يصلى في كل أربعة وعشرين ساعة خمس صلوات في اليوم الذي كسنة وكشهر وكأسبوع يقدر للصلوات قدره، وباقي أيامه كأيامنا، ثم ينزل الله عيسى ابن مريم نبي الله عليه الصلاة والسلام، فيقتل الدجال يتبعه عند باب لُد بالشام فيقتله ويقتل معه جماً غفيراً من اليهود؛ لأن اليهود هم أنصاره هو ملكهم الدجال في الشام حتى يقول الشجر والحجر: يا عبد الله هذا يهودي تعال فاقتله، ينطق الله الشجر والحجر ممن حوله من اليهود فيكون مقتلة عظيمة على يد المسلمين على يد عيسى للدجال ومن تبعه إلا الغرقد شجر يقال لها: غرقد، هذا لا يتكلم.

ثم يخبر الله عيسى أن هناك جنداً من عباده سيخرجون لا يد له في قتالهم، وأمر أن يتحرز عنهم بالجبال وهم يأجوج ومأجوج سيخرجون ومن كل حدب ينسلون وفتنتهم عظيمة، فيمر أولهم على بحيرة طبرية التي في الأردن فيشربون ما فيها، ثم يمر الباقي يقولون:

لقد كان في هذه يوماً ماء، ثم يدعو الله عيسى عليه الصلاة والسلام على هؤلاء فيرسل الله تعالى نغفاً في رقابهم؛ يعني: الدود في رقابهم فيموتون كموت نفس واحدة، فرسى يموتون في الحال موت شخص واحد بهذا الدود الذي أرسله الله في رقابهم فَتُنْتِن الأرض منهم فيتأذى الناس منهم، فيرسل الله طيوراً كأعناق الإبل فتنقلهم إلى ما شاء الله، في رواية «**إلى البحر**» ويسلم الناس من شرهم، ثم يعيش الناس في عيشة عظيمة هنيئة فعيسى عليه الصلاة والسلام ترد الأرض بركاتها ويخرج الله منها الخير الكثير، حتى إن الرمانة الواحدة تكفي فئاماً من الناس من عظمها، واللقحة تكفي الفئام من الناس، والبقرة تكفي القبيلة من الناس؛ يعني: لبنها ينزل الله البركة في اللبن بركة في الأرض في ثمارها، ثم تخرج بقية أشراط الساعة من هدم الكعبة والدخان ونزع القرآن وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، كلها متقاربة ثم يرسل الله ريحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنين فلا يُبقي منهم على وجه الأرض أحداً، ثم يأمر الله القيامة فتقوم القيامة على أشرار الخلق على أمم كالبهائم كالسباع لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً يتهارجون ويتناكحون في الطرقات كالحمر لا دين ولا خير ولا عقول نسأل الله العافية، تقوم عليهم الساعة نسأل الله السلامة والعافية، كذلك من لقيه منهم أن يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف، وفي رواية عشراً من آخرها فينبغي لكل مسلم أن يحفظها حتى يقرأ ما تيسر منها، عشر آيات من أولها أو عشر آيات من آخرها أو يقرأها كلها فمن أسباب السلامة.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٠٩ ـ **وعن** رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ قَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَاراً فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَاراً فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. متفقٌ عليه[1].

١٨١٠ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص ﭫ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْراً أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ. قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ، فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ مَطَراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوْ: الظِّلُّ ـ نُعْمَانُ الشَّاكُّ ـ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٥٠)، وفي كتاب الفتن، باب ذكر الدجال برقم (٧١٣٠)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٤).

يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] وَذَلِكَ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. رواه مسلم[١].

□ (الليت): صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى.

الشَّرح

هذان الحديثان: يتعلقان بالدجال، تقدم حديث النواس بن سمعان في الدجال، والدجال آية من آيات الساعة وشرط من أشراطها كما تقدم أشراطها القريبة من قيامها، والدجال شخص كذاب من بني آدم يقال له الدجال لعظم كذبه وكثرة دجله وافترائه، تقدم يمكث في الناس أربعين يوماً في حديث عبد الله بن عمرو «أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْراً، أو أربعين سنة»، حديث النواس بن سمعان وضح أنها «أَرْبَعُونَ يَوْماً يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِنا» وفيه: أن معه ناراً وماءً، فأما الذي يراه الناس ناراً، فماءٌ باردٌ عذبٌ، وأما الذي يراه الناس ماءً، فنارٌ تحرق، فمن أدركه منكم، فليقع في الذي يراه ناراً؛ لأنه يغير أشياء ويدلس أشياء ويكذب الأشياء، وتقدم بعض ما يقع على يديه من الخوارق الكثيرة التي تضر الناس وتجعلهم يستجيبون له من استنزاله المطر واستنباته النبات، وكونه تتبعْ كنوز الخربات إلى غير ذلك مما يقع على يديه من الفتنة، ثم ينزل الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقاتل

---

(١) أخرجه في كتاب الفتن، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور برقم (٢٩٤٠).

الدجّال ومعه المسلمون فيقتله بباب لُد في الشام في الأردن، ويقول الشجر والحجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتله، الدجال يكون معه اليهود؛ لأنه رئيسهم ملكهم الدجال فيحاصر المسلمون الدجال واليهود فيقتلونهم قتلاً ذريعاً، ويقتلون الدجال حتى إن الشجر والحجر يقول: يا عبد الله هذا يهودي تعال فاقتله إلا الغرقد، ثم بعد ذلك يمكث الناس في رغد من العيش ونعمة وينتشر الإسلام ويفيض المال على الناس حتى لا يقبله أحد، حتى يهم الإنسان من يقبل صدقته لسعة المال وكثرته وقلة الفقراء، ثم بعد خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها كما يأتي، كما جاء في الأحاديث الصحيحة بعد هذا كله يرسل الله ريحاً طيباً لينة فتقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات فلا يبقى أحد فيه إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع؛ يعني: لا عقول ولا دين يتهارجون تهارج الحُمُر فيأتيهم الشيطان «**فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ فَيَقُولُونَ: إلى أي شيء؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ**» فيستجيبون له لعدم البصيرة، كما تقدم لخفة الطير وأحلام السباع، وعلى هؤلاء تقوم الساعة على شرار الناس تقوم الساعة، نسأل الله السلامة والعافية.

المقصود: أن آخر الزمان فيه فتن كثيرة فتن الدجال وفتنة يأجوج ومأجوج هذه فتنة عظيمة، ثم هدم الكعبة على يد بعض الحبشة، ثم نزع المصحف من الصحف ومن القلوب ورفع القرآن، كل هذه من الآيات التي تقع قبل قيام الساعة، هكذا الدخان الذي يعم الناس، ثم خروج الدابة الذي أخبر الله ﷻ في قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، ثم طلوع الشمس من مغربها ثم بعدها حشر النار نسأل الله العافية، فالمؤمن يحرص على أن يعد العُدة في أي وقت ولا ينتظر، بل كل وقت يعد العُدة يخشى من هجوم لا قبل له، قد يفُتن بفتن أخرى غير أشراط

الساعة عند كثرة الشر وغربة الإسلام تقع الفتن الكثيرة والشبهة الكثيرة، فالمؤمن عليه أن يجتهد ويتحرى الحق ويصبر على البلاء حتى يلقى ربه ﷻ، ومن بُلي بهذه الآيات بخروج الدجال في زمانه أو غيره فعليه أن يتقي الله ويتمسك بالحق، ولا يغتر بدجل الدجالين وكذب الكذابين نسأل الله العافية.

❁ ❁ ❁

١٨١١ ـ وعن أَنَس ﷺ، **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»**. رواه مسلم[1].

١٨١٢ ـ وعنه ﷺ؛ **أن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»**. رواه مسلم[2].

١٨١٣ ـ وعن أم شريك ﷺ؛ **أنها سمعت النبي ﷺ يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ»**. رواه مسلمٌ[3].

١٨١٤ ـ وعن عمران بن حصينٍ ﷺ، **قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنْ الدَّجَّالِ»**. رواه مسلم[4].

(١) أخرجه في كتاب الفتن، باب قصة الجساسة برقم (٢٩٤٣).
(٢) أخرجه في كتاب الفتن، باب في بقية أحاديث الدجال برقم (٢٩٤٤).
(٣) أخرجه في كتاب الفتن، باب في بقية أحاديث الدجال برقم (٢٩٤٥).
(٤) أخرجه في كتاب الفتن، باب في بقية أحاديث الدجال برقم (٢٩٤٦).

الشَرح

هذه الأحاديث: تتعلق بالدجال، والدجال شخص من بني آدم يخرج في آخر الزمان من أشراط الساعة يكذب كذباً كثيراً، ولهذا قيل: الدجال لكثرة كذبه يدعي أنه نبي ثم يدعي أنه رب العالمين، ويؤيد بأشياء من الخوارق يبتلي بها الله الناس، جاء أنه يتبعه كنوز القرى كيعاسيب النحل، وأنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت لمن اتبعه، ومن أبى أمحلت أرضهم، هذه الأشياء يمتحن الله بها عباده في آخر الزمان فيثبت الله أهل الإيمان ويزدادون بصيرة إذا عرفوا هذا، وأن هذا هو الدجال الذي أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام، ويحمي الله منه مكة والمدينة بملائكة تحميها منه فلا يدخل مكة ولا المدينة، وفي رواية «**إن المدينة تحمى من الطاعون والدجال جميعاً**» كما روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ[1] «**فلا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلا الدَّجَّالُ وأنه تَرْجُفُ ثَلاثَ رَجْفَاتٍ ينزل بالسبخة خارج المدينة فترجف ثلاث رجفات فيخرج الله منها كل منافق وكل كافر يتبعونه ويؤتى برجل ممتلئ فيضربه ضربة فيقطعه جزلتين ثم يقول له: قم فيقوم ثم يقول الرجل: ما زدت فيك إلا بصيرة أنت الدجال ثم يريد قتله مرة أُخرى فلا يستطيع**» وفي الرواية الأخرى: أن معه ماء وناراً فالذي يقول: إنه نار هو ماء طيب، والذي يقول: إنه ماء فنار محرقة فمن بُلي به فليقع في الذي يقول: إنه نار، فإنه ماء طيب وليس بنار؛ يعني: أنه يلبس الأمور ويُرى الناس أشياء غير الحقيقة إلا اليهود فهم رهطه، اليهود يتبعه يهود أصبهان من جهة العراق ومن جهة المشرق سبعون ألفاً من يهود أصبهان وهو ملك اليهود يقصدهم في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة برقم (٧١٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهذا لفظه قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ**».

الشام، فينزل عيسى ابن مريم ويقصده مع المسلمين فيحاصره بالشام في فلسطين [القدس] فيقتله في باب لُد، ويسلط الله المسلمين عليه وعلى اليهود حتى يقول الشجر والحجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتله، فيقتلهم مقتلة عظيمة يقتل الله الدجال على يد عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم ينزل الله البركة في الأرض ويعم الخير ويعم اللطف حتى إن الرمانة لتكفي الفئام من الناس، واللقحة لتكفي الفئام من الناس لبنها، وهكذا لبن البقر والغنم ينزل الله البركة في الأرض ويفيض المال حتى لا يقبله أحد لكثرة المال في أيدي الناس، ولا يقبل عيسى عليه السلام إلا السيف فيدخلون في دين الله جميعاً ولا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمانه كما يأتي فيتحرزو منهم عيسى والمسلمون في رؤوس الجبال حتى ينزل الله عليهم نغفاً فيموتون كنفس واحدة، ويرسل الله طيراً كأعناق الإبل تحملهم إلى البحر تلقيهم في البحر.

وفي **حديث أُم شريك**؛ أن الناس ينفرون من الدجال في كل مكان إذا سمعوا بخبره، ينفرون منه ويجتهدون في رؤوس الجبال وغيرها خوفاً من شره وبلائه.

وكذلك **حديث هشام بن عامر**[1] عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال**»؛ يعني: فتنة عظيمة ما هناك فتنة أعظم منه فتنة، أعوذ بالله لأنه يلبس الأمور ويأتي بأشياء خوارق قل من ينتبه لها ويعرف الحق فيها، ولهذا شرع الله لنا أن نستعيذ من فتنته في كل صلاة في كل صلاة نستعيذ بالله في آخر الصلاة: من فتنة المسيح الدجال، لعظم فتنته «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ**

---

(١) قال رحمه الله هشام بن عامر ذهول من المؤلف هو عن هشام بن عامر وراجعت مسلم وهو عن هشام بن عامر.

أعظم من الدجال» فتنته العظيمة نسأل الله العافية من بلائه وشره ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

١٨١٥ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ المَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ فَإِذَا رَآهُ المُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِماً قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الجَنَّةِ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ». رواه مسلم[١]. وروى البخاري بعضه بمعناه.

---

(١) أخرجه في كتاب الفتن، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه برقم (٢٩٣٨)، وأخرج البخاري بعضه بمعناه في كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة برقم (٧١٣٢).

□ (المسالح): هم الخفراء والطلائع.

١٨١٦ ـ وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مَا سَأَلْتُهُ وَإِنَّهُ قَالَ لِي: «مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ» قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ». متفقٌ عليه[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث: كالتي قبلها في أخبار الدجال، وأنه أخبر عنه الرسول ﷺ أنه كذاب وأنه يخرج في آخر الزمان وأنه «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أعظم من الدجال**»؛ يعني: أعظم فتنة وشراً، ولهذا يلتبس أمره على الكثير من الناس، فذكر النبي ﷺ أنه إذا خرج يأتي رجل من الناس من المسلمين ليظهر أمره للناس، وأنه الدجال الذي أخبر به النبي ﷺ. يتلقى مسالح الدجال ثم يقدمونه إلى الدجال فيقول: أنت الدجال الذي أخبر عنك النبي ﷺ. وأنه يقتله قتلة يشقه نصفين، ثم يقول: قم فيقوم، هذه فتنة عظيمة الله جلَّ وعلا قدرها لابتلاء الناس وامتحانهم فقال: أتؤمن؟ يقول: لا ما زدت فيك إلا بصيرة، أيها الناس هذا الدجال هذا الكذاب، ثم يريد أن يقتله فلا يستطيع، ثم يلقيه فيما يسميه ناراً وهو ليس بنار، وإنما هو فيما يرى الناس وهو الجنة، وتقدم أنه ماء طيب.

المقصود: أنه يشبه على الناس ويلبس على الناس فيما معه من الخوارق التي تكون مع بعض السحرة، وبعض الشياطين، فهذا سُلط على الناس في هذه الفتنة ابتلاءً وامتحاناً في آخر الزمان الواجب الحذر على من أدركه، أن يحذروا أنه عدو الله وأنه الدجال وأنه ينبغي أن يقرأ أمامه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال برقم (٧١٢٢)، ومسلم في كتاب الفتن، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه برقم (٢٩٣٩).

عشر آيات من أوائل الكهف أو من آخر الكهف كله جاء، جاء عشرة من أولها وعشرة من آخرها.

والمقصود: أن الله جلَّ وعلا يحفظ أولياءه الذين عندهم فيه البصيرة ولا يزيدهم مع ما معه من الخرافات والخوارق إلا بصيرة وإيماناً بأنه الدجال الذي أخبر به النبي ﷺ.

ويقول المغيرة بن شعبة إنه سأل النبي ﷺ أكثر شيء أكثر مما سأله غيره وأن معه جبل خبز وأن معه ماء وقال النبي: هو أهون على الله من ذلك.

فالحاصل: أن الدجال عنده خوارق وقد يكون هذا جبل الخبز الذي أشار له المغيرة وأخبر به النبي ﷺ إنه أهون على الله من ذلك إنه ليس بحقيقة وأنه تلبيس من عدو الله ؛ لأنه ملبس، أما النار فقد تقدم أنه ماء طيب وأن الماء نار، وأنه يلبس على الناس يُري الناس غير الحقيقة جنته نار وناره جنة، فبكل حال ينبغي للمؤمن إذا ابتلي به، نسأل الله العافية أن يحذر وأن يبتعد عن لقائه فإن لقيه فليشهد للناس أن هذا هو الدجال؛ ولا يقتل أحداً سوى هذا الرجل الذي فعل به ما فعل.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨١٧ ـ وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ﷻ ليس بأعور، مكتوبٌ بين عينيه ك ف ر». متفقٌ عليه[1].

١٨١٨ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ الدَّجَّالِ حَدِيثاً مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ: إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الجَنَّةِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال برقم (٧١٣١)، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] برقم (٧٤٠٨)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٣).

وَالنَّارِ فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الجَنَّةُ هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ». متفقٌ عليه[١].

١٨١٩ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَيْ النَّاسِ المَسِيح فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: إن الله ليس بأعور». متفقٌ عليه[٢].

١٨٢٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ المُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ». متفقٌ عليه[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث: كالتي قبلها في بيان فتنة الدجال، والتحذير منه وأن الله جلَّ وعلا قد بيَّن لعباده شره وفتنته يقول ﷺ: «**ما من نبيٍ إلا أنذر أُمته المسيح الدجال**» من قديم الزمان من نوح ومن بعده والرسول ﷺ أوضح أمره أكثر مما قبله وأنه أعور وأن عينه اليمنى كأنها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: ٢٥، المؤمنون: ٢٣] برقم (٣٣٣٨)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] برقم (٣٤٣٩)، وفي كتاب المغازي، باب حجة الوداع برقم (٤٤٠٢)، ومسلم في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم حديث الباب (١٠٠) ساقه بعد الحديث برقم (٢٩٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود برقم (٢٩٢٦)، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه الميت من البلاء برقم (٢٩٢٢).

عنبة طافية «**مكتوب بين عينيه كافر ك ف ر**»؛ يعني: أنه كافر وأنه يأتي للناس يقول: هذا جنة وهذا نار ما يدعي أنه جنة هو نار وما يدعي أنه نار هو جنة.

تقدم أنه شيء طيب فالواجب على كل مكلف أن يحذر هذا الخبيث وأن ينتبه إذا وقع في زمانه، وأنه مهما أتى من الخوارق والفتن والتدليس فإنه هو الأعور الكذاب الذي حذر منه الرسول أمته في الأحاديث الصحيحة، وتقدم «**أن ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال**» ولهذا أمر الله أن يستعاذ من فتنته في كل صلاة في آخر الصلاة: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، سمي مسيحاً؛ لأنه ممسوح العين اليمنى دجال؛ لأنه يكذب؛ لأن كذبه كثير عظيم نسأل الله العافية، الحاصل أن الرسول ﷺ حذَّر أمته هذا الخبيث وأنذرهم إياه، فالواجب الحذر منه والتأكد من صفاته وتحذير الناس منه حتى إذا وقع فإذا المؤمن على بصيرة.

كذلك أخبر ﷺ أن المسلم يقاتل الدجال يقاتل اليهود، اليهود هم شعب الدجال وهم أصحاب مملكته، فإنه ينتهي إليهم يتوجه لهم الأمر ويتوجه إليهم ويستقر عندهم، وينزل عيسى ابن مريم ويحاصرهم في الشام فلسطين ويقتله بباب لُد، يقتل المسيح الدجال والمسلمون معه يقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، ينطق الله الشجر والحجر عن اليهود المختبين يتبعهم المسلمون لقتلهم تبعاً للدجال، قاتل الله الجميع.

نسأل الله العافية والسلامة.

❁ ❁ ❁

١٨٢١ ـ وعنه رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا**

تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى القَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا القَبْرِ وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا البَلَاءُ». متفقٌ عليه[١].

١٨٢٢ ـ وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو».

📖 وفي روايةٍ: «يوشك أن يحسر الفرات عن كنزٍ من ذهبٍ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً». متفقٌ عليه[٢].

١٨٢٣ ـ وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ لَا يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي ـ يُرِيدُ: عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ ـ وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحْشاً حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا». متفقٌ عليه[٣].

١٨٢٤ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ؛ أن النبي ﷺ «مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْثُو المَالَ حَثْياً لَا يَعُدُّهُ عَدَداً». رواه مسلم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور برقم (٧١١٥)، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء برقم حديث الباب (٥٤) ساقه بعد الحديث رقم (٢٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب خروج النار برقم (٧١١٩)، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب برقم (٢٨٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة برقم (١٨٧٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب في المدينة حين يتركها أهلها برقم (١٣٨٩).

(٤) أخرجه في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء برقم (٢٩١٤).

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث المذكورة فيها أحكام متعددة كما تقدم وهو يتعلق بالدجال أو بعضها يتعلق بغيره.

وفي هذا الحديث الأول: يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على القبر يتمنى أنه مكانه لا من أجل الدين ولكن من أجل البلاء**»؛ يعني: من أجل الفتن والأعمال المتعبة، فإن آخر الزمان محل الفتن والأهوال والشدائد، قد يمر الإنسان على قبر يقول: يا ليتني كنت ميتاً سالماً من الفتن والشرور، لا من أجل الدين بل من أجل ما وقع من الشرور والفتن والملاحم، هذا يفيد أنه ينبغي للمؤمن أن يأخذ حذره وأن يستعد للقاء ربه، وألّا يأمن الدنيا بل يكون دائماً في إعداد وفي حذر وفي استقامة على طاعة الله ورسوله؛ لأنه قد يبتلى فلا يصبر، فالواجب عليه أن يتقي الله ويسأل ربه العافية.

ويثبت على الحق ويجاهد نفسه في جميع الأوقات حتى إذا هجم عليه الأجل فإذا هو على خير.

والحديث الثاني: يقول ﷺ: «**يَحْسِر الفُرَاتُ**» نهر الفرات المعروفة عن جبلٍ من ذهبٍ وفي لفظ «**عن كنز من ذهب**»؛ يعني: في آخر الزمان ما بعد وقع، وسيقع يقتتل الناس عليه كل يريد أن يحصل من الكنز شيئاً من الذهب فيقتل من كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون شخصاً، كل واحد يقول: لعلي أنا الذي أنجو وأحصل من هذا الذهب ما أريد، فمن حضره فلا يشارك فيه فليحذر هذه الفتنة وليستغن بما أعطاه الله؛ لأن هذه الفتنة شرها عظيم وهو طمع في المال والحرص على المال، وكذلك الخبر أن الناس تنزل بهم أمارات الساعة ويحشرون إلى محشرهم تحشرهم النار وأن يأتي شخصان ينعقان بأغنامهما إلى المدينة يجدانها؛ وحشاً يعني:

خالية ما فيها أحد قد مات أهلها أو ذهبوا إلى محشرهم فيخران عند ثنية الوداع؛ يعني: ميتين.

وفي الحديث الصحيح أن النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا وتأكل من تخلف حتى يصيروا إلى محشرهم ومن لم يذهب إلى هناك مات في المحل الذي قدره الله له حتى يبعثهم الله جميعاً يوم ينفخ في الصور.

فالحاصل: أن أشراط الساعة لا بد أن تقع وما أخبر به الرسول ﷺ ما يكون في آخر الزمان سوف يقع فليستعد المؤمن وليحذر وليكن دائماً على أهبة، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه، كذلك يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال ولا يعده، هذا وقع من كثير من الخلفاء يعطون بغير حساب عند كثرة الأموال لديهم، هذا وقع لكثير من الناس هذا مصداق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وهذا المُلَح مثل ما قال المؤلف أحاديث فيه غرائب وعجائب أخبر بها النبي ﷺ من دلائل صدقه وأنه رسول الله حقاً عليه الصلاة والسلام.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٢٥ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَداً يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ». رواه مسلم[1].

١٨٢٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل ألّا يوجد من يقبلها برقم (١٠١٢).

عَقاراً لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلَامَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا». متفقٌ عليه[1].

١٨٢٧ ـ وعنه ﷺ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ قَالَ: «كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتْ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عليه السلام فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليهما السلام فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ هُوَ ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى». متفقٌ عليه[2].

الشـرح

هذه الأحاديث الثلاثة أشياء من الأحاديث العجيبة والعظيمة، شيء يتعلق بآخر الزمان وشيء يتعلق بفراسة القاضي واختلاف القضاة في الفراسة.

في **الحديث الأول**: الدلالة أن المال يفيض في آخر الزمان، كما جاء في أحاديث نزول عيسى ابن مريم وغيره، يكثر المال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٤٧٢)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين برقم (١٧٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] برقم (٣٤٢٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين برقم (١٧٢٠).

ويفيض حتى لا يقبله أحد من كثرة الأموال، حتى إن الرجل تهمه صدقته يذهب بالصدقة من الذهب أو الفضة لا يجد من يقبلها لسعة كثرة المال وعدم رغبة الناس فيه، وذلك لقرب الساعة، هذا يدل على أنه عند ما يكون قرب الساعة يكون عند الناس كثرة أموال وزهد في الاستكثار منها، وهذا عند نزول عيسى ابن مريم وما يقع بعد ذلك قد يقع بعضه في زمن المهدي، وفي بعض الأوقات يكون عندهم حرص، كما تقدم في حديث الكنز الذي يحسبر عن الفرات. فيقتتلون عنده حتى لا ينجو من المائة إلا واحد في رغبتهم في المال فالأحوال تختلف من جهة والجهة تختلف.

وفي **الحديث الثاني**: أن إنساناً باع عقاراً على آخر فوجد المشتري جرةً فيها ذهبٌ في أرضه فقال: يا فلان بعت علي الأرض والعقار والجرة لك ليست لي، فهذا يدل على الزهد والورع أو قلة الرغبة في المال، وقال البائع الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها ما أبغاها الجرة لك، كيف الناس يحبون المال من يقول هذا؟ كل واحد يتبرأ منه **لا يريده**. هذه آية وعبرة فتحاكما إلى شخص فأصلح بينهما وقال لأحدهما: لك ولد؟ قال: نعم وللآخر لك بنت؟ قال: نعم، قال: زوج البنت على الولد وأنفق من هذا الذهب على الزواج وأنفق الباقي في وجوه الخير، وأصلح بينهما، بهذا كل واحد **لا يريده** هذه الحالة تشبه بالحالة التي يدور فيها بزكاة ماله ليجد من يقبلها وبحالة كون الفرات يحسر عن ذهب عن جبل من ذهب أو كنز من ذهب يقتتل الناس عليه حتى لا ينجو من المائة إلا واحد، ضد هذه الحالة من حرصه على المال مثل حالة الناس اليوم من الحرص على المال، والواجب في مثل هذا التقيد بالشرع، وأن الإنسان يأخذ المال من حله ويصرفه في وجهه، وإذا جاءه من غير طلب ولا شبهة فلا بأس بأخذه، مثلما قال ﷺ لعمر: «**ما جاءك من هذا المال وأنت**

غير مشرف ولا سائل فخذه» وما لا فلا تتبعه نفسك فإذا كان عنده مال يتصدق يحسن يعطي الفقراء وإذا جاءه مال من طريق سليمة ليس فيها ظلم ولا فيها رشوة ولا فيها شر أخذه وصرفه في وجوه الخير.

والحديث الثالث: قصة سليمان وداوود عليهما الصلاة والسلام نبيان رسولان اختلف حكمهما؛ لأنه كان بالاجتهاد ليس بالنص جاءتهم امرأتان تختصمان في ابن لهما أخذه الذئب، كان عند كل واحدة ابن فجاء الذئب فأخذ أحد ابنيهما كل واحدة تقول: الباقي هو ولدي فاختصما إلى داود، فقضى به للكبرى كأن لدقيق رأي قامت عنده قضى به للكبرى، فلما خرجا مرًّا على سليمان فسألهما فأخبراه عن القضية فقال: أعطوني السكين أشقه بينكما، يريد ليختبر رحمتهما للولد من يرحمه منهما، هاتوا السكين أشقه، قالت الصغرى: لا تشقه أعطه الكبرى أنا سامحة، فلما رأى رحمة هذه الصغيرة الصغير وأنها طابت منه نفسها للكبرى، قال: هي أمه، الكبرى ما رحمته فلو كانت أمه لرحمته كما رحمته الصغرى فقضى به للصغرى بالاجتهاد؛ لأن الصغرى رحمته والكبرى ما رحمته، هذا يدل على أن القاضي يعمل بالقرائن إذا ما أخذ بينة ما عند الخصمين بينة ينظر بالقرائن، وأسباب الحق وإن تأمل ويجتهد مثلما قال ﷺ: **«إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»**[1]. القاضي إذا ما كان عنده بينة يجتهد إلا إذا كان المقام فيه توجب اليمين رجح اليمين، لكن قد تكون في حالات ما يصلح فيها اليمين، لا بد من بيِّنات مثل هذه

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين برقم (٢٦٨٠)، وفي كتاب الحيل، باب منه برقم (٦٩٦٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة برقم (١٧١٣).

الحالة فلهذا اجتهد سليمان واجتهد داوود عليهما الصلاة والسلام.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٢٨ ـ **وعن** مرداسٍ الأسلمي ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ وَيَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمْ اللهُ بَالَةً». رواه البخاري[(١)].

١٨٢٩ ـ **وعن** رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنْ المَلَائِكَةِ. رواه البخاري[(٢)].

١٨٣٠ ـ **وعن** ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ». متفقٌ عليه[(٣)].

١٨٣١ ـ **وعن** جابرٍ ﷺ قال: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ العِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فسكن.

📖 وفي روايةٍ: فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق.

---

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب ذهاب الصالحين برقم (٦٤٣٤)

(٢) أخرجه في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً برقم (٣٩٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذاباً برقم (٧١٠٨)، ومسلم في كتاب الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٩).

📖 **وفي روايةٍ: فصاحت صياح الصبي، فنزل النبي ﷺ، حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر.** رواه البخاري(١).

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث من العجائب والغرائب التي بيَّنها النبي ﷺ، ومما يقع في آخر الزمان، ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام.

الحديث الأول: يدل على أن الصالحين يذهبون الأول فالأول وتشتد غربة الإسلام في آخر الزمان؛ ولهذا قال ﷺ: «**يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالةٌ كحثالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله بالةً**» وهذا مثل الحديث الآخر «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**» قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «**الذين يصلحون عند فساد الناس**» في اللفظ الآخر: «**هم النزاع من القبائل**» في اللفظ الآخر: «**هم أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير**» هذا يبين لنا أن الغربة تشتد كلما تأخر الزمان قلَّ الصالحون وكثر غيرهم، فينبغي للمؤمن أن يحاسب نفسه وأن يجاهدها فلعله يكون من الصالحين ومن الغرباء.

في الحديث الثاني: يقول ﷺ: «**إن جبرائيل سأل النبي ﷺ ما تعدون أهل بدرٍ فيكم؟**»؛ يعني: من حضر بدراً وشارك وقاتلوا المشركين فقال له النبي: «**من أفضل المسلمين**» أو كلمةً نحوها، بل قال فيهم ﷺ: «**يقول الله: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» هم من خيار الناس، فقال جبرائيل: «**وكذلك من شهد بدراً من الملائكة**» هم من خيار الملائكة

---

(١) أخرجه في كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر برقم (٩١٨).

لمن حضر بدراً وساعد في بدر من الملائكة هم من خيار الملائكة هم من فضلائهم عليهم الصلاة والسلام.

الحديث الثالث: يقول ﷺ: إن الله إذا أراد بقوم عقوبة عمت الصالح والطالح ثم يبعثون على نياتهم وأعمالهم، إذا ظهرت المنكرات والشرور عمت العقوبة، ثم يبعث الناس على أعمالهم ونياتهم: الصالح على نيته والطالح على نيته، ففي هذا الحذر من ظهور المنكرات، وأن الواجب القضاء عليها، كما جاء في الحديث يقول ﷺ: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروا أوشك أن يعمهم الله بعقابه. فالواجب على أهل الحل والعقد وعلى كل مؤمن أن يجتهد في إزالة المنكرات والقضاء عليها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى رجاء ثواب الله وخشية عقابه ﷻ.

الحديث الرابع: أن الجذع الذي كان يخطب عنده النبي ﷺ في المدينة في مسجده عليه الصلاة والسلام كان يتكئ على جذع هناك يخطب يوم الجمعة، ثم أمر بصنع منبر، فلما صنع المنبر وصعد عليها عليه الصلاة والسلام جعل الجذع يحن، يحن لفقده لما كان يسمعه ويتكئ عليه النبي عليه الصلاة والسلام جذع أنطقه الله هذه أعظم معجزة، فنزل النبي من المنبر فجعل يسكته حتى جعل يئن كأنين الصبي حتى سكت، هذا يدل على أن الجمادات لها شعور بإذن الله لها شعور بالأعمال الصالحة بتقوى الله بخشية الله، كما قال تعالى في الجبال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]؛ يعني: الجبال ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: الحجارة فهكذا جذع النخل، وهكذا غيره من النباتات لها شعور بخالقها يليق بها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فهذه الجمادات وهذه الأشجار كلها لها شعور بخالقها يليق بها سبحان الخلاق العليم.

وفَّق الله الجميع.

١٨٣٢ ـ **وعن** أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشرٍ ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ ﷻ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَحَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا». حديثٌ حسن، رواه الدارقطني[١] وغيره.

١٨٣٣ ـ **وعن** عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الجَرَادَ.

📖 وفي روايةٍ: نأكل معه الجراد. متفقٌ عليه[٢].

١٨٣٤ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ؛ أن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ». متفقٌ عليه[٣].

١٨٣٥ ـ **وعنه** قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَاماً لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ». متفقٌ عليه[٤].

---

(١) أخرجه الدارقطني ج٤/ ١٨٣، والحاكم ٤/ ١١٥، والبيهقي ١٠/ ١٢ و١٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب أكل الجراد برقم (٥٤٩٥)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الجراد برقم (١٩٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين برقم (٦١٣٣)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين برقم (٢٩٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب من رأى صاحب الحوض والقربة أحق بمائه برقم (٢٣٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة... برقم (١٠٧).

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة فيها أحكام متعددة:

الحديث الأول: يقول ﷺ: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيانٍ فلا تبحثوا عنها، الله جلَّ وعلا فرض فرائض وألزم بفعلها قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] إلى غير هذا، وحد حدوداً فلا يجوز اعتداؤها قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] على ما بيَّن سبحانه، فلا تعدى الحدود في الصلاة ولا في الصوم ولا في الزكاة ولا في الحج ولا في غير ذلك، يجب الوقوف عند حدودِ الله لا يزاد ولا ينقص، وحرم أشياء فلا يجوز انتهاكها؛ كالزنى والخمر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والربا، يجب الحذر منها لا يجوز انتهاكها، وسكت عن أشياء رحمة لنا غير نسيان فلا ينبغي البحث، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] الشيء الذي سكت الله عنه ولم يفرضه علينا ولم يحرمه علينا فلا حاجة إلى البحث عنه.

ويقول عليه الصلاة والسلام: يقول عبد الله بن أبي أوفى: إنهم غزوا مع النبي ﷺ **سبع غزوات يأكل فيها الجراد**، دلَّ على حلِّ الجراد لا بأس به يؤكل مطبوخاً ومشوياً لا حرج في هذا، لا تحتاج إلى ذبح ليس له دم سائل فهو يؤكل مشوياً ويؤكل مطبوخاً؛ ولذلك لا بأس به حيه وميتته كله حلال كالسمك.

والحديث الثالث: قال: «**لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين**» سبب هذا أنه عفا عن شخص يقال له: أبو عزة عفا عنه يوم بدر ثم نكث العهد وقد عاهد النبي أن لا يساعد المشركين فساعدهم وغزا معهم يوم

أُحد فأُسر فقال: اعف عني ولا أقاتل عدواً عليك قال: «**لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين**» تذهب إلى مكة تقول: غدرت محمداً مرتين أو لعبت بمحمد مرتين ثم أمر بقتله. المقصود أن الإنسان يحذر، إذا لدغ من جحر؛ يعني: من شخص يحذره لا يلدغ مرة أخرى من شخص أو من مؤسسة أو من أي جهة يحذر فاللادغ قد يعود فليحذر.

والحديث الرابع: يقول ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ**»: هذا وعيد عظيم نسأل الله العافية؛ **الأول: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع منه ابن السبيل**، الإنسان يكون عنده فضل ماء في البر يمنع الناس لا يردون عليه هذا ظالم متعد، أما الماء لقدره، ماء عند قدر حاجته لا بأس، أما فضل ماء بفلاة مقادِر واسعة أو آبار فيها ماء يكفيه ويكفي غيره ليس له أن يمنع من يرد عليها أو يشرب منها أو يحمل منها، فهو متعد لحدود الله ظالم لعباد الله. **والثاني: باع سلعة بعد العصر فحلف لأخذها بكذا وكذا**، هو يكذب أو أعطي بها كذا وكذا وهو يكذب، هذا يفيد أن الأيمان بعد العصر وعند ختام النهار أغلظ مما في وسط النهار، ومع هذا يحلف والله إنها سيمت بكذا، والله إني اشتريتها بكذا، هو يكذب نسأل الله العافية هذا اليمين الغموس نعوذ بالله، وإن كانت اليمين الغموس مطلقة محرمة دائماً في كل وقت والكذب دائماً محرم لكن إذا كان بعد العصر ويحلف فهو أشد نسأل الله العافية، يختم نهاره بالكذب والظلم والتدليس والغش، **والثالث: رجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا**، ما يبايعه لإقامة حق ونصر الدين وحقن الدماء واستتباب الأمن لا؟ يبايعه إذا أعطاه شيئاً وإن ما أعطاه خان ونقض العهد، هذا أيضاً من الأشخاص الذين ذمهم الله وعابهم وتوعدهم بهذا الوعيد؛ لأنه ليس من أهل الإصلاح بل من أهل الإفساد والخيانة نسأل الله العافية.

وفَّق الله الجميع.

١٨٣٦ ـ **وعنه**، عن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْماً قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْراً قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْماً وَاحِداً وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ». متفقٌ عليه[١].

١٨٣٧ ـ **وعنه** قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». رواه البخاري[٢].

١٨٣٨ ـ **وعنه**؛ أن رسول الله ﷺ قال: «يُصَلُّونَ لَكُمْ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ». رواه البخاري[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة في أحكام متعددة:

الحديث الأول: يُخبر فيه النبي ﷺ عما بين النفختين نفخة الصعق وهي الفزع ونفخة البعث والنشور، بينهما أربعون، سئل أبو هريرة الراوي هل هي يوم أو سنة أو شهر قال: ما أدري أربعون قد تكون يوماً قد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] برقم (٤٨١٤)، ومسلم في كتاب الفتن، باب ما بين النفختين برقم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة برقم (٦٤٩٦).

(٣) أخرجه في كتاب الأذان، باب إذا لم يتم الإمام وأتم من خلفه برقم (٦٩٤).

تكون شهراً وقد تكون سنة، ثم يبعث الله الموتى نفخة الفزع وهي الصعق يموت بها الناس، ينفخ إسرافيل الصور نفخة طويلاً ويمدها حتى يموت الناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، حتى إن الرجل يسمع الصوت إِلَّا أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً[١] هكذا رقبته يسمع الصوت فلا يزال الصوت يرتفع ويعظم حتى يصعق الناس، من هذه الصعقة والفسيلة ليركزها يموت والآخر بيده اللقمة فيسقط يموت والآخر قد مد الثوب ونحوه بينه وبين صاحبه ليشتريه فيسقطان، والآخر يموت حول إبله ويموت معه من هذه الصعقة، ثم الصعقة الأخرى نفخة البعث والنشور فيها يحيا الناس ينبتون كما تنبت البقل ويبلى كل شيءٍ من الإنسان إلا عجب الذنب، يبقى يبني الله عليه خلقته وإعادته، فهذا خلق جديد لما قال الكافر: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] هو الذي خلقهم أولاً من ماء مهين من ماء ضعيف ثم نطفة ثم علقة إلى آخره، هو الذي يعيدهم يوم القيامة وينبتهم من هذه القبور ومن البحار ومن كل مكان حتى يحشروا بين يدي الله جميعاً، ويجزون بأعمالهم خيرها وشرها، فالواجب على العاقل أن يعُدَّ العُدة لهذا اليوم العظيم، فإن من مات فقد قامت قيامته كل من مات قامت قيامته وتم عمله وختم على عمله إلا من يأتيه صدقات وإحسان من الناس؛ ولهذا يقول ﷺ: **«إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**[٢].

الثاني: واحد يسأل النبي ﷺ يقول: يا رسول الله متى الساعة،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ﭬ في كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور برقم (٢٩٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته برقم (١٦٣١).

والنبي يحدِّث الناس فلما أتم حديثهم؛ يعني: موعظته ﷺ قال: أين السائل عن الساعة قال: أنا يا رسول الله قال: «**إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة**» فقد قربت الساعة قيل: (**كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**)، إذا وليت الأمور غير أهلها إذا تولاها الخونة وعدم الثقات هذا قرب الساعة يتولاها الخونة وعدم الموثوقين ويتولاها من لا يتقنها من لا يؤدي حقه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحديث الثالث: يقول ﷺ: «**يصلون لكم**»؛ يعني: الأمراء أُمراء الناس وأئمتهم هم القادة فإن أحسنوا فلكم، ولهم، وإن أساؤوا فلكم وعليهم إساءتهم عليهم، صلوا بالناس الجمعة والجماعة وإن كانوا فساقاً يصلي معهم الرعية، فإن أحسنوا في عملهم فللجميع وإن أساؤوا فالإثم عليهم والرعية يسلمون من ذلك الإثم، إذا أدوا الحق الذي عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتناصح وهذا فيه الحث على السمع والطاعة لولاة الأمور وعدم الخروج عليهم بمجرد الفسق، ولكن يُسمع لهم ويطاع في المعروف ويصلى وراءهم، فإن أحسنوا فللجميع وإن أساؤوا فالإثم عليهم والرعية لا إثم عليها إذا أدت الواجب.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٣٩ ـ وعنه رضي الله عنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] **قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ**(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] برقم (٤٥٥٧).

١٨٤٠ ـ وعنه، عن النبي ﷺ قال: «عجب الله ﷻ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ». رواهما البخاري[١].

□ معناه: يؤسرون ويقيدون، ثم يسلمون، فيدخلون الجنة.

١٨٤١ ـ وعنه، عن النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ البِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا». رواه مسلم[٢].

١٨٤٢ ـ وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ». رواه مسلم[٣] هكذا.

📖 **ورواه البرقاني في صحيحه عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكن أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها». «فيها باض الشيطان وفرخ».**

❁ الشَّرح ❁

هذه الأحاديث الأربعة: في أحكام متعددة؛ منها قوله عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: معناها خير الناس للناس يأتون بهم ينقادون في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام؛ يعني: هذا من خيرية الناس من الجهاد في سبيل الله، وأنهم يأتون الأسرى فيهديهم الله ويسلمون، في اللفظ الآخر يقول ﷺ عجبت لقوم يقادون إلى الجنة

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل برقم (٣٠١٠).
(٢) أخرجه في كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد برقم (٦٧١).
(٣) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أم سلمة أم المؤمنين برقم (٢٤٥١).

بالسلاسل، وهم الأسرى يأسرهم المسلمون ثم يهديهم الله ويدخلون في الإسلام، فيربحون ويدخلون الجنة، هذا من نعم الله العظيمة، ومن فضل الله الكبير على من أُسر ثم دخل في الإسلام ولم يقتل على الكفر.

كذلك؛ قول عمار يروى مرفوعاً: «**لا تكن أول من يدخل السوق وآخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته**». في اللفظ الآخر: «**فإنه باض الشيطان وفرخ**»[١].

هذا فيه الحذر من: اجتماعات الأسواق أسواق البيع والشراء فإن فيها الكذب، فيها الخيانات، فيها تزين الشيطان للناس الكذب والخيانة والغش، تدخل السوق على قدر الحاجة لا تكون مع أول الناس ولا مع آخر الناس، يدخل إليها حسب الحاجة وتحرز ويحذر وساوس الشيطان وشره من كذب أو خيانة أو خداع أو تدليس أو ما أشبه ما يقع للباعة، الشر في الأسواق ويقول ﷺ: «**أحب البقاع إلى الله مساجدها، وأبغض البقاع إلى الله أسواقها**»، أسواقها هي محل البيع والشراء؛ لأن فيها يكون الكذب يكون فيها الغش يكون فيها الخيانة يكون فيها غير ذلك مما يحبه الشيطان من الغفلة، أما المساجد هو محل الذكر محل الطاعة محل الصلاة فهي أحب البقاع إلى الله جلَّ وعلا، لما فيها ذكر الله وطاعته وأداء الصلاة وقراءة القرآن وغير هذا من وجوه الخير.

وفَّق الله الجميع.



---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٦/ ٦٠ باب (٢).

١٨٤٣ ـ وعن عاصمٍ الأحول، عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله غفر الله لك، قال: «ولك»، قال عاصمٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. رواه مسلم[١].

١٨٤٤ ـ وعن أبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري[٢].

١٨٤٥ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ». متفقٌ عليه[٣].

١٨٤٦ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». رواه مسلم[٤].

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة: تتعلق بأحكام متعددة مثل ما تقدم قول المؤلف: المنثورات والملح؛ لأن المنثورات التي فيه معانٍ كثيرة وأحكام متعددة.

---

(١) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ برقم (٢٣٤٦).

(٢) أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٨٣ و٣٤٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (٦٥٣٣)، وفي كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] برقم (٦٨٦٤)، ومسلم في كتاب القيامة، باب المجازاة في الدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة برقم (١٦٧٨).

(٤) أخرجه في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦).

الأول: عن عبد الله بن سرجس؛ أنه أخبر عاصم الأحول أنه قال: (**يا رسول الله غفر الله لك، فقال له** ﷺ: «**ولك**»)؛ يعني: وغفر الله لك، فقال له عاصم: (**أستغفر لك رسول الله** ﷺ؟ **فقال**: **نعم**) استغفر لي ولك ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فأنت من المؤمنين والمؤمنات الذين أُمر الرسول أن يستغفر لهم، ففي هذا حُسن خلقه ﷺ وتواضعه ومحبته بما ينفع أُمته، فإن عبد الله لما قال: غفر الله لك يا رسول الله قال: «**ولك**»؛ يعني: غفر الله لك، ففي هذا حُسن الإجابة ومن قال: لك جزاك الله خيراً أو غفر الله لك هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه.

والحديث الثاني: يقول النبي ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» هذا كالوعيد إذا لم يستحي يصنع ما شاء ولن يفوت الله بل هو على خطر تحت قدرة الله جلّ وعلا، فالواجب الحذر وأن يستحي الإنسان من ربه فلا يقدم على ما حرَّم الله ولا يترك ما أوجب الله، المؤمن يستحي من الله حق الحياء، ويقول ﷺ في الحديث الآخر: «**الحياء من الإيمان**»، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن النبي سمع شخصاً يعظ أخاه في الحياء فقال: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»؛ يعني: يقول له: لا تستحي كثير انبسط مع الناس كذا كذا، فالذي لا يستحي سوف يقع منه ما لا تحمد عقباه وسوف يندم العاقبة، الصحيح أن هذا التهديد والتحذير وفيه الحث على الحياء والبعد عما يستحي منه.

والحديث الثالث: يقول ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**» هذا فيه خطر الدماء وأنها خطيرة يجب الحذر من سفك الدماء بغير حق لا بالقتل ولا بالجرح، يجب الحذر وأن يصون الإنسان نفسه عن ظلم الناس مطلقاً، ولا سيما ما يقع فيه الدم من الجراحات

والقتل، فإنه سوف يقضى بينهم يوم القيامة، وسوف يعطى كل ذي حق حقه، فليحذر المؤمن أن يتعلق به إخوانه فيما ظلموا فيه، صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لأصحابه يوماً: «**ما تعدون المفلس فيكم؟** قالوا: من لا درهم له ولا متاع، عند العرب يُعد مفلساً الذي ما عنده شيء، قال النبي ﷺ: «**لكن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصوم وصدقة ويأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا وسفك دم هذا وأخذ مال هذا، فيعطى هذا من حسناته ويعطى هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته ولم يقض ما عليه حمل عليه من سيئاتهم ثم طرح في النار**» نسأل الله العافية، هذا المفلس الذي تؤخذ حسناته يوم القيامة فيعطاها غيره من ظلمه وعدوانه، ثم يحمل من سيئاتهم بسبب إساءته إليهم، ثم يقذف في النار بظلمه، فينبغي للمؤمن الحذر من الدماء وعواقبها الوخيمة، فإن عواقبها وخيمة فالظلم كله وخيم، كما قال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**» وبالأخص في الدماء، فإنها أخطر الظلم نسأل الله العافية.

كذلك حديث عائشة رضي الله عنها يقول ﷺ: «**خلقت الملائكة من نورٍ، وخلق الجان من مارج من نارٍ، وخلق آدم مما وصف لكم**» رواه مسلم، الله جلَّ وعلا خلَق الملائكة المقربين من النور. فدل على طيب عنصرهم وأن عنصرهم من نور وكلهم لطاعة ربهم، كما قال جلَّ وعلا: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨] عليهم الصلاة والسلام، وخلق الجان من مارج من نار الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمٰن: ١٤، ١٥]، وخلق آدم مما وصف لكم من الطين من التراب هذه أصول الناس، الخلائق المكلفة هذه أصولهم، آدم من طين، الشياطين

من نار، الملائكة من النور، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون عليهم الصلاة والسلام، والجان على الصحيح هو أبو الشياطين وهو قائد العصاة إلى النار، وهم ذرية، قسمان: منهم الصالح والطالح كذرية آدم فيهم الصالح والطالح، كما ذكر الله قصتهم في سورة الرحمٰن: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٤ ـ ١٦] إلى آخره إلى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]؛ يعني: من هؤلاء ومن هؤلاء.

فالواجب على الإنس والجن جميعاً أن يتقوا الله، وأن يعبدوا الله وعلى الإنس أن يحذروا من الوقوع في الخطيئة التي وقع فيها آدم أبوهم، يحذر السيئات والمعاصي، فإن ذكر خطيئة أبيهم توجب انتباههم وحذرهم، وعلى أولاد الشيطان أن يحذروا طاعته خبيثهم، وأن يسارعوا إلى الخيرات في الطاعات، أما الملائكة فهم في طاعة الله، كما أخبر عنهم جلَّ وعلا: ﴿مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] عليهم الصلاة والسلام.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٤٧ ـ وعنها رضي الله عنها **قالت: كان خُلُقُ نبي الله ﷺ القرآن.** رواه مسلم[1] في جملة حديثٍ طويلٍ.

١٨٤٨ ـ وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض برقم (٧٤٦).

المَوْتِ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوْتَ فَقَالَ: لَيسَ كَذَلِكِ وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». رواه مسلم[1].

١٨٤٩ ـ **وعن** أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ مُعْتَكِفاً فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرّاً ـ أَوْ قَالَ شَيْئاً ـ». متفقٌ عليه[2].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة في معانٍ ثلاثة متنوعة من المنثورات والملح كما ذكرها المؤلف؛ يعني: من الأحكام المتعددة منها:

الحديث الأول: وهو قول عائشة رضي الله عنها لما سُئلت عن خُلُق النبي ﷺ قالت: (كان خُلُقه القرآن)، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، كان خُلُقه ﷺ العمل بما دلَّ عليه القرآن والاجتهاد فيما دلَّ عليه القرآن، ودعا إليه من فعل الأوامر وترك النواهي والإكثار من ذكر الله واستغفاره والتوبة إليه، هذا هو خلقه ﷺ؛ لأن القرآن يدعو

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه برقم (٢٦٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد برقم (٢٠٣٥)، وفي باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه برقم (٢٠٣٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رُئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السُّوء به برقم (٢١٧٥).

لهذا، يدعو إلى فعل ما أمر الله وإلى ترك ما نهى الله وإلى كثرة الذكر والاستغفار والتوبة والاعتبار بالماضين، فهكذا كان ﷺ يُكثر من ذكر الله ومن الاستغفار ويأتي الأوامر ويدع النواهي، ويعتبر بقصص الماضين الذي قال فيه جلَّ وعلا: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، هكذا ينبغي للمؤمن أن يعتني بالقرآن ويعمل بمقتضاه ويكون خلقه القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، فالمؤمن يجب أن يكون خلقه القرآن بفعل الأوامر وترك النواهي والعناية بما فيه من ذكر الله والتوبة إليه والاستغفار والاعتبار بقصص الماضين والاتعاظ بما أصابهم.

والحديث الآخر: يقول ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» قالت عائشة: (يا رسول الله أهو الموت؟ كلنا يكره الموت)، كل إنسان يكره الموت من طبيعته ما يحب الموت قال: «**لا، يا عائشة ليس هو ولكن المؤمن إذا احتضر إذا حضره الأجل وبُشر برحمة الله ورضوانه أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، والكافر متى احتضر حضره الأجل بُشر بغضب الله وسخطه فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه**» فهذا يوجب للمؤمن الاستعداد للآخرة، وأن يجتهد في طاعة الله ورسوله حتى إذا حضره الأجل بشَّره الملك برحمة الله ورضوانه وجنته، فيحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، هكذا المؤمن يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، والكافر بضد ذلك، لأنه عند الموت يُبشر بغضب الله وسخطه فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه.

حديث صفية ﵂، كان النبي ﷺ يعتكف في رمضان وزارته صفية في الليل فتحدثت عنده بعض الشيء، ثم قامت فقام معها يقلبها إلى باب المسجد، فمرَّ رجلان من الأنصار ﵄ فلما رأيا النبي ﷺ استعجلا

فقال: «**على رسلكما**» على مهلكما «**إنها صفية بنت حيي**»، خشي أن يلقي الشيطان في قلوبهما شراً فيظناها أجنبية، قالا: سبحان الله يا رسول الله؛ يعني: ليس أنت محل الشك قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً، أو قال شيئاً**» ففي هذا أن الإنسان يبتعد عن مواقف التهم وإذا قُدر له موقف يخشى أن يتهم به يبين الأمر حتى لا يتهم، إذا وقع موقف مع زوجته أو مع أُخته خشي أن يظن مارٌّ أو أحد أنه مع أجنبية أو أنه يتهم بشيء، يبين ما يدفع التهمة، ويبتعد عن أسباب التهمة، فالحديث ينبهنا على أن المؤمن يبتعد عن أسباب التهمة وإذا قدر شيء صرح بالأمر الواضح حتى لا تقع التهمة، وفيه من الفوائد: أن المعتكف يُزار يزوره أهله يزوره بعض أحبابه يتحدث عنده بعض الشيء لا بأس ولو أنه معتكف يُزار، وفيه من الفوائد: أن المزور إذا قام مع الزائر يؤانسه حتى يصل لباب المسجد إذا كان معتكفاً أو باب المجلس حتى يخرج، هذا من إكرام الزائر كونك تقوم معه ثم تمشي معه تقلبه إلى باب المجلس باب السور، من باب إكرامه مثلما قام النبي مع صفية ومشى معها حتى وصلت باب المسجد يتحدث معها، فالزائر يكرم من السلام عليه والتحفي عنه ومصافحته ومقابلته، وإذا قام معه المزور إذا رأى المصلحة في ذلك أنه يقوم معه ويمشي معه حتى يصل إلى باب المجلس أو باب السور، فهذا طيب من باب الإكرام والإحسان.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٥٠ ـ **وعن** أبي الفضل العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ

عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِراً. رواه مسلم(١).

□ (الوطيس): التنور. ومعناه: اشتدت الحرب. وقوله: (حدهم): هو بالحاء المهملة؛ أي: بأسهم.

١٨٥١ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ فَقَالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]،

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين برقم (١٧٧٥).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ». رواه مسلم(١).

الشَّرح

فهذان الحديثان الصحيحان من أعظم الأحاديث في الدلالة على صدق رسالة محمد ﷺ أنه رسول الله حقاً، وعلى أن المسلم قد يبتلى ثم تكون له العاقبة، وتدل على وجوب الاستقامة على طاعة الله ورسوله والحذر مما نهى الله عنه ورسوله، وأن هذا هو سبيل السعادة والنجاح.

في قصة حنين أصاب الناس انكشاف، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧]، المقصود: أن الله جلَّ وعلا يبتلي عباده في السراء والضراء والشدة والرخاء، ويوم حنين بعد فتح مكة بعد ما فتح الله عليه مكة سنة ثمان تجمعت هوازن ومن معهم من أهل الطائف والتقوا مع النبي ﷺ في حنين وادٍ يقال له: حنين، وهم معهم أنعامهم ونساؤهم وذراريهم قد جعلوها خلفهم حتى يكون ذلك أشجع لهم في القتال، جعلوا نساءهم وذرياتهم وأنعامهم كله وراءهم حتى يحاموا عنهم لئلا يفروا، ولكن لا يغني عن ذلك شيء إذا أراد الله الهزيمة، لم يغن شيئاً وكانوا أهل نبل:

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها برقم (١٠١٥).

أهل رمي فلما اشتد رميهم حصل انكشاف على المسلمين وهزيمة في أول الأمر، ثم صاح فيهم العباس بأمر النبي ﷺ: يا أهل الشجرة، يا أهل السمُرة؛ يعني: التي حصلت عندها البيعة يوم الحديبية فتوافدوا بسرعة إلى جهة القتال لبيك، لبيك فتقدموا للقتال والنبي ﷺ على بغلته يركضها إلى جهة العدو أمام الجيش، أمام القوم، عليه الصلاة والسلام، والعباس آخذ بلجامه يكُفَّها بعض الشيء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركاب النبي ﷺ وهو يقود ﷺ بغلته إلى جهة العدو، ويقول: «**انهزموا ورب الكعبة**» ثم رماهم بحصيات فما زال حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً، ثم تلاحق المسلمون وهزم الله العدو وصارت الدائرة عليهم، وانهزم القوم فاستولى المسلمون على النساء والذرية وعلى إبلهم وغنمهم وصارت كلها غنيمة للمسلمين يوم حنين، ثم بعد ذلك جاؤوا مسلمين جاؤوا إلى النبي مسلمين بعد الواقعة، فقال لهم ﷺ: «**أنتم ترون الآن معنا والجيش والناس معي، وأحب الكلام إلي أصدقه اختاروا أحد الأمرين إما نساؤكم وإما أموالكم**» أما أن أرد عليكم النساء والأموال، لا بعدما أسلموا قالوا: إذا كان ولا بد نختار نساءنا وأولادنا بدل أن يسبوا تردهم علينا، خاطب الناس واستسمحهم في رد السبي وقال: «**من طابت نفسه بذلك فالحمد لله، ومن لم تطب نفسه نعوضه من أول ما يفيض الله علينا**» فطابت نفوس الصحابة كلهم وسمحوا برد نسائهم وذرياتهم إليهم، لما أسلموا فردهم إليهم، أما الإبل والغنم فقسمها بين المسلمين غنيمة، ونفَّل ناساً من رؤساء العرب نفلاً كبيراً، فأعطى جماعة من رؤساء العرب على مائة من الإبل تأليفاً لقلوبهم كعيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس وجماعة، أعطاهم على مائة من الإبل تأليفاً من الخُمس، وقسم الأربعة الأخماس بين الغانمين، ونصر الله دينه وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ﷺ، هذه من الآيات العظيمة ومن دلائل صدق رسالته على أنه رسول الله حقاً عليه الصلاة والسلام، ويدل هذا على شجاعته العظيمة

كونه يتقدم إلى جهة العدو والناس قد انهزموا فيتقدم ويقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**» ويطلب من الجيش التقدم ويقول: «**شاهت الوجوه وأدبروا**» هذا كله يدل على الشجاعة العظيمة والثبات العظيم عليه الصلاة والسلام.

وفي **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: «**إن الله تعالى طيبٌ**»، طيب في ذاته طيب في أسمائه وصفاته جلَّ وعلا لا مثيل له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﷻ هو الكامل في كل شيء جلَّ وعلا ومن طيبه «**لا يقبل إلا طيباً**» ما يقبل الأعمال التي فيها شرك، ولا يقبل الصدقات التي من مال خبيث، ولا يقبل الأعمال التي تخالف شرعه، فهو لا يقبل إلا طيباً، والطيب من الأعمال ما وافق الشرع، ما وافق الشرع وكان لله خالصاً هذا طيب، ومن الصدقات ما كان لله وكان من كسب طيب، ثم قال: «**إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**»، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]» هذا الواجب على الجميع، الله أباح لهم الطيبات ليستعينوا بها، يأكل من الطيبات يلبس من الطيبات، يستقيم على طاعة الله يشكر الله على نعمه، كل من الطيبات واعمل ما شرع الله لك ولهذا قال: ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ قال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾.

فالواجب على المؤمن أن يستعين بنعم الله على طاعة الله، وأن يشكر الله على إنعامه وعلى أن الله أباح له الطيبات ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، الله أباح لهم الطيبات من المآكل والمشارب والملابس والمناكح كلها من الطيبات، فعليهم أن يستعملوا الطيبات وأن يشكروا لله وأن يعملوا صالحاً شكراً لله جلَّ وعلا.

«**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا**

رب يا رب، يسأل ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسه حرامٌ، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!»؛ يعني: بعيد أن يستجاب من هذا شأنه، بعيد أن يستجاب له: ملبسه حرام، مطعمه حرام، مشربه حرام، وغذي بالحرام، قد تعاطى أسباب عدم الإجابة، نسأل الله العافية، هذا يوجب الحذر من أكل الحرام، وأن المؤمن يتحرى في مكسبه الكسب الطيب، ويحذر من المكاسب الخبيثة من خيانة أو بالغش أو بالربا أو بالسرقة أو ما أشبه ذلك، يحذر عليه أن يتقي الله وأن يعتني بالمكاسب الطيبة من الزراعة، البيع الطيب، وما أشبه ذلك، التجارة السليمة.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٥٢ ـ وعنه رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»**. رواه مسلم[١].

□ (العائل): الفقير.

١٨٥٣ ـ وعنه رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ»**. رواه مسلم[٢].

١٨٥٤ ـ وعنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ عز وجل **التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ** عليه السلام **بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي**

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة . . . برقم (١٠٧).

(٢) أخرجه في كتاب الجنة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة برقم (٢٨٣٩).

آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ». رواه مسلم[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها فوائد وأحكام متعددة عن النبي عليه الصلاة والسلام.

في **الحديث الأول**: يقول عليه الصلاة والسلام: **«سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌ من أنهار الجنة»** هذه أصلها من أنهار الجنة وهي في الدنيا، لكن الله جلَّ وعلا جعل أصلها في الجنة ويسر منها هذه النماذج في هذه الدنيا، وهي معروفة: النيل والفرات وسيحون وجيحون كلها معروفة أنهار عظيمة نفع الله بها العباد

والحديث الآخر: **«ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذابٌ، وعائل مستكبرٌ»** هذا فيه أيضاً تحذير من هذه الخصال الشنيعة: الزنا والكذب والتكبر، فالواجب على كل مسلم الحذر من هذه الخصال حتى ولو من الشاب الزنا محرم وكبيرة من كبائر الذنوب من الشيخ والشاب، ولكنه من الشيخ والشيبة يكون أقبح وأشد إثماً، لضعف الدواعي ويدل على أن هذا سجية له وغريزة، فالزنا من أقبح السيئات ومن أعظم الكبائر من الشيخ والشاب ومن الشيخ أقبح وهكذا.

الكذب محرم على الجميع ولكنه من الملك الذي أعطاه الله من الدنيا ما أعطاه ولم يحوجه إلى الكذب، فإذا تعوَّد الكذب صار ذلك سجية له وضر العباد والبلاد، وهكذا التكبر محرم من الغني والفقير لكن من الفقير أشد لقلة الدواعي وضعف الدواعي، فيجب الحذر من الكبر والكذب وفاحشة الزنا لكونها كلها من الكبائر، قال الله جلَّ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ برقم (٢٧٨٩).

وعــلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسـراء: ٣٢]، وقــال جــل وعــلا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال في النار: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، قال عليه الصلاة والسلام: «**قَالَ اللهُ ﷻ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[1].

فالواجب الحذر من التكبر وهو ازدراء الناس قال رجل: يا رسول الله إني أحب أن يكون نعلي حسنة وثوبي حسناً أَفَمِنْ الكِبْرِ ذَلِكَ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْر مَنْ بَطِرَ الحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ**»[2] هذا الكبر بطرُ الحق؛ يعني: رد الحق عدم قبوله اتباعاً للهوى وَغَمط النَّاس؛ يعني: احتقار الناس، الواجب الحذر من هذه الخصال الذميمة وأن يكون المؤمن بعيداً عن التكبر والفواحش كلها والكذب.

كذلك جاء في حديث **عثمان وأبي هريرة**؛ أن الله خلق التربة يوم السبت إلى آخره دلَّ القرآن الكريم على أن الله خلق العالم في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] هكذا نص القرآن وجاءت الأحاديث في ذلك، أما في حديث أبي هريرة إن أول يوم السبت وهْمٌ من بعض الرواة كما قال البخاري وجماعة، وأن الصواب يوم الأحد أول العالم التربة يوم الأحد وبقية الخلق في الأيام الأخيرة، وآدم اليوم الأخير في يوم الجمعة، خلق الله أبانا في آخر ساعة من يوم الجمعة، ويوم السبت

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر برقم (٤٠٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

ليس فيه خلق كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] فأولها يوم الأحد هو أول الأسبوع وآخرها يوم الجمعة، وأما رواية أن أولها يوم السبت وهْمٌ من بعض الرواة وغلط من بعض الرواة كما نبَّه عليه المحققون؛ كالبخاري وغيره رحمة الله عليهم.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

١٨٥٥ ـ وعن أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: **لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ**. رواه البخاري[١].

١٨٥٦ ـ وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**». متفقٌ عليه[٢].

١٨٥٧ ـ وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال: «**الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ**». متفقٌ عليه[٣].

١٨٥٨ ـ وعنها رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ**

---

(١) أخرجه في كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام برقم (٤٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ برقم (٧٣٥٢)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ برقم (١٧١٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة برقم (٣٢٦٢)، وفي كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم برقم (٥٧٢٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي برقم (٢٢١٠).

صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ». متفقٌ عليه[١].

▫ **والمختار جواز الصوم عمن مات وعليه صومٌ لهذا الحديث، والمراد (بالولي): القريب وارثاً كان أو غير وارثٍ.**

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث فيها أحكام متعددة ينبغي لكل مؤمن أن يعرفها لما فيها من الخير العظيم.

الأول: حديث خالد بن الوليد في الجهاد والصبر عليه والنشاط في مقارعة الكفار؛ لأن الله شرع ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] فالجهاد له شأن عظيم، فإذا يسَّر الله ذلك فالواجب على المؤمن أن يصبر ويحتسب وأن يبذل وسعه حتى قال خالد: (**انقطعت في يدي تسعة أسيافٍ يوم مؤتة**) ومؤتة في السنة الثامنة من الهجرة أرسل النبي جيشاً إلى الروم واقتتلوا في محل يقال لها: مؤتة من جهة الشام، وكان أمَّر عليهم زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فعبد الله بن أبي رواحة، وكانوا نحو ثلاثة آلاف مقاتل فاجتمعوا مع جندهم وعدوهم في نحو ستين ألف مقاتل أو أكثر، فحصل قتال شديد وقُتل أمير السرية زيد، ثم قُتل جعفر، ثم قُتل عبد الله بن رواحة الأُمراء الثلاثة ﷺ، ثم أخذها خالد اصطلح الناس عليه وأمَّروه فأخذ فقاتل حتى قطعت بيده تسعة أسيافٍ تكسرت من ضرب الرجال ولم يبق في يده إلا صفيحةٌ يمانيةٌ، فتح الله عليهم وانحاز المسلمون وانحاز الكافرون وصار نصر الله عليهم وهم أقل من نصف العُشر من عدوهم، ولكن الله أيدهم ونصرهم ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم برقم (١٩٥٢)، ومسلم في كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت برقم (١١٤٧).

عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فلم يقتل من السرية إلا نحو ثمان أو ثني عشر شخصاً من ثلاثة آلاف، وهزم الله العدو وانحازوا وحفظ الله المؤمنين وسلَّمهم وأعزهم، وهذا كله من لطفه وتيسيره، ومن أسباب توفيق الله لهم أن صبروا واحتسبوا حتى نصرهم الله على عدوهم.

في **الحديث الثاني**: يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**». الحاكم بين الناس إذا اجتهد وتحرى الحق فأصاب فله أجران؛ يعني: أجره مضاعف وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور، إذا اجتهد وطلب الحق أمير أو قاضٍ أو غيرهما ممن يجتهد في طلب الحق بأدلته؛ كالدعاة إلى الله والمدرسين إذا اجتهدوا وتحروا الحق يرجى لهم هذا الخير العظيم، فإن أصاب المجتهد والمتحري للحق بالأدلة، فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

والحديث الثالث: تقول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ**» إذا أصاب الإنسان الحمى يستحب له التروش؛ لأن التروش من علاجها والحمى معروفة هو المرض الذي يأخذ الإنسان شدة. بسبب حرٍّ شديد يسمونه الناس سخونة فهي من فيح جهنم فتبرد بالماء هذا من العلاج لها.

كذلك **حديث عائشة**: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**» إذا مات الإنسان وعليه صيام فريضة شرع على وليه أن يصوم عنه سواءٌ كان نذراً أو من رمضان أو كفارة، هذا هو الصواب يعم من مات وعليه صيام صام عنه وليه؛ يعني: شُرع لوليه أن يصوم، وقد رفعت نساء كثير للنبي ﷺ وغيرهم هذا يقول: أمه ماتت وعليها صيام هذا يقول: أمه ماتت وعليها صوم شهرين وهذه تقول: أمي ماتت وعليها كذا فيقول لهم: «**اقضي عن أُمكِ أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ**

قَاضِيَةً اقْضُوا اللهَ فَاللهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»[١]. والآخر ماتت وعليها حج وهذا يقول: ماتت وعليها نذر فيأمرهم بالقضاء عليه الصلاة والسلام، هكذا إذا مات وعليها صوم من رمضان يقضي عن أمه أو أُخته أو أبيه أو ولده، وحديث عائشة عند الإمام أحمد: سئل عمن مات وعليه صوم من رمضان قال: أفأقضي عنه؟ قال: **«نعم اقضي عن أُمك»** فالمستحب للمؤمن أن يقضي عن أبيه وأمه ونحو ذلك إذا كان عليه دين من الصيام كفارة أو نذر أو صوم رمضان، يشرع لها أن يؤدي عن قريبه من أبٍ أو أمٍ وغيرهما.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٥٩ ـ **وعن** عوف بن مالك بن الطفيل؛ **أَنَّ عَائِشَةَ** ﵂ **حُدِّثت أن عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ ـ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ ـ وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَداً، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَت الهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبداً وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلِك عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ لَمَا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا، قَالُوا: كُلُّنَا. قَالَتْ: نَعَم ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ،**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب الحج والنذور عن الميت برقم (١٨٥٢).

فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولَانِ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنْ الهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَت ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَة وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. رواه البخاري[1].

١٨٦٠ ـ **وعن** عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ خرج إلى قَتْلَى أُحُدٍ فصلى عليهم بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الحَوْضُ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا» قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. متفق عليه[2].

📖 وفي روايةٍ: «ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم» قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر.

📖 وفي روايةٍ قال: «إني فرطٌ لكم وأنا شهيدٌ عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب الهجرة برقم (٦٠٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد برقم (١٣٤٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته برقم (٢٢٩٦).

الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

□ والمراد بالصلاة على قتلى أحدٍ: الدعاء لهم، لا الصلاة المعروفة.

الشَّـرح

هذان الحديثان فيهما أحكام كثيرة في **الحديث الأول**: قصة عائشة مع ابن أُختها عبد الله بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر أُخت عائشة رضي الله عنها من أبيها، وكان فقيهاً وكان ذا علم وفضل وتولى الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية مدة من السنين في مكة استقر في مكة، فلم يزل في الخلافة حتى قُتل في عهد عبد الملك على يد الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وسبعين، بلغه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تعطي عطاءً كثيراً جزلاً فقال مجتهداً: إنه سيحجر عليها لكثرة عطائها وجودها وكرمها، فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها وسألت: هل قال هذا الكلام؟ فقيل لها: إنه قد قالها، فنذرت ألا تكلمه وأن تهجره لسوء ما صنع، كونه يحجر عليها أن تعمل الخير وأن تجود وتحسن ليست سفيهة، بل من أعقل النساء ومن أفقه النساء ومن أعلم النساء، وكان ذلك الوقت قد تقدم بها السن رضي الله عنها، فالحاصل أنه لما قال هذا الكلام تكدرت ونذرت ألا تكلمه أبداً، فلما طال الهجر عليه ولم تسمح بمقابلته لها استشفع بالمسور بن مخرمة وعبد الرحمٰن بن الأسود فشفع له ودخل معهما عليها، وهي لم تعلم أنه معهما حتى دخل عليها واعتنقها واستسمحها ولم يزل يستسمحها وهما يشيران عليها بأن تسمح وأنه رحمها وابن أختها ولا تهجره، فسمحت وكفرت عن نذرها في أربعين رقبة؛ يعني: أعتقت أربعين رقبة، وهذا النذر نذر حكمه حكم اليمين؛ لأنها نذرت ألّا تكلمه هو نذر حكمه لها أن تتركه ولها أن تكفِّر عن يمينها كما هو معلوم، ولكن من شدة محبتها الخير ورغبتها في الخير وتعظيمها لأحكام الله أعتقت هذه الرقاب يكفيها

رقبة واحدة، يكفيها رقبة واحدة، ولكن أعتقت هذه الرقاب رغبة فيما عند الله سبحانه، مثل ما النبي ﷺ أهدى يوم حجة الوداع مائة بدنة، والواجب عليه سبع بدنة شاة واحدة عن تمتعه عن قرانه للحج، ولكن البقية كلها تطوع ورغبة فيما عند الله ﷻ والإنسان إذا قال: والله ما أكلم فلاناً أو والله ما يعطي فلاناً كذا من الأيمان التي يمتنع بها أو يعزم بها على شيء فحكمه حكم اليمين، وهكذا النذر لو قال: نذر لله على ألّا أُكلم فلاناً، حكمه حكم اليمين أو نذر لله عليَّ أن أضرب فلاناً هذا حكمه حكم اليمين فيه كفارة اليمين.

والحديث الثاني: حديثه ﷺ في صلاته على أهل أُحد في آخر حياته، صلاة على الميت صلاته عن الميت مشروع عند العلماء أنه دعا لهم دعاءه للميت؛ لأن الشهيد لا يصلى عليه كما تقدم، فدعا لهم بالمغفرة والرحمة كما يدعو للميت عند فراغه الدنيا في آخر حياته عليه الصلاة والسلام، وقال ﷺ وهو على المنبر والله: «**ما أخشى عليكم أن تشركوا بعدي**»؛ لأن الصحابة قد فقهوا وعرفوا فليس يخاف عليهم الشرك، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا وأن تنافسوها كما تنافسها من قبلكم وأن تُفتنوا بها كما فُتن بها من قبلكم، خاف عليهم شر فتنة الدنيا والتنافس والقتال والشحناء وقد وقع بعض ذلك، وقع بعض ذلك لما جرى ما جرى من الذين خرجوا على عثمان من البغاة والجهلة، ثم عظمت الفتنة فجرى القتال والفتنة بين الجميع، ثم بين علي ومعاوية كله بأسباب الشبه وأسباب الجهال وأسباب من يدخل في الأمور بغير علم أو بمقاصد خبيثة؛ كابن سبأ ومن معه من الجهلة فحصل بهذا فتنة كبيرة وشر عظيم، خافه النبي على أُمته وقد وقع ثم وقع بعد ذلك من الشرور والفتن ما هو معلوم إلى يومنا هذا، وقال بعض أهل العلم: إنه ما خاف عليهم يشركوا بعد أن يجمعوا على الشرك ما خاف عليهم ذلك، وقد يقع الشرك ليسوا معصومين، والحاصل أن قوله ﷺ في الحديث الآخر: «إِنَّ

الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جزيرة العرب وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[١].

ما ينافي ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك في هذه الأمة، وأنه لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من العرب بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وأن الإسلام يكون غريباً كل هذا ثابت، ولكن الصحابة لكمال علمهم وفقههم وفضلهم لم يخف عليهم هذا، ولكن خشي عليهم أن يحرش الشيطان بينهم، كما قد وقع في فتنة عثمان وفتنة علي ومعاوية.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

١٨٦١ ـ **وعن** أبي زيدٍ عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: **قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الفَجْرَ وَصَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت العَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَت الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا.** رواه مسلم[٢].

١٨٦٢ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: **«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ»**. رواه البخاري[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه. . .إلخ، برقم (٢٨١٢)، والترمذي في كتاب الأشربة، باب ما جاء في التباغض برقم (١٩٣٧)، والإمام أحمد ٣/ ٣١٣.

(٢) أخرجه في كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة برقم (٢٨٩٢).

(٣) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة برقم (٦٦٩٦).

١٨٦٣ ـ وعن أم شريك رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ **أَمَرَهَا بِقَتْلِ الوَزَاغِ،** وقال: «كان ينفخ على إبراهيم». متفقٌ عليه[١].

١٨٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً لِدُونِ الأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً».**

📖 **وفي روايةٍ: «من قتل وزغاً في أول ضربةٍ، كتب له مائة حسنةٍ، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك».** رواه مسلم[٢].

◻ قال أهل اللغة: (الوزغ): العظام من سام أبرص.

❁ الشَّرح ❁

هذه الأحاديث أيضاً في المنثورات مما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام، ومما يتعلق بمصلحة الأمة ومنفعتها.

الحديث الأول: حديث عمرو بن أخطب في خطبته ﷺ يوماً كاملاً يذكرهم بما كان وما يكون، وهذا لا شك عن أمر من الله له خطبهم بعد الصبح إلى الظهر حتى إلى العصر وبعد العصر حتى غربت الشمس يذكرهم بما كان وما يكون. فأعلمنا أحفظنا هذا يدل على أنه ﷺ في بعض الأحيان قد يطيل الخُطبة لأمر عارض، وإلا فالغالب عليه ﷺ عدم التطويل والإيجاز في الخطب كما قال عمار رضي الله عنه: إن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الخُطْبَةَ»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خيرُ مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال برقم (٣٣٠٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب قتل الوزغ برقم (٢٢٣٧).

(٢) أخرجه في كتاب السلام، باب استحباب قتل الوزغ برقم (٢٢٤٠).

(٣) أخرجه في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة في الخطبة برقم (٨٦٩)، والإمام أحمد ٤/ ٢٦٣.

لأن تخفيفها وتقليلها أقرب إلى حفظ الناس لها وتأثرهم بها ولكن متى دعت الحاجة إلى الإطالة لأسباب عارضة فإنها تطال بحسب الأسباب المقتضية لإطالتها، وفي هذا الحديث أنه ﷺ خطب بعد الصبح حتى الظهر فنزل فصلى الظهر، ثم خطبهم حتى العصر، ثم نزل فصلى العصر، ثم خطبهم حتى المغرب لعظم الأمر، ولا شك أن ذلك عن أمر من الله له حتى يبلغ الناس المهمات التي ينبغي أن يعرفوها عما كان وما يكون.

وفي الحديث الثاني والثالث: الأمر بقتل الأوزاغ وأنه ينبغي قتلها؛ لأنها خبيثة وهي ممن كان ينفخ ضد إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أُلقي في النار، والأوزاغ هي الظواطير يسمى الظاطور الوزغ، فالسُّنَّة قتله أينما وجد، كما تقتل الفواسق الخمس: الحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور والحية، فالأوزاغ كذلك تقتل لخبثها متى وجدت.

كذلك حديث يقول ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله، فلا يعصه**» وهو حديث عائشة رضي الله عنها، هذا يدل على وجوب الوفاء بالنذور إذا كان في طاعة الله مثل أن ينذر أن يصوم يوم الخميس يوم الاثنين أن يصوم ثلاثة أيام أن يصوم شهراً، يلزمه الوفاء بالنذر مثل أن يتصدق بكذا أن يحج أن يعتمر يلزمه الوفاء بنذره لقوله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»، ولكن لا ينبغي النذر، الرسول قال: لا تنذروا فإن النذر لا يرد من قدر الله شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل، ولأن الإنسان قد يندم قد يتعب فلا ينبغي له النذر، لكن متى نذر طاعة وجب عليه الوفاء؛ يعني: إن كانت على سبيل التقرب، أما إذا كان على سبيل الجزاء والامتناع من شيء فهذا كفارة يمين كأن يقول: إن شربت الدخان فعلي صوم شهر، إن ضربت فلاناً أو اغتبت فلاناً فعلي صوم كذا، هذا ليس من باب التقرب هذا من باب منع نفسه من الشيء، فيكون حكمه حكم اليمين كفارته كفارة يمين أو: علي كذا وكذا صدقة إن سافرت إلى

كذا أو كلمت فلانا قصده الامتناع، هذا ليس له عقوبة ولكن نذر امتناع هذا حكمه حكم اليمين، كما أفتى به جملة من أصحاب النبي عليهم الصلاة والسلام، أما من نذر معصية فإنه لا يعصي الله كأن يقول: لله علي أن أفطر في رمضان، لله علي أن أشرب الخمر أو الدخان، أو لله على أن يضرب والده أو يقتل فلاناً، هذه نذور المعاصي ليس له وفاء، ولكن عليه كفارة يمين، ولا يجوز له أن يعمل المعصية ما كان معصية ليس له الوفاء به لا يجوز الوفاء به لكن يكفِّر عنه كفارة يمين ويستغفر الله ويتوب إليه.

نسأل الله العافية.

❁ ❁ ❁

١٨٦٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ». رواه البخاري بلفظه، ومسلمٌ بمعناه[1].

١٨٦٦ ـ وعنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم برقم (١٤٢١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في غير أهلها برقم (١٠٢٢).

الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ: يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ البَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي

اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وبصرى». متفقٌ عليه[1].

﴿ الشَّرح ﴾

هذان **الحديثان**؛ **الأول** منهما عظة وذكرى وحث على الصدقة والترغيب فيها وإن وقعت لغير أهلها، المؤمن يتحرى ويجتهد في إخراج الصدقة وهو مأجور حتى ولو وقعت في يدي غير أهلها، فهذا رجل ممن

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] برقم (٤٧١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٤).

كان قبلنا يجتهد ويتصدق فصادفت صدقته أنها وقعت في يدي إنسان - معروف بالسرقة - يسرق فأصبحوا الناس يتحدثون: تصدق على سارقٍ! فقال هو لما بلغه ذلك: الحمد لله على سارق، ثم قال: لأتصدقن بصدقةٍ، فخرج بصدقته، فوقعت في يد زانيةٍ، فأصبحوا الناس يتحدثون: تصدق على زانيةٍ، وبلغه ذلك فقال: الحمد لله على زانيةٍ، ثم تصدق صدقة أُخرى فوقعت في يدي غنيٍ وتحدث الناس أنه صُدق على غني وبلغه ذلك وقال: الحمد لله على سارق وعلى زانية وعلى غني، فجيء إليه كأنه جيء إليه في المنام رأى رؤيا صالحة في المنام فقيل له: أما الصدقة على السارق فلعله يتعظ ويدع السرقة ويستعين بما أعطيته، وأما الصدقة على الزانية فلعلها أن تستعف وتستغني بما أعطيته عن الزنى قد يكون حمله على السرقة الفقر وهي حملها على الزنى الحاجة فلعل الصدقة التي فعلتها تمنع السارق من العودة وتمنع الزانية من العودة، وأما الغني فلعله يعتبر ويتصدق ويقتدي به وينتفع بماله.

والمقصود: من هذا أن الرجل أو المرأة كل منهم يجتهد في الصدقة والإنفاق في وجوه الخير، وإذا صادف أنها وقعت صدقته في إنسان لا يستحق فهو مأجور، ولعل الذي أُعطي لعله ينتفع بها ويتعظ بها ويتذكر به، والمؤمن يتحرى ويتصدق في زكاته وصدقة تطوع، يتحرى أهل الحاجة والضعف وإذا صادف أنه أعطاها من ليس كذلك فهو على نيته وله أجره.

والحديث الثاني: حديث الشفاعة، وهو حديث عظيم طويل صحيح من أصح الأحاديث يبيِّن الرسول ﷺ أمر الشفاعة يوم القيامة، وكان ذلك وهو جالس مع أصحابه على الطعام فأخذ الذراع، وكان يحب أن ينهش من الذراع، فنهش منه شيئاً ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» ثم قال: «**ألا تسألوا**»؛ يعني: هذا الكلام فقال: «**إن يوم القيامة يحشرون حفاة عُراة غُرلا ويشتد بهم**

الكرب وتدنو الشمس ويُلجمهم العرق فيشتد كربهم فيفزعون إلى آدم».

في اللفظ الآخر؛ أن هؤلاء هم المؤمنون يفزعون إلى آدم ويقولون: «**يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟**»؛ يعني: من شدة الكرب والهم والغم بسبب الموقف العظيم فيقول: «**أنا نهيت عن الشجرة وأكلت**»، ويذكر ذنبه ويقول: «**اذهبوا إلى غيري إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»، ويعتذر مع أنه قد تاب لكن شدة الأمر في نفسه وعظم ما جرى منه اعتذر، معلوم أن التائب قد محا الله عنه ذنبه ولكن من شدة ما في نفسه من الحياء واستعظام ما وقع منه اعتذر، فيأتون نوحاً أرشدهم إلى نوح وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض بعد ما وقع الشرك فيها فيأتون ويقولون له: «**يا نوح أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض**»؛ يعني: بعد وقوع الشرك «**قد سماك الله عبداً شكوراً ألا ترى ما نحن فيه**»، ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم والشدة فيقول لهم نوح عليه الصلاة والسلام: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني دعوت على قومي دعوة**» حين قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وإني لا أشفع «**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم**» الخليل عليه الصلاة والسلام ويقولون مثل ما قالوا لآدم ولنوح ويقولون: أنت خليل الله اشفع لنا ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا فيجيبهم مثلما أجابهم آدم ونوح: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وقد كذبت ثلاث كذبات**»، استعظمها وهي في ذات الله لا حرج عليه لكن استعظمها حين قال للأصنام: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] حين قال: لما مروا عليه هم ذاهبون إلى أصنامهم وعيدهم: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وحين قال للملك الجبار في سارة: إنها

أُختي؛ يعني: أخته في الله، «**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام ويقولون له: أنت كليم الله، أنزل الله عليك التوراة اشفع لنا إلى ربك**»، فيجيبهم مثلما أجابهم آدم ونوح وإبراهيم: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وقد قتلت نفساً لم أومر بقتله اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى عليه الصلاة والسلام**»، فيقول لهم مثلما قال الأولون: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً**» ما قال: فعلت كذا وكذا، «**اذهبوا إلى محمد عبد قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»، فيأتون محمداً عليه الصلاة والسلام فيقول: «**أنا لها كما في الرواية الأُخرى، أنا لها**» فيذهب ويسجد بين يدي ربه تحت العرش ويحمد الله بمحامد يفتحها عليه ﷺ ثم يقال: «**يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع**» فيرفع رأسه فيشفع فيكون في الموقف حتى يقضى بينهم وفي أمته حتى يدخلون الجنة، وهذه هي الشفاعة العُظمى الشفاعة في هذا الموقف هذه الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي قال فيه جلَّ وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] ويشفع في دخولهم الجنة، وله شفاعة أخرى عليه الصلاة والسلام، وهذا المقام مقام عظيم يوجب المؤمن أن يتذكرها هذا المقام، وأن يحرص على فعل ما أوجب الله عليه وما شرع الله له وأن يحذر ما حرم الله عليه، فإنه يوم عظيم إنما ينجي الله العباد بعبادتهم وأعمالهم الصالحة كل يؤخذ بذنبه وهذا اليوم يوم عظيم ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] يوم عظيم الأهوال، فالواجب على أصحاب العقول السليمة على المكلف من الجن والإنس من الرجال والنساء الواجب إعداد العدة التي

تسبب النجاة وهي طاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله والحذر من أسباب غضبه لعلك تنجو في هذا اليوم العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى أصحابه.

❁ ❁ ❁

١٨٦٧ ـ **وعن** ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: جَاءَ إِبْرَاهِيمُ بأم إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَاباً فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقاً فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَاراً وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ: أَآللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]» وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَت الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَداً فَلَمْ تَرَ أَحَداً فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَت الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَت الوَادِيَ ثُمَّ أَتَت المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا

وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَداً فَلَمْ تَرَ أَحَداً فَفَعَلَتْ ذَلِك سَبْعَ مَرَّاتٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَذَلِك سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتاً فَقَالَتْ: صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضاً فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ المَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللهِ يَبْنِي هَذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعاً مِنْ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِراً عَائِفاً فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيّاً أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ: نَعَمْ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَلْفَى ذَلِك أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الغُلَامُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَام وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ

فَلَمَّا جاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنسَ شَيْئاً فَقَالَ: هَلْ جاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ: نَعَمْ جاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ: نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ قَالَتْ: اللَّحْمُ قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ: المَاءُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَام وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ: نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ: نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيباً مِنْ زَمْزَمَ فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ: وَتُعِينُنِي قَالَ: وَأُعِينُكَ قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتاً وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنْ البَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

📖 وفي روايةٍ: أن إبراهيم خرج بإسماعيل وأم إسماعيل، معهم شنةٌ فيها ماءٌ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة، فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة، فوضعها تحت دوحةٍ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء، نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيت بالله، فرجعت، وجعلت تشرب من الشنة، ويدر لبنها على صبيها حتى لما فني الماء قالت: لو ذهبت، فنظرت لعلي أحس أحداً، قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت هل تحس أحداً، فلم تحس أحداً، فلما بلغت الوادي، سعت، وأتت المروة، وفعلت ذلك أشواطاً، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبي، فذهبت ونظرت، فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت، فلم تقرها نفسها. فقالت: لو ذهبت، فنظرت لعلي أحس أحداً، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت، فلم تحس أحداً حتى أتمت سبعاً، ثم قالت: لو ذهبت، فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوتٍ، فقالت: أغث إن كان عندك خيرٌ، فإذا جبريل ﷺ فقال بعقبه هكذا، وغمز بعقبه على الأرض، فانبثق الماء فدهشت أم إسماعيل، فجعلت تحفن ـ وذكر الحديث بطوله.

رواه البخاري[1] بهذه الروايات كلها.

□ (الدوحة): الشجرة الكبيرة. قوله: (قفى)؛ أي: ولى و(الجري): الرسول. و(ألفى): معناه: وجد. قوله: (ينشغ)؛ أي: يشهق.

١٨٦٨ ـ وعن سعيد بن زيدٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الكَمْأَةُ مِنْ المَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». متفقٌ عليه[2].

---

(١) أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿يَزِفُّونَ﴾ النَّسَلَان في المشي برقم (٣٣٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب وقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] برقم (٤٤٧٨)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها برقم (٢٠٤٩).

﴿ الشَّرح ﴾

هذان الحديثان **الأول منها**: قصة هجرة إبراهيم بأُم إسماعيل إلى مكة المكرمة، وكانت أم إسماعيل جارية وهبها له ملك مصر واستولدها عليه الصلاة والسلام فجاءت بإسماعيل فجاء بها من الشام إلى مكة، تركها هناك بأمر الله ﷻ فيما حول محل الكعبة ومعها ابنها الصغير إسماعيل، وكان وضع معها جراباً فيه تمر وسقاءً فيه ماء بأمر الله ﷻ ثم ولى، فسألته كيف تتركنا ها هنا (**آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قال: إذاً لا يضيعنا**)؛ يعني: ما دام أمرك سبحانه فإنه لا يضيع عباده وأولياءه، فعند ذلك جرت الماء فيها تشرب من الماء وتأكل من التمر فلما نفدت الماء ذهبت تنظر لعلها تجد أحداً من الناس يسعفها، صعدت الصفا صعدت المروة سبع مرات تلتمس لعلها تجد أحداً حتى سمعت صوتاً فقالت: (إن كان؟ فهو صوت جبرائيل عليه الصلاة والسلام)، فجاء فحفر بعقبه محل زمزم فجاءت الماء وجاءت تحثو الماء في سقائها وزال عنها الخوف والشدة، وأخبرها جبرائيل أن هذا المحل سيبني فيه هذا الغلام وأبوه بيتاً لله ﷻ؛ يعني: الكعبة بشَّرها بهذا الخبر العظيم، ومكثت هذا المحل تَشرب من الماء ماء زمزم حتى جاء وفد، جماعة من جرهم من البادية فرأوا طائراً عائفاً يدور حول محل الماء فقالوا: هذا طائر رأى ماءً أو علم أن هذا الوادي فيه ماء فأرسلوا لهم جرياً أو جريين؛ يعني: رسولاً أو رسولين لينظر فجاء ووجد الماء فرجع إليهم وأخبرهم فجاؤوا ونزلوا عندها واستأذنوها فقالت: لا بأس وهي تحب الأنس تفرح بأن ينزل عندها أحد: (**لكن لا حق لكم في الماء**)؛ يعني: لستم أحق بالماء لكم الفضلة فقالوا: نعم فاستأنست بهم وفرحت بهم وجلسوا معها حتى شبّ إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وزوج من العرب الذين نزلوا عنده وجاء والده زائراً لهم، فوجد المرأة قد ماتت أم إسماعيل فسأل المرأة

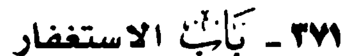
(أين إسماعيل؟ فقالت: إنه ذهب يصيد فسألها عن حالهم فقالت: إنا في شدة وحاجة وضرورة فقال: إذا جاء إسماعيل فخبريه أن يغير عتبة بابه)، فلما جاء إسماعيل أخبرته بالرجل وقال: **(ذاك أبي قد أمرني أن أفارقك)** ثم تزوج إسماعيل زوجة أخرى، وعاد إليهم إبراهيم ووجد المرأة فسألها عن حالهم فذكرت خيراً وأثنت خيراً، وطلبت منه الجلوس وأن يأكل ويشرب فجلس وسألها عن إسماعيل، فقالت: (إنه ذهب يصيد) فقال: (خبريه وأقرئيه السلام وخبريه أن يثبت عتبة بابه فأخبرته)، فقال: (أنت العتبة وقد أمرني أن لا أُفارقك) وهذا خبر موقوف على ابن عباس، وله فيه أشياء مرفوعة إلى النبي ﷺ قالوا: **«لو تركت الماء لكان عيناً معيناً»**، ولا في السعي ولك السعى؟ بسبب سعي أم إسماعيل، الله شرع لعباده السعي بالطواف والسعي في الحج والعمرة تذكيراً بهذا المقام وطاعة لله وعبادة له وتقرباً ﷻ، وجعله من أنساك الحج والعمرة الطواف والسعي، وفي هذا أن الله يبتلي عباده بالسراء والضراء، ابتلى إبراهيم بأن أمره أن ينقل إسماعيل في هذا المحل البعيد الغريب، وابتلى إسماعيل وأمه بذلك وهو سبحانه الحكيم العليم فيما يقضيه ويقدره، وله الحكمة البالغة جلَّ وعلا وصارت العاقبة حميدة لإسماعيل وأم إسماعيل وللمسلمين.

أما حديث **سعيد بن زيد** يقول ﷺ يقول: **«الكمأة من المن، وماؤها شفاءٌ للعين»** الكمأة؛ يعني: الفقع المعروف ماؤه ما يعالج به مرض العين وهو من المَنِّ؛ يعني: من جنس المَنِّ الذي أعطى الله بني إسرائيل؛ يعني: أنه طعام يُشبه المَنَّ طعام جيد يشبه المَنَّ الذي أنزله الله على بني إسرائيل لما كانوا في التيه، وهو طعام جيد ومفيد وفيه فائدة من جهة الطب في علاج العين وهذا شيء يعرفه الأطباء ويقدرون هذه الفائدة العظيمة.

والله ولي التوفيق.

❁ ❁ ❁





٣٧١ ـ بَابُ الاستغفار

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

١٨٦٩ ـ **وعن** الأغَرِّ المُزَنِيِّ ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم[1].

١٨٧٠ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري[2].

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن برقم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة برقم (٦٣٠٧).

١٨٧١ ـ وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**. رواه مسلم(١).

١٨٧٢ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما **قَالَ: إِنْ كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»**. رواه أبو داود، والترمذي(٢) وقال: حديث صحيح.

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات الكثيرة والأحاديث النبوية كلها تدل على وجوب التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب، وأن الواجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة أن يلجأ إلى الله ويستغفره ويتوب إليه وينيب إليه؛ لأن ابن آدم خطاء كما قال النبي ﷺ: **«كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**(٣).

فالإنسان محل للذنوب ومحل التقصير فالواجب عليه أن يلزم التوبة دائماً وأن يكثر من الاستغفار لله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات، باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة برقم (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار برقم (١٥١٦)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس برقم (٣٤٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق عن رسول الله ﷺ، باب برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١).

كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥] فالواجب الإكثار من الاستغفار والتوبة كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

فأنت محل الذنوب ليلاً ونهاراً، فالواجب البدار بالتوبة ولزومها وكثرة الاستغفار لعلك تنجو لعل الله يتوب عليك، وقد وعدك به ﷻ وهو الصادق في وعده.

وقول النبي ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرةٍ**» في اللفظ الآخر «**لأتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**» في اللفظ الآخر «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة**»، هذا هو الأسوة عليه الصلاة والسلام ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكما كان يكثر من الاستغفار والتوبة فهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بحالنا ونحن على خطر، فالواجب الإكثار من الاستغفار ولزوم التوبة دائماً ومحاسبة النفس وجهادها حتى لا تقع في الخطيئة، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرةٍ**»؛ يعني: يصيب بعض الشيء، الغطاء الخفيف غير الران، الران شدة الغطاء نسأل الله العافية بسبب كثرة الذنوب ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، أما الغين فهو الشيء الخفيف يعتري القلب ويزيله الله بالاستغفار والتوبة، فالمؤمن هكذا يجتهد في التوبة إلى الله والاستغفار والحذر من شر الذنوب وعدم الإصرار عليها لعله ينجو لعله يسلم.

كذلك كان يعدون للنبي ﷺ في اليوم في المجلس الواحد مائة مرةٍ: يقول: «**رب اغفر لي، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**» وهو صلى الله عليه وسلم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في المجلس الواحد يعدون، يقول: «**استغفر الله وأتوب إليه اللَّهُمَّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**» في اليوم مائة مرة، هذا يدل على عظم عنايته بهذا الأمر العظيم وتواضعه وحرصه على أسباب المغفرة، وهو سيد ولد آدم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فنحن أولى بأن نحرص لكثرة ذنوبنا وتقصيرنا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كذلك حديث: «**لو لم تذنبوا، لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**» فيه الدلالة أنه كتب على الناس الذنوب حتى يلجؤوا إلى الله حتى يتواضعوا حتى يقروا بالتقصير؛ لأنهم محل الخطأ محل العقوبة إلا أن يتوب الله عليهم، فمن زعم أنه سليم لا يذنب، جاهل مركب كل إنسان محل، عرضة للذنوب كل بني آدم خطاء، فالواجب البدار بالتوبة والاستغفار والحرص على ذلك لعل الله أن يغفر لك، والله سبحانه يحب من عباده أن يلجؤوا إليه وأن يستغفروه وأن يتوبوا إليه وأن يعترفوا بذنوبهم، كما أخبر النبي ﷺ: «**لو لم تذنبوا، لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**»؛ يعني: ينكسرون إلى الله بين يديه ويضرعون إليه ويشكون فاقتهم وضعفهم حتى يتوب عليهم سبحانه وتعالى.

رزق الله الجميع التوبة والاستغفار.

❋ ❋ ❋

١٨٧٣ ـ **وعن** ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ». رواه أبو داود[١].

١٨٧٤ ـ **وعن** ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ». رواه أبو داود والترمذي[٢] والحاكم، وقال: حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ومسلمٍ.

١٨٧٥ ـ **وعن** شداد بن أوسٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». رواه البخاري[٣].

□ (أبوء): بباءٍ مضمومةٍ ثم واوٍ وهمزةٍ ممدودةٍ، ومعناه: أقر وأعترف.

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار برقم (١٥١٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار برقم (١٥١٧)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء الضيف من حديث زيد مولى رسول الله ﷺ برقم (٣٥٧٧)، وأخرجه الحاكم ١/ ٥١١.

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار برقم (٦٣٠٦)، وفي باب ما يقول: إذا أصبح برقم (٦٣٢٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة: كلها فيها الحث على الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ والإنابة إليه من جميع الذنوب، يقول عليه الصلاة والسلام: «**من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**»؛ يعني: استمر على التوبة مع الندم لَّا مجرد الكلام فالاستغفار معناه عدم الإصرار كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، فالتوبة يمحو الله بها الذنوب: الشرك وما دونه، من لزم الاستغفار تائباً نادماً مقلعاً صادقاً، جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، كما قال سبحانه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فالتوبة الصادقة من التقوى، هي التقوى في الحقيقة، وهكذا من قال: أستغفر الله الذي لا إلـه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر الله ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف؛ يعني: إذا كان صادقاً في ذلك توبة صادقة يغفر الله بها الذنوب حتى الفرار من الزحف حتى الشرك الذي هو أكبر، إذا الإنسان تاب إلى الله وأناب إليه صادقاً نادماً مقلعاً عازماً لا يعود غفر الله له ذنوبه وكفر سيئاته، فينبغي للمؤمن أن يعتني بهذا وألّا يعتقد أن مجرد القول يكفي لا بد من عدم الإصرار لا بد من توبة صادقة استغفار صادق ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، ويقول جلَّ وعلا عن نوح إنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١١]، وهود مع قومه ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٥٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَفَلَا

يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]، فلا بد من توبة صادقة وقول صادق بطلب المغفرة.

وهكذا **حديث الاستغفار** وهو أفضل شيء في الاستغفار وأكمله أن يقول: «**اللَّهُمَّ أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي؛ فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». معنى: (أبوء)؛ يعني: أُوقن وأعترف لك بذنبي تائباً نادماً لا بد من توبة صادقة ثم قال أبوءُ بنعمتك علي؟ يعني: أشكر نعمتك وأعترف بها وأشكرك عليها وهو يعترف بنعمه يشكر الله عليها ويعترف بذنبه ويتوب منها، هكذا الصادق أبوء لك بنعمتك علي؛ يعني: أُوقن وأعترف بنعمك شاكراً لك ثم أبوء بذنبي؛ يعني: أُوقن وأعترف بأني مقصرٌ صاحب ذنوب يقولها صادقاً تائباً نادماً فإن الله يغفر له: «**فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». إذا قالها صادقاً صباحاً ومات من يومه دخل الجنة، ومن قاله مساءً صادقاً ومات من ليله دخل الجنة، فهذا فضل عظيم من مات على التوبة فهو على خير عظيم. في الحديث يقول ﷺ: التوبة تجب ما قبلها ويقول سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فمن تاب أفلح ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ يعني: تفلحوا، هذا يدل على أن التوبة فلاح للعبد ونجاة له، وهكذا يقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]؛ يعني: بالتوبة الصادقة ولزومها فالمؤمن مشروع له أن يستمر الإنسان بذكر الله واستغفاره في ليله ونهاره، يكون مشغول اللسان مشغول القلب بالتوبة والاستغفار والذكر لله ﷻ، تارة بالقرآن وتارة بغير ذلك من الأذكار، كما قال ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»، وقال: «**الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا**

قوة إلا بالله»، وقال ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**.

سبحان الله العظيم، فأنت يا عبد الله مأمور بهذا مشروع لك أن تستعمل قلبك وجوارحك في ذكر الله وطاعته واستغفاره والتوبة إليه.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

١٨٧٦ ـ وعن ثوبان ؓ قال: كان رسول الله ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثاً وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» قَالَ الوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم[1].

١٨٧٧ ـ وعن عائشة ؓ قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول قبل موته: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». متفقٌ عليه[2].

١٨٧٨ ـ وعن أنسٍ ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذي[3]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) أخرجه في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته برقم (٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤) ولم أجده في البخاري.

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، برقم (٣٥٤٠).

□ (عنان السماء): بفتح العين: قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عَنَّ لك منها؛ أي: ظهر، و(قراب الأرض): بضم القاف، وروي بكسرها، والضم أشهره وهو ما يقارب ملأها.

١٨٧٩ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال «يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ العَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي». رواه مسلم[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة: كلها تتعلق بالاستغفار ومسائل أخرى، وتقدم آيات كثيرات وأحاديث في الاستغفار، والاستغفار قربة وطاعة والعبد في حاجة إليه بل في ضرورة إليه؛ لأنه خطَّاء، كما قال النبي ﷺ: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»، فينبغي للمؤمن أن يكثر من الاستغفار دائماً مع الصدق وأن يكون القلب موافقاً للسان، الاستغفار معه التوبة ومع الندم ومع الإقلاع من الذنوب حتى يكون الاستغفار مثمراً ومؤدياً للمطلوب، كما قال جلَّ وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦] ومن سننه عليه الصلاة والسلام أنه إذا سلم استغفر ثلاثاً بعد الصلوات

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق برقم (٧٩).

الخمس استغفر ثلاثاً وقال: «**اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام؛ تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» هذا السُّنَّة: الظهر العصر المغرب العشاء والفجر يقولها حين يسلم، قالت عائشة ﵂: (كان يمكث في مصلاه حتى يقول: «**اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام؛ تباركت يا ذا الجلال والإكرام**») ثم ينصرف للناس يعطيهم وجهه عليه الصلاة والسلام، هذا هو السُّنَّة يستغفر ثلاثاً كما قال الأوزاعي: يقول «**أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام؛ تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» الرجل والمرأة المسافر والمقيم في جميع الأوقات ثم بعد هذا يقول: لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وإن كررها ثلاثاً فهو حسن: لا حول ولا قوة إلا بالله لا إلـٰه إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن لا إلـٰه إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد بعد كل فريضة ويزيد في المغرب والفجر زيادة: لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات زيادة على ما ذكر في المغرب والفجر، كما جاءت الأحاديث بذلك ثم يقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة، الجميع تسعة وتسعون، ويختم المائة بقوله: لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير بعد كل فريضة، ثم يأتي بآية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ثم يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مرة واحدة في الظهر والعصر والعشاء، وثلاث مرات بعد المغرب والفجر، كل هذا من السنن الذي سمعوه من سنته عليه الصلاة والسلام أيضاً أوصى بالاستغفار دائماً تقدم قوله عليه الصلاة والسلام: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كلِّ هم فرجاً ومن كلِّ ضيق مخرجاً ورزقه من**

حيث لا يحتسب» فالاستغفار مطلوب دائماً؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

ويقول في حديث أنس: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرةً**» هذا من فضله جلَّ وعلا التوحيد يمحو الله به الذنوب إذا صدق العبد فيه وصار توحيده مقروناً به التوبة محا الله به جميع الخطايا، وإذا أقبل على ربه واستغفره تاب إليه توبة صادقة محا الله سيئاته، فينبغي الإكثار من الاستغفار دائماً في ليله ونهاره.

كذلك حديث أنه ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فسألن عن ذلك فقال: لأنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير؛ يعني: يكثر منهن السب والشتم وكفران العشير كفران الزوج وجحد فضله، فشرع الله لهن الصدقة والإكثار منها والاستغفار حتى تكفر بذلك الخطايا، فينبغي الإكثار منها بالصدقة والاستغفار ولا سيما للنساء، كل إنسان مطلوب منه ذلك، والنساء زيادة لما ذكره النبي ﷺ: لأنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير؛ يعني: الزوج يغلب عليهن هذا ما رأيت منك خيراً قط وحصل منه بعض الشيء، قال: ما رأيت منك خيراً قط نسيت كل شيء إلا من عصم الله إلا من حفظها الله من النقيات ثم يقول: «**ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلب لذي لبٍ**: الرجل الحازم من إحداكن»، لا شك أنهن لهن سيطرة على الرجال يغلبن الكثير من الرجال لحلاوة منطقهن ولأساليبهن الكثيرة، سألته امرأة: يا رسول الله ما نقصان العقل والدين؟ قال: «**شهادة امرأتين بشهادة رجلٍ**»، ونقصان الدين تمكث الليالي والأيام لا تصلي في الحيض وهكذا النفاس لا شيء عليهن لكنها النقص نقص في الدين وإن كان

ليس عليهن فيه شيء لأنه بأمر الله، لكن يعتبر نقصاً ولكن ليس عليهن فيه إثم، ولكن الله جلَّ وعلا قدر ذلك وشرعه رحمة بعباده ولطفاً بالنساء لأن تركه سبعاً ستاً ثمانيةً فإذا أُمر بالقضاء شق عليه ذلك كثيراً قضاء الصلوات، أما الصوم فلا يكلف شهرٌ في السنة إذا صادف حيضها في رمضان أو نفاس. فلا يشق القضاء أما القضاء دائماً يعتريها كل شهر الحيض سبعة أيام ثمانية أيام عشرة أيام، وهكذا النفاس فيه مشقة فمن رحمة الله ﷻ؛ أن سامحهن ذلك وعفا عنهن فضلاً من الله جلَّ وعلا.

كذلك لما نزلت سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣]، قال عمر رضي الله عنه وابن عباس وجماعة: إنها علامة أجله ﷺ؛ يعني: قُرب أجله لأن الله أكمل الدين فأمره سبحانه عند نهاية عمره أن يكثر من التسبيح والاستغفار عليه الصلاة والسلام، وكان يكثر أن يقول: «**سبحانك اللَّهُمَّ بحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي سبحانك اللَّهُمَّ بحمدك أستغفرك وأتوب إليك**» ويقول ذلك في ركوعه وفي سجوده أيضاً، فيستحب الإكثار من هذا سبحانك: «**اللَّهُمَّ بحمدك أستغفرك وأتوب إليك، سبحانك اللَّهُمَّ بحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي، استغفر الله وأتوب إليه**»، كل هذا طيب جاء هذا وهذا سبحانك: «**اللَّهُمَّ بحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي، سبحانك اللَّهُمَّ بحمدك أستغفرك وأتوب إليك**»، كله طيب المعنى الإكثار من التسبيح والاستغفار تأسياً بالنبي ﷺ في ذلك.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁



٣٧٢ ـ بَابُ بيان مَا أعدَّ اللّهُ تَعَالَى للمؤمنين في الجنة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨].

وقال تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨ ـ ٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٨] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

١٨٨٠ ـ وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يَأكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ

ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ». رواه مسلم(١).

١٨٨١ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ»: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. متفق عَلَيْهِ(٢).

١٨٨٢ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ. أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ ـ عُودُ الطِّيبِ ـ أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ». متفق عَلَيْهِ(٣).

وفي رواية البخاري ومسلم: «آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِياً».

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة، باب في صفات الجنّة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرةً وعشيّاً برقم (٢٨٣٥) رقم حديث الباب (١٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقةٌ برقم (٣٢٤٤)، وفي كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] برقم (٤٧٧٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٢٧)، ومسلم في كتاب الجنة، باب أوّل زمرةٍ تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم برقم (٢٨٣٤).

▫ قوله: (عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ واحدٍ): رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح.

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، كلها تتعلق ببيان نعيم أهل الجنة وما أعد الله لهم من الخير؛ يعني: المتقون المؤمنون، فالجنة أعدّها الله للمتقين المؤمنين، والنار أعدَّها الله للكافرين، فالله جلَّ وعلا بيَّن لعباده هذه وهذه، وبيَّن حال هؤلاء وحال هؤلاء حتى يبادر المؤمن الموفق إلى الأعمال الصالحات وإلى المجاهده لنفسه في لزوم الحق والثبات عليه رجاء أن يكون من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من الجنة والكرامة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦]؛ يعني: يقال لهم ذلك أدخلوها بسلام آمنين، آمنين من الموت والأمراض، والجوع، والعطش، والخوف وغير هذا من كل ما يسوؤهم آمنين، هذه حالهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، لا تباغض بينهم ولا اختلاف، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ يعني: تعب، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، بل في نعيم دائم في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨]، في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧]، والآيات كثيرة في بيان حال المتقين ومقامهم أنه الجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨].

ويقول في حديث جابر: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**» في الحديث الثالث: «**وَلَا يَتْفِلُونَ**» بل ذلك الطعام جُشاء من غير حاجة، لا بول ولا غائط يتبخر، رشحهم المسك وآنيتهم الذهب، لا اختلاف بينهم ولا تباغض على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشية، هذه حالهم دار النعيم لا نوم ولا موت، ولا بصاق، ولا بول، ولا غائط؛ ولكن في نعيم دائم، يأكلون مما يشتهون ويشربون مما يشتهون ولا يحتاجون إلى بول ولا غائط، كله يذهب جُشاء ويتبخر من غير حاجة إلى بول ولا غائط من خفته وطيبه، فينبغي للمؤمن أن يسعى لهذا الخير العظيم وأن يستقيم على طاعة الله ورسوله وأن يحذر التساهل في هذا الأمر واستبطاء المسير إلى الله؛ وليس بينك وبين هذا إلا خروج هذه الروح، وأنت لا تدري متى تخرج هذه الروح، والقبر أول منزلة من منازل الجنة أو النار، إما أن تنعم فيه، وإما أن تعذب، فالعاقل والحازم أن يعد العُدة ويحذر أسباب الخزي والندامة. نسأل الله للجميع التوفيق والسلامة.

❁ ❁ ❁

١٨٨٣ ـ وعن المغيرةِ بن شعبة رضي الله عنه، **عن رسُولِ الله** ﷺ، **قال: «سأَلَ مُوسَى** عليه السلام **رَبَّهُ: ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قال: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وأخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ**

يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فيقُولُ في الخامِسَةِ. رَضِيْتُ رَبِّ، فَيقُولُ: هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». رواه مسلم(١).

١٨٨٤ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فَيقُولُ اللهُ عز وجل له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى ـ! فَيَقُولُ اللهُ عز وجل له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فيأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إليهِ أنَّها مَلأى، فيَرْجِعُ. فَيقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى، فيقُولُ اللهُ عز وجل لَهُ: اذهبْ فَادخُلِ الجنَّةَ. فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعشرَةَ أَمْثَالِهَا؛ أَوْ إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ».

قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: «ذلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً». متفق عليه(٢).

١٨٨٥ ـ **وعن** أبي موسى رضي الله عنه؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها في السَّماءِ سِتُّونَ

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنّة منزلةً فيها برقم (١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنّة والنّار. برقم (٦٥٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النّار خروجاً برقم (١٨٦).

مِيلاً. لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً». متفق عليه(١).

▫ (المِيلُ): سِتة آلافِ ذِراعٍ.

الشَّرْح

ففي هذه **الأحاديث الثلاثة** بيان حال أهل الجنة وما أعطاهم الله من النعيم وبيان أدناهم منزلة، وهو أن رجلاً يخرج من النار من آخر ما يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة؛ لأن العُصاة بعضهم يعذب في النار وبعضهم يعفى عنه بتوبته أو بأعمال صالحة كما قال تعالى لما ذكر الشرك، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

كثير من العصاة يدخلون النار بمعاصيهم من الزنا، من شرب المُسكر، من الربا، من غير ذلك، ثم بعدما يطهرون من النار على قدر معاصيهم يخرجهم الله من النار بشفاعة الشفعاء، وبمجرد رحمته وعدله ﷻ، فيكون آخرهم من يخرج من النار حبوا فيأمره الله أن يدخل الجنة فيخيل إليه أنها ملأى فيقول: يا رب إني وجدتها ملأى، فيقول: اذهب وادخل الجنة، فيخيل إليه أنها ملأى، فيقول: اذهب وادخل الجنة، فيدخلها ويعطى عشرة أمثال مُلك الدنيا، وفي رواية: أترى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رضيت رب، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله. وفي اللفظ الآخر: وعشرة أمثاله، هذا الذي أدناهم منزلة «**فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقةٌ برقم (٣٢٤٣)، وفي كتاب التفسير، باب ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] برقم (٤٨٧٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب في صفة خيام الجنّة وما للمؤمنين فيها من الأهلين برقم (٢٨٣٨).

بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

قال: ثم قرأ قوله جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. فالله جلَّ وعد أهل الجنة من الكرامة ما يعلمه الله من أنواع النعيم والخير وهم طبقات على حسب أعمالهم في الدنيا، على حسب أعمالهم الصالحة، فكل من كان تقواه لله أكمل، صار منزلته أرفع ونعيمه أكثر، وجميع أهل الجنة كلهم في نعيم كل واحد يرى أنه ما أعطى أحد مثله لما هو من النعيم لا حزن ولا تباغض كلهم في نعمة دائمة وخير دائم وسعادة دائمة مما أعطاهم الله من أنواع النعيم والخير الكثير، وهذا من جوده وكرمه ﷻ.

في الحديث الثالث يقول ﷺ: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً**»، من عظمها وسعتها فهم منازل في الجنة وأنواع وطبقات درجات كثيرة يتفاوتون فيها على حسب أعمالهم الصالحة في الدنيا وتقواهم لله في الدنيا.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

١٨٨٦ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيع مِئَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها». متفق عليه[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقةٌ برقم (٣٢٥٢)، وفي كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] برقم =

📖 وروياه في الصحيحين أيضاً من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مئةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها».

١٨٨٧ ـ **وعنه**، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قالُوا: يا رسول الله؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبياء لَا يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ قال: «بَلَى والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». متفق عليه[1].

١٨٨٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لَقَابُ قَوْسٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ». متفق عليه[2].

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة: فيها بيان بعض ما في الجنة من الخير العظيم والنعم العظيمة والفضل الكبير يقول ﷺ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَام مَا يَقْطَعُهَا» شجرة واحدة لعظمها يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا وما ذاك لعظمها وكثرة غصونها وما فيها من الخير العظيم، هذا يدل على سعة الجنة وأن فيها من الخير العظيم والنعم العظيمة وألوان المتاع مما

= (٤٨٨١)، ومسلم في كتاب الجنة، باب إنّ في الجنّة شجرةً يسير الرّاكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها برقم (٢٨٢٧ و٢٨٢٨).

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقةٌ برقم (٣٢٥٦)، ومسلم في كتاب الجنة، باب ترائي أهل الجنّة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السّماء برقم (٢٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والرّوحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنّة برقم (٢٧٩٣)، وفي كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقةٌ برقم (٣٢٥٣)، ومسلم مختصراً باختلاف برقم (١٨٨٠ و١٨٨١).

يسر الناظرين ما لا يحصيه إلا الله وهو لا يعلمه إلا هو ﷻ.

وكذلك **الحديث الآخر** يقول ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**»؛ يعني: أن هذه المنازل لا تختص بالأنبياء بل الأنبياء وغيرهم من أهل الإيمان والتقوى والصدق، فالمنازل متفاوتة ومع ذلك كلٌّ في نعمة لا يرى أن غيره أحسن منه كان مغتبطاً مرتاحاً لا حزن، ولا غم، كل واحد في منزلة يرى أنه قد أعطي ما لم يعطه أحد، كل واحد في نعيم دائم وخير دائم لا يرى أن غيره قد فُضِّل عليه لما هو فيه من الخير العظيم والنعم العظيمة، فأهل الجنة في نعيم وسرور لا حزن بينهم ولا تباغض بل في نعيم دائم وخير دائم وراحة دائمة، وهذا كله من فضل الله جلَّ وعلا وإحسانه ويقول ﷺ: «**لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ**»؛ يعني: مقدار القوس المعروف خير مما طلعت عليه الشمس، في اللفظ الآخر: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»(١).

المقصود: أن نعيم الجنة الشيء اليسير منه خير من الدنيا كلها، فكيف بمن يعطى المنازل العظيمة والغرف الكثيرة والزوجات الكثيرة والخدم الكثير.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

(١) سبق تخريجه برقم (١٢٩٠).

[الحجر: ٤٥ ـ ٤٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧] في نعيم لا يخطر ببال، ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ويقول جلَّ وعلا في الحديث القدسي: **«أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾**»**.

نسأل الله للجميع التوفيق وصلاح النية والإعداد لهذا الأمر العظيم، نسأل الله أن يمنحنا وإياكم الإعداد لهذا الأمر العظيم بالتقوى والاستقامة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

١٨٨٩ ـ وعن أنس رضي الله عنه**؛ أنَّ رسول الله** ﷺ **قال: «إنَّ في الجَنَّةِ سُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسناً وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لقدِ ازْدَدْتُم حُسْناً وَجَمَالاً! فَيقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمالاً!»**. رواه مسلم[1].

١٨٩٠ ـ وعن سهل بن سعد رضي الله عنه**؛ أنَّ رسول الله** ﷺ **قال: «إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءونَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَراءونَ الكَوكَبَ فِي السَّمَاءِ»**. متفق عليه[2].

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة، باب في سوق الجنّة وما ينالون فيها من النّعيم والجمال برقم (٢٨٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقةٌ برقم (٣٢٥٦)، وفي كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٥٦)، ومسلم في =

١٨٩١ ـ وعنه رضي الله عنه، قال: شَهِدْتُ مِنَ النبيّ ﷺ مَجْلِساً وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ في آخِرِ حَدِيثِهِ: «فيهَا مَا لَا عَينٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]». رواه البخاري[(١)].

١٨٩٢ ـ وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحيَوْا، فَلَا تَمُوتُوا أَبَداً، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لَكمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلَا تَبْأسُوا أَبداً». رواه مسلم[(٢)].

الشَّرْح

فهذه الأحاديث الأربعة: تتعلق بأهل الجنة وما أعد الله لهم من الخير وهم المؤمنون المتقون لله من الجن والإنس، أعد الله لهم غاية النعيم، وفي القرآن الكريم ما يشفي ويكفي من كتاب الله من ذلك ما يشفي ويكفي ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧]، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

= كتاب الجنة، باب ترائي أهل الجنّة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السّماء برقم (٢٨٣٠).

(١) أخرجه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] برقم (٤٧٨٠)، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] برقم (٧٤٩٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه في كتاب الجنة، باب في دوام نعيم أهل الجنّة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] برقم (٢٨٣٧).

عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤] إلى غير هذا في الحديث يقول ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ سُوقاً** (يجتمع مقدار الأسبوع في الدنيا فيه ما يريدون) **مَا فِيهَا بَيْعٌ وَلا شِرَاءٌ** يأخذ كل إنسان ما أحب وما اشتهى من السوق **فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهَلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً**» المعنى: أن أهل الجنة غاية من الطيب والحزن وأنهم يزدادون طيباً وكمالاً وحسناً في بقية مقامهم في هذه الجنة، وأنهم أبداً في زيادة وفي نعمة دائمة ينادي فيهم منادٍ «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَداً، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبداً**».

فهم في نعيم دائم وفي خير كثير، وفي الحديث: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**»، وفيه أنه ﷺ قال يوماً لأصحابه إن الله يقول: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

والخلاصة: أن أهل الجنة في نعيم دائم وفي مزيد من النعيم وهو الخير لا حزن ولا موت، ولا نوم ولا أسقام، ولا كدر؛ بل في نعيم دائم وخير دائم وراحة دائمة يتزاورون فيما بينهم في غاية من المحبة، وغاية من التودد، وفي غاية من البشاشة فيما بينهم وهم في نعيم دائم، هم وأزواجهم، ولهم موعد مع الله ينظرون إليه أخصهم بكرة وعشية وهم يتفاوتون في ذلك

على حسب درجاتهم ونعيمهم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

❁ ❁ ❁

١٨٩٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ أدْنى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فيقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». رواه مسلم(١).

١٨٩٤ ـ **وعن** أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عز وجل يَقُولُ لأهْلِ الجَنَّةِ: يَا أهْلَ الجَنَّةِ، فَيقولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ في يَدَيْكَ، فَيقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ فَيقُولُونَ: وَأيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَداً». متفق عليه(٢).

١٨٩٥ ـ **وعن** جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: «إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَاناً كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ». متفق عليه(٣).

١٨٩٦ ـ **وعن** صُهيب رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أهْلُ

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنّة والنّار برقم (٦٥٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب إحلال الرّضوان على أهل الجنّة فلا يسخط عليهم أبداً برقم (٢٨٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر وفي كتاب التفسير، باب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] برقم (٤٨٥١)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصّبح والعصر والمحافظة عليهما برقم (٦٣٣).

الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ». رواه مسلم[١].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩، ١٠].

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وعلى آلِ إِبْراهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آل إبراهيم في العالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

فَرَغْتُ مِنْهُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ رَابعَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ بِدِمشق قال مؤلِّفُهُ.

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة: كلها تتعلق بما يعطي الله أهل الجنة من النعيم، تقدم آيات وأحاديث في ذلك وأنه سبحانه يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قد بيَّن في القرآن الكريم أنواعاً من النعيم في مواضع كثيرة من كتابه الكريم أعدها الله للمتقين والمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم (١٨١).

جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٥]، وغير ذلك منها قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي هذه الأحاديث يقول ﷺ: «تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى (ما يريد من أنواع النعيم) فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» ويقول جلَّ وعلا لأهل الجنة يسلم عليهم ويقول: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً» هذا من فضله جلَّ وعلا وجوده ﷻ، كذلك يسلم عليهم ويقول: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً» وفي اللفظ الآخر «فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷯».

وفي الحديث الآخر: إنه ﷺ كان جالساً مع أصحابه في ليلة البدر، ليلة أربعة عشر عند تمام القمر فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»؛ يعني: رؤية ظاهرة لا يحصل على أحد غيب بل كل يراه في محل فضلاً منه وإحساناً، وهكذا أهل الجنة يرونه جلَّ وعلا كلما شاء ﷻ على مواعيد يضربها لهم جلَّ وعلا، وأعلاهم منزلاً من يرى وجه ربه بكرة وعشيا؛ يعني: في منزلة البكرة والعشي من أيام الدنيا، كل هذا من فضله جلَّ وعلا، من هذا قوله جلَّ وعلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ

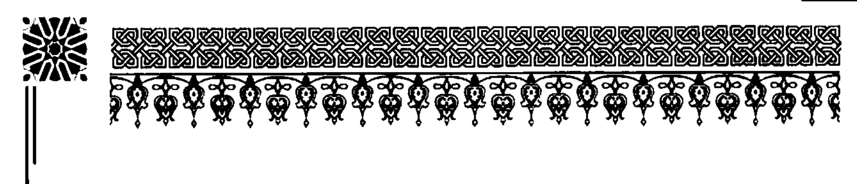
﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه سبحانه.

المقصود: أنه جلَّ وعلا يمنحهم من النعم والخير الكثير ما لا يخطر بالبال، ومن ذلك إحلاله رضوانه عليهم فلا يسخط عليهم أبداً، ومن ذلك كشفه الحجاب عن وجهه الكريم حتى يروا وجهه الكريم وذلك أحب إليهم من كل شيء ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]؛ يعني: البهاء والحسن والنضارة والجمال ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

تنظر إلى وجهه الكريم ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله جلَّ وعلا: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]؛ فالجدير بالمؤمن والجدير بكل عاقل كل مكلف أن يعمل لهذه الدار، وأن يجتهد في طاعة الله ورسوله وأن يحرص على كل ما يقربه من الله ويباعده من غضبه في جميع الأوقات في ليله ونهاره في سفره وإقامته في صحته وفي مرضه في جميع الأحوال يجتهد في طاعة ويبتعد عن مساخط الله، يسأل ربه التوفيق والإعانة يرجو فضله ويخشى عذابه ﷻ، ومن سار إلى مراضيه وطمع فيما عنده وخافه ورجاه وفقه وهداه، كما قال عن عباده الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] هذه صفة أولياء الله المتقين.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

❁ ❁ ❁



الخاتمة

أحمد الله ﷻ على إتمام هذا العمل وذلك بعد وقت طويل في تحويل مسموعة إلى مكتوب والذي بدأته بعد وفاة سماحة الشيخ في عام ١٤٢٠هـ، وبحمد الله تحصلت على بعض الأشرطة المفقودة وهذا الشرح يشتمل ما شرحه الشيخ في الرياض في جامع الإمام تركي بن عبد الله رحمه الله وفي مسجده بجوار منزله، وفي الطائف في فترة الصيف، وفي مكة المكرمة بمسجده. وقد أكرمني صاحب الفضيلة الشيخ عبد السلام السليمان ببعض الأشرطة المفقودة وكانت تكملة للكتاب والحمد لله على ذلك.

وهذه أبرز النتائج المستفادة من هذا الشرح.

أولاً: عناية سماحته بهذا الكتاب وشرحه له أكثر من ثلاث مرات.

ثانياً: عنايته بكتاب الله ﷻ حفظاً وتفسيراً.

ثالثاً: تفسير آيات الباب.

رابعاً: شرح الأحاديث شرحاً واضحاً لكل من يقرأه من دون صعوبة في الفهم.

خامساً: اعتنى سماحته بالأحاديث الواردة في هذا الكتاب، وقد صحح بعض الأحاديث وضعف بعضها.

سادساً: اشتمل هذا الشرح على شرح (١٨٩٦) حديثاً.

سابعاً: يوجد بعض الأحاديث لم أعثر على شرحها من سماحته.

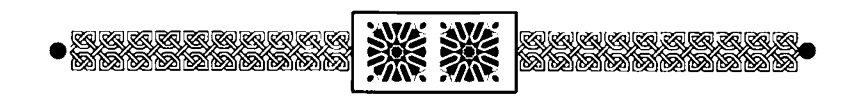
ثامناً: هناك أسئلة من الطلاب موجهة للشيخ بعد نهاية كل درس لم يتيسر إدراجها في هذا الكتاب وستأتي بملحق إن شاء الله.

تاسعاً: آمل ممن قرأ هذا الكتاب من المسلمين وطلبة العلم خاصة أن يتحفوني بآرائهم أو ملحوظاتهم أو تصويب خطأ حدث، ولهم الأجر والثواب من الله والشكر والتقدير والعرفان مني.

وصلَّ الله على رسله وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

صَلَاحُ الدِّين بْن عُثْمَان بْن أَحْمَد
عفا الله عنه ١٤٣٩/٩/١٥هـ
٠٥٠٥٢٢٦٧٠٧

فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

كتَاب الدَّعَوات

كتَاب الأمُور المَنهي عَنْهَا

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة